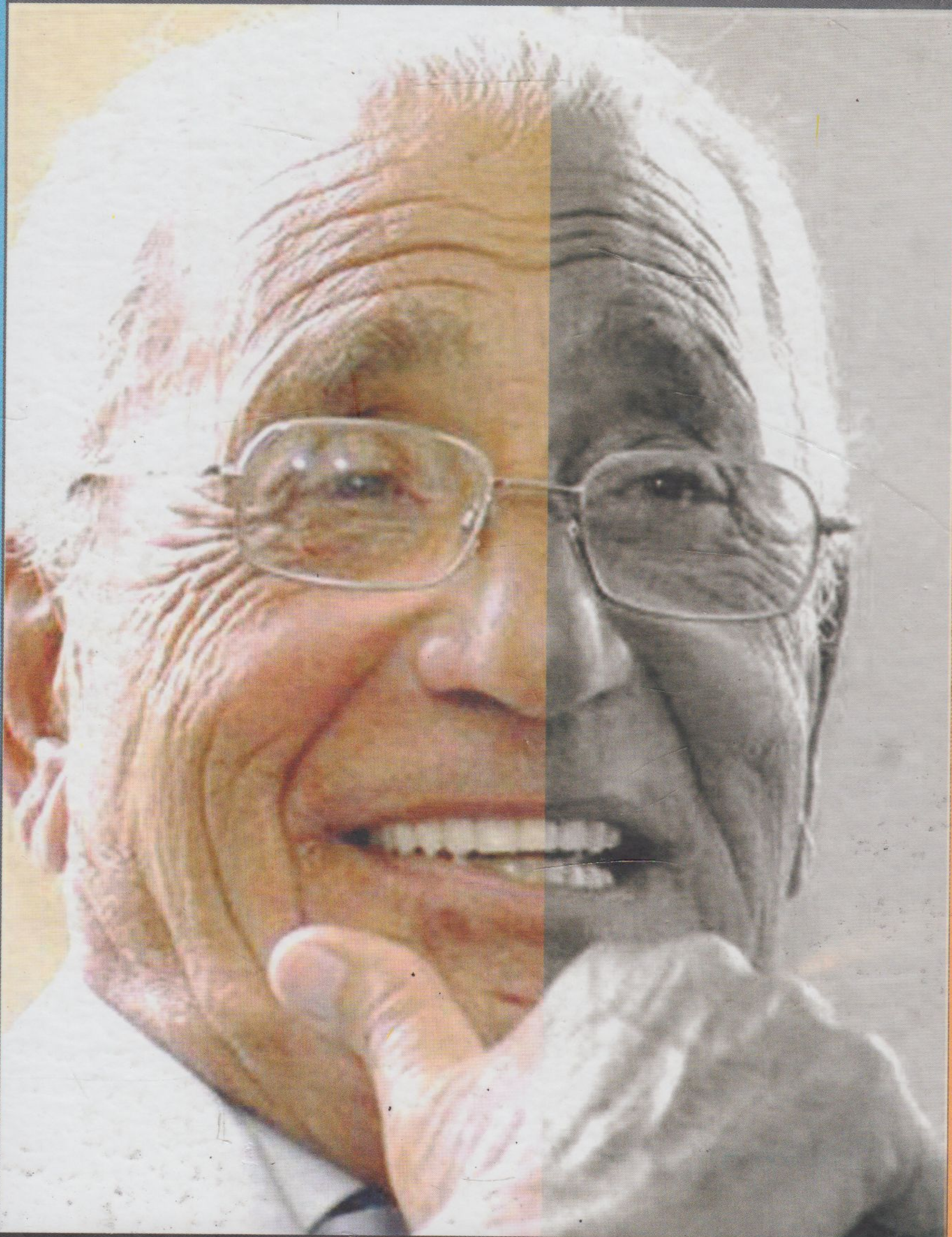
تجربة حياة خاصة جدا

# هيكل ضد هيكل

## اسطورة الصحافة بين صدق الحقائق ومعاول الإتهام



عصام عبد الفتاح

تجربة حياة خاصة جداً

# هيكل ضد هيكل

## أسطورة الصحافة بين صدق الحقائق.. ومعاول الاتهام

عصام عبد الفتاح

مكتبة الشريف ماس للنشر والتوزيع
القاهرة مصر

**مكتبة الشريف ماس للنشر والتوزيع**

# هيكل ضد هيكل

## أسطورة الصحافة بين صدق الحقائق.. ومعاول الاتهام..

## عصام عبد الفتاح



رقم الإيـــداع: 2011/2127

الترقيم الدولي: 978-977-5053-01-5

**الطبعة الأولى 2011**




الناشر: **مكتبة الشريف ماس للنشر والتوزيع**

١٦٥ ش محمد فريد – الدور الثالث – القاهرة

تليفاكس: 23900867 (202+)

محمول: 0107112712 (2+) – 0161208447 (2+)

e-mail: sherif_mass2010@yahoo.com

الطباعة: البدر للطباعة والتوريدات

تليفون: 35610061 (202+)

(202+) 3564360

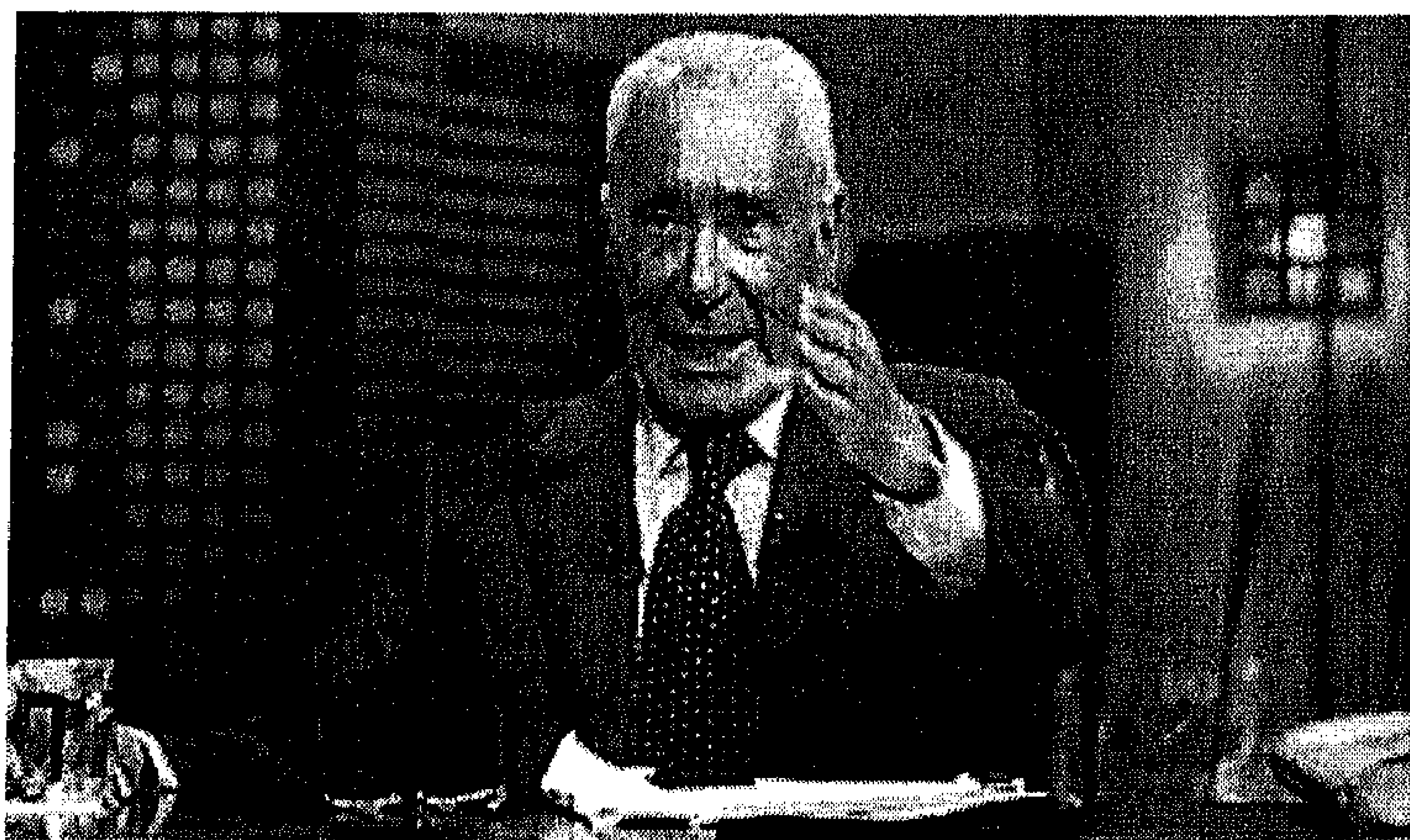
(2+) 0124142709




﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾

الإسراء آية (٨٥)

"تجربة حياة" خاصة جداً..



# هيكل.. ضد هيكل!!



عصام عبد الفتاح

**إهداء..**

إلى نبض ضمير القلم.. الحاضر الغائب..

**الأستاذ أحمد بهاء الدين**

رحمه الله قدر إخلاصه لقلمه.. ووطنه..

وإلى صديقي العزيز الكاتب الصحفي..

**هشام لطفي..**

الذي اتفقنا معاً في كل شيء.. واختلفنا فقط حول هيكل..

عفواً صديقي العزيز..

إن كان هناك قداسة فهي للقلم الذي أقسم به الله عز وجل في كتابه الكريم..

لكن ..لا قداسة لكاتب.. حتى وإن كان..

**هيكل..**

**عصام عبد الفتاح**

# المقدمة

.. نختلف.. أو نتفق حول الرجل..

لكننا في النهاية لابد أن نعترف بقيمته الرمزية في حياتنا..

.. نختلف أو نتفق مع ما كتب..

لكننا في النهاية لابد أن نعترف بأهمية.. واختلاف ما كل ما يحمل اسمه ككاتب..

.. نختلف حول مؤلفاته.. لكن لابد أن نقرأها..

إنه (هيكل).."الأستاذ".. كما يطلق عليه تلامذته.. ومعجبوه.. الرجل الذي كان مقاله الأسبوعي "بصراحة" قادراً على أن يهز العالم العربي من المحيط إلى الخليج..

و"المتناقض" كما يسميه رافضوه.. والذي يملأ اسمه الدنيا ضجةً.. وضجيجاً..

الفريق الأول يبجلونه وينزلونه منزلة التقديس والعصمة.. وهو في نظرهم دوماً الأكثر مصداقية.. والتزاماً..

والفريق الثاني ممن يهاجمونه.. ويختلفون معه دوماً.. يتهمونه بكل شيء بدءاً من تزوير الحقائق.. وانتهاءاً بالعمالة..

عفواً..
أستاذنا
العزيز..
هيكل.!!

ولعل السؤال الذي يشغل بال الجميع هو:

هل يروي (هيكل) التاريخ بحقائقه.. وكما هو دون إضافة.. أو حذف.. أو تجميل؟

أم أنه يسعى لتخليد شخصه.. وحقبة الناصرية التى يُعدُ هو مُنظرُها الأول؟

تلك الحقبة التى امتدت تقريباً من قبل منتصف الخمسينيات وحتى أوائل السبعينيات.. وشهدت بزوغ نجمه.. وقربه اللصيق بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر.. والتى كانت تموج دوماً بكل أشكال الحروب.. ساخنةً وباردةً.. واشتعال الأزمات السياسية في المنطقة العربية.. وعلى الساحة الدولية.. كما شهدت أقصى مد للقومية العربية بكل تجلياتها.

مؤيدو الرجل كانوا دوماً يصفونه بأنه المُحدث الأول عن وقائع وتفاصيل تلك الفترة الحساسة.. فهو يتحدث من خلال نوع نادر من الصداقة جمعت بين رجل دولة ممثلاً في شخص الرئيس جمال عبد الناصر.. وبين صحفي ممثلاً في شخص (هيكل).. لذا فهى صداقة استثنائية بكل المقاييس.

أما رافضوه فيقولون أنه يذهب بعيداً عن مرفأ الحقيقة.. وأحياناً لا تسعفه الذاكرة فهو يعزي الكثير من الأحداث إلى نفسه وكونه بطل الحدث بلا منازع.. وهذه طبيعة النفس البشرية التى تتوق دائماً إلى حب ذكر الذات.

وبين الفريقين نحاول نحن أن نقول كلمتنا من خلال هذا الكتاب الذى اخترنا له عنوان (هيكل).. ضد هيكل).. محاولين الاقتراب ما وسعنا الجهد من ذلك الخط الأحمر في تجربة الأستاذ.. بلا افتراء.. وبلا توجه مسبق.. منحازين فقط للموضوعية في رصد تلك التجربة تاريخياً.. وتحليلياً.. تاركين (الأستاذ) ممسكاً هو بدفة الأحداث.. ليوجهها وفقاً لما قاله - وما زال يقوله ويكتبه - من حقائق وموضعات.. وأقول أننا كجيلٍ ([1]) كمحظوظ لأنه عاش وتجربة (هيكل) - أمدَ الله في عمره - حاضرة.. فعايش جزءاً منها.. وقرأ عن أجزاءٍ سبقته عمرياً.. وحاول أن يضع الأستاذ وتجربته فوق ميزان العقلانية.. ليُقيم.. ويرفض.. ويقبل وفقاً لمعطيات الاقتناع.. فلا أقول أنه

---

[1]) اتحدث هنا عن نفسي ليس بوصفي كاتباً.. ولكن بوصفي قارئاً.. ومواطن مهتم بقضايا وطنه العربي يحاول التواصل معها وفهمها من خلال كتابات الأستاذ محمد حسنين هيكل وغيره من الأستاذة والكتاب.. اتحدث عن الحيرة التى نعيشها نحن كجيلٍ يُطلق عليه في تاريخ مصر والعروبة (جيل اكتوبر) الذى ادرك سن الوعي والفهم مع احداث النصر العظيم.. وعندما تفتحت مداركه اكثر ادرك انه لم يعش قبل النصر محنة الهزيمة في نكسة يونيو ١٩٦٧ فحاول التعايش معها وفهمها لتكتمل لديه الصورة بالقراءة من خلال كتابات هيكل وآخرين..(المؤلف).

اصطدم بضبدية (هيكل) في كثيرٍ مما قال.. بقدر ما تيقن من كون الحقيقة دائماً متعددة الوجوه..

نعم (هيكل) بشرٌ.. وليس نبي..

من حقه أن يُخطيء.. لأنه لا بشر بلا أخطاء..

ولكن ليس من حقه احتكار (الحقيقة) فيما يقول..

والغريب أن (هيكل) لم يقترب أبداً من الشعوب التى انفرد بصداقة زعمائها.. لم يعبر يوماً عن المعاناة الحقيقية وأحلام الشعب العربي.. والمصري.. لم يتعايش مع آلامهم.. ولا آمالهم.. ادخر كل ذلك فقط لبلاط الحكم والجالسين على كراسيه.. دوماً كان منحازاً فقط للطبقة العليا من الوطن.. بالرغم من أن أولويات مهنة الصحافة هى التعبير عن واقع الأمم.. ومراقبة الحكام.. فعَكَسَ أستاذُنا القاعدة.. ووَظّفَ قلمه للتعبير عن الحكام.. ومراقبة واقع الأمم من بعيدٍ لبعيد..

ومن المؤكد أن قربه الدائم من الحُكام.. والوزراء.. والقادة.. ليس في مصر فقط.. بل في كافة دول العالم.. قد ساعده على ذلك.. فهو صديق الرؤساء.. ونديم الزعماء.. يجالس هذا في شرفة قصره الحاكم.. ويركب مع ذاك طائرته الخاصة.. ويلاعب هذا جولف.. وذاك يهديه أفخر أنواع السيجار.. وكأن الرجل ـ إمبراطور دولة الصحافة الأوحد ـ وهنا قد يأخنا هذا التعبير المجازى لنتخيل أن كاتبنا كان من بين أحلامه أن يُصبح ملكاً ذات يوم.. وعندما لم يجد مملكةً يحكمها.. اختار أن يصنع من مهنته مملكةً خاصة.. استطاع بذكاءٍ شديد أن ينفرد بحكمها على مدار عقودٍ عديدة.. بل واستطاع إجبار الآخرين على الاعتراف له بذلك.. فجلس وتربع على عرش صاحبة الجلالة.. ممسكاً بيده صولجان الكلمة.. حابساً أنفاس الحقيقة في خزانة وثائقه الخاصة التى لا يملك مافيها.. ولا يعرف مكانها سواه..

ولم يكتفِ بالتعبير عن أصدقاءه من الحُكام.. وتبرير أفعالهم وحسب.. بل تعامل معهم بمنطق الولاء المطلق لكل من يقدره على هذا النحو.. بينما كل من عاداه أو تجاهل مركزه الصحفي ـ كإمبراطور ـ ناصبه العداء المطلق.. حتى وإن جمعتهم

الصداقة ذات يوم.. ولا أدل على ذلك من موقفه مع الرئيس السادات.. وما ذكره عنه.. وعن أسرته.. وأمه.. وأبيه.. في كتابه الأشهر (خريف الغضب)[1]

...

لكن نعود ونأكد برغم كل ما قيل تبقى الحقيقة التى لا ينكرها أحدٌ أن (هيكل).. سيظل هو الأهم.. والأكثر جدلاً بين صحفيي.. وكُتاب تاريخنا العربى المعاصر.. مستنداً في ذلك على خبرته.. وتاريخه.. وتجربته المتفردة.

ونقول لكل (ال(هيكل)يين ) ونحن من قبلهم: أنه مهما كان حبنا واحترامنا للأستاذ (هيكل).. وتقديرنا لتجربته.. لكن يجب أن يبقى حبنا لله.. ثم الوطن والتاريخ.. والحقيقة أكبر.

ونتوقف لنبدأ رحلتنا عبر صفحات هذا الكتاب مؤكدين ثانيةً أن مساحة الصدق من الإدعاء في تجربة (هيكل) هى ما نبتغى الوقوف عنده لرصده.. واعدين القارئ بأن نترك الحقيقة فقط لتتحدث.. لن نرفع راية الرفض.. ولن ننكس راية الإعجاب.. بل سنبحر معاً بلا تناقض.. ولا أحكام مسبقة عبر "تجربة حياة" الأستاذ.. وسط أمواج التجربة.. إنسانياً.. وصحفياً.. لنرى إلى أين ستقودنا.. وهيا نبدأ معاً رحلتنا مع كاتبنا الكبير.

**عصام عبد الفتاح**

**elbtrawy@yahoo.com**

(١) للأسف وحتى لا نكرر اقوال: وصلت لغة الخطاب في هذا الكتاب تحديداً إلى مستوى السقطات.. فامه او جدته ـ اى السادات ـ سوداء.. وكأن هذا ذنبها الذى يُعير به ابنها.. وكان زبيبة الصلاة التى كانت تتصدر وجه السادات كانت من لوازم ماكياج الحكم.. وكان الأولى بأستاذنا ان يترفع بنفسه.. ويسمو عن السقوط.. والتردى إلى مثل هذا المنحدر.. وحتى لا يُساء فهم ما نقول.. نؤكد أننا غير (ساداتيين) وغير مدافعين عن الرئيس الراحل.. بل بالعكس فلنا عليه من الملاحظات والمآخذالموضوعية الكثير.. وهذا راينا الشخصي الذى لا نفرضه على القارئ.. لذا آثرنا توضيحه حتى لا نُحسب على تيارٍ بعينه.

# تمهيد

هناك نظرية تاريخية معروفة يسميها المؤرخون نظرية.. أو قانون "**الحتمية التاريخية**".. وهى عبارة عن مذهب فلسفي سياسي قديم.. قائم على القول بأن للحوادث التاريخية نظاماً منطقياً تترتب فيه العناصر بشكل يكون فيه كل منها متعلقاً بغيره من أحداث.. ولعلها إحدى التطبيقات المباشرة لنظريتين تاريخيتين أُخريين إحداهما تقول (التاريخ يعيد نفسه).. والأخرى تقول العكس وبأن التاريخ لا يعيد نفسه.

وفي كل ما كتب الأستاذ (محمد حسنين هيكل) نجده سواء بقصد.. أو بدون قصد يُسلم تسليماً تاماً بتلك النظرية.. لكن في إطار فهمه الخاص لها.. فنجده مثلاً يقول في مقدمة كتابه "**زيارة جديدة إلى التاريخ**":

صحيح أن التاريخ لا يكرر نفسه رغم اختلاف ظروف الناس والأمم والأحوال.. ولكن أليس صحيحًا أيضاً أن هناك ثمة قوانين للتاريخ.. وأن هذه القوانين تعمل أحكامها إذا تجمعت عناصر وعوامل تستدعى مثل هذه الأحكام؟!

**الحتمية التاريخية في كتابات هيكل..!!**

وفي مقدمة نفس الكتاب المشار إليه نجد (هيكل) يؤمن تماماً بالفكر الماركسي النابع من نظرية (كارل ماركس[1])التي تقول:

"إن التاريخ لا يعيد نفسه.. وإذا فعل فإنه في المرة الأولى مأساة عظيمة وفي المرة الثانية ملهاة مضحكة" لكنه من الحق أيضاً أن نفرق بين عودة الماضي ـ وهي مستحيلة ـ وبين سريان قوانين التاريخ ـ وهي محققة

بينما تنص النظرية في وجهها الآخر على أنه إذا عُرِفَ ارتباط كل عنصر حدثي أو تاريخي بغيره من العناصر.. أمكن التنبؤ به وبأحداثه.

**وبشكل عام ينقسم فلاسفة الحتمية التاريخية إلى قسمين:**

- الأول: يؤمن بالحتمية التاريخية المطلقة التي تعني أن أحداث التاريخ حدثت كلها.. وتحدث وستحدث حسب قوانين التاريخ التي لا سيطرة للإنسان عليها.. وأن الإنسان منفصل فيها ومتأثر.. لا فاعل ومؤثر وأن الحرية الإنسانية لا وجود لها.
- والثاني: يقول بأن أحداث التاريخ إنما تحدث وفقاً لقوانين التاريخ.. لا رغما عنها.. ولا يمكن أن تُخالفها.. ولكن هذه القوانين لا تجعل أي حدث تاريخي حتما محتوما قبل حصوله.. إلا إذا وجدت القوة الإنسانية القادرة على تحقيقه.

وقد انطلقت الفكرة الماركسية من خلال إيمانها بالمادية التاريخية.. وهذه المادية تُخضع التاريخ بكل ما فيه من تغيرات وتطورات لقانون الحتمية التاريخية المتمثلة في صراع متناقضات الأشياء.. والذي يحرك عجلة الإنتاج نحو التطور في علاقات الإنتاج التي تحكم كل الأشياء.. وبذلك تكون الثورة التي تصنع التغيير ضرورة حتمية تفرضها طبيعة الأشياء في ظل الشروط الموضوعية التي تحتاج إليها عملية الصراع.

ووفقاً للتنظير الماركسي فإن الثورة في المادية التاريخية عنصر ضروري من عناصر صراع الطبقات عندما يؤول هذا النزاع بحكم الضرورة إلى صراع سياسي هدفه

---

(١) كارل ماركس أشهر فلاسفة القرن العشرين.. وهو كما هو معروف يهودي ألماني ولد.. وعاش بين عامي ( ١٨١٨ – ١٨٨٣ ) وكان ضعيف البصر .. متقلب المزاج .. حاقد على المجتمع بشكلٍ عام .. مادي النزعة .. له عديد من المؤلفات أشهرها كتابه (راس المال) الذي ظهر سنة ١٨٦٧ ساعده في التنظير للمذهب الشيوعي والعمل على نشره والدعاية له صديقه الحميم فردريك إنجلز( ١٨٢٠ – ١٨٩٥) والمعروف أنه ظل ينفق على ماركس وعائلته حتى مات.. في ١٤ مارس ١٨٨٣ بلندن.

الاستيلاء على جهاز الحكومة لتجريد الطليعة المهيمنة على شؤون المجتمع من وسائل هذا الجهاز الذي تُسخره لخدمة أغراضها.

### اليقظة = عودة الوعي

وفي مقدمة كتابه "عروش وجيوش" يقول (هيكل) عن الصراع في فلسطين:

(الأمم الكبيرة تحيا لكي تتذكر.. والأصح أنها تتذكر لكي تحيا لأن النسيان هو الموت.. أو درجة من درجاته.. في حين أن التذكر يقظة.. واليقظة حالة من حالات عودة الوعي.. قد تكون تمهيداً لفكر ربما يتحول إلى نية فعل.. ثم إلى فعل إذا استطاع أن يُرتب لنفسه موعداً مع العقل والإرادة في يوم قريب.. أو بعيد بمثل ما فعله المشروع الصهيوني على امتداد قرن كامل عاش نصفه مع الوعد.. ونصفه الآخر مع تحقيق الوعد).

ونلاحظ خلال هذه الفقرة أن محمد حسنين (هيكل) لا يجعل من الحتمية التاريخية سبباً للخمول والجمود والانطواء على الذات.. وتبرير الفشل.. والتداعي.. إنما يجعل من تصفح التاريخ وقراءته دافعاً لنهوض الأمم.. وتجديد واقعها.. وعدم تكرار الأخطاء.. وهو ما يسميه صمام أمان في المستقبل.

### التاريخ من سفرٍ.. إلى خطر!

ويقول في موضع آخر من نفس الكتاب:

(كان ظني دوماً أن الالتفات إلى الوراء ليس تلكوءاً مع الماضي.. وإنما هو ضرورة لسلامة السير بمثل ما يفعل سائق أي سيارة يريد لنفسه الأمان.. أمامه الطريق وهو منطلق بالسرعة التي يريدها.. ويُطل من نافذة بعرض سيارته على ماهو ممتد أمام عينيه لكنه أيضاً.. وفي الوقت نفسه محاطاً بمرايا عاكسة للخلف.. والجنب معلقة عند موقع نظره.. وهو مُطالب بألا يغفل نظره عن معالم الطريق أمامه لكن عينيه في الوقت نفسه على المرايا العاكسة لمراحل وراءه تجاوزها من الطريق.. ودون نافذة في المقدمة تطل على ماهو آت ودون مرايا عاكسة تلاحظ مافات فإن قيادة السيارة تتحول من سفر إلى خطر).

إذن إيمان كاتبنا بالتاريخ منهجاً.. جعله يعاود دائماً الرجوع إليه.. ليتحول دون قصد منه إلى أسلوب للفكر.. والتفكير.. ولابد أن نعي ذلك جيداً ونحن نقرأ ما يكتبه.. ونسمع ما يحكيه..

عموماً كان لابد لنا أن نُشير إلى هذا في البداية كمدخلٍ ضروريٍ.. وهام لنحاول من خلاله قراءة فكر (محمد حسنين هيكل) وكتاباته وفقاً لما عرفناه بمفهوم "الحتمية التاريخية" في تناول الأحداث.. وهو ما سوف نجعله إطارنا العام في هذا الكتاب.



# القسم الأول

## هيكل الإنسان.. والصحفي..
## بورتريه بريشة الكلمات!!!!

إذا أردنا أن نختزل (محمد حسنين هيكل) في بضعة كلمات نرسم بها ملامح هذا البورتريه.. فسنقول أنه أهم صحفي وكاتب سياسي في تاريخ العرب.. بل وواحد من أهم وأشهر صحفيي العالم خلال القرن العشرين.. إما عربياً.. ومصرياً فهو الأبرز باعتراف الكثير من الهيئات والمؤسسات الدولية السياسية والإعلامية.. ودور النشر الكبرى في الداخل والخارج.. وهو من الصحفيين العرب القلائل الذين شهدوا وشاركوا في صياغة مشروعات السياسة العربية خلال نفس الحقبة.. خاصةً في مصر.

أما بداياته فقد وُلِدَ بالقاهرة في الحادي والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٢٣ وبها أيضاً تلقى تعليمه.. أما اتجاهه إلى الصحافة فقد كان مبكراً.. ويمكننا أن نرسم ملامح الصورة الصحفية للرجل كالتالي:

**الساحر**

يقول عنه أحد الكتاب المشهورين:

لقد قرأت معظم كتبه وسحرنى أسلوبه.. ولا أدرى من يأتى بكلماته.. فـ(هيكل) هو الكاتب السياسى الوحيد الذي يكتب بأسلوب أدبي ممتع.. دون الإخلال بالموضوع.. كأنك تقرأ رواية لكاتب عالمي ولكنها واقعية.. يستخدم (هيكل) جملاً رائعة تشد القارئ وتلامس مشاعره.. إنه كاتب خبير بخفايا النفس البشرية.. معلوماته دقيقة للغاية.. وأسلوبه بسيط سهل يسهل على أي قارئ فهمه..

**شاهد عيان**

ويستطرد نفس الكاتب قائلاً:

"يتميز (هيكل) بأنه شاهد عيان ومعاصر لكل الأحداث الكبرى.. أي أنه يتكلم من قلب الأحداث.. أنه علم من أعلام هذه الأمة.. وكنز ثمين.. فمصر في نصف قرن يُجسدها (هيكل).. وكأنه زمنٌ أختُزِلَ في رجل.

**المتنبئ**

كثيراً ما يطلُق على (هيكل) هذا الوصف.. فهو لديه حساً خاصاً يجعله يتنبأ بالأحداث قبل وقوعها.. ولعل في كتابه **"زيارة جديدة للتاريخ"** تجسيداً مباشراً لهذه الفكرة بحذافيرها..

فهذا الكتاب يُعد أحد نماذج القراءة الحية للتاريخ في كتابات (هيكل).. حيث أنه وبعد خمسة سنوات فقط من إعادة نشر الكتاب للمرة الثانية.. أى في سنة ٢٠٠٢ صدر ما يعرف بـ **"مبادرة السلام العربية"**[(١)] وبالعودة إلى صفحات الكتاب.. وتحديداً الفصل الأخير منه الذي يتحدث فيه (هيكل) عن التصورات الإسرائيلية للسلام نجده يقول أن إسرائيل ليست مستعدة للتنازل عن القدس فيما يتعلق بموضوع الأرض.. فهي بالنسبة لهم خارج أي نقاش.. أما الضفة الغربية فهى مُعرضة إما للضم الكامل بالنسبة لبعض

---

(١) مبادرة السلام العربية هي مبادرة أطلقها الملك عبد الله بن عبد العزيز ملك السعودية عام ٢٠٠٢ لتحقيق الحلم المستحيل للسلام في الشرق الأوسط بين إسرائيل والفلسطينيين.. تهدف المبادرة إلى إنشاء دولة فلسطينية معترف بها دوليًا على حدود ١٩٦٧ وعودة اللاجئين.. والانسحاب من هضبة الجولان المحتلة مقابل اعتراف الدول العربية بإسرائيل وتطبيع العلاقات معها.. وقد تم الإعلان عن المبادرة في القمة العربية في بيروت.. ونالت التأييد العربي إلى حد كبير.

الأجزاء.. أو السيطرة المطلقة دون ضم.. وبالنسبة لباقي الأجزاء الأخرى فالأمر واحد.. ونفس الشيء بالنسبة لهضبة الجولان أيضاً.. كما يقول أن إسرائيل ليست مستعدة لقبول دولة فلسطينية مستقلة على أية بقعة من أرض فلسطين.. وأقصى ما يمكن الوصول إليه هو تفاوض سياسي حول الضفة الغربية وقطاع غزة للتوصل إلى نوع من الإدارة الذاتية.. وليس هناك ما يمنع الضم الكامل إلى إسرائيل غير الرغبة في الاحتفاظ بالنقاء اليهودي لدولة إسرائيل من ناحية.. وصعوبة تفريغ الضفة الغربية والقطاع من سكانهما في وقت قريب من ناحية أخرى..

وبمجرد قراءة سريعة لهذه التصورات وغيرها كالتفوق الإسرائيلي العسكري الدائم نستطيع أن نحكم على أية مبادرة عربية للسلام بأن مصيرها لابد وأن يكون الفشل.. وأي عملية سلام على هذا الطريق لن تأتي بأية نتيجة.. واليوم نجد الواقع يشهد بصدق تحليلات (هيكل) التي مر عليها أكثر من ثلاثين سنة.. والكتاب كله لا يكاد يخلو من قراءات لديها في واقعنا اليوم ما يؤكدها من قرائن.

### شجاع مع حرية التعبير

ساند (هيكل) الكاتب الكبير (نجيب محفوظ) عندما تعرض للهجوم الشديد من جانب شيوخ الأزهر عقب نشر روايته **(أولاد حارتنا)** وتحدى (هيكل) الجميع مداوماً على نشرها مجزأة في جريدة الأهرام عندما كان يرأس تحريرها.

كما سعى لدى (عبد الناصر) ليقنعه بالموافقة على مواصلة نشر كتاب (توفيق الحكيم)[1] **"بنك القلق"** مسلسلاً في "الأهرام" بعد اعتراض المشير (عبد الحكيم عامر) على النص واعتباره مسيئاً للنظام وللمخابرات المصرية تحديداً.

---

(١) توفيق الحكيم من الأسماء البارزة في تاريخ الأدب العربي الحديث.. عاصر عمالقة الأدب والفكر في مصر مثل طه حسين والعقاد وأحمد أمين وسلامة موسى.. أحمد شوقي وحافظ إبراهيم.. وكان الحكيم هو أول مؤلف يستلهم في أعماله المسرحية موضوعات مستمدة من التراث المصري عبر عصوره المختلفة.. سواء أكانت فرعونية أو رومانية أو قبطية أو إسلامية لكن بعض النقاد اتهموه بأن له ميول فرعونية وخاصة بعد رواية عودة الروح .. عندما قرأ توفيق الحكيم إن بعض لاعبي كرة القدم دون العشرين يقبضون ملايين الجنيهات قال عبارته المشهورة: "انتهى عصر القلم وبدأ عصر القدم لقد أخذ هذا اللاعب في سنة واحدة ما لم يأخذه كل أدباء مصر من أيام أخناتون" كما عاصر فترة انحطاط الثقافة المصرية (حسب رأيه) في الفترة الممتدة بين الحرب العالمية الثانية وقيام ثورة يوليو ١٩٣٩ - ١٩٥٢. هذه المرحلة التي وصفها في مقال له بصحيفة أخبار اليوم بالعصر "الشكوكي".. وذلك نسبة محمود شكوكو.

**محقق يملك ما لا يملكه الآخرون**

من الكتاب الصحفيين القلائل.. إن لم يكن الوحيد بينهم الذي لابد أن تجد في نهاية كتبه ملحق كامل بصور الوثائق..

**الصحفي الوزير**

عام ١٩٧٠م عُينَ (هيكل) وزيراً للإرشاد القومي.. ونَصَ المرسوم الذي عينه وزيراً للإرشاد القومي في نفس الوقت على استمراره في عمله الصحفي كرئيسٍ لتحرير الأهرام.. وقبِلَ المنصب الوزارى بعد أن تكرر اعتذاره عنه عدة مرات.. وكان ذلك تقديراً لظرف سياسي وعسكري استثنائى في الظروف المحيطة بحرب الاستنزاف.

**هو والرؤساء.. والملوك**

جمعته علاقة استثنائية بإثنين من أهم رؤساء مصر والعالم في التاريخ الحديث.. الأول (جمال عبد الناصر) . وكان كما قلنا من قبل أقرب المقربين إليه . ومن أخلص تابعيه في حياته.. وبعد مماته..

والثاني هو الرئيس (السادات).. وبين صفحات الكتاب سنتحدث عن علاقته بالزعيمين بالتفصيل.

أما علاقته بالرئيس (حسني مبارك) فبالرغم من الانفتاح السياسي والإعلامي الكبيرين اللذين حدثا في عهده.. فقد بدأت بإفراج الرئيس (حسني مبارك) عنه عقب توليه الحكم.. ولكنه لم يستعن به صحفياً.. ولم يقربه إليه كعادة سابقيه.. وبقي (هيكل) ممنوعاً تقريباً من الكتابة في مصر.. وإن كان ذلك بشكل غير مباشر.. وغير رسمي.. حيث سُمِحَ له بالكتابة لمدة قصيرة في صحيفة "أخبار اليوم" حتى اندلاع أحداث الأمن المركزي سنة ١٩٨٦ عندما صدر قرار بوقف نشر مقالاته.. وهو محاصر من التلفزيونات المصرية.. ومعظم التلفزيونات العربية.

أما خارج مصر فعادةً ما يلقي (هيكل) من الاحترام والتقدير الكثير.. مع مراسم استقبال بعضها يكون رسمياً.. أو على الأقل خاصاً من ملوك ورؤساء معظم الدول التى يزورها.. وهو ربما مالا يلقاه كاتب.. أو صحفي آخر على الأقل من نفس الشخصيات.

**(هيكل) الصحفي.. والمؤرخ!!**

مَرّ (هيكل) بالعديد والعديد من المحطات الهامة في مشواره الصحفي.. نستطيع أن نوجزها في النقاط التالية:

- في بداية مشواره الصحفي عام ١٩٤٣ التحق بجريدة "الإيجيشيان جازيت" كمحرر تحت التمرين في قسم الحوادث.. ثم في القسم البرلماني.. واختاره رئيس تحرير الجريدة لكي يشارك في تغطية بعض معارك الحرب العالمية الثانية في مراحلها المتأخرة برؤية مصرية.
- عين محرراً بمجلة آخر ساعة سنة ١٩٤٥ وعمل قريباً من مؤسسها الأستاذ (محمد التابعي) وانتقل معها عندما انتقلت ملكيتها إلى أخبار اليوم.
- من سنة ١٩٤٦حتى ١٩٥٠ أصبح مراسلاً متجولاً لأخبار اليوم.. فتنقل وراء الأحداث من الشرق الأوسط إلى البلقان.. وأفريقيا.. والشرق الأقصى حتى كوريا.
- من سنة ١٩٥١م استقر في مصر رئيساً لتحرير آخر ساعة ومديراً لتحرير أخبار اليوم في نفس الوقت واتصل عن قرب بمجريات السياسة المصرية.

## (هيكل) والأهرام

سنة ١٩٥٦/ ١٩٥٧ عرض مجلس إدارة الأهرام على (هيكل) رئاسة وتحرير الأهرام.. اعتذر في المرة الأولى.. وقبل في المرة الثانية..

وفي يوم ١٠ أغسطس ١٩٥٧ ظهر أول مقال له في جريدة الأهرام تحت عنوان بصراحة وكان يحمل عنوان "السر الحقيقي في مشكلة عُمان".. بينما كان آخر مقال له يوم ١ فبراير ١٩٧٤ بعنوان "الظلال.. والبريق".

وظل رئيساً لتحرير الأهرام ١٧ سنة وفي تلك الفترة وصل الأهرام إلى أن يصبح واحدة من الصحف العشرة الأولى في العالم.. ولا ننسى أنه هو من أدخل أصحاب عملاقة الثقافة والفكر المصريين من أمثال (توفيق الحكيم).. و(نجيب محفوظ).. ويوسف أدريس.. و(لويس عوض) إلى مؤسسة "الأهرام" فأصبح لكل واحد منهم مكتب هناك.

وأقام خلال عمله مجموعة علاقات صحفية دولية جعلت الأهرام طرفاً في أوضاع الإعلام العالمي وتوجهاته وفي العلاقات بين عواصم العالم المتعددة ما بين نيويورك إلى لندن.. وما بين باريس وطوكيو.

كما أنشأ مجموعة المراكز المتخصصة للأهرام مثل:

- مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية..
- مركز الدراسات الصحفية..

- مركز توثيق تاريخ مصر المعاصر..
- رأس مجلس إدارة مؤسسة أخبار اليوم"الجريدة.. والمؤسسة الصحفية" ومجلة "روز اليوسف" كذلك في مرحلة الستينات.

## (هيكل) يغادر الأهرام

بعد حرب أكتوبر كان للرئيس "(السادات)" تصوراته الخاصة في الإدارة السياسية لنتائجها.. اختلف (هيكل) معه بشأنها.. وكانت هناك مداخلات ومشادات بينهما حول هذه الإدارة قبل أن تفترق الطرق بينهما.. وكانت السيدة "(جيهان (السادات))" شاهدة على هذه الأجواء الملتهبة بين صديقين قديمين على وشك أن يفترقا كل في طريق.

وذات مساء قرب نهاية الصداقة بينهما - في لقاء عائلي- احتد "(هيكل)" في النقاش عندما أخذ الرئيس "(السادات)" يسهب في شرح مواقفه الجديدة قائلاً أنه سوف يراهن بالكامل على الولايات المتحدة.. وقد أبلغ "(هيكل)" في هذا المساء زوجته التي كانت بصحبته في هذا اللقاء العائلي العاصف أنه سوف يغادر "الأهرام" لأنه غير مستعد للدفاع عن سياسة غير مقتنع بها.. ففي هذه الحالة سوف يخسر نفسه.. ثم قال لها مطمئناً:

"ثقي أن الخيار الأخلاقي سوف ينتصر في النهاية"

ترك "(هيكل)" الأهرام باختياره.. رغم أن الشائع أن "(السادات)" هو الذي أقاله.. وحاول "(السادات)" أن يستعيده لصفه مرة أخرى وعرض عليه تولي مواقع تنفيذية عليا.. وهذا هو ما ذكره (هيكل) في كتابه "الطريق إلى رمضان" سارداً تحفظاته وانتقاداته للتوجهات المصرية الجديدة في الإدارة السياسية بعد حرب أكتوبر آنذاك.. وأثارت تلك الانتقادات حنق "(السادات)" عليه وجعل من الخلاف السياسي صداماً شخصياً أودع بسببه (هيكل) في السجن.

## مؤلفات (هيكل)!!

تحتل مؤلفات (هيكل) وكُتُبه مكاناً بارزاً علي رفوف المكتبة السياسية.. قد يحتار القارئ في تصنيفها.. هل هى كتابات مؤرخ.. أم مشاهدات صحفي مدقق تحتوى على وثائق شاهدة هي وصاحبها على عصور مضت زمنياً.. ولم تمضي فعلياً.. ولا تاريخياً.. أم أنها آراء خاصة.. أو ما إلى غيرذلك.. لكننا في النهاية لا نملك إلا التنقيب في صفحاتها.. والبحث عما يرد فيها من حقائق.. ومعلومات.. خاصةً إن كان القارئ ممن أدركتهم.. وأرهقتهم حرفة القلم.. أو دروب مهنة البحث عن المتاعب.

## كاتب عالمي

كان كل ما يكتبه (هيكل) يُنشر أولاً بأول خارج مصر وهو يعيش داخلها.. وكان من نتيجة كتاباته الخارجية أن اعتقله الرئيس (السادات) ضمن اعتقالات سبتمبر ١٩٨١ ومنذ أن ترك رئاسة تحرير الأهرام كتب - وما زال يكتب- مقالات لكبريات صحف العالم.. وفي مقدمتها "الصنداى تايمز "والتايمز" في بريطانيا.. كذلك تُرجم له العديد من الكتب أشهرها:

- "خريف الغضب" الذي ظهر في ٣١ لغة..
- "عودة آية الله"..
- "الطريق إلى رمضان"..
- "أوهام القوة والنصر"..
- "أبو الهول والقوميسير"..

ومعظمها نُشر ما بين ٢٥ - ٣٠ لغة بينها اليابانية والأسبانية..

## (هيكل).. وأول كتاب

أول كتاب أصدره (هيكل) في حياته كان بعنوان "**إيران فوق بركان**" صدر الكتاب في مايو عام ١٩٥١ أى قبل ثورة ٢٣ يوليو بحوالي سنة.. وهو الكتاب الوحيد الذي صدر لـ (هيكل) في عهد (الملك فاروق[١]) ويقول (هيكل) عن كتابه الأول أنه كان يباع بمبلغ عشرة قروش.. وهو مبلغ كبير بحسابات تلك الأيام.. وكان يحوي تفاصيل ثورة مصدق[٢].. وانطباعات (هيكل) عن نظام الحكم هناك.. فيما بدا أنه اهتمام مبكر استمر حتي الآن بالملف الإيراني.

---

(١) الملك فاروق كما هو معروف آخر ملوك المملكة المصرية وآخر من حكم مصر من الأسرة العلوية.. ولد ونشأ في القاهرة ١١ فبراير ١٩٢٠ ابن وحيد بين خمسة شقيقات انجبهم الملك فؤاد الأول.. ثم أكمل تعليمه بإنجلترا.. استمر حكمه مدة ستة عشر سنة إلى أن أرغمته ثورة يوليو ١٩٥٢ على التنازل عن العرش لابنه الطفل أحمد فؤاد والذي كان عمره حينها ستة شهور والذي ما لبث أن خُلِعَ بتحويل مصر من ملكية إلى جمهورية.. وبعد تنازل فاروق عن العرش أقام في منفاه بروما.. وكان يزور منها سويسرا وفرنسا.. وذلك إلى أن توفي بروما.. ودفن في المقبرة الملكية بمسجد الرفاعي بالقاهرة حسب وصيته.

(٢) محمد مصدق (١٨٨٢-١٩٦٧) هو رئيس وزراء إيراني أسبق بين عامي ١٩٥١ و١٩٥٢ يعتبر في إيران بطلاً قومياً لرفضة الإمبريالية الغربية.. وقيامه بتأميم النفط أثناء رئاسته الوزارة.. شهرته الأكبر مستمدة من قيامه بخلع الشاه الذي سرعان ما عاد للعرش بعملية أمريكية بريطانية مشتركة سميت بعملية أجاكس.. وأمر باعتقال محمد مصدق وسجنه لمدة ثلاث سنوات وأطلق سراحه بعدها إلا أنه استمر رهن الإقامة الجبرية حتى وفاته سنة ١٩٦٧.

ومن عصر (الملك فاروق) إلي عصر (عبد الناصر) بدأ (هيكل) يدخل دائرة الاهتمام الإقليمي بكتاباته.. لكن أهم ما نلاحظه في تلك الفترة هو قلة انتاج (هيكل) في مجال الكتب.. وربما كان يعود ذلك إلى انشغاله خلال هذه الفترة في العمل في "أخبار اليوم" و"الأهرام" التي تولي مسؤولية تحريرها.. وهي المسؤولية التي حرمته علي ما يبدو من التفرغ لتأليف الكتب..

وفي أول ٤ سنوات من حكم (السادات) ألف كتابين فقط هما "**(عبد الناصر) والعالم**" و"**أحاديث في آسيا.. موعد مع الشمس**".. علي أن المسؤولية سرعان ما انزاحت من على أكتافه بعد قرار إعفائه من منصبه في "الأهرام" في فبراير ١٩٧٤ وهو القرار الذي قال عنه فيما بعد أنه أعطاه فرصة ليعزل نفسه في منزله ويركز جهده كله علي كتابة "**الطريق إلى رمضان**" والذي تناول مصر بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٣.

وكما يقول (هيكل) أن كتاباته أثناء الفترة (السادات)ية كان لها طابعاً خاصاً.. حيث كان يكتب خلالها باللغة الإنجليزية تنفيذاً لتعاقدات خاصة مع دور نشر أجنبية.. وكانت الصحف العالمية تتلقف هذه الكتب لتنشرها في شكل حلقات وتترجم الكتب نفسها إلي عدة لغات.. في حين يترجمها إلي العربية مترجمون غيره.. وكان المعتاد آنذاك أن تطبع النسخة العربية في بيروت.. وبطريق غير مباشر يتسرب البعض منها إلي مصر.. جري ذلك خلال الفترة التي أعقبت خروج (هيكل) من "الأهرام".. وهي الفترة التي كان ممنوعاً خلالها من الكتابة داخل مصر.. والملاحظ عن هذه الفترة أن تلك الكتب كانت عناوينها تعلن عن تطورات الخلاف الذي أخذ يتسع بينه وبين الرئيس (السادات) مثل:

- "لمصر لا لـ(عبد الناصر)" - الذي خصصه للرد علي الأقاويل والكتابات الكثيرة التي راحت تهاجم (عبد الناصر) وعصره..
- "قصة السويس آخر المعارك في عصر العمالقة"..
- "الحل والحرب"..
- "حديث المبادرة" عن مبادرة زيارة الرئيس (السادات) للقدس وما تلاها من مباحثات السلام..
- "حكاية العرب والسوفييت"..

- "وقائع تحقيق سياسي أمام المدعي الاشتراكي" نشر فيه ما دار خلال جلسات التحقيق معه أمام المدعي الاشتراكي..
- "السلام المستحيل"..
- "الديمقراطية الغائبة"..
- "أفاق الثمانينيات"..
- "مدافع آية الله" قصة إيران والثورة..

والأخير بدأ نشره أولاً في صحيفة "**الصنداي تايمز**".. ثم تلتها صحيفة "**التايمز**" التى خصصت للكتاب صفحة كاملة يومياً لمدة أسبوع.. ثم صدر الكتاب في ٣٣ لغة..

ومع مرور الوقت صارت دور النشر العالمية تحصل علي حق طبع الكتاب حتي من قبل أن يبدأ (هيكل) الكتابة فيه.. كما حرص (هيكل) على ألا يدع كثيراً مهمة ترجمة كتبه للعربية لغيره.. نظراً لحساسية موضوعاتها خاصةً كتاب "**خريف الغضب**" الذي تناول من خلاله قصة الخريف الغاضب في مصر والذي انتهي باغتيال (السادات).

**مؤلفات (هيكل) الأخرى..**

بعد وفاة (السادات).. والإفراج عن (هيكل) في بداية عهد مبارك بدأ (هيكل) فترة انتاج غزير يمكننا أن نسميها "الفترة الذهبية" لـ (هيكل) في كتابة الكتب والمقالات.. فقد كتب عدداً كبيراً من الكتب كان أهمها:

- زيارة جديدة للتاريخ.
- أحاديث في العاصفة.
- حرب الثلاثين سنة - الجزء الأول ملفات السويس.
- حرب الثلاثين سنة - ١٩(٦٧) الجزء الثاني: سنوات الغليان.
- حرب الثلاثين سنة - ١٩(٦٧) الجزء الثالث : الانفجار.
- الزلزال السوفييتي.
- "حرب الخليج" أوهام القوة والنصر.
- أكتوبر ٧٣ السلاح والسياسة.
- "اتفاق غزة – أريحا" السلام المحاصر بين حقائق اللحظة وحقائق التاريخ.
- أزمة العرب ومستقبلهم.

- المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل - الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية.
- المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل - عواصف الحرب وعواصف السلام.
- المقالات اليابانية.
- الخليج العربى.. تداعيات تفجيرات نووية في شبه القارة الهندية.
- عروش وجيوش .
- بصراحة "أكثر من ٧٠٠ مقال من يناير ١٩٥٧ - يونيو ١٩٩٠ "وصدرت في خمسة مجلدات من القطع الكبير". --
- كلام في السياسة : عام من الأزمات! ٢٠٠٠ - ٢٠٠١.
- كلام في السياسة : نهايات طرق
- كلام في السياسة :العربي التائه ٢٠٠١.
- الزمن الأمريكي: من نيويورك إلى كابول.
- سقوط نظام! لماذا كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ لازمة؟.
- الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق.
- المقالات المحجوبة "نشرت في جريدة المصري اليوم".

**مقدمات كتب لآخرين**

كذلك كتب (هيكل) مقدمات للعديد من الكتب.. بعضها كان مترجماً عن لغات أخرى.. وأهم هذه الكتب:

- ماذا يريد العم سام ؟ "نعوم تشومسكي".
- الحكومة الخفية" ديفيد وايز وتوماس روس "تعريب: جورج عزيز".
- المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين ١٩٦٨ - الجزء الأول: تقارير- تركيب المؤتمر "تعريب: صبري جريس وآخرين".
- محاضر الكنيست ١٩٦٦ / ١٩(٦٧) نصوص مختارة من محاضر الكنيست السادس "تعريب صبري جريس وآخرين".

- العسكرية الصهيونية - المؤسسة العسكرية الإسرائيليه النشأة - التطور ١٨٨٧ - ١٩(٦٧) "طه محمد المجدوب وآخرين".
- بالسيف أميركا وإسرائيل في الشرق الأوسط ١٩٦٨ – ١٩٨٦ "ستيفن جرين"
- "السويس" وهي مذكرات" أنتوني أيدن" وزير الخارجية البريطانية.
- الرأي الآخر في كارثة الخليج "فيليب جلاب".
- كرومر في مصر "محمد عودة".
- الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية "روجيه جارودي.
- بين الصحافة والقانون قضايا وآراء "إميل بجاني".
- أنا وبارونات الصحافة "جميل عارف".
- مسرحية المحروسة ٢٠١٥ "سعد الدين وهبة".

## كتب حوارية مع (هيكل)

حرص العديد من الصحفيين والإعلاميين على إجراء حوارات مختلفة مع (هيكل).. تم جمعها فيما بعد في العديد من الكتب.. أهمها..

- (هيكل) الآخر "إبحار في عقل وقلب (محمد حسنين هيكل) "مفيد فوزي".
- بصراحة عن (عبد الناصر) حوار مع (محمد حسنين هيكل)"فؤاد مطر".

## كُتب عن (هيكل)

كذلك صدر العديد من الكُتب عن (هيكل) أثار معظمها ردود أفعال مختلفة بين الرفض.. والتأييد.. وأشهر هذه الكتب كتابين هما..

- **ثورة يوليو الأمريكية..** دراسة عن بعض كتابات (هيكل) قام خلالها الراحل الكبير الأستاذ محمد جلال كشك بالرد على ما أسماه بتزييف (هيكل) للتاريخ.
- **(هيكل) أو الملف السري للذاكرة العربية**[1] رياض الصيداوي..

(١) هذا الكتاب هام وصدر في عدة طبعات مختلفة وهي: الطبعة الأولى.. تونس ١٩٩٣ – الطبعة الثانية.. مدبولي.. القاهرة ٢٠٠٠ – الطبعة الثالثة.. بيروت ٢٠٠٢.

## اسرة (هيكل)

بقي حتى تتكامل لدينا الصورة أن نقول أن كاتبنا الكبير حالياً هو جد لسبعة أحفاد.. وشاركته رحلة الحياة زوجته الفاضلة السيدة هدايت علوي تيمور التى تزوجها عام ١٩٥٥وبالتحديد في شهر يناير من ذاك العام.. وهي حاصلة على ماجستير في الآثار الإسلامية.. وتنتمى لأسرة قاهرية ثرية اشتهرت بالتجارة.. وأنجب منها ثلاثة أولاد :

- الدكتور علي (هيكل): أستاذ الأمراض الباطنية والروماتيزم بجامعة القاهرة.
- الدكتور أحمد (هيكل): ويعمل حالياً رئيس مجلس إدارة شركة القلعة للاستثمارات المالية.



- حسن (هيكل): وهو رئيس مجلس الإدارة المشارك والرئيس التنفيذي للمجموعة المالية – هيرميس.

❖❖❖

## ١

# هيكل بين الاعتزال.. وحلم القناة الفضائية !!

## محطات هامة في حياة الأستاذ

هنـاك موقـف حكـومي مصـري صـريح يوضـح خطـورة مـا يحكيه (هيكل).. وما يسببه لـه مـن أزمـات.. بـالطبع بسـبب مـا في جعبتـه مـن أسـرار.. ففـي أوائـل نـوفمبر مـن عـام ٢٠٠٢ تلقت إحدى القنوات الفضائية الخاصةإنذاراً من مجلس إدارة مدينـة الإنتـاج الإعلامـي في مصـر لتناولهـا مـا اعتبرتـه إدارة المدينة (مواضيع ذات حساسية شديدة بالنسـبة إلى المجتمعين المصـري والعربـي).. وبأسـلوب اعتبرتـه قائمـاً علـى الإثـارة والخـروج عـن الأهـداف التثقيفيـة والتربوية الواجب اتباعهـا.. وهددت باتخاذ إجراءات عقابية ضـد القنـاة في حـال تكـرار الأمر.

كان هذا هو المعلن من الأمر بشكل رسمي..

أما الحقيقة فقد كان هناك أسبابٌ سياسية وراء موقف السلطات من القناة.. تتمثل في قيام القناة بإذاعة تسجيل لمحاضرة ألقاها (هيكل) في منتصف شهر أكتوبر من نفس العام بالجامعة الأمريكية تطرق فيها إلى مسألة انتقال السلطة في مصر..

وذلك بعد التكهنات التي رجحت آنذاك تهيئة جمال مبارك لخلافة والده في أعقاب المؤتمر العام للحزب الوطني الحاكم الذي أسند إليه فيه وقتها منصبه القيادي في الحزب[1].

وأجمعت معظم الآراء على أن المقصود بالإنذار كان هو استبعاد (هيكل) من أي برنامج تقدمه القناة في المستقبل.. خاصة أنه تعرض للتهميش من قِبل الفعاليات الثقافية المصرية الرسمية.. وكان آخر ظهور لـ (هيكل) في هذا الإطار في معرض القاهرة الدولي للكتاب عام ١٩٩٦.

ويبدو أن كاتبنا الكبير كان يرغب في كسر العزلة المفروضة عليه من قِبل الإعلام الرسمي للدولة.. من خلال البحث عن نافذة إعلامية.. تتيح له الإطلال على جمهوره العريض..

كانت أزمة (هيكل) مع السلطات المصرية.. داخل استوديوهات دريم.. منعطفاً مهماً في حياته الطويلة التي قضاها بعيداً عن الأضواء.. إذ شرع في الترتيب من خلال رجال أعمال مصريين وعرب إضافة إلى مهاجرين من أصول عربية في كندا والولايات المتحدة في تأسيس قناة بديلة تحمل اسمه "قناة (هيكل) الإخبارية" كان مقرراً أن يبدأ بثها في شهر أغسطس من عام ٢٠٠٤ تعوضه سنين الحرمان التي فرضتها عليه الحكومة المصرية.

---

(1) المقصود هي قناة "دريم" والتي يملكها رجل الأعمال المصري أحمد بهجت.. وليس هيكل وحده الذي جرى له ماجرى آنذاك.. بل إن برنامجاً شهيراً وهو برنامج "رئيس التحرير".. الذي كان يقدمه الإعلامي المصري المعروف حمدي قنديل على التليفزيون المصري.. وكان يحظى بجماهيرية كبيرة.. قد تم مصادرته.. بعد أن مس قضايا اعتبرتها السلطات المصرية محرجة لأركان النظام الحاكم.. حيث اضطر مقدمه إلى التعاقد مع قناة دريم الخاصة لبثه عبر برامجها.. غير أن القناة تعرضت كما قلنا لضغوط حكومية أجبرتها على إلغاءه.. فاضطر حمدي قنديل إلى تقديمه على إحدى القنوات الفضائية الخليجية "دبي".. وتعددت التعليقات على لجوء قنديل وهيكل من بعده إلى قنوات غير مصرية.

وتناقلت وكالات الأنباء ما يفيد بأنه يجري تأسيس شركة مساهمة برأس مال يقدر بنحو ثلاثين مليون دولار بصفة مبدئية لهذا الغرض.. لافتةً الأنظار إلى استثمارات ابن الكاتب الكبير في "مجموعة هيرمس" التي تتسيد أسواق البورصة في مصر.. كما نشطت بعد ذلك على نحوٍ موسع في مجالات اقتصادية ومشروعات ميديا إعلامية أخرى متنوعة.. وهو الأمر الذي جعل من هذه الأنباء تبدو وكأنها منطقية وأقرب إلى الحقيقة.. خاصة وأن المصادر الإعلامية التي نقلت عنها وكالات الأنباء أنذاك تلك الأخبار رسمت تفاصيل سيناريو إطلاق هذه الفضائية التى لم تخرج للنور حتى الآن.. قائلة أن إطلاقها سيكون على ثلاث مراحل.. الأولى تقتصر فترة البث فيها على ست ساعات فقط.. وبتكلفة قدرها خمسة ملايين دولار.. وتزيد ساعات البث مع الشهر السادس لتصل إلى إثنتي عشر ساعة.. حتى يكتمل بثها على مدار الساعة مع نهاية عامها الأول.. وبداية العام الثاني.. كما تحدثت ذات المصادر عن انفراد المحطة ببرنامج خاص سيقدمه (هيكل) يسرد فيه قصة حياته وعلاقاته مع رؤساء وزعماء العالم.. ونقلت مجلة "المصور" التي كان يرأس تحريرها آنذاك نقيب الصحفيين المصريين مكرم محمد أحمد.. المقرب بالطبع من النظام في مصر.. عن رجل الأعمال المعروف مجدي العداس.. المكلف بإنهاء إجراءات تأسيس الفضائية المزمعة.. قوله أنه بصدد تأسيس مجلس أمناء المحطة.. متوقعاً أن يكون (هيكل) رئيساً لهذا المجلس.. الذي كان مقرراً له أن يضم عدداً من المثقفين والمفكرين المصريين والعرب البارزين.. كما أشار نفس المصدر إلى أن المؤسسين سيمتلكون ٥١ في المائة من أسهم المحطة الفضائية المرتقبة.. وأن الباقي سيطرح للاكتتاب العام للجمهور المصري والعربي.. على أن يطرح المؤسسون بعد عامين من خروج المحطة للنور أسهمهم للاكتتاب العام أيضاً على الجمهور.

وحول تفاصيل البرامج التي كان من المعتزم بثها.. قال أنها ستناقش كافة القضايا المثارة في العالم العربي.. موضحاً أنه من ضمن خطط المحطة مناقشة الثوابت التي قامت عليها الأمة العربية.. والأسباب الحقيقية التي جعلتها تصل إلى هذه الحالة من الترهل والتراجع.. ونفي تماماً أن يكون خط المحطة الفضائية هو الخط الناصري بشكل أيديولوجي تقليدي.. مضيفاً أنه يجري التفكير الآن في مجموعة من البرامج الإخبارية المتميزة.. وسوف يقدمها مجموعة من الإعلاميين المشهورين في مصر والدول العربية.

غير أن مكتب (هيكل) في القاهرة آنذاك نفى صحة الأنباء التي تحدثت عن تلك القناة.

في غضون ذلك رأى فريق آخر أن الأمر لا يمكن تفسيره على هذا النحو من التبسيط المخل.. وأن (هيكل) نفسه ربما يكون وراء إطلاق أنباء وسيناريو هذه الفضائية باعتبارها مناورة سياسية جديدة له.. طالما برع في رسمها خلال مسيرته المهنية والسياسية.. التى كان في أغلبها قريباً من صنّاع القرار في بلدان عدة من المنطقة.. وفي النهاية لم تخرج القناة من يومها للنور.

**قصة قناة الجزيرة**

ووقتها لم تكد تنتهي هذه الضجة حتى ظهر (هيكل) عَلى شاشة قناة الجزيرة القطرية.. في برنامجه الذي أصبح حديث العالم من بعدها.. وهو يجلس منفرداً يتحدث بلا شريك أو محاور لمدة ساعة.. وهو الظهور الذي أحرج السلطات المصرية.. خاصة السياسة الإعلامية لوزير الإعلام المصري الأسبق "صفوت الشريف" والذي أُستبعد (هيكل) في عهده من أية احتفالية إعلامية مصرية رسمية.. ولقد ألمح (هيكل) إلى ذلك بطرف خفي عندما قال في حلقته الأولى على الجزيرة أنه كان يتمنى أن يخص بحديثه هذا إحدى القنوات المصرية.

**(هيكل) يستأذن في الإنصراف..**

ثم جاءت قنبلة (هيكل) بعد أيام قليلة من احتفاله بعيد ميلاده الثمانين.. وبعد ٦٢ عاماً من اشتالغه بالعمل الصحفي.. ففي الثالث والعشرين من سبتمبر عام ٢٠٠٣ بعد أن أتم عامه الثمانين أعلن اعتزاله الكتابة.. قائلاً في مقال طويل له نشرته حينئذ صحيفة الأهرام على جزأين كان عنوانه "**استئذان في الانصراف**":

"كان يُرد على بالي منذ سنوات أن الوقت يقترب من لحظة يمكن فيها لمحارب قديم أن يستأذن في الانصراف".

وأوضح (هيكل) في مقاله أن نداءات زملاء وأصدقاء له بالاستمرار لم تثنه عن قرار اعتزال الكتابة.. وقال:

"تكرموا بجهدهم في تحويلي عما رأوه تجاهي راغبين إقناعي بأني مازلت -جسداً وفكراً- قادراً علي الاستمرار.. مع إشارات عطوف إلى أنه ليس من حق محارب أن

يلقي سلاحه مهما تكن الأسباب.. ولا من حق كاتب أن يتخلى عن قلمه مادام يستطيع الكتابة".

وقد رجح مراقبون أن يكون مقال (هيكل) بالأهرام إيذاناً منه في الشروع في إطلاق فضائيته التى لا تملك السلطات في أي بلد عربي منعها.. خاصة بعد التجربة التى أشرنا إليها من منع ظهوره على قناة دريم.



٢

# ضد هيكل

## قائمة الاتهامات التى طالت هيكل!!

كثيرةٌ هي التُهم التى يُتهم بها الأستاذ من قبل مناهضيه.. ورافضيه.. بعضها ينال مباشرة من مصداقيته.. وبعضها لا يصدقه أحد.. فمثلاً يقول الدكتور سيار الجميل[1] عن ذلك:

أن في الأرشيف قضايا كثيرة لـ (هيكل) لو استخدمت استخداماً عادياً فستصيب منه مقتلاً.. ذلك أن جملة كبيرة من الوثائق تتضمن معلومات خطيرة عنه.. وأن هناك مادة أرشيفية هائلة يمكن أن تستخدم ضد (هيكل) بسهولة تامة.

ونوجز في الصفحات التالية أبرز الاتهامات الموجهة إلى الأستاذ:

(١) أستاذ التاريخ في جامعة الموصل وفي عدد من الجامعات العربية والكندية..

### الحقيقة إلا قليلاً

أول تلك الاتهامات أنه لا يقول الحقيقة كاملة أبداً.. فدائماً الحقيقة منقوصةٌ لديه.. يروي منها ماشاء.. ويتجنب ذكر ما قد يسبب له مآخذ.. أو انتقادات..

### بين التزوير.. والعمالة للـ C.I.A

يُتهم (هيكل) أحياناً كثيرة بالتزوير في ذكر بعض الأحداث التاريخية.. والاختلاف بين كتبه المنشورة باللغة الإنجليزية وأصولها العربية.. ومن أبرز من سَلَطَ الضوء على كتاباته الكاتب الراحل محمد جلال كشك في كتابه **(ثورة يوليو الأمريكية)**[1] وانتقاداته العنيفة.. واتهاماته الأعنف لـ (هيكل).. حيث ناقش (هيكل) في كثير مما اعتبره تزويراً للتاريخ.. وألمح إلى عمالة (هيكل) لما سماه عمالته للـ **(C.I.A)** وبالرغم من خطورة الاتهام وكونه يحتاج إلى أدلة قاطعة.. إلا أن كشك أصرَ عليه وذكر تلك القرائن التالية:

### اتهامات كشك لـ (هيكل)

أبرز هذه الاتهامات هو الاختلافات بين نصوص كتبه ما بين الطبعة العربية والطبعة الإنجليزية.. وهذا مردودٌ عليه بأن لكل لغة خصائصها التى تستلزم نوعاً من الاختلاف في الأسلوب.. لكن هناك واقعة محددة يتحدث عنها كشك في كتابه: ثورة يوليو الأمريكية فيقول:

ونمضي في المقارنة بين ما قيل للغربيين المتنورين.. وما أعدته مؤسسة تزييف التاريخ لقرائها بالعربية.. فنقارن بين صفحتي ٤٩ الطبعة العربية وصفحة ٨ من الطبعة الإنجليزية (من كتاب ملفات السويس) فنفاجأ بأن الأستاذ قد أتحفنا بنص رسالة الوزير الأمريكي المفوض في مصر عن اللقاء بين فاروق وروزفلت.. وترجمها مشكوراً هو أو مكتب سكرتيرته السابقة.. المتآمرة على "الزعيم"[2] بواقع التسجيلات.. ومنح الخطاب رقم ١١ في قائمة الوثائق التي ازدان بها الكتاب العربي وطرب لها الأميون.. ومن أجل استرداد المصداقية التي ضاعت.. إلا أننا نكتشف أنه حتى في الوثائق.. فإن الأخ الأكبر لا يتورع عن تنقيح التاريخ.. بما لا يخدش حياء قراءه القاصرين.. ففي

---

(١) الطبعة الثالثة- المكتبة الثقافية.

(٢) هنا يشير كشك لواقعة محددة خاصة بمديرة مكتب الأستاذ هيكل ألقي القبض عليها خلالها.. سنتحدث عنها في حينه بين صفحات الكتاب.

الوثيقة العربية سقط عمداً أهم ما قاله الرئيس الأمريكي للملك فاروق.. الأمر الذي لم يكن بوسعه حذفه من الطبعة الإنجليزية.. أو من يدري لعله فعل وأضافه الناشر الإنجليزي لتعزيز المصداقية إياها!..

**والنص المخفي هو**

اقترح الرئيس الأمريكي على ملك غير متجاوب.. اقترح روزفلت تقسيم الملكيات الكبيرة في (مصر وتسليمها للفلاحين لزراعتها) (وقد بلغ الحرص على دقة النص أن كلمة: فلاحين كتبت هكذا fellahin) لتحديد الطبقة المقصودة بالتوزيع.. لماذا "ضن" (هيكل) على البؤساء من قرائه العرب بهذا النص البالغ الخطورة؟!.. رغم التطويل المتعمد في الطبعة العربية والاختصار في الإنجليزية.. لماذا؟

**الجواب معروف:** لأنه يعزز حجة القائلين بأن الإصلاح الزراعي هو أصلاً.. مطلب أمريكي قديم منذ ١٣ فبراير ١٩٤٥ أي قبل الثورة بسبع سنين.. وها نحن في أول لقاء بين رئيس أمريكي وملك مصر.. لا يجد الرئيس الأمريكي ما يقترحه على **"ملك غير متجاوب"** بل كان مهتماً أكثر بالشكوى من معاملة الإنجليز.. لا يجد الأمريكي ما يطلبه إلا الإصلاح الزراعي.. ولكن لأن هذه الحقيقة تعزز حجج خصوم الناصرية فقد استحقت أن تُنسخ وفي أول ملزمة.. ولكن هيهات فقد بقي حكمها.. بل ونصها الأفرنجي كما هو.

وعندما يُكتب التاريخُ بهدف إخفاء تهمة.. فهو لا يكون تاريخاً.. بل شعوذة وتزويراً في مستندات رسمية..

**الفضيحة**

كتاب **(حرب الخليج.. أوهام القوة والنصر)**.. هو كتاب أشبه بعمل روائي أكثر منه تحليلاً سياسياً ورصداً تاريخياً لحدث مهم.

وكان (هيكل) قد أصدر هذا الكتاب باللغة الإنجليزية من قبل.. وبشكل مختلف بعض الشيء بما يتناسب مع القارئ الغربي واهتماماته.. نشرته دار Harber Collins التي يملكها الناشر اليهودي المشهور روبرت مردوخ.. وقد قوبل الكتاب بإهمال تام من قبل الصحافة العالمية في بداية الأمر.. إلى أن علق عليه الكاتب الصحفي والمعلق السياسي ديفيد برايس جونز في الصنداي تايمز - المملوكة لمردوخ أيضاً - تحت عنوان: (أحلام اليقظة).. وقد سخر من الكتاب والكاتب فكان مما قال:

(.. في عرضه للمناورات الدبلوماسية للحملة يقدم (هيكل) اسكتشات شيقة بل مسلية عن زعماء العالم وهم يهرعون للتليفون يبثون مخاوفهم وحساباتهم لبعضهم البعض.. ولا يقدم لنا أي مصدر لهذه المحادثات الخاصة التي لا يمكن التحقق من مصداقيته عنها.. ولكن لا ضير فالأمر لا يخرج عن هذا الذي تخيله (هيكل)).

وظهر تعليق جونز لأول مرة في كتاب (**الفضيحة**) لمحمد جلال كشك.. وقد تناول كشك هذا الكتاب بنسختيه الأجنبية والعربية.. بالنقد والتحليل ففنده تفنيداً موثقاً..

وذكَرَ القارئ بما سبق له من مراجعات على كتب (هيكل) وخصوصاً ما يتعلق بتاريخ الحقبة الناصرية.. حيث أفرد فصلاً كاملاً في كتابه عن ثورة يوليو بعنوان: (**التاريخ البلاستيك و(هيكل)**) والكتاب بأكمله وبصفحاته السبعمائة - وكما يقول المؤلف- يدور أساساً حول تزوير (هيكل) للتاريخ.. وقد جاء هذا الكتاب استكمالاً لما بدأه جلال كشك في كتابه المشهور: (**كلمتي للمغفلين**) الذي قرر فيه أن يقول كلمته لهذه النوعية من الناس بعد أن هاله ما تزخر به كتب الناصريين من صنوف التجهيل والتضليل.. متعهداً بالآتي:

- ألا يقدم واقعة واحدة غير مثبتة المراجع.
- أن يعتمد بالدرجة الأولى على شهادات الناصريين.. والمصادر الأجنبية التي لا تحتمل الشك.

وللرد على السؤال الذي قد يتبادر إلى ذهن القارئ: لماذا التركيز على (هيكل)؟ يجيب المؤلف:

(ليس للمكانة التي احتلها (هيكل) في العصر الناصري – تلك المكانة التي تشكل في حد ذاتها سؤالاً ضخماً بل عريضة اتهام حافلة للنظام الناصري - ولا لأنه هو المتصدي الأكبر للترويج للناصرية.. بل لأنه أحد الحلقات الرئيسية في العلاقة الأمريكية - الناصرية..).

### هل كان عميلاً للمخابرات الأمريكية؟

إذن يستدرجنا الأستاذ جلال كشك لنعرض للسؤال الأساسي والمتعلق بأبرز التُهم التي وُجهَت إلى (هيكل).. وهي اتهامه بالعمالة للمخابرات الأمريكية.. والتي لم يسعَ ليدفعها عن نفسه بأية صورة.. وبرغم عدم وجود مستندات قوية بيد خصومه.. فقد جاء في كتاب(**حبال الرمال**) لـ "ولبر كراين إيفيلاند" ممثل البنتاجون في صفقات السلاح

مـع مصـر في عهـد (عبـد النـاصـر).. أن المخـابرات المركـزيـة الأمريكيـة قـد جَنّـدت (هيكل) منذ بداية الخمسينيات.

وهو ما دفع جـلال كشك إلى أن يعبر عـن غضبه الشديد لسكوت (محمد حسنين هيكل).. على هذه الاتهامات الخطيرة.. فلم يقاض مؤلف ولا ناشر الكتاب..

**التهمة تتكرر!!**

وقد وجه بعض الزعماء والكُتاب والساسة.. نفس التهمة إلى (هيكل).. الذي لاذ بالصمت.. أو قدم تبريرات لا تقنع أحداً.. فقد كتب **رائد العطار** أحد الضباط الأحرار مقالاً يقول فيه[1]:

"والذي يقرأ التحريضات اللفافة الدوارة للسيد (بصراحة) الناصري (محمد حسنين هيكل)ضد أمته.. ويتذكر ما كان يكتبه ضد واشنطن لحساب (جمال عبد الناصر).. مما يصعب الخلاف بين مصر وأمريكا يومئذ.. سوف يدهش حقيقة من هذه العلاقة المقلقة في شخص السيد (بصراحة) أو في أمثاله.. وذلك عندما يقرأ على سبيل المثال لا الحصر.. ما كتبه رجل المخابرات الأمريكية **مايلز كوبلاند**[2] من علاقة السيد (بصراحة الناصري) بالمخابرات المركزية الأمريكية.. في الوقت الذي كان يهاجم فيه أمريكا.. هذه العلاقة التي كشف عنها الرئيس السوفيتي **نكيتا خروتشوف** في مواجهة تاريخية أمام (جمال عبد الناصر).. وقد اتهم (هيكل) بأنه قبض من المخابرات الأمريكية مبلغاً حدده له بشيك ذكر رقمه.. وتاريخه المحدد).. حدث ذلك في اجتماع عُقِدَ في موسكو أمام (جمال عبد الناصر).. مما اضطر (هيكل) إلى أن يعود إلى مصر في اليوم الثاني من الرحلة.. وأيضاً لم يُكذب (هيكل) هذا الاتهام.. ولم يرد على الجريدة أو الكاتب.

**محمد نجيب يتهمه**

وفي كتابه الوحيد (كلمتي للتاريخ) اتهم الرئيس اللواء محمد نجيب[3] (هيكل) بالخيانة لحساب دولة أجنبية.. ويورد حسنين كروم في كتابه مقاطع من حوار أجراه

---

(١) جريدة الأهرام.. العدد الصادر بتاريخ ٢٣ أغسطس ١٩٧٧م تحت عنوان: (الموقف الراهن).

(٢) يقصد كتاب كوبلاند الأشهر والذي تُرجِمَ للعربية تحت عنوان "لعبة الأمم".

(٣) اللواء أركان حرب محمد نجيب هو أول رئيس لمصر الجمهورية.. كان أول حاكم مصري يحكم مصر حكماً جمهورياً بعد أن كان ملكياً بعد قيادته ثورة ٢٣ يوليو الذي انتهت بخلع الملك فاروق.. أعلن مبادىء الثورة الستة

معه ونشرته مجلة الحوادث اللبنانية أن الأخير رفض أن يقابل (محمد حسنين هيكل)أربع مرات لأنه كان لديه معلومات زوّده بها جهاز الاستخبارات المصرية تقول بأن (هيكل) هو عميل لدوائر المخابرات..

وبالطبع مثل هذا الكلام لا يصدر عن محمد نجيب.. أومايلز كوبلاند.. أو خروتشوف.. مثلاً بدافع كونهم يحقدون على (هيكل).. أو يحسدوه..

لكن الأمر الملفت للنظر.. أن هذه التهم التي حبكها خصومه ضده.. لا تختلف في شيء عن التهم التي كان قد نسجها هو نفسه ضد أساتذته في المهنة: علي أمين ومصطفي أمين[1] .. فماذا قال عنهما؟

---

وحدد الملكية الزراعية.. وقد وُلِدَ بالسودان بساقية أبو العلا بالخرطوم.. لأب مصري وأم سودانية في ٧ يوليو ١٩٠٢ وكان له شخصيته وشعبيته المحببة في صفوف الجيش المصري والشعب المصري.. حتي قبل الثورة لدوره البطولي في حرب فلسطين.. لم يستمر في الحكم طويلاً حتى عزله مجلس قيادة الثورة ووضعه تحت الإقامة الجبرية بقصر كان ملكاً لزينب الوكيل زوجة مصطفي النحاس باشا بضاحية المرج شرق القاهرة.. وظل بعيداً عن الحياة السياسية والأحداث لمدة ٣٠ سنة.. مع منعه تمامًا من الخروج أو مقابلة أي شخص من خارج أسرته.. وللأسف تم شطب اسمه من كتب التاريخ والكتب المدرسية.. وفي سنواته الأخيرة نسي كثير من المصريين أنه لا يزال على قيد الحياة حتى فوجئوا بوفاته في مستشفي المعادي العسكري بالقاهرة عن عمر يناهز ٨٢ عاما بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٩٨٤.

(١) وُلِدَ كلٌ من التوأم على ومصطفي أمين في ٢١ فبراير ١٩١٤ بالقاهرة في منزل خال والدتهم سعد زغلول الذي كان يسمى وقتها "بيت الأمة" وسبقه أخوه علي في الخروج للدنيا بخمس دقائق.. التحقا عام ١٩٣٥ بكلية الحقوق.. ثم سافر مصطفي بعد ذلك للولايات المتحدة حيث التحق بجامعة جورج تاون وحصل في عام ١٩٣٨ على الماجستير مع مرتبة الشرف في العلوم السياسية والاقتصاد والصحافة والتي عمل خلالها كمحرر متجول بجريدة المصري.. بدأت علاقتهما مع الصحافة هو وشقيقه علي عندما أصدرا سوياً صحيفة تطبع بالبالوظة ثم مجلة التلميذ ومجلة الأقلام وعطلتهما الحكومة.. ثم اشتركا في تحرير مجلة الرغائب ١٩٢٩ ثم مجلة روز اليوسف ثم إصدار آخر ساعة مع محمد التابعي وشارك في إصدار عدد من الصحف.. بعدها حُكِمَ عليه بالسجن مع الشغل لمدة ٦ شهور مع إيقاف التنفيذ لمدة ٥ سنوات وتعطيل مجلة آخر ساعة لمدة ٣ شهور بتهمة العيب في ذات ولي العهد الأمير محمد علي.. وعين رئيساً لقسم الأخبار بالأهرام وعمل في نفس الوقت محرراً دبلوماسياً بالجريدة ثم تولى مجلة الاثنين التي أصبحت أوسع المجلات انتشاراً وذلك في عام ١٩٤١ وكانت البداية الحقيقية له هو تأسيسه وشقيقه جريدة أخبار اليوم في عام ١٩٤١ التي خلقت لها مدرسة صحفية متميزة ثم اشترا مجلة آخر ساعة عام ١٩٤٦ في عام ١٩٥٢ أصدرا جريدة الأخبار اليومية.. وفي عام ١٩٦٠ صدر قانون تنظيم الصحافة وتم تأميم أخبار اليوم وابتعدا عنها لأول مرة منذ إنشائها وعاد إليها مصطفي عام ١٩٦٣ رئيسا لمجلس إدارتها ثم مشرفا عاما لتحريرها.. وقد ألقى القبض على مصطفي عدة مرات وكان أكثرها في عام ١٩٥١حيث ألقي القبض عليه ٢٦ مرة خلالها.. وفي ٢٦ يوليو ١٩٦٥ ألقي القبض عليه بتهمة التخابر مع المخابرات الأمريكية وصدر الحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة في ٢١ أغسطس ١٩٦٦ وفي عام ١٩٧٤ أصدر الرئيس أنور السادات قراراً جمهورياً بالعفو عنه وتم تعينه في نفس العام رئيساً لتحرير أخبار اليوم.

## (هيكل) والأخوان على ومصطفى أمين

من هنا نتوقف.. ونقول أن من أبشع التهم الموجهة ضد (هيكل) هي قيامه متعمداً بتدميره رموز الصحافة المصرية من حوله.. وكان من أبرز ضحاياه مصطفي أمين.. الذي أدخله (جمال عبد الناصر) سجن ليمان طره بتهمة التجسس.. وهو نفس السجن الذي سوف يُدخل (أنور (السادات))(هيكل) إليه بعد عدة سنوات.. لكن ماذا عن حقيقة اتهام (هيكل) بأنه كان السبب في الزج بمصطفي إلى السجن.. وهروب على إلى الخارج؟

إذا رجعنا بالأحداث للبداية نجد أن العلاقة بين الأستاذين الكبيرين (محمد حسنين هيكل) ومصطفي أمين تبدو في غاية التعقيد والغموض خاصةً من جانب مصطفي أمين بعد خروجه من السجن في ٢٧ يناير عام ١٩٧٤ بإفراج صحى أصدره الرئيس (السادات) عنه بعد إلقاء القبض عليه في ٢١ يوليو ١٩٦٥ متلبساً مع مندوب المخابرات الأمريكية بروس تايلور أوديل في حديقة منزل مصطفي أمين.. وأثبتت الوقائع والأدلة عن القضية التى كانت تتابعها أجهزة المخابرات المصرية أن مصطفي أمين يتجسس على مصر لحساب المخابرات المركزية الأمريكية وقد حُوكِمَ مصطفي أمين.. وأُدين.. وحكمت عليه المحكمة بالأشغال الشاقة المؤبدة.

وطوال فترة المحاكمة.. وخلال فترة السجن كان (هيكل) على اتصالٍ دائم بمصطفي أمين.. بل أنه هو الذي قام بتوكيل أحد المحامين للدفاع عنه وأحد إثنين كانا يمدانه في سجنه بكل مستلزماته من أقلام وأوراق وأغذية وأدوية[1] وحاول أكثر من مرة مع الرئيس (عبد الناصر) أن يخفف الحكم عن مصطفي أمين وأن يكتفي بكون مصطفي أمين تم كشف عمالته ويتركه يرحل خارج مصر.

ولكن رفض الرئيس (عبد الناصر) كان قاطعاً وقال له أنه لا يستطيع العفو عن الخونة.. كما قام (هيكل) بمساعدة أسرة مصطفي أمين أثناء محنته.. وكانت علاقاته ممدودة مع توأم مصطفي أمين الصحفي على أمين.. والذي كان يعمل مراسلاً للأهرام بأوروبا ومركزه مدينة لندن.

---

(١) الشخص الآخر هو الصحفي اللبنانى سعيد فريحة.

خرج مصطفي أمين من السجن بإفراج صحى في ٢٧ يناير ١٩٧٤ وفي ٣١ يناير ١٩٧٤ خرج (هيكل) من الأهرام.. وعقب خروج (هيكل) تم تعيين الأستاذ على أمين الذي عاد من لندن رئيساً لتحرير الأهرام.. وتم تعيين شقيقه المُفرج عنه صحياً مصطفي أمين رئيساً لتحرير الأخبار.. وبدأت حملة شرسة من الأخوين ضد الرئيس (جمال عبد الناصر) وعهده بتشجيع من (السادات).. وبتمويل نفطي.. وتخطيط أمريكى.. وكان حسنين (هيكل) من بين من طالتهم تلك الحملة.. وتم اتهامه بشتى التُهم سواء من (السادات) نفسه.. أو من المسبحين بعهده.. وحكمه.. وشارك الأستاذان مصطفي وعلى أمين بضراوة في تلك الحملة على (عبد الناصر) و(هيكل).

في تلك الفترة كتب مصطفي أمين سلسلة رواياته المعروفة "من سنة أولى سجن" إلى "سنة تاسعة سجن" وفيها لم يقدم دليل أو وثيقة واحدة تبرئه من تهمة العمالة والتجسس للأمريكيين.. وانشغل الأستاذ (هيكل) بمقالاته وكتبه التى تنبأ فيها بالمصائب التى ستحدث للوطن العربى جراء سياسات النظام المصرى.. كما دافع فيها عن المشروع الناصرى وحاول الرد على أكاذيب وخرافات أعدائه.

حتى جاءت لحظة الرد من جانب (هيكل) على اتهامات التوأم على ومصطفي أمين.. وكان ذلك عام ١٩٨٤ عندما أصدر الأستاذ (هيكل) كتابه الوثائقى (بين الصحافة والسياسة) والذي قال في مقدمته أنه ينشر هذا الكتاب وكل أطراف القضية على قيد الحياة وتحدى أن يقوم أحد بتكذيب معلوماته.. يقول الأستاذ (هيكل) في كتابه عن على ومصطفي أمين:

- لقد تم إنشاء دار أخبار اليوم بأموال المخابرات الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية.. فعندما أيقنت الولايات المتحدة بخروجها منتصرة من الحرب بدأت إنشاء سلسلة من دور النشر الصحفية التى كان عليها أن تروج عالمياً لسياسة الولايات المتحدة ونموذجها في الحياة وتدافع عن توجهاتها ومصالحها.
- نشر الأستاذ (هيكل) مقالات الأستاذين مصطفي وعلى أمين في تمجيد (الملك فاروق) والهجوم على الوفد.. كما نشر مقالاتهما في تمجيد الرئيس (عبد الناصر) حتى قبل القبض على الأستاذ مصطفي أمين بأيام معدودة.

- نشر وثيقة من ٦٠ صفحة بخط يد مصطفي أمين عبارة عن رسالة منه للرئيس (عبد الناصر) يعترف فيها بعمالته لأمريكا.. ويطلب العفو من الرئيس..
- فندّ (هيكل) إدعاءات مصطفي أمين بتعذيبه في السجن مستعيناً بشهادة محامى الأستاذ مصطفي أمين في قضية التجسس والذي أنكر وقوع أى تعذيب على مصطفي أمين.
- استعان بشهادات أصدقاء مقربين من مصطفي أمين مثل الصحفي اللبنانى سعيد فريحة.. ورئيس وزراء السودان محمد أحمد محجوب اللذين أكدا كلام (هيكل) عن عدم تعرض مصطفي أمين للتعذيب.
- اتهم (هيكل) الأستاذ مصطفي أمين أنه كان يقوم بتهريب الأموال للخارج عبر أصدقائه في المخابرات الأمريكية
- اتهم توأمه على أمين بالعمالة للمخابرات البريطانية والسعودية.. وأن السعوديين كان يصرفون عليه أثناء حياته بأوروبا.
- اتهم (هيكل) مصطفي أمين أنه يجيد فبركة الأكاذيب ويصدقها ويزيد عليها وأنه يلعب على كل العصور.
- نشر (هيكل) وثيقة شديدة الخطورة عن على أمين[1] وهذه الوثيقة عبارة عن مذكرة بخط الوزير سامى شرف[2] مرفوعة للرئيس (جمال عبد الناصر) بتاريخ ٣ يونيو ١٩٧٠م وترصد مجموعة من التحركات التى تتم ضد مصر على الصعيدين الداخلى والخارجى.. وعليها تأشيرة بخط يد الرئيس (عبد الناصر) على الطرف الأيسر أعلى الصفحة كتب فيها: (لقد تقابل على أمين في روما مع أحد المصريين المقيمين في ليبيا وقال له أن الوضع في مصر سينتهى آخر سنة ٧٠).

---

(١) هى الوثيقة رقم ٢٨ بملحق وثائق كتاب (بين الصحافة والسياسة) طبعة دار المطبوعات للنشر والتوزيع – لبنان عام ١٩٨٤ وقد قام هيكل بالشطب على كلام الوزير سامى شرف الذي يرصد هذه التحركات لاعتبارات تتعلق بالأمن القومى وقت صدور الكتاب.

(٢) وزير الداخلية آنذاك.

كانت شبهات اتهام مصطفي أمين بالتجسس على مصر لمصلحة الولايات المتحدة الأمريكية تحيط بعلى أمين أيضاً لذا فضل أن يظل خارج مصر ولكن كيف علم على أمين أن الوضع في مصر سينتهى آخر ١٩٧٠ ؟

ذكر أن قضية الأستاذ مصطفي أمين هى القضية رقم واحد في سجلات المخابرات كأنجح القضايا.. وأن وثائقها وتفاصيلها موجودة في متحف المخابرات كأحد أهم القضايا.. وقال (هيكل) إن الإفراج عن مصطفي أمين كان ضمن صفقة لإرضاء الأمريكيين والإسرائيليين والسعوديين.. وأنه أُفرِجَ عنه مع مجموعة من عملاء أمريكا وإسرائيل بطلب خاص من (كيسنجر) والأمير سلطان بن عبد العزيز[1]..

وتساءل الأستاذ (هيكل) لماذا أفرج (السادات) عن مصطفي أمين إفراجاً صحياً إذا كان واثقاً من براءته ؟

ولماذا لم يرفع الأستاذ مصطفي أمين قضية يطلب فيها إعادة محاكمته لتبرئة ساحته وتنظيف سمعته من تهمة العمالة والتجسس لأمريكا؟

**لماذا لم يرد مصطفي أمين؟**

ولمدة ١٣ عاما كاملة وحتى يوم ١٣ أبريل ١٩٩٧ يوم وفاته لم يرد الأستاذ مصطفي أمين على كتاب (هيكل) وقائمة اتهاماته رغم تحدى (هيكل) له أن يرد إذا استطاع[2].

**يحكي لأنهم أموات**

من النُكت الشائعة عن (هيكل) أنه لا يروي قصة إلا بعد موت جميع شهودها.. حتى لا يتسنى لأحد تكذيبه.. ولكن الوقائع تشهد بعكس ذلك فقد اتهم (هيكل) صراحة كلاً من (الملك حسين)ملك الأردن.. و(الملك الحسن)ملك المغرب قبل وفاتهمابما يلي:

---

(١) الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود (١٦ شعبان ١٣٤٩ هـ / ٥ يناير ١٩٣١) ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام في المملكة العربية السعودية.. وهو الابن الخامس عشر من أبناء الملك عبد العزيز الذكور.. ووالدته هي الأميرة حصة بنت أحمد السديري.. وهو أحد من يطلق عليهم مصطلح السديريون السبعة.

(٢) رغم أن الكتاب المُشار إليه وزع عشرات الطبعات بقى السؤال دون إجابة.لماذا لم يرد مصطفي أمين على هيكل ويبرئ ساحته وسمعته من أبشع تهمة قد يتهم بها إنسان.

- اتهم الثاني بنقل وقائع القمم العربية التي كانت تعقد في المغرب إلى إسرائيل من خلال شركة اتصالات فرنسية كانت تتولى تهيئة قاعات الاجتماعات وقال بالنص : أنا أروي هذه القصة وجميع أبطالها أحياء ليستطيعوا الرد.
- ثم اتهم الأول بالعمالة للـ C.I.A وذكر الرقم الذي كان يتقاضاه كراتب شهري.. وذلك من خلال إحدى حلقات برنامجه بالجزيرة قدم فيه ما أسماه "تحليلاً نفسياً" لشخصيات حُكام العائلة الهاشمية في الأردن.. أرجع خلاله ما وصفه بـ"العلاقة الوثيقة جداً بين الملك الأردني الراحل حسين وبين إسرائيل وأمريكا.. و"تقلب" مواقف الملك من القضايا العربية خاصة في أوقات الأزمات إلى كم كبير من "العُقد النفسية ذات الخلفية التاريخية" التي ورثها عن أبيه وجده.. مستنداً في ذلك إلى "وثائق هي عبارة عن كتب ومذكرات عربية وأجنبية وشهادات أحياء.. منهم زوجته الملكة نور.. والرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر[1].

وأسهب في تقديم "تحليل" نفسي لمكونات شخصية كلٍ من الملك عبد الله الأول[2] ووالده(حسين).. وجده (طلال)[1] التي صاغتها الأحداث السياسية والعائلية التي عايشها

---

(١) جيمي كارتر هو رئيس الولايات المتحدة التاسع والثلاثين وذلك في الفترة من ١٩٧٧ إلى ١٩٨١ ينتمي للحزب الديمقراطي.. ولد في مدينة بلينز بولاية جورجيا الأمريكية.. خدم في القوات البحرية كفيزيائي حتى ١٩٥٣. بعدها أدار أعمال العائلة في الزراعة.. دخل السياسة في ١٩٦٢ عندما انتخب عضواً في مجلس شيوخ ولاية جورجيا.. وفي ١٩٧٠ انتخب كحاكم للولاية واستمر بشغل منصبه كحاكم على ولاية جورجيا إلى ١٤ يناير من سنة ١٩٧٥ في ١٩٧٦ بعد حملة طويل وقتال شديد.. فاز كمرشح للرئاسة عن الحزب الديمقراطي واستمر في حملته إلى أن ضمن انتصار صعب على جيرالد فورد.. ليصبح أول رئيس من الولايات الجنوبية منذ الحرب الأهلية الأمريكية... تميّزت فترة رئاسته بعودة منطقة قناة بنما إلى بنما وتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد للسلام في الشرق الأوسط وكذلك اندلاع أزمة الرهائن في السفارة الأمريكية في إيران.. ومنذ مغادرته للبيت الأبيض عام ١٩٨١ تفرغ للمشاركة في السياسات الدولية ومنح جائزة نوبل للسلام عام ٢٠٠٢ لدأبه في التوصل لحلول في الصراعات الدولية وازدهار الديموقراطية في شتى بقاع العالم واحترام حقوق الإنسان.

(٢) الملك عبد الله الأول بن الشريف الحسين بن علي هو مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية بعد الثورة العربية الكبرى التي قادها والده ضد الأتراك.. قدم إلى الشام لمحاربة الفرنسين في سوريا الذين طردوا أخوه فيصل ولكنه أوقف من قبل البريطانين في منطقة شرق الأردن.. وعرض عليه وزير المستعمرات البريطانية آنذاك ونستون تشرشل قيام دولة في الأردن تحت حكمه فوافق.. وفيما بين ٢٨ و٣٠ مارس ١٩٢١ تمكن من تأسيس إمارة شرق الأردن.. وبعد نيل الاستقلال عام ١٩٤٦ تم تحويل إمارته إلى مملكة.. حاول حل النزاع الفلسطيني - اليهودي سلمياً.. وحاول اقناع العرب بقبول قرار تقسيم فلسطين.. إلا أن جامعة الدول العربية رفضت.. وبعد إعلان دولة إسرائيل قررت الجامعة

الملكان وجعلتهما "مملوئين بأحقاد وكراهية لا حدود لها" تجاه الدول العربية المحيطة.. وجعلت الملك الحسين - تحديداً - من بعدهما "أكثر جنوحاً" إلى أعداء الأمة بدءاً من الإنجليز مروراً بالأمريكيين ووصولاً إلى إسرائيل.. على حد قوله.

وبدأ (هيكل) بالحديث عن الملك عبد الله الأول الذي أسس المملكة الأردنية على أرض شرق الأردن بمساعدة بريطانيا عام ١٩٢١ تحت اسم إمارة شرق الأردن.. وكان من ثمار ذلك حدوث علاقات كانت طيبة بين عبد الله والزعماء اليهود الذين أسسوا إسرائيل فيما بعد.. وكان أول العرب الداعين إلى حل المشكلة بين العرب واليهود سلمياً عام ١٩٤٦ ثم الداعين إلى القبول بقرار تقسيم فلسطين بين الجانبين. غير أن الملك عبد الله - بحسب (هيكل)- فوجئ بما اعتبره "خيانة" من الإنجليز له عندما دعموا تنصيب أخيه الأمير فيصل الهاشمي ملكاً على العراق بدلاً منه.. خاصة أن شرق الأردن كان فقيراً جداً مقارنة بخيرات العراق.. ومن جانب آخر كان ينظر إلى السعوديين على أنهم من طردوه من الحجاز ليتولوا هم إمارتها.. وكان كذلك يكره المصريين لأنه اعتبرهم حلفاء للسعوديين.

"وهذه الكراهية المتعددة المغلفة بمشاعر المرارة والسخط والضعف جعلت الملك عبد الله ومن جاء بعده من الهاشميين يتحدثون مليون لغة.. ويظهرون دائماً خلاف ما يبطنون.. ومتقلبين في المزاج وفي المواقف تجاه الأشياء والدول والشخصيات".

وزادت عقدته بظهور البترول الذي جعل من السعودية والعراق دولتين ضخمتين مالياً مقارنة بأرضه الفقيرة.. ورغم أن الدول العربية حاولت طمأنته وتقريبه بإسناد قيادة

---

العربية دخول الجيوش العربية من مصر والأردن وسوريا ولبنان والعراق إلى فلسطين لمحاربة إسرائيل وتحريرها.. واختير لقيادة الجيوش.. فدخل إلى الحرب عام ١٩٤٨. وكان حريصاً على التردد المنتظم على المسجد الأقصى للمشاركة في أداء الصلاة.. وفي يوم الجمعة ٢٠ يوليو ١٩٥١. وبينما كان يزور المسجد الأقصى في القدس لأداء صلاة الجمعة قام رجل فلسطيني باغتياله.. حيث أطلق الرجل المسلح ثلاث رصاصات قاتلة إلى رأسه وصدره.. وكان حفيده الأمير الحسين بن طلال إلى جانبه وتلقى رصاصة أيضاً ولكنها اصطدمت بميدالية كان جده قد أصر على وضعها عليه.. مما أدى إلى إنقاذ حياته..

(١٠) الملك طلال بن عبد الله الأول بن الحسين هو ثاني ملوك المملكة الأردنية الهاشمية بالفترة من ٢٠ يوليو ١٩٥١ إلى ١١ أغسطس ١٩٥٢ ولد في مكة عام ١٩٠٩ درس في أكاديمية ساندهرست العسكرية الملكية وتخرج منها عام ١٩٣٩ تولى العرش بعد اغتيال والده الملك عبد الله في القدس.. انتهت ولايته عندما أجبره البرلمان الأردني على التنحي عن العرش لأسباب صحية.. قضى بقية حياته في إسطنبول.. نشرت مذكراته في مجلة روز اليوسف عام ١٩٦٥ وبعد وفاته بكتاب عام ١٩٧٢.

الجيش العربي الذي توجه لإخراج اليهود من فلسطين عام ١٩٤٨ فإنه لم يطمئن.. وبدأ اتصالات خفية مع الزعيمة الإسرائيلية جولدا مائير قبل الحرب بيوم.. واتفق معها على أشياء -لم يذكرها (هيكل)- رغم أنه قائد الجيش العربي المقرر أن يحاربها في اليوم التالي.

**وعلق (هيكل) على ذلك بقوله:**

"لا أصف ذلك بالخيانة.. فهذه كلمة قيلت مراراً وتكراراً.. ولكنها عُقدة من عقد التاريخ".. مذكراً بأن الأمر انتهى باغتيال عبد الله على يد فلسطينية خلال زيارة له إلى المسجد الأقصى عام ١٩٥١.

**وعن الملك طلال يقول (هيكل):**

أنه ورث "قلق أبيه وخوفه وكراهيته لعائلة الملك فيصل في العراق وللسعوديين والمصريين والشوام وغيرهم.. وزاد على ذلك كراهيته لأبيه نفسه.. وورث عنه عقده النفسية حتى تحولت بداخله إلى عقد مرضية.. أدت به أحيانا إلى محاولة إلقاء أحد أبنائه من النافذة.. وهو ما أدى لعزله قبل مرور عام على حكمه.. وإسناد الحكم لولده حسين رغم أن الأخير لم يكن قد تجاوز السابعة عشرة من العمر".

**الملك حسين[1]**

ويقول (هيكل) عن الملك حسين: أن الخلفيات التي ورثها عن جده وأبيه.. وطبيعة الظروف التي تولى فيها الحكم.. إضافة إلى سنه الصغيرة.. جعلته "معقداً أكثر بكثير" من السابقين له.. فكانت شخصيته "متقلبة وتحمل تناقضات كثيرة.. رأيتها بنفسي مرات كثيرة".. بحسب ما يشهد (هيكل).

وضرب مثالاً على ذلك بأن (الملك حسين)كان معجباً جداً ب(جمال عبد الناصر) في بداية قيام الثورة عام ١٩٥٢حتى أنه كان يضع صورته في غرفة نومه.. وكان من أوائل

---

(١) الملك الحسين بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٩٩ ولد في عمّان في ١٤ نوفمبر ١٩٣٥ ويعد عام من تتويج الإبن الأكبر للملك عبد الله الملك طلال بن عبد الله خلفاً لوالده.. أجبره البرلمان الأردني على التنحي بسبب مرض ألم به.. فأعلن ابنه الأمير حسين ملكاً على الأردن وذلك في ١١ اغسطس ١٩٥٢ وكان عمره آنذاك ١٧ سنة ولم يكن يبلغ السن القانونية.. فتشكل مجلس للوصاية على العرش وتم تتويجه ملكاً في ٢مايو عام ١٩٥٣.. وفي الأعوام بين ١٩٦٨ و١٩٧٠ قام نزاع مبطن ومفتعل لإشعال نار الفتنة بين النظام الأردني وقيادات المقاومة الفلسطينية انتهت بإعلان الحرب عليها في سبتمبر ١٩٧٠ فيما عرف باسم أيلول الأسود.

الحكام العرب الذين زاروا القاهرة عام ١٩٥٤ ظناً منه أن مصر الثورة ستبتعد عن السعودية والعراق.. إلا أن الأمر تحول تماماً بعد معركة ١٩٥٦حيث تصور أن النظام المصري رغم انتصاره في المعركة على إنجلترا وفرنسا وإسرائيل سيتلاشى قريباً بعد أن دخلت الولايات المتحدة حلبة الصراع في الشرق الأوسط.

واتهم (هيكل) (الملك حسين)في هذا الصدد بأنه دخل في تحالفات مع المخابرات البريطانية والمخابرات الأمريكية ( C.I.A) ضد مصر.. وشارك في بعض محاولاتهم لتدبير انقلاب ضد الرئيس (عبد الناصر).. كما شارك في تدبير إنهاء دولة الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٦١. وهو ما أساء لعلاقته مع الحكومة المصرية بشكل كبير.

واستدلّ (هيكل) بكتاب لياكوف هيرتزوج[1] تناول فيه تطور علاقة (الملك حسين)مع إسرائيل في الستينيات.. والذي جاء فيه أنه في بداية عهد (الملك حسين)"كان الاتصال غير مباشر مع تل أبيب.. حيث كانت والدته الملكة زين وخاله يتوليان المهمة نيابة عنه.. ولكن عقب نكسة ١٩(٦٧) بدأ الاتصال المباشر مع تل أبيب عن طريق هيرتزوج نفسه.. الذي نقل عن الملك قوله أنه راغب في الصداقة مع إسرائيل.. ولا ينتمي لأي حلف يعاديها".

وحسب ما قاله (هيكل) أيضاً أنه قبل تلك الأحداث بشهور قليلة التقى (الملك حسين)بالرئيس (عبد الناصر) في القاهرة.. وأكد له أنه "رهن المعركة" المنتظرة.. وتحدث عن الواجب المقدس في حماية الحقوق العربية من العدوان الإسرائيلي.

**راتب من الـ C.I.A**

كما استدل على العلاقة غير التقليدية بين (الملك حسين) وبين (C.I.A) بمذكرات (بن برادلي) رئيس تحرير صحيفة "**واشنطن بوست**" الأمريكية في السبعينيات.. وجاء فيها أن زميله الصحفي الشهير بوب وودوارد أخبره أنه رأى اسم زعيم عربي على قائمة المدفوعات الشهرية التي تدفعها الاستخبارات.. ولكنه يريد الوصول لمصدر موثوق جداً كي يستطيع نشر هذا الخبر.

وفور علم (برجينسكي).. مستشار الأمن القومي في إدارة الرئيس الأمريكي وقتها جيمي كارتر.. أوصل الصحفيين بالرئيس الذي استقبلهما.. وأكد لهما صحة

---

(١) حاخام يهودي سابق وسفير إسرائيلي فوق العادة.

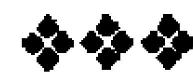
المعلومات.. وأن الزعيم المقصود هو (الملك حسين بن طلال ) الذي قبض راتباً شهرياً من الاستخبارات لمدة ٢٠ عاماً.. إلا أنه حثهما على عدم نشر ذلك.. حفاظاً على العلاقات بين إدارته والدول العربية.. ولكن الصحفيين خالفا الاتفاق ونشرا القصة.

### مصيدة التاريخ

واعتبر (هيكل) أن مذكرات بن برادلي وما نشر عن هذه الواقعة في "واشنطن بوست" بمثابة "مصيدة التاريخ" للملك حسين بن طلال التي كشفت ما ظن أنه سيظل طي الكتمان.

وقال (هيكل): أن معظم الأسماء المذكورة ما زال أصحابها أحياء يمكن أن يتم التأكد منهم عما قيل.

وفسر (هيكل) قبول (الملك حسين)تلقى أموال من ( C.I.A ) بأنه كان "يتملكه الحقد وهو يرى عدوّيه.. السعودية والعراق.. يزدادان غنى وثراء مع تزايد تدفق حقول النفط مقارنة بضئالة موارد الأردن.. فبحث عن نوع من التعويض وجده في وكالة الاستخبارات الأمريكية"(١)



### في عيدك يامولاي.. سقطة (هيكل) التى لاتنسى

خلال شهادات (هيكل) المكتوبة.. أو المُصورة على شاشات الفضائيات.. نجده يعبر في أكثر من موضع عن احترامه للآخرين حتى وإن اختلف معهم.. ومن بين الآخرين هناك (الملك فاروق).

وفي شهادته على التاريخ ذكر كيف بدا (الملك فاروق) متخبطاً في أيامه الأخيرة.. وكيف كانت انتخابات نادي الضباط التي فاز فيها مجموعة الضباط الأحرار هي القشة التي قصمت ظهر البعير.. وهو هنا يقصد بالبعير القصر ومجموعته.

---

(١) الجدير بالذكر أنه فيما بعد هاجمت الصحف الأردنية قناة "الجزيرة" الفضائية بسبب ما قاله هيكل.. واعتبرت أنه يتضمن "أكاذيب وافتراءات" بحق الملك الراحل الحسين بن طلال.. متهمة القناة بنبش الماضي وتسليط الأضواء على ما لا يصب في خانة قوة العرب وتضامنهم.. وقالت صحيفة "الرأي" الحكومية في افتتاحيتها "لقد كان اولى بالجزيرة ان تصرف النظر عن حديث الفتنة الذي تطرحه ملفات "مع هيكل" التي ادرك مشاهدوها بالأمس القريب أنها تعلقت بشخص المغفور له الملك حسين".. وأوضحت الصحيفة ان "هذه الحلقات من نبش الماضي لا تخدم أي هدف قومي ولا تنضي أيا كانت اتجاهاتها الى توثيق الصلات العربية".. مشيرة إلى ان "توقيتها يؤكد إصرار الجزيرة على لعب دور تخريبي للجهود المبذولة لتنقية الأجواء وتوثيق المصالحة العربية".

وكشف في كثير من أحاديثه.. وكتاباته الستار عما يعرفه من أسرار الملك الخاصة.. ووصفه ذات مرة بأنه "ملك في حالة قلق".. ونقل من مذكرات حسين سري باشا[1] أن (الملك فاروق) بكى وتأثر خلال مناقشة حامية بينهما.. ويعقب (هيكل) على ذلك بقوله أن هذه الدموع تعكس قلق هذا الرجل ليس على عرشه فقط لكن على واقع الحياة السياسية في مصر كلها.

لكن تبقى أخطر نصال التُهم الموجهة ضد الأستاذ هو مقاله المنشور في مجلة روزاليوسف في العدد رقم ٨٣٠ الصادر بتاريخ الخميس ١١ مايو ١٩٤٤ بمناسبة العيد الثامن لجلوس (الملك فاروق) على العرش.. والذي كتبه تحت عنوان..

**"في يوم عيدك يا مولاي"**

**وقال فيه:**

هذه هي الذكرى الثامنة لجلوسك يا مولاي على عرش مصر.. ثمان سنوات وأنت تحمل مسئولية هذا الوطن وهذا الشعب.. كنت فيها نعم الملك الدستوري في ظروف لعلها أدق ما مر بها في تاريخ حياتها.. أو ليس الفاروق هو الذي قال ذات مرة:

- إنني أحب قيادة السفينة أثناء العاصفة..

ثمان سنوات وأنت تعمل لهذا الشعب وتخلص له.. وهو يعمل معك.. ويخلص لك.. وستظلان معاً إلى الأبد.

وهذه مصر كلها تحتفل بعيد ملكك.. مصر من أقصاها إلى أقصاها.. أفراداً وجماعات.. أحزاباً وهيئات.. ولم تجد مصر ما تحيي به هذا العيد سوى الهتاف باسمك والدعاء لك..

في نادي سعد زغلول طلب الحاضرون إلى (ماهر باشا) أن يقول لهم شيئاً.. فقال: أن أحسن ما أقوله ليعبر عن كل ما نحس به هو أن أهتف من القلب:

- يعيش جلالة الملك..

وردد الجميع هتافه..

---

(١) حسين سري باشا (١٨٩٤-١٩٦٠) هو سياسي مصري عمل رئيساً لوزراء مصر لمدة ثلاث فترات قصيرة.. من ١٩٤٠ إلى ١٩٤٢ خلال تورط مصر في الحرب العالمية الثانية وغزو الألمان لشمال أفريقيا.. ثم من يوليو ١٩٤٩ حتى يناير ١٩٥٠ وآخر فترة له كانت في يوليو ١٩٥٢ خلال الأزمة السياسية قبل ثورة ١٩٥٢.

وفي احتفال الأحرار قام الأعضاء وراء (هيكل) باشا يهتفون باسمك ويدعون الله أن يسدد خطاك.

وفي احتفال الكتلة كان الهتاف لجلالتك يشق عنان السماء بين كل دقيقة وأخرى.

لقد علَمتَ مصر كيف تحبك من يوم أن تفتحت عيناك على نور الدنيا.. فلم تكن وأنت أمير طفل تترك فرصة لتُظهر فيها عطفك على بنيها واعتزازك بها إلا أظهرتها.. وكنت دائماً في كل مكان تشعر بأنك المصري الديمقراطي الأول.. فكنت في كل مكان خير رمز لمصر وأحسن عنوان لها..

ولقد أخذ التفكير في مصر كل وقتك.. وأخذت تعمل..

في عيد ميلادك تركت قصرك وعاصمة ملكك وذهبت إلى الصعيد لتزور جزءاً من شعبك حلت به نكبة المرض.. وقلت : إن أحسن احتفال بالعيد هو أن ترى هؤلاء البؤساء ويروك .

ومنذ أشهر قابلت الكولونيل بون رئيس جمعية الصليب الأحمر فكانت آخر كلماتك له:

ـ لا تدع أحداً يُسيءُ إلى مصر..

وهكذا أخذت عليك مصر كل تفكيرك.. لأنك تحبها.. ومصر يا مولاي تحبك..

ولقد قال لي ذات مرة أحد كبار الأجانب وهو المستر إيرل رئيس تحرير الإجبشيان جازيت ـ وكان في صحبة جلالتك إلى بورسعيد ـ قال أنه دهش لما رأى عشرات الألوف من الفلاحين ينتظرون الساعات الطويلة تحت وهج الشمس ينتظرون مرور الملك في قطاره.. وربما لم يروه وحتى لو أتيحت لهم هذه الفرصة فلن يدوم ذلك لأكثر من جزء من الثانية.. ثم قال أنه يتساءل عن قوة العاطفة التي تدفعهم إلى ذلك.. وقلت له :

ـ أنه الحب .

ـ وقال:

ـ ياله من حب قوي..

ولم يكن المستر إيرل هو أول أجنبي يندهش لروعة مظاهر الحب بينك وبين شعبك.. وإنما كثيرون شاركوه هذه الدهشة.. ولم يترك أحدهم فرصة للإعراب عن ذلك إلا أبداها..

وقد قال لي المسيو ليجول رئيس تحرير البورص : أن مصر محقة أن تحب مليكها كل هذا الحب فهو جنتلمان حقيقي..

وقال مراسل مجلة لايف أنه شاهد ملوكاً ورؤساء كثيرين تستقبلهم شعوبهم.. فلم يرَ أروع ولا أعظم من استقبال شعب مصر لمليكها..

وأذكر أنني سألت السناتور " ميد " وهو أحد الشيوخ الأمريكان الذين زاروا مصر منذ عدة أشهر.. وكان قد تشرف بمقابلة جلالتكم ظهر اليوم نفسه عن رأيه فيكم.. فقال:

- صدقني يا بني لقد رأيت ملوكاً كثيرين قبل مليككم.. وقابلت عظماء كثيرين قبل أن أقابله.. ولكني لم أجد من أحدهم هذا الحب لبلاده الذي يبدو واضحاً خلال حديثه عنها كما هو الحال مع فاروق..

ولن أنسى أن أحد الضباط الأمريكيين رآك يا مولاي في إحدى الحفلات فلم يملك نفسه وهتف : " فليحفظ الله الملك "..

وبعدها قال لي هذا الضابط أنه لم يكن يتصور أن سيأتي عليه يوم يهتف لأحد الملوك وهو الذي ولد جمهورياً متعصباً.. وقال لي:

- إنني لم أهتف حتى لـ "روزفلت" نفسه.. ولكن ملككم هذا رجل عظيم..

يا مولاي.. هذه ثمان سنوات.. وأنت وهذا الشعب تتقاسمان السراء والضراء وتسيران في طريق الحياة بأزهارها وأشواكها.. وستبقيان معا إلى الأبد.. لأن هناك رباطٌ من الحب يوثق بينكما.. رباطٌ من الحب الخالد..

**صورة ملك.. صورة شعب**

لقد رسم الأستاذ (هيكل) بمقاله المنشور منذ أكثر ٦٣ سنة صورة لملك يحترمه الشعب.. ويحترم الشعب.. وبغض النظر عن مواقفه السياسية.. إلا أنه على الأقل كان حتى اللحظات الأخيرة من حياته يحظى بالإحترام الكافي لملك مثله.

والمدقق في كتابات (هيكل).. يعلم جيداً أنه يملك الجرأة الكافية للحديث دون تكلف عن رئيس أو ملك أو أمير.. لكنه.. وقبل ٦٠ سنة.. كان لا يزال يملك الصراحة الكافية للحديث عن فاروق بهذا الشكل.

ورغم أن المقال يتم استخدامه ضد (هيكل) باعتباره كان موالياً للملك قبل الثورة.. إلا أن (هيكل) يرد على ذلك ببساطة.. بأن هذه كانت مكانة الملك قبل الثورة لدى

المصريين.. الذين كرهوا الأوضاع السياسية.. لكن كانوا لا يزالون يحتفظون له بقدر من الحب.. والتقدير.

**شاهدٌ.. وقاضي..**

من التهم الأخرى الموجهة ضد كاتبنا الكبير (هيكل) هو لماذا يدعى أنه وحده هو من يملك الحقيقة فيما يكتب أو يتحدث عن من وقائع؟

لماذا دوماً هو الشاهد والقاضي الوحيد في الوقت نفسه.. على كل ما كتب..

وفي ثمانينيات القرن الماضي.. وعقب ما أثاره كتابه "خريف الغضب" من ردود أفعال.. تصدى الدكتور فؤاد زكريا أستاذ الفلسفة.. في أحد كتبه وهو كتاب (كم عمر الغضب؟ (هيكل) وأزمة العقل العربي)[1] فيما يمكننا أن نسميه أول تمحيص تاريخي أكاديمي وعلمي لكتابات (هيكل).

ثم جاء كتاب آخر هام للكاتب العربي سيّار الجميل[2] الذي كان له باعٌ طويل فيما سماه في أحد حواراته الصحفية بـ "تعرية وكشف كتابات (هيكل) التاريخية والسياسية"

فتتبع سيّار الجميل مسيرة (هيكل) الصحافية والسياسية.. ووقف عند كل منعطف منها وقفة المؤرخ المُمحص للحادثة التاريخية.. وخلُص إلى أن (هيكل) كان لا يكتب تاريخاً.. بقدر ما يكتب روايات تاريخية خيالية.

وفي كتابه المُشارُ إليه الذي قسّمه الجميل إلى ستة فصول وخاتمة.. اختص كل فصل بمنطقة معينة من العالم العربي.. وبدأ فصوله بتكوين (هيكل) من حيث المنهاج والتفكير.

واستعرض نشأة (هيكل) على أبواب السلطة في العهد الملكي.. ثم القفز إلى جانب (عبد الناصر).. واستعرض المناصب الصحفية والأدوار السياسية التي لعبها (هيكل).. كما استعرض مؤلفاته ووَصَمَها بفقدان المصداقية.. واستعرض خريف الغضب نموذجاً.. وانهماك (هيكل) بالشأن الأردني وكتاباته عن الأردن و(الملك حسين) الراحل.. وكذلك (الملك الحسن) ملك المغرب الراحل.. واحتلت مصر وهي الركن الأساسي فيما سماه الجميل "**مقامات (هيكل) السياسية**" الجزء الأكبر من كتاباته.. وفي الفصل

---

(١) صدر الكتاب عام ١٩٨٣.

(٢) في كتابه (تفكيك هيكل) والكاتب يعمل أستاذاً للتاريخ في جامعة الموصل وفي بعض جامعات الأردن والإمارات.

الرابع الذي يحمل عنوان "(هيكل): التغيير والتجسير" يثبت الجميل بأن (هيكل) لم يكن مؤرخاً.. ويقول:

"كثيراً ما كتب (هيكل) عن التاريخ وذكره في ثنايا كتاباته.. ولكنك في بعض الأحيان تراه ينسحب من الميدان كي يصف علاقته بالموضوع صفة المتباعد عن علم التاريخ. ولكي يرجع إلى ميدانه الحقيقي في الصحافة.. أو ينكمش حتى في هذا الميدان فيهرب إلى صفة السياسي الذي لا يمكن القبض على آرائه ووجهة نظره.

" وفي الفصل الخامس الخاص بالعراق.. يشرح الجميل كيف كان (هيكل) يتأرجح في كتاباته عن العراق بين التفسير والتحقير بدءاً من ثورة ١٩٥٨.

وفي الفصل السادس والأخير يقول لنا كيف كان (هيكل) يعالج مشكلات الخليج العربي السياسي.. وكيف كان يتناولها بكثير من الانشائية والخيال.. دون الاعتماد على حقائق تاريخية وسياسية موثقة.

وفي النهاية يمكننا القول أن الجميل تحدث عن (هيكل) وكأنه شاهد زور.. يروي روايات يتيمة لا شاهد عليها سواه..

إن أهم ما في كتاب "تفكيك (هيكل)" لسيّار الجميل هو أنه جمع تقريباً كل التُهم المتناثرة والعشوائية التى كان يُتهمُ بها (هيكل) وضمها في سفرٍ واحد.. هو هذا الكتاب ولخصها في النقاط التالية:

- كثيراً ما أقحم (هيكل) نفسه في مواضيع لا علاقة.. ولا علم له بها كي يجيد الكتابة فيها.
- ككاتب هو لا يوثّق ما يكتب.. وإنما يطرحه على سبيل السرد المرسل.. لذا فكتاباته تفتقر إلى المراجع التاريخية الموثوقة..
- رغم أنه كان يكتب عن العالم العربي.. إلا أن كتاباته لم يكن فيها إشارات إلى المفكرين والباحثين العرب الذي كتبوا في الموضوعات نفسها.. ومن هنا خلت كتاباته من الأسانيد والآراء المقارنة.
- أكثر ما يعيب كتابات (هيكل) عن الزعماء العرب أنه كان يكتب عنهم من زاوية معينة.. وأنه كان يوسّع هذه الزاوية على حساب زعماء آخرين. ويخلص الجميل إلى أن معظم ما كتبه (هيكل) كان متناقضاً.. لا يرقى إلى مستوى الكتابات السياسية والتاريخية الراقية.. سواء في العالم العربي أو في الغرب.

وقد آثرنا في نهاية هذا الفصل أن نتوقف عند كتاب "تفكيك (هيكل)" تحديداً لكونه كتاب يأخذ شكل التأريخ الأكاديمي بمنهاجه العلمي الواضح.. وأبرز مميزات هذا الكتاب كونه تناول بالنقد أعمال (هيكل).. وليس شخص (هيكل).. فابتعد كاتبه بذلك عن التحامل على الأشخاص إقراراً بالمنهجية العلمية في الكتابة..

**أغرب التُهم: (هيكل) يشوه الناصرية**

ففي هذا الكتاب أغرب ما اتُهِمَ به الأستاذ.. بالرغم من كونه كان الأكثر قرباً من (جمال عبد الناصر) .. وهو الكاتب الذي يُوصف بأنه مُنظر ثورة يوليو الأول.. إلا أنه تعرض من بعض الناصريين.. وأعضاء الثورة أنفسهم لهجوم حاد واتهامات بالانتهازية.. جهة الاتهام أكثر غرابة.. فهى من قِبل من يشاركونه أهم قناعاته.. وهى الناصرية.. لكن لهؤلاء عذرهم.. فهم الذين زج بهم الرئيس الراحل (أنور (السادات)) في المعتقل فيما أطلق عليهم "مراكز القوى" عقب وصوله إلى السلطة في مطلع سبعينات القرن الماضي.

واعتبر جميع من تم اعتقالهم في أحداث مايو ١٩٧١ أن (هيكل) كان أحد صناع تلك الاعتقالات مع الرئيس (السادات).. واتهموه جميعهم بأنه رجل يلعب على كل الأوتار.. وهو دوماً بجانب السلطة أياً كان الرئيس سواء ناصر أو (السادات).

ويقولون أيضاً أنه كان يستدرج كُتاباً وصحفيين مأجورين للسادات ليشترى أقلامهم.. وفيما بعد أخذ هؤلاء يسبون عهد (عبد الناصر) ويشوهون صورته.. وكأن حقيقة (هيكل) لا تعدو كونه "شخصاً انتهازياً انقلب على ناصر ليصبح رجلاً من رجال (السادات).. شارك في مؤامرة (السادات) لتشويه (عبد الناصر)".



٣

# هيكل.. وعبد الناصر!!

عندما برز نجم (عبد الناصر) استطاع (هيكل) بحاسته الصحافية المرهفة أن يعرف من النجم السياسي الصاعد في ثورة ١٩٥٢.. فلزم (عبد الناصر).. ونال ثقته.. وأصبح مستشاره السياسي والإعلامي.. ومدير علاقته العامة.. وكاتب خطبه.. وكاتب الميثاق الوطني في ١٩٦٢ وحافظ أسراره وأوراقه.

وخلال حقبة مليئة بالأحداث على جميع الأصعدة.. آثارها ما تزال ماثلة للعيان حتى هذه الساعة.. كان (محمد حسنين هيكل)فاعلاً بدرجة كبيرة.. ليس كصحفي لامع فقط.. وإنما كمثقف كبير صديق لرجل القرار الأول في مصر الرئيس (جمال عبد الناصر).. وكان عارفاً بأغلب أسرار الدولة ومؤسساتها وأجهزتها والحياة الخفية للشخصيات الفاعلة والنافذة فيها.

### (هيكل): ناصر كان أسطورة

ودائماً ما يردد (هيكل) بأن الرئيس (جمال عبد الناصر) كان "أسطورة" لذا فإن ألسنة البعض من الكُتاب والشُعراء من أمثال صلاح عبد الصبور كانت تنعقد في حضرته.. فلا تستعيد القدرة على الكلام إلا عندما ينتهي اللقاء معه.. وهنا نختلف تماماً مع مايقوله الأستاذ.. فالمفروض أن الأديب والمبدع من كتاب وشعراء يجب أن يكون صوتهم عالٍ على الأقل في الحق.. فالمبدع لا يخاف الأسطورة ولا يخشاها لأنه في الغالب هو صانعها.. ومبتكرها.. وإنما الخوف يأتي دوماً من الديكتاتور والحاكم المستبد.. وربما يكون (هيكل) قد أخطأ في حق (عبد الناصر) بما قال.

وهو لم يغير موقفه قيد أنملة من صديقه الرئيس (جمال عبد الناصر) وظل دائم الوفاء له رغم مرور كل تلك السنوات على رحيله.. ودائماً يحاول الدفاع عنه.. وتقديم مختلف التبريرات لما يراه البعض من أخطاء ارتكبها (عبد الناصر) على كل المستويات.

### ناصر و(هيكل).. والمثقفون حائرون

وفي كتاب الكاتب والأديب الكبير يوسف القعيد "(عبد الناصر) والمثقفون والثقافة"[1] وكما هو واضح من عنوان الكتاب يركز بشكل كبير على ثنائية العلاقة بين (عبد الناصر) والمثقفين والثقافة".

وفي هذا الكتاب ومن خلال حواراته مع مؤلفه حاول (محمد حسنين هيكل) تبرير سياسة الرئيس (جمال عبد الناصر) تجاه الثقافة والمثقفين بمختلف الطرق والوسائل مركزاً على بعض الجوانب الإيجابية في هذه السياسة.

### لماذا رفض ناصر إعدام فاروق؟

فهو يقول مثلاً أن الرئيس (عبد الناصر) كان قارئاً جيداً وأن قراءته لقصة "مدينتين" للروائي الانجليزي الكبير تشارلز ديكينز جعلته يرفض إعدام (الملك فاروق).. ويختار إرساله إلى المنفي.. ذلك أن الدم لا يفضي إلا إلى مزيد من الدم.. كما أنه كان يتابع كل ما يكتبه المثقفون والكتاب المرموقين في مصر وخارج مصر.. وأنه كان يكن

---

(١) الكتاب عبارة عن حوار مطول أجراه مؤلف الكتاب مع هيكل.. وفيه يتحدث القعيد عن حقبة من أثرى الحقب التي عاشتها مصر خلال القرن العشرين.

وداً كبيراً لـ(توفيق الحكيم) الذي قرأ له "عودة الروح" قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ والذي سيكتب عنه بعد وفاته كتابه الشهير: "عودة الوعي".

ويذكر (محمد حسنين هيكل) أيضاً أن الرئيس (جمال عبد الناصر) هو الذي وافق على مواصلة نشر كتاب (توفيق الحكيم)"بنك القلق" مسلسلاً في "الأهرام" رغم أن المشير عامر اعتبره مسيئاً للنظام وللمخابرات المصرية تحديداً.

كما أنه عاضد ((نجيب محفوظ)) لما شن عليه شيوخ الأزهر حملة شعواء إثر نشره روايته (أولاد حارتنا).. لكن فيما بعد قال ((نجيب محفوظ)) بنفسه:

"لقد كانت أخطاء (عبد الناصر) كثيرة.. ولكن خطأه الأكبر الذي أثار غضبي عليه هو أنه أضاع فرصة تاريخية نادرة لينقل مصر نقلة حضارية هائلة.. أشبه بما حدث في اليابان بعد الحرب العالمية الثانية.. كانت كل الظروف مهيأةً له.. وكنا نأمل منه الكثير الذي نتمنى تحقيقه على يديه.. ولكنه أضاع الفرصة.. بمعاركه الكثيرة التي خاضها..

ويضيف صاحب "أولاد حارتنا" قائلاً:

"والحقيقة أن مبادئ ثورة يوليو وأهدافها إنسانية وعظيمة.. وطالما حلم بها وتمناها كل المصريين.. ولكن ما حدث هو أن الثوار لم يكونوا على مستوى الثورة ومبادئها".

ويؤكد لنا (هيكل) أن الرئيس (جمال عبد الناصر) ظل يحترم ويقدر كلا من الدكتور (طه حسين).. و(عباس محمود العقاد).. رغم أنهما تعاونا مع النظام الملكي الذي أطاح به.. وبالتالي.. فإنه يمكن القول حسب رأيه أن الفترة الناصرية لم تكن فترة صعبة بالنسبة للثقافة والمثقفين.. وأن عدداً كبيراً منهم انتجوا أهم أعمالهم خلالها..

ولعل هذا مردودٌ عليه بأنه وإن كان النظام الناصري بالفعل لم "يعاقب" عملاقي عصر النهضة.. (طه حسين) و(عباس العقاد) بسبب سابق تعاملهما مع النظام الملكي.. لكنه في المقابل تعامل معهما بجفاء واضح... بالرغم أيضاً من أنه عندما قامت ثورة يوليو كان العملاقان في أوج عطائهما.. وعاشا بعدها وقتاً طويلاً قدما خلاله أعمالاً فكرية.. لكن للأسف فرض أذيال النظام أنفسهم على الطرفين.. وتعاملوا معهما من زاوية الانتماء للنظام الذي أطاحت به الثورة.

### حق الرد إجباري

والحقيقة أيضاً أن معظم أقوال (هيكل) في حواره المنشور في كتاب الأستاذ يوسف القعيد مردودٌ عليها.. وأول هذه الحقائق أن نظام الرئيس (جمال عبد الناصر) للأسف ولا ندرى لذلك سبباً لم يكن رحيماً على الإطلاق بالمثقفين.. خاصةً ممن لم يكونوا يعلنون الولاء المباشر لثورة يوليو ١٩٥٢ ففي حملة "التطهير" التي أعقبت الثورة.. التي كان الهدف الاساسي منها القضاء على رموز النظام الملكي المطاح به.. وقعت تجاوزات خطيرة لاشك أنها أضرت بالثقافة والمثقفين.. وخلال تلك الحملة خسرت مصر العديد من مثقفيها وأكاديمييها المرموقين بدعوى أنهم "رجعيون" وموالون للنظام الملكي.. وتم استبدالهم بالانتهازيين وأنصاف المثقفين.. وبأولئك الذين لا يتقنون شيئاً آخر غير أن يكونوا أبواق دعاية للنظام القائم ليحتلوا المناصب العليا في الجامعات والمؤسسات الثقافية الرسمية.

### للعملاء فقط

ويذكر الراحل الدكتور (عبد الرحمن بدوي)[1] في كتابه (سيرة حياتي) أن المناصب الإدارية الرفيعة داخل الجامعات آنذاك مثل مدير جامعة.. ووكيل جامعة.. وعميد الكلية وغير ذلك صارت خلال الحقبة الناصرية وقفاً على عملاء المخابرات والخدم الطيعين للنظام.. ولم يعد هناك من يتم تعيينه في أي منصب من المناصب المذكورة إلا بعد موافقة أجهزة المخابرات على ذلك.. ويرجع د. بدوي فساد التعليم داخل الجامعات وفي جميع المراحل الأخرى إلى تلك الوسائل التي انتهجها النظام الناصري.

---

(١) د. عبد الرحمن بدوي (وُلِدَ في القاهرة في ٤ فبراير ١٩١٧) وهو أحد أبرز أساتذة الفلسفة العرب في القرن العشرين وأغزرهم إنتاجا.. إذ شملت أعماله أكثر من ١٥٠ كتاباً تتوزع ما بين تحقيق وترجمة وتأليف.. ويعتبره بعض المهتمين بالفلسفة من العرب أول فيلسوف وجودي مصري.. وذلك لشدة تأثره ببعض الفلاسفة الوجوديين الأوروبيين وعلى رأسهم الفيلسوف الألماني مارتن هايدجر... توفي في مستشفي معهد ناصر في القاهرة صباح الخميس ٢٥ يوليو ٢٠٠٢ عن عمر يقارب ٨٥ سنة.. حيث كان قد عاد من فرنسا إلى مصر قبل وفاته بأربعة أشهر بسبب إصابته بوعكة صحية حادة.. بعد سقوطه مغشيًا عليه في أحد شوارع باريس.. واتصل طبيب فرنسي بالقنصلية المصرية ليبلغهم بأن أمامه شخصًا مريضاً يقول إنه فيلسوف مصري يطلب مساعدتهم.

### أمام مجمع الحكماء

وفي إحدى حلقات التجربة يقول (هيكل):

جاء لى ذات يوم (توفيق الحكيم) في مبنى الأهرام القديم.. وهو.. من هو؟!! في الحياة الثقافية والفكرية في مصر.. ودخل عندى.. وكنت أفخر وقتها بالمجموعة الكبيرة المثقفة التى عملت معى في الأهرام ولن تتكرر في تاريخ مصر.

وعندما جاء لى (توفيق الحكيم).. شعرت بوجود شيء خاصة أنه لم يحدثنى هاتفياً.. وقال لى أنا وأحد أصدقاءنا نريد أن نجلس معاً.. ولم يوافق على الجلوس في الأهرام.. واقترح أن نجلس في فندق يسمى إيزيس أمام هيلتون النيل وقتها.. وذهبت في تمام الساعة السادسة.. وجدت الدكتور (حسين فوزى) الناقد الفنى.. و(زكى نجيب محمود).. والدكتور (لويس عوض)[1] وقلت وقتها إننى أمام مجمع حكماء.. وقال لى لويس أنه حاول أن يدعو (طه حسين) للجلوس معنا لكنه اعتذر لكونه لا يخرج ليلاً.. وهم قمم كل في مجاله وليس هناك أى مناقشة في ذلك.

ثم بدأ (توفيق الحكيم) يقول نريد أن نتحدث في الموقف الحالي لأن هذا الموقف يحتاج إعادة النظر في أشياء كثيرة جداً وترك توفيق المجال ل(حسين فوزى) للشرح.. وتولى الأخير الشرح وكان منفعلاً للغاية وهو يتحدث معى.. وكان ملخص كلامه أننا الآن في حاجة لمراجعة وأننا في الوطن العربى.. وفي مصر بطبيعتنا نتجه باستمرار شمالاً عبر البحر إلى فرنسا.. وأن هذا هو مجال التقدم الحقيقى ومفتاح التقدم.. وأما موضوع العرب فكان غير مقتنع به.. وتساءل (حسين فوزى): ما الذي بيننا وبين اليهود بالضبط فلم أرد عليه ولم أقاطعه؟

وأكمل بقوله من الممكن أن نسألهم: ماذا يريدون.. وأنا كان لى رأى أقوله في كل مكان.. كل رجل مفكر له رأى ذو قيمة (دعه يطرحه) دون تردد وكل فكرة تطرأ

---

(١) لويس عوض ١٩١٥- ١٩٩٠ مفكر ومؤلف مصري ولد في المنيا عام ١٩١٥حصل على ماجستير في الأدب الإنجليزي من جامعة كامبريدج سنة ١٩٤٣ ودكتوراة في الأدب من جامعة بريستن عام ١٩٥٣ عمل أستاذاً للأدب الإنجليزي بكلية الآداب.. جامعة القاهرة وقام بالأشراف على القسم الأدبي بجريدة الجمهورية عام ١٩٥٢ من أهم كتبه هي الكتب الأكاديمية الثلاثة التي درست في الجامعة وضع الأساس النظرى للمنهج التاريخي في النقد: الأول: فن الشعر لهوراس عام ١٩٤٥الثاني: بروميثيوس طليقا لشلى عام ١٩٤٦ الثالث: في الأدب الإنجليزى الحديث.. عام ١٩٥٠ ومن أهم أعماله.. مذكرات في كتاب "أوراق العمر".. روايته الشهيرة" العنقاء" رحلة الشرق والغرب.. أقنعة الناصرية السبعة.. مصر والحرية.

لرجل سياسى أو غير سياسى ورائه تجربة لابد من مناقشتها.. لأنه لو بقينا نخاف من المناقشة ستظل في إطار المعروف والموصوف وبلا أمل.

وكان لدى استعداد أن أسمعهم دون مقاطعة أحد لكننى فوجئت بوجود (حسين فوزى) و(لويس عوض) و(نجيب محفوظ).

وحاولت التحدث في كل كلمة أثاروها قلت لهم وذكرتهم بأننا الآن في معركة وطنية.. وذكرتهم بمواقف الفرنسيين المقابلين لهم حتى في التجربة الفرنسية وحتى مع استسلام بيتان.. وذكرتهم بالمفكر الفرنسى الشهير (أندريه جيد) الذي كان في ذلك الوقت تطوع في الطيران.. وألَّفَ فرقة.. ودخل في قتال لأنه في لحظة من اللحظات تستدعى الأوطان كل أبنائها.. وهنا خطر حقيقى.

وتحدثت عن العروبة.. وتناقشنا فيها كثيراً ولكنى كنت أرى أنه ليس هذا هو الوقت المناسب لها.. لكن هذا كان قلقاً حقيقياً من مثقفين لهم قدرهم ولهم إسهامهم في تشكيل وتكوين الفكر في هذا البلد.. وقلت لهم.. أنا مستعد أن أرتب لكم موعداً لكي تقابلوا (جمال عبد الناصر).. رفض الجميع إلا (حسين فوزى).. ولابد أن أقول أن توفيق و(لويس عوض) و((نجيب محفوظ))لم يكونوا متحمسين.. وطلبوا منى الحديث معه.. وقالوا لى إنهم يثقون في نقل أفكارهم بطريقة منطقية.

لكن كل هذا في الجبهة الداخلية ينعكس في أشياء كثيرة جداً.. وينعكس في أنه في أوقات الأزمات لكن الأفكار لا تبنى على الطريقة الحادة.. والمواقف باستمرار لها قدرة مغناطيسية لتجذب الأفكار قريبة منها.. ثم تحدد مواقف أكثر مما يريده أصحابها.. لكننا نجد أن هناك ظروفا تنشأ ومواقف يقف فيها أفراد قد يتصارعون وقد يتواجهون وقد يختلفون دون قصد من أحد لكن هناك حقائق وطبائع صراع وهناك أفكار وجاذبية مغناطيس في مواقف معينة.

## نزار يريد القاهرة

هناك قضايا أكبر من أشياء كثيرة أخرى.. ونرى مثلا الشاعر (نزار قبانى)[1].. كيف يمكن أن نمنع شاعراً مثل (نزار قبانى) أن يدخل مصر بعد أن صدم بالنكسة

---

(١) نزار قباني هو الدبلوماسي.. والشاعرالسوري الشهير.. ولد في ٢١ مارس ١٩٢٣ في دمشق وتوفي في ٣٠ ابريل ١٩٩٨ في لندن.. ويعد أحد أبرز وأشهر الشعراء العرب وأكثرهم جدلاً في العصر الحديث .

وكتب قصيدة قد لا تعجب بعض الناس لكنه هذا شعوره الصادق.. وأجده - الكلام هنا ما زال لـ (هيكل) - يرسل لى خطابين متلاحقين في أسبوعين متتاليين يقول لى:

أخى محمد قصيدتى عملت كذا وكذا إلى آخره.. وهو رأى الحملات عليه.. وقال أنه يرى اللحظات بعيني شاعر يقدر.. والشاعر يجب ألا تطبق عليه قواعد مع أو ضد.. ولا تطبق عليه حرب وثورة أو استسلام.. والمسائل تقتضى جبهة داخلية تعرضت لصدمة والناس يجب أن تكون فاهمة.. وأجد نزار يشكو لى ويقول أنه كلام لا يعقل.

وتلك كانت مجرد سطور من صفحة العلاقة الثلاثية بين ناصر.. و(هيكل).. والمثقفين.. مجرد سطور فقط لأن الصفحة مليئة بالحقائق التى لم يسدل الستار عنها بعد.. كما أن صفحة العلاقة بين ناصر.. و(هيكل) مملوءة بالأحداث.. والمحطات الهامة.. نتوقف في الفصل القادم منها عند تجربة اختيار (هيكل) وزيراً.. لنرصد من خلالها ما أسماه (هيكل) أكبر خلافاتى مع (عبد الناصر).



٤

# الخلاف مع ناصر..!!

وسط زحام الحوادث.. وتحرك الوقائع على خريطة كبيرة جداً وواسعة تمتد بين المغرب والمشرق العربى.. ومن الخرطوم جنوباً إلى موسكو شمالاً.. ووسط معارك تدور بالنيران وبالدبابات.. وفي البحر.. وفي هذه اللحظة بالتحديد.. وقع أكبر خلاف بينى وبين (جمال عبد الناصر).. وأسميه "خلافا" وحاولت البحث عن مسمى آخر لكن أول مرة يحدث سوء تفاهم على ما كنا نمارسه عادة حينما كنا نختلف.

وكنا قد اختلفنا مرات كثيرة وأنا رجل يعرف حدوده.. وحدودى هى إبداء رأيى وقوله بصراحة ووضوح.. وهو صاحب السلطة الشرعية معى ومع غيرى..

وفي هذه العلاقة مع (جمال عبد الناصر) ومع (أنور (السادات)) من بعده وحتى مع أى أحد في مصر باستمرار منطقى أن أقول.. رأيى دون إلحاح وهو صاحب التفويض الشرعى والدستورى ليتخذ ما يراه من قرارات.

ولأننى أقول رأياً ولا أكتب عكسه فقد سبب ذلك لى مشاكل كثيرة لأنه بعض الناس تصورت أننى حينما أقول رأياً ثم لا أقترب من أى شيء يخالف ما أعتقد فيه.. فهذا يجعلنى أفرض نوعا من الوصاية على صاحب القرار.

إطلاقاً فأنا صاحب رأى وأقول ما عندى لكننى لا أستطيع بما أتصوره عن مهمة الصحفي أن أكتب عكسه أو أجارى سياسة ترى رأياً آخر.. وبالنسبة لى (عبد الناصر) هو صاحب المشروع الأكبر في التاريخ المصرى لأن مشروعه في واقع الأمر هو المشروع المصرى المتجدد والذي يحب أن يتجدد مع كل عملية نهضة في مقوماته الأساسية.

وعلى الرغم من إعجابى به لكننا اختلفنا كثيراً وقلت رأيى وأنا أعلم حدودى.. واختلفنا وأنا أعلم قدر هذا الرجل التاريخى وأعلم مدى إعجابى به وأن هذا المشروع كان ضخما جداً حرك أمة بأسرها بمعنى أنه أخذ هذا البلد إلى أمتها وأخذ مصر والأمة إلى عصرهم.

وأظن أنه حتى ضربة (٦٧) وقد يكون ذلك من أسبابها أعتقد أننا كنا ندخل في مشروع بالغ الأهمية والخطورة وأعتقد أنه حتى هذه اللحظة يستحق الكثير جداً من إعادة النظر والرؤى.. ووسط هذه اللحظات السياسية الخطرة ظهر خلاف بينى وبين (عبد الناصر).

وكان موضوع الخلاف غريباً واعتبره جملة اعتراضية في مسار الحوادث.. لأن الحوادث كانت أكبر من الخلاف.. ولا بد أن أُسَلِمْ أننى أشرت إلى هذا الخلاف من قبل ولكن الآن هو في سياقه يستحق أن يقال بكامل تفاصيله.. والشيء الثالث أن موضوعه غريب.. وهو صدور قرار بتعينى وزيراً للإرشاد القومى في ذلك الوقت وهو ما يعادل وزير للإعلام في الوقت الحالى.

لأن الوزارة لم تكن في طموحاتى.. وبعد أن انتهيت من عملى كمراسل متجول في منطقة الشرق الأوسط.. واستقريت في مصر اقتربت من السياسة المصرية وكان عدد كبير من الساسة المصريين عرفوا عملى قبل أن يرونى بمعنى أنه لم تفرض عليه

الظروف أن أقف أمام الوزارة لأجلب الأخبار وكل الناس قالوا لى أثناء تغطيتى للبلقان وثورة إيران وكوريا وفلسطين.

واعتقد أنه بالنسبة لمنصب الوزير فلم يكن طموحى.. فطموحى موجود في مهنتى وحيث لا يستطيع أحدٌ أن يعطينى شيئاً لأنه في الصحافة ليس مهماً أن يُعطى أحداً منصباً.. والصحفي في النهاية هو من يصنع قيمته ليس من يعينه.. لكن من يقرأ له .ومن يهتم بما يفعل.. وأنا اعتقد حتى الآن أن الصحافة القيمة فيها يعطيها القارئ ولا يعطيها أى رئيس دولة ولا أى رئيس حزب أو أى مسئول.. أو حتى مستثمر خاص يقوم بعمل جورنال.

القيمة يعطيها قارئ وليس هناك مصدر غيره وكانت.. طموحاتى في الصحافة لم تكن إطلاقاً أى مطالب من أى صانع قرار.. وأريد متابعة الأخبار وأن أكون قريباً.. ولكن لم تكن الوزارة من طموحاتى وكنت مرات أختلف مع (رومارو) الكاتب الفرنسى الشهير الذي أصبح وزيراً وكان سعيداً للغاية.. وكان سعيداً جداً بمخاطبته سعادة الوزير.

وناقشته فيها وقلت له (رومارو) أكبر بكثير من وزير الثقافة.. وربما كان سعيداً لأنه لم يكن صحفياً بمعنى أنه لم يكن كاتباً سياسياً وكان بالدرجة الأولى أديباً وكان يمارسه من موقعه كأديب.

الشىء الآخر أننى أرى تناقضاً شديداً بين موقع الوزير وموقع الصحفي فإذا كنت متمسكاً بعملى كصحفي فهذا يوجد عندى الإحساس باستمرار أن الوزير في مكان آخر وفي موضع آخر.. وأن موقع السلطة هو الموقع الآخر من موقعى.. وبالتالى هناك تناقض طبيعى فهو ينتمى إلى عالم وأنا أنتمى إلى عالم.

وفكرة تعيين صحفي وزيراً هى عدوان على حريته.. وكان هذا القرار مفاجئاً لى تماماً.. مفاجئة حقيقية ويوم السبت ٢٥ أبريل سنة ١٩٧٠ وبعد الظهر.. كنت أتحدث في الهاتف مع الرئيس (عبد الناصر) واستمر كلامنا على الهاتف نحو الساعة وربع الساعة.. لأنه كنا نتحدث فيما يحدث ولأن الأحداث كانت كثيرة جداً والنتائج المترتبة على دخول القوات السوفييتية بدفاعاته للدفاع عن العمق المصرى.

إلى ما قلنا إننا سنأخذ المفاوضات فيما يتعلق بقرار مجلس الأمن ٢٤٢ وهي أزمة الشرق الأوسط لدينا ولم يعد في عهدة أحد.. لأن هذا كان الوقت الذي جاء لنتحدث

عنه ونحن نقاتل.. والتطورات لما جرى في ليبيا وحتى ما جرى في السودان.. وتحدثنا عن كل هذا.. واستأذنته أن أذهب إلى الريف في اليوم التالى لأقضى شم النسيم هناك.. لأنه لا توجد هناك هواتف آمنة هناك.

فوافق وفي اليوم التالى الساعة ١٢ وخمس دقائق ظهراً كنت ألعب كرة مع أولادى فإذا بهاتف من السيدة (جيهان (السادات)).. وطلبت أن تتحدث مع قرينتى.. وقالت لها مبروك وأنها استمعت في الراديو أن محمد أصبح وزيراً للإرشاد القومى.. فنادتنى زوجتى وتحدثتُ مع (جيهان (السادات)) تقول لى أخيراً الرجل المناسب في المكان المناسب.. فسألتها عما حدث فقالت لى كيف لا تعرف وأعطتنى السيد (أنور (السادات))لكى أحدثه.. فاستغرب (أنور (السادات))من أننى لم أعرف.

وقال لى إنه أذيع في الراديو مرسوم حول تعديل وزارى جديد وأننى أصبحت وزيراً للإرشاد القومى مع احتفاظى بمنصبى كرئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير الأهرام.. وبدا لـ (أنور (السادات)) أن الموضوع مفاجئ لى وأخذ يضحك بصوت عال وقال لى: المعلم عملها فيك.

في الحقيقة كنت وقتها مُستفزاً جداً.. لأننى اعتبرت ذلك خطوة فيما يتعلق بى وبمصيرى وتصوراتى ودون أن أخطر بها مقدماً.. ولا يعرف رأيى فيها خاصةً وأن (جمال عبد الناصر) يعرف رأيى في هذا الموضوع.. ففي سنة ٥٦ وفي أول وزارة كان قد أقامها وكان عندى وقتها ٣٠ سنة عرض عليَّ الأمر فرفضت.. ثم كلمنى فيها بعد الوحدة وبعد (٦٧) وفي هذا كله كان يعلم رأيى.

وقد شعر (أنور (السادات))أننى بالفعل مُستفز.. وأننى مفاجئ أيضاً.. وعلى الفور عدت إلى منزلى وذهبت لمكتبى أكتب جواب اعتذار لـ (جمال عبد الناصر).. وكان كلُ من في الأهرام وقت ذلك ينتظر عودتى لمعرفة كيف أننى تلقيت الخبر.. وهل فوجئتُ.. وهل لم أرغب أن أخبرهم.. وما معنى هذا القرار؟

ولكن علموا جميعاً أننى في مكتبى أكتب شيئاً ما.. وتوقعوا منى أن يكون رداً على هذا الأمر.. وأظن أنه في ذلك الوقت هناك جزء من المشاعر الحقيقية ونظرية المؤامرة بدا سارياً في الأهرام نتيجة أننا نخوض معارك كثيرة أو صدامات مع الاتحاد الاشتراكى ومع أجنحة كبيرة في السلطة.. وهذا هو الوقت الذي كتب فيه العطيفي عن سيادة القانون.

وهذا هو الوقت الذي كتب فيه (توفيق الحكيم) بنك القلق.. وكتب ((نجيب محفوظ)) ثرثرة فوق النيل.. وهو نفس الوقت أيضاً الذي كتب فيه (لويس عوض) نقداً شديد جداً لسياسات التعليم والثقافة.. وأيضاً كتبت أنا فيه زوار الفجر.. وكتبت أيضاً عن التحقيق في جمع المعلومات لأن جهاز التعبئة والإحصاء كانت تقف حائلا دون الحصول على معلومات وأرقام ويعتبر أن إذاعة أى أرقام موضوع سرى.

وأظن أن المقالات التى كتبتها وقتها لم يُكتب مثلُها.. وقد قرأ هذا الكلام.. وحدثنى فيه (على صبرى) وغيره.. واعتقد أن هذه من الأشياء التى جعلت الأهرام يبقى على ما هو عليه.. وأن يكون موقعاً مستقلاً يُقال عليه ويسمعه الناس ولديه مصداقيه لديهم.

وتصور كثيرون أنه قد جاء وقت تصفية الحساب.. وأن هذا القرار يعتبر تصفية حساب.. فهناك إحساس أننى بالفعل سأكون موجوداً بالأهرام لكن الوزارة ستكون قيداً موجوداً وأن هذا القيد موجود على الأهرام وأن وجودى في الإثنين يبدو غير طبيعى.. وتصور الكثيرون أن هذه هى محاولة للالتفاف حول موقع الأهرام المستقل.

وكتبت الخطاب الذي كتبته وفكرت كيف أرسله فأنا لا أريد أن أرسله رسمياً وفي نفس الوقت أريد التأكد أنه سيصل إلى (جمال عبد الناصر).. فطلبت من صديق كان يعمل معنا في الأهرام وهو زوج ابنة الرئيس الدكتورة (هدى عبد الناصر) ورجوته أن يأخذ هذا الجواب وأن يسلمه لـ(عبد الناصر) بنفسه.

ولم أحتفظ بصورة من هذا الجواب نتيجة الجو الذي كنت أكتب فيه.. ورجوت من الدكتورة هدى فيما بعد أن تبحث لى عنه في أوراق (عبد الناصر) لأننى أعتبرها وثيقة مهمة للغاية تتعلق بى وبهذا الموقف.. وظلت تبحث لشهور حتى وجدته.

وفي هذا الجواب كتبت الفكرة الأساسية التي كنت أعترض عليها فقلت له:

**يا سيادة الرئيس:**

إن المفاجأة التى تلقيتها ظهر اليوم بترشيحى وزيراً للإرشاد كانت مفاجأة كبيرة.. كما أنها كانت شرفاً أكبر.. ذلك أنها كانت شهادة فخر أعتز بها وأفخر.. لأن مصدرها هو الزعيم القائد الذي تتجسد فيه الوطنية المصرية في مرحلة من أهم مراحل التاريخ وأحفلها.

وإذا أذنت لى يا سيادة الرئيس فأنى أرجو أن أضع تحت نظركم بعضاً من الظروف الخاصة التى تدعونى إلى أن ألتمس منكم معاودة بحث الأمر فيما يتعلق بى وهذه الظروف كالآتى:

- إن الصحافة هى مهنتى منذ ٢٨ عاماً ولم أعرف لنفسى في حياتى عملاً غيرها لدرجة أستطيع أن أقول معها بإخلاص إن هذه المهنة هى حياتى ذاتها.
- إننى عن طريق هذه المهنة خدمت وطنى بقدر ما وسعنى الجهد.. ومن خلال خدمتى لوطنى فقد جاءت خدمتى للثورة التى كان لكم فضل قيادتها والتى سوف يذكر التاريخ لها مهما كان أو يكون أنها نقلت مصر إلى القرن العشرين بآماله وأفكاره وآفاقه الواسعة.
- لقد استقرت أفكارى وأهدافي منذ وقت طويل على أن مستقبلى هو العمل الصحفي وحده.. وقد بلغ ذلك في يقينى مبلغ المبدأ وذلك إحساس أنتم أكثر من يقدره بحسكم الصافي.
- إنكم تعرفون ما يمثله الأهرام بالنسبة لى بما أنكم تعرفون ما يؤديه الأهرام في مجال خدمة العامة.
- أن قراركم الكريم الذي يسمح لى استثناء بأن أجمع بين الوزارة وبين العمل في الأهرام يلقى على ما لا أستطيع تحمله وأعرف أن جهدى كله سوف يميل إلى جانب الأهرام وليس ذلك إنصافا لمسئولية أخرى..

**وفضلاً عن ذلك فإن الجمع له محاذير لعدة أسباب:**

لأن هناك تعارض في طبيعة العملين الصحافة والوزارة تصعب الجمع بينهما.. ثم إن الجمع بين الأهرام ووزارة الإرشاد سيجعل في يد فرد واحد من أسباب القوة السياسية أن يحوله بحق إلى مركز قوى وتلك إساءة للنظام إذا وقعت.. وأخيرا فإن الجمع سوف يثير حساسيات لا داعى لها بين زملاء المهنة خاصةً إذا ظهر انحيازى للأهرام وسوف يحدث ذلك يقينا بحكم صلتى به.

وأن هناك مشكلة سوف تُعرض على الفور وهى مقالي الأسبوعى بصراحة.. ولقد أصبح هذا المقال جزءا لا يتجزأ من كيانى كما أنه ارتباط بصلة القلم مع مئات الألوف من قراء الأهرام.. وأننى لن أستطيع أن أكف عن الكتابة لأنها حركة التنفس بالنسبة للكاتب.

ولنفرض أننى واصلت الكتابة فإنى أترك لسيادتكم مدى التعقيدات التى يمكن أن يصنعها ذلك.. وأننى أمام اختيار صعب أتمنى منكم أن تجنبونى صعوبته لأنه ليس خياراً بين عملين.. وأنى أعرف مشاعركم نحوى.. وسلمت.. وعشت يا سيدى الرئيس لكل الذين يؤمنون بقيادتك ودورك التاريخى.

وبدأ يعرف من في الأهرام أننى معتذر وقد جاء لى الأستاذ على الجمال الذي طلبت منه نص المرسوم وكان وقتها مدير تحرير الأهرام.. وقال لى إنه حينما سمعنا الخبر قلقنا للغاية لأن الجمع بين الوزارة والأهرام هو الأصعب في القرار.

وبدا نوعٌ من الاستنفار في الأهرام وكلمنى الرئيس الساعة السادسة قال لى إنه وصله خطابى وطلب منى الحضور.. وقد اعتبرت أن القرار في شأنى لا أحد يملكه وأنا فقط من يملكه وأبسط حق لأى إنسان لحقوقه الطبيعية وما يريده وما لا يريده وأنه لا يتفاجئ بمصيره وبعمله.. وكنت أحاول أن أجعل هذا في نهاية الموضوع وكتبت ما حدث فيما بعد.

وقال لى إنه سمح بالجمع بين الوزارة والأهرام لأنه يعرف تعلقى بالأهرام وبالمهنة وأنه يعرف اعتراضى.. وأن ما حدث ليس تكريماً لى ولكن لأننا مقبلون على مرحلة تفرض علىَّ الامتثال للأوامر.. وأنى سميتها مرحلة المشى على حد السيف.. وأن ما قلته في ذلك الوقت كان بسبب أن العلاقات متوترة وإيجاد طريق في حقل الألغام الموجود في المعركة السياسية والعسكرية والموقف الإقليمى والدولى كان في موقف شديد الخطر والحرج.

وأنه يريد أحداً بجواره يفرض نبرة معينة في الكلام على نحو لا أحتاج لشرحه.. وقلت له إن التوفيق في هذه اللحظة الدقيقة بين المتناقضات أنا أقوم به كصحفي سواء فيما أنشر من أخبار أو أكتب في الأهرام أو أتحدث في جريدتى.. وأنا أنفذه دون الوزارة وأن ما يقوله الأهرام بمصداقية تضبط إيقاعاً عاماً ونغمة عامة لأن العالم كله يرى ما يقوله الأهرام وتنظر الصحافة المصرية إلى كيفية تصرفنا ولما يكون هناك نبرة متوافقة مع الحوادث الناس تتأثر بها وأنا لم أتاخر في أى دور سياسى تريده منى.

فقال لى إنه يريد حتى العبء التنفيذى في المرحلة المقبلة فقلت له إن العبء التنفيذى في المناقشة المؤدية إلى قرار أو طريق معين أو التنفيذ العملى والمهم في اعتقادى هو

مناقشة قرار.. والمساهمة التى يمكن أن يعطيها أى أحد فينا ومناقشة القرار وبلورته وفي إمضائه بأى شكل.

وشرحت له شيئاً آخر بالنسبة للعالم الخارجى.. فإحساسى دائماً بدرجة من الاستقلالية هو أنى في أى مكان وفي أى جريدة عالمية أستطيع القيام بعملى.. وأعتقد أن هذه كانت تعطينى حرية واستقلالية بلا حدود.

وإحساس (جمال عبد الناصر) ومعرفته بعد ذلك لأنى كتبت في العالم كله وهذا العالم الخارجى تقبل استقلال صحفي وهذه المسافة بسبب أننا دائماً في الشرق الأوسط متهمين بقمع الحريات ودائماً الصحافة تابعة للحكم للأسف ولكن هناك صلة تجمع بين الاثنين وصنع الأخبار يجمع بين الاثنين.

فهناك من يجمع الأخبار والآخر يكون طرفاً فيها.. فهناك علاقة.. أما التبعية فهى العلاقة الملتبسة والمتعبة ففي الغرب أُسست أصولٌ وقواعد وأصبح هناك مفهوم أن تكون هناك صداقة بين صحفي ورئيس دولة لا تؤثر عليه.. ولكن بالنسبة لنا كان هذا الموضوع يحتاج لاختبار يومى حتى تأسست هذه المساحة من الاستقلال بين الأهرام والتنظيم السياسى والسلطة.. وهناك أخبار ومواقف ترفضها السلطة باستمرار وبالتالى هناك تناقض بين السلطة وهذه المهنة وليس بالضرورة عداء.

وجلسنا لساعتين ونصف الساعة لم نصل لشىء.. وطلبت منه إعادة النظر.. وأن يأخذ القرار في اليوم التالى فرفض وقال لى أنت من يُعيد النظر.. فأنا قد فكرت.. واتخذت قرارى.. وخرج للناس.. وعدت إلى منزلى فوجدت خلفي شعرواى جمعة وسامى شرف وقالوا لى إن الرئيس قال لهم إن (هيكل) خرج ولم يوافق وخرج قطع الحبل ومشى.. فشرحت لهم أن هذا غير مقبول خاصة موضوع الجمع موضوع سيئ جداً.

وأثناء وجودى في برقاش يوم شم النسيم وجدت ((السادات)) ومعه زوجته وابنه قادمون علينا وحدث مشهد كالروايات.. حيث هبط (السادات) من السيارة غاضباً يلوح بعصاه.. ويقول إن الرئيس (عبد الناصر)جعله يصحو من الفجر لكى يأتى.. لى فجلست معه وأخذ يحدثنى موضحاً لى أن ما أقوم به عصيان.. وأن (عبد الناصر) هو القائد.. وله أن يضع جنوده كما يريد[1].

---

(١) يقصد هيكل هنا أن السادات يتحدث معه باعتباره جندياً تحت تصرف قائده.. وعليه إطاعة الأوامر.

وأن الأمور الآن لا تحتمل.. وتحدثنا من الثامنة صباحاً وحتى الثانية عشرة ظهراً بعدها قلت له إننى موافق لأنى لم يكن أمامى خيارات أخرى في هذا الظرف.. وفي هذه الأجواء وهذه المحاذير.. وسأستجيب بشرط أن تكون مهمة مؤقتة بأجل.. وأن هذا الأجل يكون واضحاً ومبكراً.. فخرج (السادات) من عندى وقال ما قال لـ(عبد الناصر) ولم أكن أريد التحدث بعد ما حدث بينى وبينه.

ولأننى سأحضر جلسة حلف اليمين.. وكان هناك خوف من عدم حضورى.. عدت إلى الأهرام.. وعلموا هناك أنى قبلت المنصب.. وقابلنى الناس يحدثوننى عن نظرية المؤامرة.. وحدث شيء غريب أنه في وقت الحفلات كان من ثوابت الأهرام الصحفية: أن صداقة أى نظام تتأتى من مصارحته بالحقائق.. وأن توضع أمامه الحقيقة وتنقل إليه.. وعنه.. ما هو صادق وحقيقى ولا يخدم أهدافه إلا من يكون على صلة بالناس.

ورأى عام حقيقى وليس أن توهم الناس وتنقل لهم أوهاماً[1] ففي الأهرام كان هناك دور يمارسه أكثر من أحد غيرنا.. فشخص مثلاً مثل (توفيق الحكيم)كيف يقال له أن ما يكتبه صواباً أو خطأ بعيداً عن ما يمليه عليه ضميره وكيف يمكن حتى مع ((نجيب محفوظ)) أو (لويس عوض).

وهى قوة في الأهرام من أرصدة الدولة وحرية هذه المجموع وحرية هؤلاء الناس داخل هذه المؤسسة.. ولكن في ظرف من الظروف وفي لحظة من اللحظات سنة (٦٧) حدث وقد كنت أنزل من مبنى الأهرام القديم وكان المبنى الجديد على وشك الانتهاء وأخذت أعبر الشارع لسيارتى وأطلقت رصاصتين على السيارة وليس علىّ ودخلوا في سقف العربية.

---

(١) هنا لابد من وقفة.. لنرصد بها تضاد أستاذنا فيما يقول في هذه الفقرة.. وما حدث بالفعل خلال الأيام الأولى من نكسة (٦٧) فبالرجوع لمانشيتات صحيفة الأهرام التى كان هيكل يرأس تحريرها في ذلك التوقيت سنجد الزيف.. يفوق كل تصور.. ويتخطى الحقيقة الفعلية.. سنجد مانشيتات تلك الفترة تتحدث عن التفوق العسكري المصري.. وكم أسقط الجيش المصري من طائرات.. فعاش الناس في وهم الانتصار الزائف.. حتى استيقظوا على كابوس الحقيقة المُرة.. وربما يقول هيكل والمدافعون عنه انه كان ينشر ما تمرره له القيادة العسكرية آنذاك..وهو عذرٌ أقبح من الذنب لصحفي ورئيس تحرير قريب من معاقل الحقيقة.. ومدركاً لها لأنه كان يشارك في صناعتها.. أليس هو القائل في نفس الفقرة: (أن صداقة أى نظام تتأتى من مصارحته بالحقائق.. وأن توضع أمامه الحقيقة وتنقل إليه وعنه ما هو صادق وحقيقى ولا يخدم أهدافه إلا من يكون على صلة بالناس).. فلما لم يصارح القائد بالحقيقة.. ومن هنا أطلق على هيكل (مهندس النكسة).

وبالتالى هناك من وصل إليه القلق على الأقل من توجيه إنذار وفي ذلك الوقت انتشر الموضوع ولم أكن أتمنى أن يكبر في ذلك الوقت.. على الرغم من أن شكل التخويف كان ظاهراً فيه ولم أعرف من قام به.

وحدثنى (عبد الناصر) في ذلك الوقت وقال لى أبلغت النيابة؟ فقلت له لا وأنا لا أعتبر أنها عداء لى ولكن طلقات تحذير في الهواء ولا يوجد عندى اتهام لأحد.. والشىء الآخر أنى اعتقد أن نشر هذا الموضوع.. أو الكلام فيه هو نوع من التشويش.. وأنا لا استبعد أن يكون أحدٌ من الخارج في ذلك الجو الملتبس من من قام بهذا الفعل ولا أنوى أن أبلغ النيابة.

**هل الوزارة إهانة؟**

وفي اليوم التالى علم بعض من الموجودين في الأهرام أننى سأحلف اليمين وبعضهم يرى موقفي مثل ((نجيب محفوظ)) و(لويس عوض) بقدر ما قالت لى (عائشة عبد الرحمن[1]) لماذا تعتبر أن الوزارة إهانة؟.

وحدثنى (عبد الناصر) يقول لى إننى أخذت الموضوع على غير مقصده.. ولا أعرف ما هى هذه العوامل التى رجحتها.. وقال لى إنه لم يهيننى.. وأنه عملنى وزيراً.. ولم يأخذنى من الأهرام وأنا لم أوافق على هذا.. وسيكون عبء الوزارة على الأهرام.. أكثر منى أنا.

وفي هذه اليوم كان عندى موعد مع الرئيس بعد الظهر.. وكنت متصوراً أن الموضوعات سوية كلها.. ولكن لم أكن أتخيل المفاجأة التى كانت تنتظرنى حينما أدخل إلى مكتبه مساء ذلك اليوم.



(١) عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ هي مفكرة وكاتبة مصرية.. وأستاذة جامعية وباحثة.. وهي أول امرأة تحاضر بالازهر الشريف.. ومن أوائل الشتغلات بالصحافة في مصر.. والعالم العربي.. وبالخصوص في جريدة الاهرام، وهي أول امرأة عربية تنال جائزة الملك فيصل في الآداب والدراسات الإسلامية.. وُلدت في دمياط في منتصف نوفمبر عام ١٩١٢ وتوفت عن عمر يناهز ٨٦ عام في أول ديسمبر ١٩٩٨ م.

٥

## أيام في الوزارة!!

لا أتجاوز إذا قلت أن هذه الأيام في نهاية شهر أبريل سنة ١٩٧٠ وحتى شهر مايو من نفس السنة كانت من أصعب التجارب التى مررت بها في حياتى كصحفي.. وهى تلك الأيام الخاصة بتعيينى وزيراً للإرشاد مع احتفاظى بعملى رئيساً لمجلس إدارة ورئيس تحرير الأهرام.. فكم كان هذا الوضع صعباً للغاية.

عندما دخلت منزل الرئيس في الساعة السادسة مساء.. كنت متوقعاً على أقل تقدير أن يكون مزاجه مختلفاً.. بمعنى أنني قبلت الوزارة.. وعلى أي حال فأنا ذاهب له لكى أقول إننى جاهز وتصورت أنني سأجده طبيعياً.. لكننى ولأول مرة أجد (عبد الناصر) وجهه أمامي مكفهراً..

وكان من الواضح أن هناك مشكلة أخرى ظاهرة غير عدم موافقتى.. حيث قام من وراء مكتبه وسلم علىَّ.. وقال لى اجلس.. فحاولت أن أقول ضاحكاً إن الكلام الآن بين وزير مسئول ورئيس دولة.. فأخرج ملفاً وقال لى ماذا يريد (توفيق الحكيم)؟.. وما الذي فعلته خطأ لكى يرسل لى (توفيق الحكيم)خطاباً بهذا الشكل؟.. فقلت له أنا لا أعرف أنه أرسل لك أية خطابات..

فقال لى هل يعقل أن (توفيق الحكيم) يرسل لى جواباً وأنت لا تعرف؟

فقلت له حقيقةً أنا لا أعرف.. ولو كنت أعرف كنت سأقول لك.. فسألته عما كتبه (توفيق الحكيم) فأعطانى الجواب.. وهذا نصه:

**سيادة الرئيس**

سمحت لنفسى أن أكتب إليكم هذا الخطاب لما لى من (صلة قلم) بجريدة الأهرام باعتبارها المنبر الذي ينطلق منها صوت بلادنا في أرجاء الأرض.. ودفعنى إلى ذلك بعد أن علمت بأمر تعيين الأستاذ (محمد حسنين هيكل) وزيراً للإرشاد.. ولثقتى الوطيدة بسداد رأيكم فقد تقبلت الخبر بشىء من التفكير وجعلت أقلب الأمر على مختلف وجهه.. وتمهلت قليلاً في قبول ما يلوكه الناس من ربما كان أكثرها ممن يهمهم إضعاف هذا المنبر وإخفاق صوت يعتقد أنه نابع من قلب وطنى وقومى.. ومهما يكن من أمر فهناك حقيقة لم أستطع لها دفعاً هى أن جريدة الأهرام باستقلالها وبما فيها من أقلام حرة يثق فيها الناس قد استطاعت وتستطيع دائماً أن تشيع في النفوس الثقة والأمل وفي هذا الاتجاه الذي صارت فيه وهو طرح الحقائق حتى المؤلم منها.. ثم إيحاء روح التفاؤل بعد ذلك دون توجيه رسمى قد هيأها لهذه المهمة الفريدة في وقتنا الحاضر وجعل منها الأداة الفعالة في تدوير الرأى العام وفي التأثير عليه دون الاتجاه إلى الشعارات المفتعلة التى تسمعها الناس من أجهزتنا الرسمية وهذه الأجهزة الإذاعية لها عذرها ولا ينتظر منها أن تفعل أكثر مما تفعل لأن الناس لا تصدق غالبا ما يصدر عن جهاز حكومة.. وهنا الأزمة الحقيقية يا سيادة الرئيس.. والأزمة اليوم هى أزمة ثقة والحالة النفسية التى يمر بها الشعب اليوم هى الحيرة والقلق وبلبلة الفكر.. وكل شعب بمثل وضعنا مر بهذه الحالة ولكن علاجها دائماً كان في وجود الثقة لأن أصوات ومنابر حرة كان يعرف منها كل شىء بحجمه.. أما نحن فقد انفردنا بالعلة دون العلاج لأننا اعتدنا على أجهزة الداعية الرسمية وحدها وجهاز واحد كان يرجى منه العلاج هو

الأهـرام الحـر وكـان النـاس جميعـاً في مصـر والعـالم العربـى بـل وخـارج هـذه الـبلاد ينتظرون كل جمعة مقـال "بصـراحة" ليعرفـوا مـا يجـرى مـن خـلال أسـطر لا تنتمـى إلى جهة رسمية ولكنها تكشف عن الصدق الذي يريده الناس بالقدر الكافي.

أتصـور الآن مـا سـيحدث يـا سـيدى الـرئيس إذا فقـدت الأهـرام هـذه الصـفة فمـا الـذي سيبقى للناس؟ أبواق إذاعة وتليفزيون لا تُقبل إلا لأغانيها وكل نشاط لهذه الأجهزة في مجـال الـرأى سـيأتى بعكسـه لأن النـاس لا تريـد أن تصـدق إلا مـا يصـدر بعيـداً عـن السلطة.

صـدقنى يـا سـيادة الـرئيس إن جريـدة الأهـرام بأقلامهـا المسـتقلة تسـتطيع أن تعـالج نفسية الرأى العام بأفضل ما تستطيعه وزارة من الـوزارات.. ولا أقولهـا دفاعـاً عـن زميل.. فالموقف أجّل وأخطر من أن أنظر إليه من زاوية شخصية.. إنما هو الحق الذي أراه ونحن نجتاز مرحلة حرجة من تاريخنا.. وعلى كل مواطن فيها أن يكون صريحاً.. فاعذرنى يا سيادة الـرئيس إذا أقحمـت نفسـى وكتبـت إلـيكم لأول مـرة بمـا بـدا لى في هـذا الشـأن الآن.. وإنى على يقين دائم بحكمتكم وحبكم وحب بلادكم بما تريدون لهـا وتعملـون مـن أجـل حريتهـا ونهضـتها. وتفضـلوا يـا سـيادة الـرئيس بقبـول أصـدق آيـات التقـدير والإجلال.

(توفيق الحكيم)

وبعد أن قرأت الجواب اندهشت ولكننى تفهمت منطق (توفيق الحكيم) وأعـرف مـا يحركه وما يحرك كثيرين غيره في الأهرام.. ولكن (جمـال عبـد الناصـر) سـألنى عـن المقصد من عبارة دفاع عن زميل فما الذي قمت به لكى يدافع عنك (توفيق الحكيم).. وكان (عبد الناصر) يقرأ كثيراً لـ(توفيق الحكيم) وتابع لـه أشياء كثيرة وتقبل منه منشورات كالسلطان الحائر وبنك القلق ونشرناها رغم محاولة بعض الجهات وقف النشر.. لدرجة أنه وقت صدور رواية (بنك القلق) قال (عبد الناصر) لـ (عبدالحكيم عـامر) إن (توفيـق الحكـيم) كتـب (يوميـات نائـب مـن الأريـاف[1]) منتقـداً الأوضـاع الاجتماعية أيام الملكية.. ولكن لم يستطع في العصر الثورى أن ينقل تجاوزات السلطة.. وإذا كان ذلك فقد فشلنا.

---

(١) هكذا وردت في رواية الأستاذ حسنين هيكل وصحتها (يوميات نائب في الأرياف)

أنا أعلم مقدار إعجابه وتقديره لـ(توفيق الحكيم) والأخير قيمة كبرى لهذا البلد.. لكن هنا (جمال عبد الناصر) كان يريد أن يفهم كيف يعين أحدٌ وزيراً للإرشاد وهو موجود في الأهرام.. ويعتبر ذلك عدواناً على الصحافة؟

ولكن فجأة أجد (عبد الناصر) يحدثنى عن (حاتم صادق) زوج ابنته.. وكان حاتم موجوداً معنا في الأهرام في مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية في بداية إنشائه.. وكان موجوداً قبلها في مكتب الرئيس.. لأن (عبد الناصر) كان عنده مشكلة في تشغيل أبنائه.. وأزواج بناته.. وكان عنده مشكلة كبيرة وشعرت بها لما حدثنى عن حاتم.. فقال لى إن حاتم تخرج وإنه لا يستطيع أن يكلم أحداً لكى يشغله[1] لأنه لو تحدث مع أحد فسيبالغون في معاملته وإكرامه.. وأن ذلك لا يريده.. غير أن حاتم لا يريد العمل في مكتبى..

وعندما سألته أين يريد العمل؟

قال لى: في الأهرام.. فلما طلب منى (عبد الناصر) ذلك وقال لى هل من الممكن أن تجدوا مكاناً لحاتم؟ فكنت مرحباً جداً وقتها لأننى أعرفه جيداً وأعرف استعداده.

ولكى يضمن (توفيق الحكيم) وصول الخطاب بطريق غير رسمى لـ (جمال عبد الناصر) أرسله مع حاتم.. مثل ما قمت به عندما أرسلت جواب الاعتذار عن الوزارة بالأمس مع حاتم.. ورأى حاتم أن يكتب جواباً هو الآخر أثناء تسليمه جواب (توفيق الحكيم)لـ (جمال عبد الناصر).

**وكتب جواباً بطريقة مكتب الرئاسة وقال:**

**افندم..**

إننى أشعر بمدى إثقالى على سيادتكم.. ولكننى أستأذنكم في أن أعرض هذا الخطاب المرفق.. فقد حملته إليكم أمانة ولست بقادر إلا على الوفاء.. ولعل مصدر اهتمامى بها أنها تحمل وجهة نظر هى ذات ما أراه ومن خلالها.. اختلس فرصة لأعرضه عليكم.. الرسالة من (توفيق الحكيم) وموضوعها (محمد حسنين هيكل).. رجاء أن تتكرموا بالاطلاع على ما خطته اليد المرتعشة ذات السبعين عاماً للأديب المصرى الفذ.

(١) رحمَ الله عبد الناصر كم كان عظيماً.. فمن يتصور أن رئيس جمهورية لديه أية مشكلة في تعيين من يشاء حتى لو قريبه له من الدرجة الألف.. فضلاً عن زوج ابنته.. أو أحد أبنـاءه.. ولكنه هنـا يضربُ لنا أعظم الأمثال عن تعفف المسئول عن استخدام سلطته لتعيين أحد أقاربه.

وإن بقى لى أن أخط سطراً واحداً في الختام فلن أضيعه في الحديث عن اعتبارات موضوعية أراها.. فلكم وحدكم تلك القدرة الهائلة على التقدير والتقييم والتى لم تتوافر إلا في قلة عرفها التاريخ.. ولكننى يا سيادة الرئيس.. كغيرى من شباب الأهرام نتمنى أن تسمحوا لنا بالاحتفاظ بقيادة الأستاذ (هيكل).. كما نناديه.. الذي أحببناه جميعاً وكثيراً..

مع وافر الاحترام.

حاتم.

ثم قال لى (جمال عبد الناصر) ماذا فعلتَ بحاتم وهناك من يقول إن الأهرام دولة داخل دولة أما الآن فأراه دولةً فوق الدولة.

وفجأة وقف ساكناً وطلب فنجان قهوة واحتسى من الفنجان وقال إنه لم يستطع تكوين تنظيم سياسى.. وإنه حاول أن يُكَوِنَ تنظيماً اشتراكياً وتنظيمات سياسية قوية لكن مع الأسف لم ينجح.. وأنا الآن أمامى جريدة عملت تنظيماً.. فطلبت منه أن أقول إن هذا ليس تنظيماً.. وليس ما يتحدث عنه الاتحاد الاشتراكى ما تراه في الأهرام.. ما يدهشك وما تستغرب له.. وسواء ما يتعلق بمهامنا فهى قضية أخرى.

ولكننى شعرت أنه تصور أن في الأهرام هناك تنظيماً قوياً.. وأن الاتحادات الاشتراكية بصفة عامة لم تنجح في محاولاتها هذا القدر من النجاح.. وأن هناك تنظيمات.. ومهما قيل ويقال فكل التنظيمات معتمدة على سلطة.. وأنها سلطة الدولة سبقت وجود التنظيم.. وهذه أزمة لا نزال نعانى منها حتى هذه اللحظة.. وهى سلطة الحكم وسلطة الأمر الواقع.. وفرضت نفسها قبل أن يجىء أى تنظيم سياسى.. ولم يكن التنظيم السياسى نتيجة له.

وتحدثت بعدها فيما أراه واجباً.. ولكنه لما قال السؤال باستغرابه لما نجحنا فيه.. في تصوره.. وما لم يحققه هو - شعرت أن الأزمة الموجودة بيننا بشكل ما قد هدأت لأننا انتقلنا لنواجه الوقائع.. وما قاله (توفيق الحكيم) وما قام به (حاتم).. وبدا استغرابه أنه في تصوره أن هذا التنظيم الذي قمنا به طال أسرته نفسها.

وأنا لا أزال أذكر ملامحه وقتها.. كان بها مزيج من الغضب والاستغراب والاندهاش والتساؤل وعلى أى حال فقد شعرت بالسؤال بشكل أو آخر أن الموضوع وجدول الأعمال تقريباً انتقل من المواجهة إلى التأمل والظاهرة.

## حلف اليمين

وفي اليوم الثانى كانت هناك جلسة حلف اليمين وذهبت وحلفت اليمين.. ولكن لما أنظر للصور أجد (عبد الناصر) وكأنه نسى ما جرى بالأمس.. ويبدو وهو مبتسماً بينما أبدو أنا متجهماً بسبب أننى شعرت أننى أتخلى عن شىء غالٍ جداً وأتخلى عن استقلاليتى الكاملة عن عملى.

ومضت أيام وأنا وزير إرشاد قومى.. وبعدها بستة أيام إذا بأحد يخبرنى أن مديرة مكتبى "(نوال المحلاوى)" اعتُقِلت.. في الحقيقة ذُهِلتُ.. وجاءنى الزملاء ينتظرون منى تفسيراً.. كل الناس كانت متطيرة وهناك تريص وهناك أناس تريد التخلص من صوت الأهرام.. وعبر عن ذلك (توفيق الحكيم) بوضوح وأنا نفيت هذا.. ولم يكن هناك تصور بهذا الشكل على الأقل فيما يتعلق بـ(جمال عبد الناصر).. فلم يكن موجوداً على الإطلاق.. وأستطيع القطع بذلك.. لأننى كنت معه.. ورأيته وهو غاضب.. ورأيته وهو سعيد.. رأيته وهو يقترح ويتسائل.. ورأيته مستغرباً.. كل هذه الأوضاع النفسية عايشته من خلالها.. وكنت قد رأيته يومين متتاليين.. يوم صدور المرسوم.. وقبل حلف اليمين ويوم حلف اليمين.. وما حدث هو إجراء لا يبرر.

وفي بعض اللحظات شعرت باستفزاز وكنت وقتها قد فكرت جدياً أن أرسل له جواب استقالة من الوزارة ومن الأهرام.. لكن وجدت الدكتور فوزى وزير الخارجية يأتى لى دون ميعاد وكنت أقدره.. واعتبر أنه قام بأدوار بالغة الأهمية في هذا البلد.

وأظنه قلق بعد معرفته بما حدث بشأن الوزارة والاعتذار والتطورات وحتى اعتقال مديرة مكتبي.. وشعر أن مثل هذا الإجراء قد يدفعني لشىء.. وقال لي أنه يعرف أن الكبرياء من الممكن أن يدفع الناس إلى أشياء كثيرة.. خاصةً في وجود ضغوط.. وما هو ضروري في هذه اللحظة.. هو أن تتبين ما الذي حدث بالضبط.. ثم بعد أن تتبين وجه الحق والحقيقة في هذا الذي جرى فاعتقد أنه من حقك اتخاذ أى موقف.. ولكن قبل ذلك لا يجوز.. وقال لى إن رأيه أن أقابل الرئيس للاستيضاح.. وقلت له إن الغريب أن لدىَّ موعدٌ مع الرئيس اليوم.. ولكن لشىء آخر في الساعة السادسة في قصر القبة عن الأعمال العادية.. لأنه حدث وكان هناك أستاذ هولندى يدعى (روجر فيشر) في عالم القانون الدولى.. ومشهور جداً في محاولاته تسوية الصراعات الدولية المستعصية.. وله رؤية فيها تقوم على الأعمال المتبادلة والمتكافئة وهى من الألعاب السياسية الخاصة

بتسوية النزاعات وبطرق جديدة ومستحدثة معتمدة على إجراءات قانونية.. وفيشر يأتى وهو صديق لـ(وليام رجروز) وزير الخارجية الأمريكية والأخير بعث لى يوصينى بمقابلته.. كما أرسلت السفارة المصرية هناك توصى أيضاً أن يراه الرئيس.. فقال لى إنه سيأتى وتعالى معه.. وكان يوم السبت سأذهب لأخذ فيشر وسنذهب سوياً للرئيس.. فقلت للدكتور فوزى إن لدى ميعاداً معه.. وقلت له إننى أنوى بعد التحدث مع فيشر سأطلب منه عشر دقائق.. وقلت للدكتور فوزى إننى لما سمعت بهذا الخبر صباحاً وعرفت أن (نوال المحلاوى) اعتُقِلت وأن قرينة لطفي الخولى اعتقلت وأنا في ذهول ووجه الاثنين لا يفارق خيالى.. لأننى لم أكن أتصور أن هذا يحدث ولا أعلم ما أسبابه.. إلى جانب أننى علمت بعدها باعتقال (لطفي الخولى) وزوج السيدة (نوال المحلاوى).

فلما ذهبت لقصر القبة أخذت فيشر معى.. وفي الطريق تكلمنا فيما يريد أن يقوله للرئيس.. وعن مقابلته لأنه قابل روجرز.. وما قاله له.. والمشاكل التى بين روجرز و(كيسنجر) وأن روجرز نواياه صادقة.. وأن (كيسنجر) جيد ولكن ميوله إسرائيلية.

وعندما ذهبنا للقبة دُعينا للدخول لمكتب الرئيس ودخلت.. وسلمنا وبعد أن تحدث (فيشر) و(عبد الناصر) كان يستمع ويستوضحه في بعض النقاط.. كان يسمع له باهتمام.. وهنا مسألة مهمة وهى مهما كانت آراؤنا في رفض ما لا نريد لا بد من الاستماع للآخرين جيداً.. أولاً احتراماً لقائله.. ثانياً أنه قد نجد فيه مخرجاً لشيء وقد نجد ما يستحق أن يناقش أو ما يستحق أن يكون في البداية.. وانتهت المقابلة بعد ساعة إلا الربع.. فقلت للرئيس: هل تأذن لى أن أوصل (فيشر) إلى الخارج وأعود لأنى أريد عشر دقائق من وقتك.. فقال لى: وأنا أريد عشر دقائق.. فذهبت وأوصلت (روجر فيشر) وعدت.. وعندما عدت وجدت الرئيس (عبد الناصر) قد أخرج شريط تسجيل وورق تفريغ.. وبعد ذلك قال أنا قلت لك من كذا يوم إن في الأهرام هناك من يتصور أنهم دولة داخل دولة.. هل معقول أن (نوال المحلاوى) تقول علىَّ ذلك.. وبالطبع كنت أعرف أن هناك أربعة اعتقلوا ومنهم سيدتان.. والموضوع ليس سيدات وفقط.. ولكن إحداهما مديرة مكتبى.. والأخرى صديقة.. وزوجها صديق وزميل في الأهرام.. وفهمت أنهم كانوا يتناولون العشاء أمس الأول.. وأن هناك شيئٌ ما حدث أو قيل أثناء تناول العشاء..

وكان (توفيق الحكيم) موجوداً في هذه الجلسة.. وأعطانى الرئيس التفريغ[1] وقال لى أريد ان تقول لى ما رأيك فيه؟.

وفي التفريغ كان هناك صوت صخب وأصوات كثيرة وبعدها سمعت صوت الخولى يتحدث عن تعيين (هيكل) في الوزارة.. وأن هذه مؤامرة ومقصودة.. لكن (توفيق الحكيم) قال إن مسألة إسناد الوزارة لرئيس تحرير الأهرام مشكلة ووضع حرج يؤثر على الأهرام وعلى استقلاله وهو ما تحدث عنه وكتبه لـ (جمال عبد الناصر) دون تفصيل.

وهناك من قال ودعا إلى هذا.. وبعد ذلك صوت (نوال المحلاوى) وأنا أعرفها جيداً.. وكان (عبد الناصر) معجباً بها جداً.. وكان مرات يحدثنى في مكتبى.. وأكون لم أصل للأهرام وعلى الهاتف الداخلى يحاول أن يعرف تفاصيل خبر وهو الهاتف الذي بينى وبين مكتبه وبين غرفة نومه وكان مصرحاً بأن ترد عليه نوال.. وكان مرات يسألها في الأخبار ويعجب جداً بإلمامها بما تتحدث عنه ومن طريقة عرضها في الهاتف.. وسمع كثيراً عن كفاءتها.. وقال ذات يوم إنه يريد أن يرسل ابنته هدى مع نوال لتتدرب فترة لأنها ستعمل سكرتيرة لديه في مكتبه.. وأنا أعرف أنه لما جاء يزور الأهرام واندهش أن مديرة مكتبى تشرف على كل شىء والأشياء الخاصة بى أيضاً وهى متأثرة بالأسلوب الأمريكى حتى إنها تحضر القهوة بنفسها.

وقال لها وقت حضوره الأهرام: إنه يسمع عنها كثيراً وقدمت له فنجان القهوة.. وأنا أعتقد أن أسلوب العمل في الأهرام في ذلك الوقت كان مختلفاً عن كل ما هو مألوف في الدولة.. وبعد ذلك قال لى هل نوال تقول ذلك.. وقالت نوال "ربما أصابه مس من الجنون".. وكانت هذه العبارة أشعلت غضبه تماماً وقلت له إننى أفهم ضيقك.. وطلبت منه أن يضع الموضوع في سياقه وإطاره وهذه مؤسسة غاضبة وتعتقد أن هناك تربصاً بها.. وتشعر أنها وضعت في وضع متناقض لكن هذا الكلام قيل في عشاء في منزل (لطفي الخولى) وقيل بين أصدقاء وزملاء في الأهرام ولا بد من وضعه في هذا الإطار.. وهنا تحدثت في هذه اللحظة في قرار الاعتقال وفي هذا الموضوع وقلت ما أريد قوله كله.. ولم أخفِ منه شيئاً.

---

(١) التفريغ المقصود به التقرير الذى يحتوى على نص الحوار مكتوباً كما دار بالضبط.

لكنه لم يكن مقتنعاً وكلمة he must had gone mad[1] تغضبه للغاية.
وسألته سؤالاً محاولاً إقناعه ولم أعلق بعدها.. وقلت له هذا عشاء خاص فما الذي يدعو أى جهاز من أجهزة الدولة أو أجهزة الأمن أن يبث فيه جهاز تسجيل.. وهو يعلم أن هناك مناخاً مستثاراً في مؤسسة معينة وأن هؤلاء أعضاء وأفراد ينتمون لهذه المؤسسة من هذه العائلة ومن هذه المؤسسة.. وهو يعلم أن لهم آراء.. وأنه من الممكن أن تفلت كلمات وهذه جلسة خاصة والسؤال لماذا يوضع ميكروفون أو جهاز تسجيل؟.. أليس هذا في حد ذاته دليلٌ على أن هناك من يتربص.. وأنا اعتقد أن هذه هى النقطة المركزية.. وأنا بأمانة وبكل احترام قبل أن يسألنى أحد عما حدث لا بد أن يفسر لى أحدٌ ما سبب وضع تسجيل.. فقال لى: إننى آخذ الموضوع بشكل شخصي.. فقلت: لأنه متعلق بى..
فقال لى: إنه لا يتعلق بك..
فقلت له: إن هؤلاء الناس أصدقاء وموجودون في عشاء وطابع صداقات العمل موجود في مناسبة اجتماعية وليس من حق أى أحد تسجيلها إلا أن يكون مقدراً سلفاً أنه سوف يقال فيها شيء يمكن أن يؤخذ على أصحابه وهو يتعمد هذا الشيء.
ولما قلت ذلك للمرة الثالثة هناك شيء شعر به واعتقدت أن النقطة واضحة وهى تعمُّد التربص.. وأن هناك مشاعر إنسانية وأنه لا ينبغى تحميلها بأكثر مما تحتمل.. وأنه في هذا الظرف يؤكد كل شيء.. ويكفينى أن أشير وأوضح ثم لا داعى للضغط أكثر من اللازم.. وقلت له: إننى لن أتحدث في هذا الموضوع مرة أخرى وطلبت منه أن يكون واضحاً أن الموضوع في منتهى الصعوبة وأنا لا أنوى أن أتحدث فيه.. وسأتركه نهائياً.
وجلسنا في مكتب الرئيس بعد خروج (فيشر) نحو ساعتين وعشر دقائق.. وكان الأهرام كله ينتظر وكانت وجهة نظرى معروفة وأنا لا أنوى أكثر من ذلك.. وكان التنظيم السياسى في ذلك الوقت اعتقد أن الأهرام شارد.. وشعر (عبد الناصر) بذلك وسأل عن سر المشاكل مع الأهرام.. وكنت وقتها حضرت اجتماعاً مع اللجنة المركزية وبصفتى وزيراً للإعلام ورئيسها السيد ضياء الدين داوود[2] في ذلك الوقت..

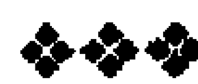
---

(١) معناه بالعربية (هذا جنون) أو (لقد مسه شيءٌ من الجنون)، وتقصد بذلك عبد الناصر في قرار تعيينه هيكل وزيراً.
(٢) حالياً هو رئيس الحزب العربى الديمقراطى الناصري تخرج من كلية الحقوق جامعة القاهرة سنة ١٩٤٩ عُين وزيراً لشئون مجلس الأمة (الشعب).. ثم وزيراً للشئون الاجتماعية (١٩٦٨) وحكم عليه بالسجن عشر سنوات بين عامي (١٩٧١ ١٩٨١).

وجاءوا يحاسبوننى وطلبوا منى أن يتم تقسيم الإعلانات وان هناك تميزاً.. ولما قالوا ذلك الكلام في وقت سابق رد (عبد الناصر) وقال لهم إن (أنور (السادات))موجود في الأخبار و(على صبرى) موجود في الجمهورية.. والقضية أن الأخبار متاحة لكل الناس والقضية هى كيف يتم أخذ وضع مهنى.. وبالطبع لا يستطيع أحد أن يأخذه من الآخر.

وبعد مقابلتى لـ (جمال عبد الناصر) وفي يوم الأربعاء أُبلغت بالإفراج عن (نوال المحلاوى) وليليان أرقش.. عندها لم أتحدث.. لكنى اعتقد أن هناك خطٌ جسيم أدى للتربص بهم.. ومِن ثَمّ القبض عليهم.. وبعد ذلك جاء لى الرئيس (السادات) يزورنى في الأهرام.. وكان لـ (أنور (السادات)) طريقة في التهليل.. وقال لى: برافو يا محمد.. وكان ذلك هائلاً.. وقال لى مشيراً على الهاتف الخاص الذي بينى وبين الرئيس (جمال عبد الناصر): "إنه لولا هذا السلك لكانوا قطعوا رقبتك".

الشىء الغريب أنه مر أقل من أربع سنوات وجاء (أنور (السادات)) رئيساً.. واختلفنا في موضوع الإدارة السياسية لحرب أكتوبر في الجزء الثانى منها من أول الاتصالات السرية.. لآخر هذه المرحلة.. وقرر تعيينى مستشاراً له.. فاعتذرت.. فقرر أن يحضر وزير الإعلام ويضعه رئيساً مجلس إدارة الأهرام ناسياً أنه بذلك عبر الخط الأحمر الذي حدثنى فيه في مكتبى ذات مرة بصورة عكسية وهى أن وزير الإعلام يأتى فوق المؤسسة.. ونسى هذا الخط الأحمر الذي تحدثنا فيه.. وعلى أى حال كانت الظروف قد تغيرت وجاءت أشياء كثيرة جداً.



# ٦

## ليتنى ما كنتُ وزيراً!!

سوف أقف أمام تجربتى كوزير لأنى أعتقد لو أنها جملة استطرادية في هذه الأحاديث فأنا أعتقد أنها تجربة بالنسبة لى شديدة الأهمية.. فهى تجربة لم أردها وقد شرحت ذلك ولكنى في النهاية قبلتها وكان عندى إحساس في واقع الأمر وفي ذلك الوقت أننا أثقلنا على (جمال عبد الناصر) في مرحلة شديدة وصعبة عليه عصبيا ونفسياً وسياسياً ومن كل الزوايا وأولها تقديره أننا مقبلون في حرب الاستنزاف إلى نقطة حيوية وأساسية في مسار الحرب كلها.

وعلى أى حال فقد وافقت على منصب الوزير[1] ولدىّ تحفظات. وكان لدىّ انطباع مسبق عن الوزارات.. فأنا أعرف أن لقب وزير أصله فارسى والأصل في لقب وزير هو رجل يساعد كسرى ويحمل عنه أثقاله ويتولى ويتحمل عنه عقاب الظروف إذا فشل وهو رجل يمكن الاستغناء عنه وهو في خدمة كسرى.. وهى التى ظهر منها لقب وزير.. ويحمل بالأثقال ويتصرف.. وأظن أن معنى وزير أنه كما ورد في النص القرآنى في سورة طه (وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا) النص واضح فيه المساعدة.

لقب الوزير في مصر لقب مستجد فقد ظهر هذا اللقب في فارس وانتقل للخلافة العباسية الأولى والعصر العباسي الأول وهناك الوزراء المشهورون من البرامكة حتى من فارس.. مثل يحيى البرمكى وجعفر البرمكى ابنه ومن الوزراء هارون الرشيد.. وقد نكبوا لما أراد الخليفة أن يحملهم سوءات حكمه.اختفي اللقب تقريباً من التداول العام لكن ظهر في الخلافة العثمانية في إسطنبول وأضيفت إليه وزير أعظم وزير أفخم.. وأضيفت إليه ألفاظ أخرى للتضخيم.

وعندنا في مصر بدأ هذا المنصب في التفيعل أيام (محمد على) وكان يسمى منصب النُظارة.. وظل منصب الوزارة إلى الحماية البريطانية ولأول مرة ظهر لقب وزير لأنه أريد إشعار المصريين أن لقب المصريين ليس قاصرا على الخلافة ولكن مصر أصبحت مساوية لإسطنبول وبها وزراء يمارسون سلطة حكم ولكن بلا دولة.. لأننى أعتقد أن مشروع إنشاء الدولة تأخر ولا يزال متأخراً حتى هذا الوقت لأن معنى الدولة أكبر كثير من معنى السلطة.. فمن الممكن أن تمارس السلطة في حدود سيادة الدولة..

---

(1) هنا سنتوقف قليلاً للإشارة إلى شيء هام.. وهو أن هيكل في هذا السياق قد تحدث في بعض الحلقات ذاكراً أنه قد جمع بين وزارتي الإرشاد القومي.. والخارجية في وقتٍ من الأوقات.. وبالبحث لم نجد تأكيداً لهذه المعلومة.. بل بالرجوع إلى سجل أسماء وزراء الخارجية في مصر لم نجد لهيكل ذكراً على الإطلاق.. وبتوسيع نطاق البحث قالت بعض المصادر المعايشة.. والمعاصرة عن قرب لتجربة الأستاذ في هذه المرحلة : أنه ربما كان يُسند إليه بعض المهام الدبلوماسية الخارجية بتفويض مباشر من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر.. وكذلك الرئيس اللحق السادات .. فترة صفائهما القصيرة .. لكن الجمع الرسمي بين المنصبين.. لم يحدث مطلقاً.. ولا ندرى هل كان الأستاذ يقصد قيامه ببعض مهام خارجية أوكلت إليه.. أم أنه أخطأ في ذكره لتلك المعلومة.. عموماً تركنا ما قاله الأستاذ على وضعه.. حتى لا يسقط السياق العام للحديث.

ولكن إذا كانت السلطة تمارس بعيدا عن فكرة الدولة ويكون كسرى حاضراً فيها أكثر من الشعب ويكون الوزير الذي يخدم كسرى يخدمه شخصياً وليس مسئولاً أمام الشعب بأى شكل من الأشكال هو رجل فوق الشعب يعينه السلطان الرئيس أو الملك حتى هذه اللحظة ولم يختلف حتى الآن وأظنه لم يختلف في العالم العربى كله إلا عندما ينشأ مفهوم الدولة الحقيقى المتعالى على أفراد يمسكون بذمام السلطة ويحكمون ويسمى أنفسهم حكومة.

وفي العالم الذي نشأت فيه الدولة تسمى جهاز السلطة فيه جهاز الخدمة العامة وليس جهاز الحكومة فكلمة الحكومة عندنا غليظة بقسوة.. ففي الفترة التى كنت فيها بالوزارة كان باستمرار في ذهنى أرى بعينى تجربة الوزراء.. فتجربة الوزارات كانت عندنا تجربة وزير انجليزى يدعى لورد سيسل عمل مستشاراً للنظارة المصرية وكان فيها.. مصطفي باشا فهمى.. ومحمد سعيد باشا وحتى سعد زغلول كان ضمن هؤلاء النُظار.

وظل لورد سيسل مستشاراً للنُظار في مصر منذ بدايات عام ١٩٠٤ وحتى ١٩١٦ حتى الحماية البريطانية.. وبالنظر إلى كيف كانت تتم معاملة النظار وكيف كان يأمرهم ويستبد بهم.. وهو موضوع من أول القرن الماضى وليس بالبعيد.. ولن أتحدث عما حدث في وقت محمد على وووقت إسماعيل ولا في وقت عباس ولا في وقت سعيد وكيف أن النظار لم يكونوا مصريين وعندما بدا أبناء الفلاحين من المصريين يتطلعون إلى منصب النظارة ويصبحون نظاراً.. أعتقد أن الصورة لم تكن تدعو.. فهناك من النظار وجدوا لديهم اختصاصات جاهزة وهى تقريباً محددة.. وأود القول إنه في اختصاصات السلطة في غياب الدولة يكون في مجالات وليس في اختصاصات محددة.. والسلطة التى كانت مخصصة على سبيل المثال والتى كانت أكبر سلطة راسخة هى سلطة الأمن.. والشرطة وبعدها سلطة الوقف التى كانت أراضى الأمير.. والوزارات بشكل أو بآخر كان عملها واضحاً.. ولكن بسبب غياب الدولة أُنشئت وزارات واعتقد أنها كانت تعمل في عدة مجالات مختلفة.. والأمر كان يتوقف عادةً على وزير قوى أو ضعيف.. أو ناظر قوى أو ضعيف.. فمثلاً ناظر قوى مثل سعد زغلول باشا حينما يتحدث عن مجال التعليم تبدو نبرة صوته أعلى من المعتاد.. ووزير مثل طه حسين.. ويبدو أن لديه مشروعٌ يحاول تحقيقه.. وكانت هناك وقتها وزارات التعليم والداخلية والأوقاف.. وعارض

الانجليز أن يكون هناك وزارة للخارجية وقرروا أنه بعد الحماية أن مصر ليس لديها حماية انجليزية.. وأنا أزعم أن مصر لم تكن بها سياسة خارجية حتى جاءت الثورة.. لأنه أن تكون هناك علاقة أحادية واحدة وقضية واحدة مع دولة محتلة لنا فهذه ليست سياسة خارجية ولكن سياسة كفاح وطنى.. وكان لدينا وزير خارجية كفء في مرة من المرات وهو محمد صلاح الدين.

لكنه شخص.. واختصاصه محدد.. ومقصوراً على القضية المصرية والتفاوض مع الإنجليز.. وهذه لا تصنع علاقات خارجية.. وكانت لدينا سفارات في الخارج لكنها كانت في سلطة كسرى وفي سلطة الملك فؤاد أو (الملك فاروق).. وأهم من يتم تعيينهم في هذه السفارات يمثلون السلطان وكسرى في واقع الأمر.. ويمثلون أكاسرة دون فتوحات وأباطرة دون إمبراطوريات.. ولكنهم موجودون.. وهى عمليات في واقع الأمر مراسم.. وكان لدىّ انطباعات باستمرار ورأيت التسابق الذي كان يجرى قبل الثورة إلى منصب الوزير وأنا شاب في ذلك الوقت عائد من تغطية شئون المنطقة المحيطة بنا من أول البلقان وحتى غرب أفريقيا.. وكنت عائدا بتصورات وأحلام كبيرة.. ورأيت ما يحدث في مصر ورأيت أنه لا شىء يمارس من الوزراء إلا قلة.. وهناك بعض الاختصاصات محددة كالأمن.. وهم غير مسئولين أمام السلطة المصرية.. فواحد كإسماعيل شاكر باشا الذي كان ناظرا لسكة الحديد ولم تكن هناك حكومة تستطيع تغييره.. وأحمد عبدالوهاب باشا في وزارة المالية وأنا أعتقد أن هؤلاء كانوا وطنيين وقاموا بعمل لا بأس به لكنه في مجالات سلطة محددة ومحدودة والمسئول عنها تقريباً السلطة الحاكمة.. وهى في ذلك الوقت سلطة احتلال.

ما أود الاشارة إليه أنه لحظة أن يكون منطق الدولة مقتصراً على السلطة والدولة هى الحكومة فنحن أمام مشكلة.. لأنه هنا ستكون المرجعية في تقييم أو تحديد أى أداء أو أى مهمة هى من يملك السلطة.. وإذا كان الانجليز يملكونها فأى كلام في التفاصيل تجنى على واقع.

وعندما أصبحت وزيراً للإرشاد القومى.. وكنت أعرف ما الموجود.. وكبحت جماح أى انطباع قد يكون لدىّ.. وتصورت أنه لا بد أن أُقدم على هذه المهمة حتى بالتشوق الطبيعى لصحفي يريد المعرفة والفهم قبل أن يعرض ما لديه على الناس.. وقمت بتجربة أظنها مستجدة بالنسبة لنا وفي الخارج.. فعلى سبيل المثال في الخارج في إنجلترا وفرنسا

هناك أحزاب تتابع الأداء الحكومى.. ففي إنجلترا هناك وزارة الظل حيث يكون وزراء المعارضة جاهزين.. والبديلون جاهزين وعلى اتصال بالبيروقراطية الدائمة ويستطيعون أن يجيئوا ويستأنفوا العمل.

أما عندنا فعندما يأتى أحد فلا تكون لديه أدنى فكرة عند اختصاصه المقبل عليه والوزير في الأصل لا بد أن يكون سياسياً ولا يصح أن يكون اختصاصيا فهنا معنى السلطة أكثر من أن يكون معنى السياسة ومعنى العمل السياسى والدولة وفكرة الدولة.

وتصورت وأنا آتٍ لهذه المهمة أن أبدأ بداية قد تكون مُستغربة.. ولذلك نظمت مجلساً استشارياً للوزير وأخذت له سبعة من مكتبى من مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية في ذلك الوقت.. منهم مثلاً الدكتور عبدالملك عودة والذي كان أصله عميد اقتصاد وعلوم سياسية جامعة القاهرة.. والدكتور أسامة الباز وهو أستاذ قانون وعبدالوهاب المسيرى الذي كان متخصصاً في الأدب والعقل اليهودى.. وسميح صادق وهم مجموعة من سبعة وأيضاً تحسين بشير الذي كان ملحقاً صحفياً في أماكن كثيرة في أوروبا.. ولم أكن أريد أن أتعامل في الوزارة مع بيروقراطية الدولة.

ولم أرغب في التعامل مع الجهاز الحكومى إلا من خلال منطق مؤسسى.. وبالتالى أول اجتماعات قمت بها.. كانت جميعها في الأهرام قاصداً أن يكون عمل الوزارة هو إضافي بالنسبة لى وأن الأصل هو الأهرام.. وعلى الرغم من قبولى هذا المنصب لكننى استبعدته تماماً من سجلى العام باختيارى.. ولم أرد قول إنه وزير سابق فأنا أستغنى عن اللقب.. وتمنيت رغم قبولى أن أعمل شيئاً خاصةً أن الوزارة قد تكون قريبة من اختصاصى ومما أستطيع أن أتحدث فيه.. وعلى أى حال فقد بدأت باجتماعات تنظيمية تحضرها مجلس المستشارين.. وأولى الجلسات كان هناك بالطبع أربعة أو خمسة وزراء وأربع أو خمس مؤسسات كبرى تعمل هناك.. والوزارة كان بها هيئة الاستعلامات وكان بها هيئة التليفزيون وهيئة الانتاج التليفزيونى والراديو.. والمراسلون الأجانب.. وأغرب ما كان موجوداً هو الرقابة على التليفونات الخارجية.. وظهر بعد ذلك أنه من أول حرب الإنجليز كانوا يراقبون الهواتف الخارجية خاصةً المراسلين الأجانب ماذا يقولون وجهاز الرقابة ذهب للملك فاروق ليراقب بها أعداءه.. واتسعت الرقابة مع حرب فلسطين ونُقلت جميعها إلى وزارة الإرشاد.. وكنت مندهشاً للغاية.. لأن الموضوع زاد..

وفي هذا الوقت ثبت لى أشياء غريبة مثل أجهزة التليفونات التى كانت تُراقب حينما أصبحت وزيراً للإعلام.. اليوم ظهر لى وهو موجود في العالم كله وهى أن الحاجة هى "أم الاختراع" لكن بتجربة وزير مصرى فأنا مستعد أن أقول إن الاختراع "أبو الحاجة" وإذا وُجِدَ الاختراع فاستعماله بلا حدود.. بمعنى أن سهولة أدوات الرقابة بالأدوات الإلكترونية تغنى باستعمالها.. بمعنى أننا أمام العشرات أو مئات الألوف من المراقبة.

وبعد أن بدأنا سلسلة الاجتماعات كانت لدى ثلاثة أسئلة.. أريد أن أسألها لطاقم الوزارة:

- ما اختصاص الوزارة.. وتوصيف عملها بالتحديد؟
- ما الأجهزة التى ستمارس بها هذه الاختصاصات وكيف؟
- ما وسائلها لتقييم ما تؤديه.. وتعرف ما إذا كانت نجحت أو وصلت أم لا؟
- فيما يتعلق بتوصيف هدف الوزارة وجدت أنه ـ وهى وزارة أنشئت سنة ١٩٥٢.
- وقت الثورة ــ في قرارات إنشائها أشياء غريبة ففي القانون رقم ٧٢ لسنة١٩٥٢ بإنشاء وزارة الإرشاد القومى.

- مادة واحد: تنشأ وزارة الإرشاد القومى ويكون أهدافها توجيه الأفراد وإرشادهم بما يرفع مستواهم المادى والأدبى ويقوى روحهم المعنوية ويحفزهم إلى التعاون والتضحية ومضاعفة الجهد.. في خدمة الوطن وإرشادهم بما يجب لمكافحة الأوبئة والآفات الزراعية والعادات المؤذية.. وبصفة عامة ما يعين على جعلهم مواطنين صالحين.

وهذا كلام لا أستطيع أن أفهمه وفي الحقيقة رأيت في اجتماع مجلس المستشارين الذي قمت به كان هذا الكلام لا يصدق.. وهذا الكلام لا يعنى شيئا.. حتى تقام عليه مؤسسات وتقام عليه إدارات وتنشأ عليه بيروقراطية دولة.. وتكتشف الوزارة أن هناك نحو ٢٠٠ ألف موظف.. بعضهم موجودون في وظائف تاهوا فيها.. فلما أسال رئيس الهندسة الإذاعية ويقول لى إن هناك محطات ومرسلات موجودة على الشواطئ لترسل الإذاعات الموجهة إلى حيث نريد في العالم العربى.. وأنه لا يوجد حصر بالضبط لهذا الكلام.

وكنت في ذلك الوقت لا أريد أن أحكم بانطباعات سابقة.. أو أتصرف بمقتضى معلومات سابقة وغير مدروسة في كل الأحوال.. لكننى أريد أن أعرف أكثر.. وبالتالى

طلبت من الدكتور سيد أبوالنجا.. وهو في ذلك الوقت مسئول عن شركة للخدمات الدراسية والمعلوماتية.. كانت موجودة في نطاق الأهرام في ذلك الوقت.. طلبت منه أن يجلب لى عدداً من الخبراء وطلبت منه أجهزة بالتحديد لدراستها.. وقام بعمل بعض هذه الدراسات أحد المستشارين والذي كان يعمل وقتها في الشركة وهو الدكتور عاطف عبيد[1] الذي كان باحثاً والذي أصبح رئيس وزراء.. وقد رأيته كباحث وكان جيداً وقام بعمل هائل.. وعندما أصبح رئيس وزراء فغيرى يحكم على أدائه.. وحاولنا بكل الوسائل ما هى الصورة التى أمامنا.. وصورة واضحة لمعرفة كيفية التصرف.. وأنه كيف يمكن أن نؤدى خدمة حقيقية.. وكنت متخيلاً أن دورنا يكون على أقل تقدير محاولة التنوير في الشأن العام.. وفي الشأن الجارى بقدر ما هو ممكن في الداخل والخارج.

وتوصلت بعدها ومعى مجلس المستشارين ومعى رؤساء الهيئات إلى كيفية أن نؤدى مهمة اعتقد أنها كاستراتيجية هى مهمة وحيدة وهى التنوير قدر ما يمكن.. وإتاحة أكبر قدر ممكن من المعلومات والآراء والراحة النفسية لمواطن وسط معركة.. ومواطن يخوض مراحل في حياته وبما فيها بناء مجتمع وبناء دولة.. وما يلزمه بالدرجة الأولى أن يكون عالما بما يجرى حوله ومشاركا في الحوار الدائر لتأكيده وتحقيقه.. وعارفا بما يجرى في العالم.. وفاهماً لما يحدث سواء حدوثه كأخبار أو آراء.. ثم أن يضاف إلى هذا جرعة ثقافة عامة مبسطة وتسليه بقدر ما هو ممكن.. لكن عمل الإعلام من الدرجة الأولى التنوير بقدر ما هو ممكن.. وكنت أتصور هذا.. وتصورت

---

(١) هو نفسه عاطف عبيد الذى أصبح هو رئيساً لوزراء مصر فيما بعد.. وهو حالياً عضو بمجلس الشورى المصري.. تولى منصب رئيس الوزراء الفترة من أكتوبر ١٩٩٩ إلى يوليو ٢٠٠٤ وأكدت هيئة الرقابة الإدارية أن عهده تزايدت فيه معدلات الفساد في مصر أثناء توليه رئاسة الوزراء.. وانتشاره بمختلف قطاعات الدولة.. مقدرة حجم الأموال المختلسة في عهده فقط بـ ٥٠٠ مليون جنيه.. وأكثر من ٨٠ ألف حالة فساد.. وحجم أموال غسيل الأموال أكثر من خمسة مليارات جنيه.. مع وجود تجاوزات صارخة في كل قطاعات الدولة.. ووصل حجم الكسب غير المشروع إلى ١٠٠ مليار جنيه.. وهو ما أكدته منظمة الشفافية الدولية التي ذكرت أن قطاع الإسكان والتعمير كان أكثر القطاعات التي انتشرت فيها قضايا الفساد.. وحلت مصر في المرتبة الـ ٧٠ بين الدول الأقل فساداً وذلك في تقرير منظمة الشفافية الدولية التي تعني بمكافحة الفساد في مختلف دول العالم.. وعزا التقرير تزايد معدلات الفساد وإهدار المال العام إلى ضعف النظام الحكومي والقصور السائد في العديد من القوانين والتشريعات.. وبسبب تدهور الدور الرقابي الذي يمارسه مجلس الشعب.. وكذلك الإفلات من العقاب والخلل الإداري.. وتدهور الأداء الإداري للقيادات.. ووجود علاقات مشبوهة.. واستغلال مسئولين وموظفين كبار لنفوذهم للتربح بطريقة غير مسروعة

أنه لابد أن يتم تنظيم وزارة على هذا النحو.. وفي الحقيقة توصلت.. وأخشى أن هذه الوزارة لا لزوم لها أصلاً.

وتكررت الاجتماعات في الأهرام.. وفيها الوزارة.. وبها أنا.. ولكن جاء لى الأستاذ سيد فرج وهو وكيل وزارة في ذلك الوقت.. وقال لى إن بقائى في الأهرام دون أن أذهب للوزارة ويرانى موظفوها يحدث تأثيراً سلبياً وسيشعر الناس أن الوزارة على الهامش.. فوجدت أن معه حقٌ.. لأنه لا يصلح أن أؤدى عمل الوزير من بيت الصحفي.. فذهبت أول مرة وفي الحقيقة يجب أن أقول إننى لم أجلس على كرسى وزير الإرشاد إطلاقاً واعتبرت أن هذا ليس مكانى وأننى جئت لمهمة مؤقتة.

وتجربة ذهابى أول مرة للمكتب فهمتنى لماذا يتسابق الناس على منصب الوزير.. لأن هناك مراسم وطقوسٌ سلطانية.. حيث قال لى أحد وكلاء الوزارة أن هناك أربع سيارات مخصصة للوزير وهناك موتوسيكل مخصص ولم أكن أفهم لماذا أربع سيارات وقلت لهم إن معى سيارة من الأهرام ولا أريد شيئاً من سيارات الوزارة.. ولكن أول ما دخلت بسيارة الأهرام الوزارة أولا هناك باب خاص للوزير وأسانسير خاص للوزير وحراس ينبهون إلى مجيئى حاجة خطيرة.. وأبواب تفتح وتغلق بشدة.. واحد يجرى وسعاة يجرون في القاعات.. فوجدت أن المكتب كبير والقاعة كبيرة وقررت الجلوس على الأريكة وأنا موجود في الوزارة.. وعملت قاعدة وهى هناك اجتماع يومى للوزارة.. وفي هذا الاجتماع يأتى وكلاء الوزارة ورؤساء المؤسسات مع الوزير ومستشاريه وتناقش كل الموضوعات وتبت في كل القضايا ونحن موجودون.. في حضور جميع الناس.. لأنه بهذه الطريقة من الممكن أن تكون السياسة تتابعاً.. لكن لكل وكيل وزارة يأتى بورقة وأمضى على أوراق إلى آخره.. والمسائل تكون غير مترابطة - كلام غير معقول.

أحد وكلاء الوزارة بعد الانتهاء من الاجتماع الأول دخل للمكتب يقول إن هناك مسائل يريد أن يحدثنى فيها شخصية.. فقال لى عن موضوع سيارات الوزير.. فقلت له اننى لا أريد.. وقال لى عن راتب الوزير والبدلات.. فقلت له إننى لن أحصل على الراتب لأننى أحصل على راتبى من الأهرام ولا أستطيع الجمع بين راتبين حتى وإن كان القانون الصادر يقول بالجمع.

وقال لى أن هناك ما يُسمى بالمصاريف السرية.. وهى خزانة موجودة بحمام الوزير يتصرف فيها كما يشاء دون حسابات.. وأنه أثناء الاستعداد لحضورى قام أحد وكلاء

الوزارة بالذهاب لمجلس الشعب.. وحصل على اعتماد إضافي بـ١٥٠ ألف جنيه وُضِعَتْ في الخزانة وهى موجودة بحمام الوزير.. وشكلها بالخارج تشبه الثلاجة.. وسألنى: هل سأنتدب أناسا من الأهرام.. فقلت له: لن أنتدب أحداً.. واكتشفت شيئاً غريباً وهو أن أمضى على تجاوز بـ١٨جنيهاً.. وفي نفس الوقت قالوا لى إن هناك قضية مهمة جداً موجود بها التليفزيون.. وصدر حكم أولى بسبعة أو ثمانية ملايين فرنك سويسرى.. لأن هناك شركة تقدم أفلاماً للتليفزيون لكن العقد كان غريباً.

توصلنا إلى إنشاء هيئة مستقلة للإذاعة والتليفزيون والتى سميت بعد ذلك اتحاد الإذاعة والتليفزيون.. على الرغم من نزع كل الاختصاصات التى قد حصل عليها.. والتى تصورت أن أضعها في القانون الأول لاتحاد الاذاعة والتليفزيون.. فإذا كان هدفي في التنوير فأول شىء أطلبه أن يكون القائم عليه هيئة مستقلة تماماً بعيدة عن سلطة الدولة.. وفكرت في اتحاد الاذاعة والتليفزيون وأن يكون هيئة مستقلة تعتمد على مواردها وتحصل على الضرائب التى تُحَصَّلْ من الكهرباء.. وتبيع وتنتج أفلاماً ويكون معها استقلال مالى كاف.. وحاولت أن أطبق نظام (B.B.C).. وأن أجعل واحداً أكبر من وزير مسئولاً عنها.. وبالفعل اخترت الدكتور مصطفي خليل الذي كان بالفعل قد خرج مع الدكتور زكريا محيى الدين نائب رئيس الوزراء لشئون المواصلات.. وكنت أتصور قطاع التليفزيون والقطاعات الهندسية فيه كلها تحتاج إلى تجديد.. وأتصور كما هو في انجلترا أن وزير المواصلات ممثل الحكومة في الـ (B.B.C).

أخذت الدكتور مصطفي خليل وترجيته.. واشترط الاستقلال.. فقلت له أنا ومن بعدى في الوزارة سنكون أعضاء في مجلس الاتحاد ولم نكن رؤساء.. وهناك من قال إن هذا مخالف للمسئولية الوزارية.. لكن (عبد الناصر) أقر تماماً بما أقوم به.

ومسألة وزير للإعلام أن يكون فقط للاشراف وإظهار صورة الرئيس أو الملك أو السلطان وكيف يخرج في الصور وينشر عنه أعتقد أن هذا يقوم به مستشار صحفي في الرئاسة لكن لا يقوم به الوزير.وحينما تمت الموافقة على اتحاد الاذاعة والتليفزيون أرسلت الدكتور مصطفي خليل[1] للندن ليدرس الـ (B.B.C) كهيئة مستقلة بعيدة عن

---

(١) مصطفى خليل كان رئيس وزراء مصر بين عامي ١٩٧٨ و١٩٨٠ ووزيراً للخارجية بين عامي ١٩٧٩ و١٩٨٠ وُلِدَ في الثامن عشر من نوفمبر عام ١٩٢٠ بمحافظة القليوبية.

الحكومة.. وقد تم وضع قانون الاتحاد ووضعه جمال العطيفي الذي كان موجوداً في مجلس المستشارين وبعد ذلك أصبح وزيراً للإعلام.

وكان من أهم القوانين: أنها مستقلة ولا علاقة لها بوزارة الإرشاد القومى أو وزارة الإعلام.

في الناحية الأخرى الاستعلامات.. حيث كانت وزارة الإرشاد القومى بها شيئان بالدرجة الأولى أولها التليفزيون والشيء الآخر الاستعلامات ومجموعة من الهيئات ليس لها آخر من أول وكالة أنباء الشرق الأوسط وحتى الرقابة على الهواتف الخارجية والمصنفات الفنية وإدارة المراسلين الأجانب والصحافة العربية.. ووكالة أنباء الشرق الأوسط.

كل وكالات الأنباء في الدنيا نشأت كملكية وتعاون للجرائد فأنشئت مع بعضها وكالات أنباء مثل اسوشيتد برس واليونايتد برس.. وقد تقدم العالم عن التصورات المركزية للسلطة وعن التصورات المركزية لكسرى وأعوان كسرى.. وكنت أريد الاستقلال للاتحاد وأن تعود مصلحة الاستعلامات كما كانت في الوزارات وكل وزارة يكون لديها ضابط إعلام للاتصال فقط على آن يكون في الرئاسة متحدث رسمى باسمها ووزارة الحربية يكون بها متحدث.. لكن تصور إدارة مركزية.. فمصلحة الاستعلامات لديها ميزانية هائلة تضيع.. فالفيلم الاسلايد كان في الأهرام بـ٢ مليم.. اكتشفت أنه في الاستعلامات بـ ٣٠ قرشاً. فالصرف كان لا يعقل وتصورت أن هذا لا لزوم له ومركزية شديدة في الجمع.. فإذا كانت الوزارة تريد القيام باعلان سيكون هناك مكتب صحفي بها.. لكن تصور إعلان مركزى يعلن عن وزارات الدولة وهو في الواقع يكرر.. لأن الوزارات أرسلت مكاتبها وأنشأت مكاتب بديلة.. وطلبت كل المكاتب في الوزارات أن تكون لديها هي.. والوزارات أنشأت مكاتب بديلة ولكن أصبح هناك كيان يسمى مصلحة الاستعلامات ووجدت الدكتور عصمت عبدالمجيد أمين عام الجامعة العربية بعد ذلك.. ولأن الأسباب متعلقة بالتنظيم السياسى فقد أصبح سفيراً بكندا وجاء بعده محمد حسن الزيات وكان هذا التعيين بعد ترشيح زميلى محمد فائق وكان رجلا على قدر كبير من الاستقامة والنزاهة والكفاءة.. ولكن ببساطة تركيب ما يسمى بالحكومة مسألة تحتاج لإعادة نظر وبشدة وقسوة.. وكان مشروعى الذي ذهبت به لـ(عبد الناصر) وقلت له إن الاستعلامات غير محدد ومضيعة للوقت والنقود.. ومهين أمام العالم الخارجى فكرة وجود وزارة للإرشاد القومى فهى

لإرشاد من وكيف ذلك.. فهل ذلك لاختصاصات؟ فأتصور أنه غير معقول.. أما إذا أصبحت للتنوير وهيئة إعلامية مستقلة وشغلها ضخ أخبار وتعرض كل ما يساعد وتنوير وتبصير متفرج ومستمع ليعرف ما يجرى من حوله في العالم سواء من ناحية الخبر أو الفكر.. هذه قضية لا بد أن تكون بعيدة حتى عن كلمة الإرشاد أو حتى الإعلام.



## ٧

# هيكل.. والسادات!!

لم.. ولن ينس (هيكل) للسادات.. أنه هو من أمر ذات مساء بأخذه من بيته علي نيل الجيزة.. ليلقي به في غياهب سجن طُرة..

فما هى أسرار العلاقة بين الطرفين؟

نبدأ هذا الفصل بملاحظة هامة وهى أن (هيكل) كتب عن (السادات) أهم مؤلفاته وهو كتاب **"خريف الغضب"** ليسجل فيها أهم أحداث خريف ١٩٨١ التي أدت إلي مقتل الرئيس (السادات).. وتقريباً وظف معظم الكتاب للثأر من (السادات).. واغتياله سياسياً وتاريخياً بعد الاغتيال الجسدي الذي تعرض له على يديه.. ورغم أن الكتاب تأريخ مهم لهذه الفترة الخطيرة من حياة مصر.. فإن (هيكل) للأسف سيطرت عليه عقدة (السادات) أكثر من تحليه بالأسلوب العلمي المحايد في هذا الكتاب.

كما نبدأه أيضاً بآخر مستجدات العلاقة بين الإثنين.. وهو زوبعة اتهام (هيكل) للسادات بتسميم (عبد الناصر).. ونقول بداية أنه أكثر من مرة شرح (هيكل) خطط وسيناريوهات مختلفة لمحاولات اغتيال (عبد الناصر) قامت بها أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية والإنجليزية والفرنسية وتورط في بعضها شاه إيران[1] ويروى عنه قوله أن رئيس وزراء الصين السابق شوين لاى بادر لبيب شقير بسؤال قائلاً:

"كيف سمحتم لـ (جمال عبد الناصر) أن يموت بهذه البساطة في هذه السن؟".. فرد عليه شقير قائلاً: "هذا قضاء وقدر".

لكنه فجر في برنامجه **"تجربة حياة"** مفاجأة مدوية.. ومن العيار الثقيل.. عندما طرح ولأول مرة اتهاماً غير مباشر للرئيس (السادات) بتسميم (عبد الناصر).. بعد قرابة الـ ٤٠ عاماً على رحيل الأخير .. وقال (هيكل):

"قبل ثلاثة أيام من وفاته كان هناك حوار بين (عبد الناصر) والرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في جناح الزعيم المصري بفندق النيل هيلتون.. واحتد الحوار بينهما وتسبب في ضيق شديد لـ(عبد الناصر).. ولاحظ (السادات) انفعال (عبد الناصر) فقال له (يا ريس أنت محتاج فنجان قهوة.. وأنا هاعمله لك بإيدي).. وبالفعل دخل (السادات) المطبخ المرفق بالجناح وعمل فنجان القهوة لـ(عبد الناصر)".

لكنه أردف بقوله: "لا أحد يمكن أن يقول أن (السادات) وضع السم لـ(عبد الناصر) في هذه الفترة.. لأن هذا الموضوع لا يمكن القطع فيه إلا بوجود دليل مادي".

---

(١) محمد رضا بهلوي هو آخر شاه يحكم إيران قبل الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ واستمر حكمه من ١٩٤١ إلى ١٩٧٩ خلف محمد رضا أبوه كشاه لإيران بعد أن أطاحت قوى التحالف برضا بهلوي خوفاً من جنوحة ناحية هتلر في الحرب العالمية الثانية وتزويده بالنفط.. فقامت قوات التحالف باحتلال إيران والإطاحة بالأب.. وتنصيب ولده محمد رضا بهلوي بدلاً منه.. قبل أن يتمكن رئيس الوزراء الإيراني "محمد مصدّق" على إرغامه بمغادرة إيران.. لكنه عاد إلى إيران بانقلاب مضاد لانقلاب رئيس الوزراء بمساعدة المخابرات الأمريكية والبريطانية.. وأقال مصدّق من منصبه واستعاد عرش إيران.. وفي ١٦ يناير ١٩٧٩ أُرغم الشاه للأبد على مغادرة إيران..إثر اضطرابات شعبية هائلة ومظاهرات عارمة في العاصمة طهران لإعلانه سياسة منع الحجاب وتغيير التعاليم الإسلامية والاضطهاد والظلم.. وبمغادرة الشاه للعاصمة طهران تسلم الخوميني الحكم بعد عودته من منفاه من إحدى الضواحي الفرنسية (نوفل لاشاتو) فيما وفد الشاه محمد رضا إلى مصر لدى الرئيس أنور السادات الذي استضافه حتى مماته في ٢٧ يوليو ١٩٨٠.

**نص ما قاله (هيكل) في الجزيرة:**

وقال (هيكل) بالحرف الواحد:

"هناك شكوكٌ اتجهت نحو الرئيس (السادات) إلا أن ذلك غير مقبول.. ومن يدعون ذلك يستدلون في ادعائهم بمشهد أنا كنت أحد حضوره.. وهو مشهد جرى في هيلتون قبل الوفاة بثلاثة أيام".

وذكر (هيكل) واقعة فنجان القهوة.. وأضاف أن ذلك حدث أمامه.. وذهب (السادات) إلى المطبخ الصغير التابع للجناح بالفندق.. وأخرج محمد داود المرافق لـ(عبد الناصر) والقائم على خدمته.. وقام (السادات) بإعداد فنجان القهوة.. وقدمه بنفسه لـ(عبد الناصر) الذي تناوله أمامه.

الغريب أن (هيكل) عاد ليقول نافياً التهمة التى وجهها ضمنياً للسادات بقوله في نفس الحلقة:

"يجب إلا يُتهم (السادات) بوضع السم في القهوة بهذه البساطة.. لأن هناك أسبابٌ إنسانية وأخلاقية وعاطفية وعملية تجعل من المستحيل تصديق مثل هذا الاتهام".

وبعيداً عما قيل عن حادثة فنجان القهوة استعرض (هيكل) التاريخ المرضى للرئيس (عبد الناصر) وقال:

اعتقد أن (عبد الناصر) وراءه تاريخ مرضى.. أولاً لأن والدته توفيت تقريباً في نفس سن وفاته.. ومعاناته من مرض السكر والقلب ومجهوده المتواصل الذي لاينقطع.

وقال (هيكل) أن (عبد الناصر) كان لابد أن يتلقى علاجاً طبياً أكثر مما تلقاه.. ولكن ظروف الأمن منعته من تلقى كل ما يستحقه من علاج.

**السناوى: (هيكل) نفي.. والناس لا يفهمون**

ويقول عبدالله السناوي رئيس تحريرجريدة "العربي" الناصري وقتها معلقاً:

كأنه ليس من حق (هيكل) أن يروي ما شاهد وعاين بنفسه في برنامج طبيعته من عنوانه: "تجربة حياة".. فقد كان في هذه الحلقة المثيرة يروي المشاهد الأخيرة في حياة الرئيس.. وما جرى في مؤتمر القمة الاستثنائي في سياق الحديث المطول عن ما أسماه **"الطريق إلى أكتوبر.. في صحبة (جمال عبد الناصر)"** كان الكلام في سياقه.. ولم يكن له أدنى صلة بمرور أربعين عاما على رحيل "(عبد الناصر)" أو إثارة شكوك حول طبيعة وفاته بهذه المناسبة.. فقد انتهى "(هيكل)" من تسجيل هذه الحلقة الأخيرة في هذا الجزء من شهادته في "تجربة حياة" قبل نحو ٤ شهور من بثها.. وذلك قبل أن يبدأ

أجازته الصيفية الطويلة.. وقد قيل على نطاق واسع أن (هيكل) يصفي حسابات شخصية مع "(السادات)" والحقيقة أن العلاقة بين الرجلين انفصمت لأسباب سياسية وليست شخصية.

**قصة اعتقالات سبتمبر الشهيرة..**

ويستطرد السناوى قائلاً في رده على تلك الواقعة:

قصة العلاقة بين الرجلين أكثر تعقيداً مما يروى.. ولا يستطيع أحدٌ أن يدين "(السادات)" بلا دليل قاطع ونهائي ولا يستطيع أحد في الوقت نفسه أن ينفي احتمال أن يكون من يبحثون عن وسيلة للتخلص من (جمال عبد الناصر) قد نجحوا في الوصول إليه بطريقةٍ أو بأخرى.

لكن عموماً وبعد وفاة الرئيس (عبد الناصر) تلاقت نقاط وعوامل مشتركة كثيرة بين (السادات) و(هيكل) أدت إلى حدوث تحالف كبير بينهما أبرزها ما يلي:

- توجس (هيكل) من أن يقوم قادة الاتحاد الاشتراكى وعلى رأسهم علي صبري بتصفية حساباتهم معه.. وكان (السادات) يشاركه نفس الأفكار بخصوص الاتحاد الاشتراكى وعلي صبري.
- تشارك الإثنان فكرة تحييد أميركا واستمالتها.. وكراهية السوفيت واستبعادهم..

**سر العملية (عصفور)**

كما تحدث (هيكل) في أكثر من حلقة من برنامجه عن تفاصيل العملية **(عصفور)** التى أمر خلالها الرئيس (جمال عبد الناصر) بزرع أجهزة تنصت واستماع داخل مبنى السفارة الأميركية بالقاهرة في ديسمبر ١٩(٦٧) واستمرت العملية قائمة وناجحة تماماً حتى وفاة (عبد الناصر) وتولى (السادات) الحكم.

وقال (هيكل) أن هذه العملية تعد من أنجح وأخطر عمليات التجسس في تاريخ المخابرات في العالم ولا تعادلها في النجاح إلا العملية **(ألترا)** عندما نجحت مخابرات الحلفاء في حل الشفرة الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية مما جعل البريطانيين والأميركيين على علم كامل بكافة التحركات والخطط العسكرية والإستخباراتية الألمانية قبل حدوثها.

واضاف (هيكل):

كان حوالي عشرة أشخاص في مصر كلها ليس من بينهم (أنور (السادات))يعلمون بسر العملية.. وذلك بأوامر خاصة من الرئيس (عبد الناصر) ذاته.

ويؤكد أن كلاً من (علي صبري[1].. شعراوي جمعة. الفريق محمد فوزي.. سامي شرف)[2] رفضوا بعد وفاة الرئيس (عبد الناصر) أن يعرف الرئيس الجديد (أنور (السادات))بسر العملية "عصفور".. لعدم ثقتهم فيه.. ولأن بعض ما وصلهم عبر تلك العملية به ما يدين الرئيس (السادات).. ويستوجب محاكمته أمام اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي.

(هيكل) يعترف بجريمته

وقال (هيكل) أن العملية (عصفور) ظلت تسير بنجاح وظل تدفق المعلومات جارياً منذ ديسمبر ١٩(٦٧) حتى معرفة الرئيس (السادات) بسرها وكان ذلك قبيل أحداث مايو عام ١٩٧١ وكان هو - أي (هيكل) - من أطلع (السادات) على السر .. وعندها أفشى

---

(١) علي صبري (١٩١٧ - ٣ أغسطس ١٩٩١) سياسي مصري وأحد أبرز قيادات الصف الثاني في مجلس قيادة الثورة المصرية وأحد مؤسسي المخابرات العامة المصرية ومديرا لها منذ ١٩٥٦ إلى ١٣ مايو من سنة ١٩٥٧تولي رئاسة الوزراء عام ١٩٦٤ فكان أول رئيس وزراء في تاريخ مصر يحقق بنجاح تنفيذ الخطة الخماسية الوحيدة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية نجحت بنسبة ٢٠ ٪ كما قال سامي شرف.عين نائباً لرئيس الجمهورية ورئيساً للاتحاد الاشتراكي العربي من ١٩٦٥ حتى ١٩٦٧ وأصبح عضواً في اللجنة التنفيذية العليا.. ومساعداً لرئيس الجمهورية لشئون الدفاع الجوي.. ومسئول الاتصال بين القوات المسلحة المصرية والقيادة السوفيتية في كل ما يخص التسليح والتدريب والخبراء.. وعضو مجلس الدفاع الوطني الذي تشكل في نوفمبر ١٩٧٠ ويتعلق دوره ما يختص بقضيتي الحرب والسلام.. توفي علي صبري في ٣ أغسطس عام ١٩٩١.

(٢) سامي شرف هو أحد مؤسسي المخابرات العامة المصرية وسكرتير الرئيس عبد الناصر الشخصي للمعلومات التحق بالكلية الحربية عام ١٩٤٦ وتخرج منها في ١ فبراير عام ١٩٤٩ وتم تعيينه في سلاح المدفعية. بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو بأيام التحق بالمخابرات الحربية.. منذ بداية عمله بها وهو يعمل مع الرئيس جمال عبد الناصر الذي كان يكلفه بمهام خاصة حتى أواخر شهر مارس ١٩٥٥ قبل وفاة جمال عبد الناصر تم تعيينه وزيراً للدولة ثم وزيراً لشؤون رئاسة وفي أحداث ١٣ مايو ١٩٧١ تم اعتقاله وسجنه.. وبقي في السجن حتى يونيو ١٩٨٠ ثم تم نقله إلى سجن القصر العيني حتى ١٥ مايو ١٩٨١ حيث أفرج عنه هو وزملاؤه بدون أوامر كما يقول «وجدنا باب السجن مفتوحاً وقد اختفي الضباط والجنود.. فرحنا نتشاور فيما بيننا وأخيرا قررنا الخروج.. ووضعنا احتمالين.. إما أن نتعرض للاغتيال أو نذهب إلى بيوتنا.. وكان الاحتمال الثاني هو الصحيح.. فذهبنا إلى بيوتنا".

الرئيس (أنور (السادات))سر العملية لصديقه كمال أدهم[1] مدير المخابرات السعودية وصاحب العلاقات الوثيقة بوكالة المخابرات المركزية الأميركية والذي نقل المعلومة فور علمه بها للأميركيين مما أنهى العملية الناجحة وأغلق باب كنز المعلومات للأبد.

هكذا ببساطة يخبرنا الأستاذ (هيكل) أن معرفة الرئيس (السادات) بالعملية (عصفور) كانت من خلاله.. وأن إفشاء سرها تم بفضل الرئيس (السادات) وصديقه كمال أدهم رجل المخابرات المركزية الأميركية الأول في الشرق الأوسط الذي نقل له الرئيس (السادات) السر وهو يعلم حقيقته جيداً.. فقد كان صديقاً له منذ أوائل الستينيات وعلاقاته وثيقة للغاية به.. وهو ما يؤكد صدق مخاوف أقطاب مجموعة مايو من معرفة الرئيس (السادات) بسر خطير كهذا.

**البحث عن مبررات**

وإذا تحدثنا عن علاقة (هيكل) بأحداث مايو ١٩٧١ نتساءل:

لماذا وقف (هيكل) هذا الموقف مع (السادات)؟

هل حباً في الرجل.. وإيماناً بزعامته؟

أم كراهيةً في الآخرين.. وخوفاً من التفافهم حوله إن استقر لهم الحكم؟

وفي سياق بحث (هيكل) عن مبرر لتفسير انحيازه للسادات أثناء تلك الأحداث.. ودوره في ترتيب الانقلاب على الثورة لذا يضغط بشدة على الطبيعة القمعية لأقطاب معسكر التشدد وانحيازهم للسوفيت لكي يثبت خطأ توجهاتهم وصحة موقفه المستقل.؟

الغريب أن (هيكل) يقدم نفس المبررات لتفسير خلافاته مع (السادات) عقب حرب أكتوبر ١٩٧٣ على أساس اكتشافه انحياز (السادات) للأميركيين..

وبهذا يكون (هيكل) هو الشخص الوحيد المستقل الذي يمثل ضمير مصر في مجابهة معسكري الانحياز للسوفيت وللأميركيين.

ضد أقطاب مايو بانحيازهم للسوفيت..

ثم ضد (السادات) بانحياز للأميركان..

وكأن الأستاذ كان يخفي عليه سابق علاقة (السادات) بالمخابرات الأمريكية.. وتعاونه معها منذ قديم..

---

(١) كان كمال أدهم صهراً للملك فيصل.. وأصبح بعد ذلك رئيساً للمخابرات السعودية.. وكما ذكر هيكل وذكر إسماعيل فهمي في مذكراته أيضاً «التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط» ومصادر أخري عديدة.. فإن كمال أدهم كان علي علاقة وثيقة بالمخابرات المركزية الأمريكية.

## ١٥ مايو صراع الديمقراطية والديكتاتورية

يتباهى (هيكل) بأنه هو الذي اخترع حكاية أن الصراع على السلطة في مايو ١٩٧١ كان صراع بين الديمقراطية والديكتاتورية لكي يضفي مسحة شعبية على الرئيس (السادات).. ويبرر سر إلقاء كل قيادات البلد وأخلص المعاونين للرئيس (عبد الناصر) في السجون والمعتقلات.

بينما كان الرئيس (السادات) يريد أن يقول للشعب أنه ألقى القبض على رجال (عبد الناصر) لأنهم أرادوا منعه من لقاء وزير الخارجية الأميركي وليم روجرز.

## الحقيقة هي العكس

وهكذا فإن استخدام الأستاذ (هيكل) لتلك الحجة يجعله يناقض كتاباته السابقة.. والحقيقة التي لا يريد أن يعترف بها الأستاذ (هيكل) هي أن رجال الرئيس (عبد الناصر) هم الذين كانوا مع ديمقراطية القيادة وعدم انفراد الرئيس (السادات) بالحكم.

والصراع في الأساس كان يدور بين فريقين في السلطة..

- الفريق الأول يرى ضرورة الحفاظ على سياسات (عبد الناصر) داخلياً وخارجياً ويصر على الحل الشامل للصراع العربى الإسرائيلي..
- والفريق الثاني يرى أنه حان الوقت للتراجع عن سياسات (عبد الناصر) داخلياً وخارجياً ولا يصر على الحل الشامل للصراع العربي الإسرائيلي..

وللأسف الشديد انتصر الفريق الثاني الذي كان (هيكل) الرجل الثاني فيه بعد الرئيس (السادات).

## لماذا فشلت مجموعة مايو؟

أخفق أقطاب ما أصطلح على تسميته بمجموعة مايو ماعدا علي صبري الذي كان معزولاً عن مصادر القوة منذ إقالته من منصبه في ٢ مايو ١٩٧١ في التصدى لانقلاب (السادات) رغم تكشف نواياه لهم.. ولكنهم لم يشاركوا معه في الخطوات التى اتخذها فيما بعد لتفكيك الثورة.

لكن أستاذنا (هيكل) للأسف الشديد فعل كل ذلك في الفترة من ١٩٧٠ وحتى ١٩٧٤.. وزرع في رأس (السادات).. وأبواق الإعلام آنذاك أفكاراً من نوعية تحييد أميركا.. والمعركة المحدودة لتحريك الموقف.

وهنا يبلغ (هيكل) قمة التناقض عندما يقول فيما بعد أن أهم أسباب خلافه مع (السادات) هو إدارة (السادات) السياسية لحرب أكتوبر ٧٣ بالشكل الذي أهدر من خلاله تضحيات الرجال والأمة العربية كلها وسلمَ مصر للأميركيين.

الطريف أن اكتشاف الأستاذ (هيكل) لهذه الكارثة في يناير ١٩٧٤كان قد سبقه واكتشفه قبله بسنوات ومنذ أبريل ١٩٧١ خصمه اللدود السيد علي صبري.. والذي يصب الأستاذ (هيكل) عليه حمم غضبه في كل أحاديثه.. ونقرأ معا بعض فقرات من أقوال علي صبري كما جاءت في محادثات تليفونية مختلفة ضمتها تسجيلات قضية مايو.. وقبل قيام (السادات) بانقلابه.. وكانت بين علي صبري وشعراوى جمعة بين تاريخي ٢ أبريل و ٢ مايو ١٩٧١.

يقول علي صبري عن (السادات):

- بكره يسلم البلد للأميركان..
- (السادات) بيبيع البلد للأميركان.. وبيهد كل اللى بناه (عبد الناصر) في ٢٠ سنة..
- لن أتحمل المسئولية أمام التاريخ.. وأمام أولادى..
- إذا تم حكم الفرد في مصر وليس أى فرد بل أنور (السادات).. سوف يقوم بتصفية كل العناصر الكويسة في البلد.
- حايضربكوا الجزم.. وأنا ما أقبلش أنى أضرب بالجزمة.

والجميع الآن يجزم بأن أكثر أخطاء (هيكل) فداحةً كان تورطه في تحالفه مع الرئيس (السادات).

**حقيقة خلاف (هيكل) مع على صبري**

وقد اعترف (هيكل) بحقيقة وجود خلاف بينه وبين على صبري في ثنايا حلقات التجربة وفي معرض حديثه عن واقعة ضم الجامعة الأمريكية فقال:

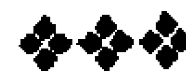
**يرجع دائماً لوثائقه**

رجعت لأوراقى في ذلك الوقت ووجدت معارك دارت بين أفكار مختلفة ومواقع تبدو متعارضة وهى في الأصل لم تكن متعارضة.. لكننى في ذلك الوقت وجدت نفسى في موقف متعارض تماماً مع (على صبرى) وأنا أعتقد في رجل بمثل ذكاء (على صبرى) وفي وطنيته بالطبع وفي دوره.. لأنه كان رئيس الوزراء والمسئول عن تنفيذ الخطة الأولى بالكامل.. وهى أكبر دليل تحقق في تاريخ مصر في التنمية.

وهنا كان هناك معسكر الثورة إلى آخر مدى وكان في المعسكر أن القضية وطنية أن أنواع الأشياء مختلفة..

**قضية الجامعة الأمريكية**

فرزت كل أوراقى سواء ما اكتبه بخطى أو أوراق لنماذج للقضايا.. التى كانت موجودة عندى.. فوجدت قضية الجامعة الأمريكية.. التى وضعت تحت الحراسة بعد الحرب وظهر رأى يتزعمه الدكتور لبيب شقير بتأييد (على صبرى) ينادى بضمها للجامعة المصرية.. ككلية من الكليات الجامعة.. وأنا وغيرى كنا نقف في هذا الموضوع لأن موضوع الجامعة الأمريكية في القاهرة وفي بيروت.. وكنت أعرف أساس التبشير الموجود بهم.. وعلى كل الأحوال هذه المؤسسات قامت بدور تعليمى ينبغى المحافظة عليه.. فالحفاظ على الجامعة الأمريكية في ذلك الوقت مسألة لها قيمة الحمد لله أنه ما بين التيارات المتعارضة (جمال عبد الناصر) لأنه لديه القرار..وهو الذي يقود المعركة.. كلنا كنا نحتكم إليه وأظنه في هذه الفترة من حوار أو صدام الداخل أو خلاف التيارات وحركتها في الداخل أظن أنها من أحسن أدواره في اعتقادى.. فكم من المرات كان حاسماً.. واعتقد أننا لجأنا إليه كثيراً لوقف تجاوزات وجدناها قد تكون على خطأ أو على صواب أنا في ذلك الوقت رجوته في ضم صوته لأناس كثيرين لوقف ضم الجامعة الأمريكية.



٨

## هيكل.. ورجال الثورة!!

في سلسلة حلقاته والتى اختار لها عنوان (الطريق إلى أكتوبر) وتناول فيها الفترة التى أعقبت هزيمة ١٩(٦٧) نلاحظ تركيز (هيكل) الشديد على الصراعات داخل النظام السياسى المصرى في السنوات الأخيرة من حكم الرئيس (جمال عبد الناصر).. وإصراره على تقسيم رجال الرئيس (عبد الناصر) إلى معسكرين:

- معسكر يدعو إلى الحرية ورفع القيود وتخفيف قبضة النظام الأمنية وتحييد الولايات المتحدة الأميركية على رأسه هو نفسه.. ومعه (السادات).
- ومعسكر آخر يدعو إلى التشدد والثورة الشاملة.. وعدم المهادنة مع أعداء الثورة في الداخل والخارج.. وتوثيق العلاقات مع السوفيت.. وهذا الفريق كان على رأسه علي صبري.. وشعراوى جمعة.. وسامي شرف.

ويستطرد (هيكل) في تلك الحلقات لتبيان كيفية تصديه لمخططات معسكر التشدد وذلك عبر تأثيره على أفكار وقرارات الرئيس (جمال عبد الناصر).

**أخطاء متعمدة**

كما أن المتابع للحلقات سيلاحظ أخطاءاً عديدة في تواريخ الوقائع.. وأسماء الشخصيات.. لأنه هنا يبرر مواقفه.. ولا يؤرخ للأحداث كما حدثت بالفعل.

**تنظيم القضاء**

فمثلاً موضوع تنظيم القضاء واعتقال الدكتور جمال العطيفي[1] الذي تم اعتقاله في يناير ١٩٦٩ وأُفرِجَ عنه بعد بضعة أيام.. بينما تم تشكيل لجان تنظيم القضاء في أواخر يوليو ١٩٦٩ وكانتا لجنتان في بادئ الأمر إلى أن اقنع (هيكل) الرئيس (عبد الناصر) بأن يرأس (السادات) لجنة موحدة وأن ينضم الدكتور جمال العطيفي لها.. وفعلاً تم ضم اللجنتين.. وانضم العطيفي للجنة الموحدة.. ولم يصطدم مع أعضائها إطلاقاً.

وبخصوص انتخابات اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي فقد حصل علي صبري على أعلى نسبة من الأصوات بلغت ١٣٤ صوت.. بينما حصل (السادات) على ١١٨ صوت.. وجاء ترتيبه الرابع في عدد الأصوات.

وعندما سأل الرئيس (عبد الناصر) شعراوي جمعه[2] عن سر تراجع أصوات المؤيدين للسادات قال شعراوي جمعه للرئيس:

- لقد فعلنا المستحيل مع الأعضاء حتى يصل (السادات) لتلك النسبة.

وكان رد الرئيس (عبد الناصر): طيب لو كنتم ما عملتوش المستحيل كان جرى إيه؟..

وضحك الرئيس (عبد الناصر).. وركب سيارته مغادراً مبنى الاتحاد الاشتراكي وبجواره كان يجلس (السادات) الذي كان يستمع صامتاً لهذا الحوار.

---

(١) الدكتور جمال العطيفي وزير إعلام مصري سابق.. ينتمى لعائلة الأشراف بمركز أبوتيج.. حصل على دكتوراه في علوم القانون.. توفي عام ١٩٨٣..

(٢) شعراوي جمعه شغل منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية في عهد عبد الناصر.. لم يكن من بين الضباط الأحرار.. مقرر اللجنة التنفيذية العليا والمسئول عن التنظيم الطليعي.. عمل نائب مدير المخابرات العامة ١٩٥٧ - ١٩٦١.. محافظ السويس ١٩٦١ - ١٩٦٤.. أمين عام الاتحاد الاشتراكي ١٩٦٩. أنشأ مدرسة أمناء الشرطة عام ١٩٦٧حوكم عليه عام ١٩٧١ في ثورة التصحيح .

## (هيكل).. والفريق فوزي

وبخصوص الفريق محمد فوزي[1] سوف نلاحظ في قراءتنا لحلقات التجربة إصرار (هيكل) على تهميش دور فوزي لصالح التركيز على دور الفريق الشهيد عبد المنعم رياض[2] الذي لا يستطيع أحدٌ أن ينكر دوره في التخطيط وإعادة البناء للقوات المسلحة

---

(١) الفريق أول محمد فوزي قائد الجيش المصري ومهندس حرب الاستنزاف ١٩٦٧-١٩٧٣وُلد عام ١٩١٥م بمحافظة المنوفية في مصر.. وهو من أصول شركسية كان والده ضابطاً كبيراً في الجيش المصري ومديرا لسلاح المدفعية وكان جده ياوراللخديوي حاكم مصر.. تدرّج في الرتب العسكرية في القوات المسلحة المصرية وعمل فترة طويلة كبيرا للمعلمين بالكلية الحربية المصرية ثم اصبح مديرا للكلية.. كان رئيساً للأركان في الجيش المصري أثناء حرب يونيو ١٩٦٧تولّى قيادة الجيش المصري خلفاً للمشير عبد الحكيم عامر القائد العام للجيش المصري بعد النكسة..حيث عينه الرئيس جمال عبد الناصر قائدا أعلى للجيش المصري ثم عينه وزيرا للحربية عام ١٩٦٨ ويعزى إليه الفضل في إعادة تنظيم صفوف الجيش المصري بعد النكسة وبناء حائط الصواريخ المصرية ضد إسرائيل والذي استُعمل بكفاءة في ايقاع خسائر جسيمة في صفوف العدو الإسرائيلي في الحرب التي سُمّيت بحرب الاستنزاف في الفترة ١٩٦٧م-١٩٧٣ عُزل الفريق أول محمد فوزي عن منصبه بعد وصول الرئيس السادات للحكم خلفاً للرئيس جمال عبد الناصر ثم جرى اعتقاله مع عدد كبير من كبار المسؤولين السابقين في عهد الرئيس جمال عبد الناصر بتهمة التآمر ضد السادات فيما عُرف بانقلاب مايو ١٩٧١ وتمّت محاكمته أمام محكمة عسكرية ورغم أن الرئيس السادات كان قد أصدر قراراً بإعدامه إلا أنّ المحكمة العسكرية رفضت الحكم عليه بالإعدام على أساس أن قائد الجيش لا يُعدم إلا بتهمة الخيانة العظمى أوالاتصال بالعدو أثناء الحرب وقد تم إطلاق سراحه بعد فترة.. كان منضبطاً إلى حد كبير .. وكان دائماً محل التقدير والاحترام من الجميع.. توفي يوم السادس عشر من فبراير سنة ٢٠٠٠ .

(٢) الفريق أول عبد المنعم رياض واحداً من أشهر العسكريين المصريين في النصف الثاني من القرن العشرين .شارك في الحرب العالمية الثانية ضد الألمان والطاليان بين عامى ١٩٤١ و ١٩٤٢ وشارك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ والعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ونكسة ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف.. ولد الفريق محمد عبد المنعم محمد رياض عبد الله في قرية سبرباى بمحافظة الغربية في ٢٢ اكتوبر ١٩١٩ونزحت أسرته إلى الفيوم.. وكان والده القائم مقام (العقيد) محمد رياض عبد الله قائد بلوكات الطلبة بالكلية الحربية وتخرج على يديه كثيرون من قادة المؤسسة العسكرية.. التحق في البداية بكلية الطب بناء على رغبة أسرته.. ولكنه بعد عامين فضل الالتحاق بالكلية الحربية التي كان متعلقا بها..ونال شهادة الماجستير في العلوم العسكرية عام ١٩٤٤ وكان ترتيبه الأول.. في عام ١٩٤١ عين بعد تخرجه في سلاح المدفعية.. والحق بإحدى البطاريات المضادة للطائرات في المنطقة الغربية .حيث اشترك في الحرب العالمية الثانية ضد المانيا وإيطاليا.. رقي في عام ١٩٦٦ إلى رتبة فريق.. وأتم في السنة نفسها دراسته بأكاديمية ناصر العسكرية العليا.. وحصل على زمالة كلية الحرب العليا.. وحينما اندلعت حرب ١٩٦٧ عين الفريق عبد المنعم رياض قائداً عاماً للجبهة الأردنية.. وفي ١١ يونيو ١٩٦٧ اختير رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة المصرية فبدأ مع وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة الجديد الفريق أول محمد فوزي إعادة بنائها وتنظيمها.. وفي عام ١٩٦٨ عين أميناً عاماً مساعداً لجامعة الدول العربية.. حقق عبد المنعم رياض انتصارات عسكرية في المعارك التي خاضتها القوات المسلحة المصرية خلال حرب الاستنزاف مثل معركة رأس العش التي منعت فيها قوة صغيرة من المشاة سيطرة القوات الإسرائيلية على مدينة بورفؤاد المصرية الواقعة على قناة السويس وذلك في آخر يونيو ١٩٦٧.. وتدمير المدمرة الإسرائيلية إيلات في ٢١ اكتوبر ١٩٦٧ وإسقاط بعض الطائرات الحربية الإسرائيلية خلال عامي ١٩٦٧ و

المصرية بعد النكسة.. ويكفي الفريق رياض ويغنيه وضعه للخطة (جرانيت) التى تم تنفيذ الجزء الأول منها بتعديلات الفريق الشاذلى يوم العبور.. كما أن استشهاده البطولى كرس صورته كرمز خالد للعسكرية المصرية والعربية.. ولكن هذا لا ينفي دور وجهد الفريق محمد فوزى في عملية إعادة البناء والتخطيط للتحرير.. ولكن نلاحظ أن (هيكل) لم يستطع تجاوز خلافاته الشخصية مع الفريق فوزى والتى حدثت عندما كتب الأستاذ (هيكل) مقاله الشهير (تحية للرجال) وجاء فيه أنه يستحيل عبور القناة إلا بقنبلة ذرية.

وقد أثار هذا المقال العديد من ردود الأفعال الغاضبة بين صفوف الجيش المصري لنبرة كاتبه الإنهزامية في وقت كانت معنويات الجنود وتفاءلهم بدخول المعركة على أشدها.. فماذا قال (هيكل) في هذا المقال.. لنقرأه.. لنتبين أكثر حقيقة الموقف:

---

١٩٦٨ وتنبأ الفريق عبد المنعم رياض بحرب العراق وأمريكا حيث قال ان بترول أمريكا سوف يبدأ في النفاذ وستتطوق الي بترول العراق خلال ٣٠ عام تقريبا.. أشرف على وضع الخطة المصرية لتدمير خط بارليف.. خلال حرب الاستنزاف.. ورأى أن يشرف على تنفيذها بنفسه وتحدد يوم السبت ٨ مارس ١٩٦٩م موعداً لبدء تنفيذ الخطة.. وفي التوقيت المحدد انطلقت نيران المصريين على طول خط الجبهة لتكبد الإسرائيليين أكبر قدر من الخسائر في ساعات قليلة وتدمير جزء من مواقع خط بارليف وإسكات بعض مواقع مدفعيته في أعنف اشتباك شهدته الجبهة قبل معارك ١٩٧٣ في صبيحة اليوم التالي (الأحد ٩ مارس ١٩٦٩) قرر عبد المنعم رياض أن يتوجه بنفسه إلى الجبهة ليرى عن كثب نتائج المعركة ويشارك جنوده في مواجهة الموقف.. وقرر أن يزور أكثر المواقع تقدماً التي لم تكن تبعد عن مرمى النيران الإسرائيلية سوى ٢٥٠ متراً.. ووقع اختياره على الموقع رقم ٦ وكان أول موقع يفتح نيرانه بتركيز شديد على دشم العدو في اليوم السابق.. وشهد هذا الموقع الدقائق الأخيرة في حياة الفريق عبد المنعم رياض.. حيث انهالت نيران العدو فجأة على المنطقة التي كان يقف فيها وسط جنوده واستمرت المعركة التي كان يقودها الفريق عبد المنعم بنفسه حوالي ساعة ونصف الساعة إلى أن انفجرت إحدى طلقات المدفعية بالقرب من الحفرة التي كان يقود منها المعركة ونتيجة للشظايا القاتلة وتفريغ الهواء توفي عبد المنعم رياض بعد ٣٢ عاما قضاها عاملاً في الجيش مُتأثرا بجراحه. وقد نعاه الرئيس جمال عبد الناصر ومنحه رتبة الفريق أول ونجمة الشرف العسكرية التي تعتبر أكبر وسام عسكري في مصر.. واعتبر يوم ٩ مارس من كل عام هو يومه تخليداً لذكراه كما أطلق اسمه على أحد الميادين الشهيرة بوسط القاهرة وأحد شوارع المهندسين (وأكبر شارع ببلبيس سمى باسمه).

# تحية للرجال

## بقلم: (محمد حسنين هيكل)

◆◆◆

لقد كان لابد اليوم من وقفة بالتحية أمام الرجال الذين قد يضع التاريخ في أيديهم ومع أى لحظة.. مسئولية وواجب القتال من أجل التحرير.

وبعد هذه الوقفة.. نعود في الأسبوع القادم — بإذن الله - إلى بقية حديث متصل عن "تأملات حول الصراع الكبير" لابد لى اليوم من وقفة بالتحية.. أمام هؤلاء الذين يحملون الآن أغلى أمانة في تاريخ مصر.

هؤلاء الذين صدرت إليهم الأوامر ليكونوا على استعداد دائم.. يصل الليل بالنهار.. والنهار بالليل.. تحسباً للحظة قد تجيء في أى وقت.

هؤلاء الذين سوف ينطلقون مع عواصف النار والدخان والرعود الداوية والبراكين الهادرة على الأرض والصواعق الطائرة في السماء.

هؤلاء العاملون في صمت.. المقتحمون في جسارة.. المضحون في جلال.. الزاحفون.. برغم كل شيء.. إلى هدف يتحتم بلوغه لأن أمن مصر وقدر مصر ومستقبل مصر معلقٌ به.

وأمن مصر وقدرها ومستقبلها.. هى نفسها.. أمن وقدر ومستقبل أمة بأسرها تعيش نقطة فاصلة في تاريخها.

هؤلاء الرجال على جبهة القتال المصرية لا تكفي لتحيتهم اليوم عيون القصائد من دواوين الحماسة.. ولا تنصفهم منابر الخطابة مهما اهتزت وارتجت عاطفةً وانفعالاً.

شيء واحد قد يكفي في ظنى وقد يفي.. وهو أن يكون شعبهم وأن تكون أمتهم على علم وبينة بالصورة العامة التى سوف يمارسون فيها دورهم الوطنى والقومى.. ذلك أنه بالقياس إلى حجم المهمة وظروفها.. تبدو قيمة الجهد وتكاليفه.

وهذا ما أحاوله في هذا الحديث.. وبالقدر الذي تسمح به متطلبات الأمان وهذه لها أولوية لا يسبقها اعتبار آخر.

**أولاً:**

إن القوات المسلحة المصرية تواجه معركة من أصعب معارك التاريخ.. وليست هذه صيغة مبالغة.. وإنما هى وصف حقيقة.

وعلينا أن نتمثل أمامنا طبيعة الأرض التى قد يجد الجيش المصرى نفسه أمامها.. ثم ما أقامه العدو من مواقع على هذه الأرض استغلالاً لطبيعتها..إذا فعلنا ذلك فسوف نجد معالم الصورة تطالعنا على النحو التالى:

- مانع مائى خطير هو قناة السويس.
- كثبان رملية على شاطئها الشرقى مباشرة تجمعت وتراكمت بالظروف الطبيعية.. ثم أضافت إليها عمليات التطهير المستمرة في قناة السويس.. وكانت دائماً تلقى بقاياها فوق الناحية الأخرى.. وعلى هذه الكثبان أقام العدو خطه الدفاعى الأمامى على حافة الماء مباشرةً.
- منطقة رمال مفتوحة بعد ذلك ولكنها محاصرة بين شاطئ القناة.. وبين بداية المرتفعات نحو منطقة المضايق الحاكمة في سيناء والتى لا تبعد عن القناة نفسها بأكثر من ثلاثين كيلو متراً.
- منطقة المضايق نفسها وهى طبيعة صخرية شديدة الوعورة وعليها أقام العدو خط دفاعه الثانى.
- الصحراء المكشوفة حول منطقة المضايق وما وراءها بما تقدمه من فرص لعدو يعتمد كثيراً على الطيران.

هذه هى طبيعة الصورة التى يجب أن نتمثلها تماماً ونتفهم تفاصيلها لأن ذلك سوف يتحدث عن الجهد البطولى لرجالنا بأكثر مما تتحدث عنه الكلمات حتى إذا كنا ننحت هذه الكلمات من صميم القلوب.

تبقى الطبيعة أبلغ دائماً من كل الأوصاف.

نلقى نظرات أكثر تأنياً على أهم هذه المعالم التى صنعتها الطبيعة أو أقامها العدو استغلالاً لهذه الطبيعة... وبالذات قناة السويس والشاطئ الآخر.

**<u>قناة السويس.</u>**

١. مجرى مائى بعرض مائتى متر وبعمق أحد عشر متراً يمتد على خط مستقيم بين بحر وبحر.. لا يتعرج مجراه ولا يدور.. لا يرتفع منسوب الماء في مكان منه أو ينخفض في مكان آخر.. وإنما مستوى واحد على طول الخط الذي رسم وشق وسط الصحراء.. وليس هناك فوق هذا المجرى جسر أو معبر واحد.

٢. ومن هنا فإن ثُقاة العسكريين في الغرب وفي الشرق يعتبرون مجرى قناة السويس واحداً من أهم الخطوط الدفاعية الطبيعية في العالم من حيث كونه مانعاً ضخماً أمام المدافع عائقاً ضخماً بنفس المقدار أمام المهاجم.

**الشاطئ الآخر**

١. على حافة الماء مباشرةً وعلى الكثبان الرملية أو تحتها بمعنى أصح أقام العدو خط دفاعه الأول تعزيزاً لدور المانع الطبيعي وهو قناة السويس.
٢. كان العدو قد بنى على هذا الشاطئ ما عرف في مرحلة سابقة باسم خط بارليف.. وشلت المدفعية المصرية هذا الخط.. وفككت تماسكه.. ولكن العدو أعاد بناء هذا الخط في الشهور الأخيرة وعلى صورة مغايرة تماماً للخط القديم.

وتقول تقديرات مراكز الدراسات العسكرية في عواصم الغرب أن إسرائيل صرفت على إعادة بناء هذا الخط خلال الشهور الستة الماضية مبلغاً يزيد على مائتى مليون جنيه إسرائيلى "أى حوالي ثلاثين مليون جنيه إسترلينى" وكان السبب فيما يقدر خبراء هذه المراكز هو أن إسرائيل بعد إتمام بناء شبكة الصواريخ المصرية غيرت تخطيطها للمعركة القادمة.

- قبل عدة شهور كان تخطيطها أن تحارب معركتها ضد أى عملية عبور مصرية في منطقة الرمال المحصورة بين كثبان شاطئ القناة الشرقى وبين صخور الممرات.
- كانت مهمة خط بارليف في تلك المرحلة هى تعويق أى عبور مصرى.
- أما الطيران الإسرائيلى فكانت عليه مهمة التصدى لقوات العبور المصرية أثناء تقدمها بعد ذلك لمحاولة ضربها.
- وبعد إتمام بناء شبكة الصواريخ المصرية غيرت إسرائيل تخطيطها وأصبح قرارها - فيما يقدره خبراء المراكز العسكرية في الغرب- أن تكون المعركة الكبرى ضد قوات العبور المصرية على حافة الماء مباشرة بواسطة التحصينات وبواسطة المدرعات وراء هذه التحصينات.

ومن هنا أعيد بناء خط بارليف وفق التصور الجديد للمعركة.. ومعنى ذلك أن الجيش المصرى في تقدمه سوف يواجه ما لم يواجهه جيش من قبل.. وأظنها سوف تكون - فيما أذكر - أول مرة في تاريخ الحروب يواجه أى جيش أمامه:

- مانعاً أو عائقاً طبيعياً صعباً مثل قناة السويس.
- ثم خطاً دفاعياً أقيم على حافتها مباشرةً وهو خط بارليف في وضعه الجديد.

من قبل واجهت الجيوش المتحاربة في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية عوائق مائية.. نهر "الفولجا" في الشرق أو "الراين" في الغرب مثلاً — ولكن هذه الأنهار الطبيعية لا تشابه.. ولا تقارب قناة السويس عمقاً.. أو عرضاً.. أو مجرى.

ومن قبل واجهت نفس الجيوش المتحاربة في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية خطوطاً دفاعية حصينة.. خط "ماجينو" الذي أقامته فرنسا أو خط "سيجفريد" الذي أقامته ألمانيا مثلاً.. ولكن هذه الخطوط الحصينة لم تكن قابعة على حافة مانع مائى خصوصاً إذا كان هذا المانع هو قناة السويس.

إذا ألقينا بعد ذلك نظرة على منطقة الرمال المفتوحة فيما يلى الكثبان الرملية المطلة على حافة قناة السويس.. فإن هذه الأرض المحصورة - بين كثبان الرمال وبين مرتفعات منطقة المضايق - هى الأرض التى كان العدو في مرحلة سابقة من تخطيطه يريدها مسرحاً أساسياً لعربدة طيرانه ضد قوات أى عبور مصرى.

وبعد إتمام تركيب شبكة الصواريخ المصرية غير العدو تخطيطه لأن مدى هذه الصواريخ يمكن أن يغطى هذه المنطقة ويجعل عمل الطيران فوقها محفوفاً بالمخاطر.

وهكذا في التخطيط الجديد - فيما تقول مراكز الأبحاث في الغرب- نقل العدو مسئولية العمل في هذه المنطقة من الطيران إلى المدرعات.. وأصبح قراره أن يوجه الصدمة الأولى ضد قوات العبور المصرية من خط التحصينات على حافة القناة.. لكى تكون هذه التحصينات طبقاً للتصور الإسرائيلى بمثابة مصفاة.

وما ينفد من المصفاة تتلقاه قوات المدرعات في المنقطة المفتوحة المحصورة بين كثبان الرمال وبين بداية المرتفعات نحو المضايق.

والمضايق بعد ذلك هى خط الدفاع الثابت الثانى بعد الخط الأول المرتكز على حافة القناة.

ومنطقة المضايق سلاسل جبال تتشابك وتدور حول بعضها وهى في تقدير كل المهتمين بدراسة سيناء ـ المفتاح الرئيسى للسيطرة على هذه الصحراء المقدسة ـ وكانت منطقة المضايق هى هدف عملية الإنزال المشهورة في ممر ميتلا سنة ١٩٥٦ وكان الإنزال فيها ثنائى الهدف.

احتلالها ومنع الكتائب المصرية القليلة في سيناء وقتئذ من التمركز فيها لوقفة دفاعية تصد الجيش الإسرائيلى عن الوصول إلى قناة السويس.

ثم إن احتلالها إذا تم بعملية إنزال سريعة تعطى الإسرائيليين فرصة ليعلنوا أن قواتهم وصلت إلى بعد خمسة وثلاثين كيلو متراً من قناة السويس.. وكانت هذه هى الإشارة المتفق عليها لتتم المؤامرة الثلاثية.. ويعلن إيدن رئيس وزراء بريطانيا - ومولية - رئيس وزراء فرنسا - أن بلادهما سوف تضطر إلى التدخل لفصل المتحاربين حول القناة ولحماية هذا الممر الهام للملاحة العالمية.

وأما الصحراء المكشوفة من حول منطقة المضايق وما وراءها فليست عليها موانع طبيعية حتى بلوغها خط الحدود المصرية الدولى تقريباً.

وفي هذا الاتساع الصحراوى الشاسع والمفتوح فإن إسرائيل تعتمد على المناورة بالمدرعات وعلى تركيز الطيران.

هكذا فإن خطة الدفاع الإسرائيلى أصبحت تعتمد على خطين ثابتين:

الأول - القناة وخط بارليف..

والآخر - جبال المضايق.

كذلك فإنها تعتمد على منطقتين مكشوفتين لعمل المدرعات والطيران:

- أولاهما المنطقة المحصورة ما بين كثبان الشاطئ الشرقى إلى المضايق..
- والأخرى الصحراء المفتوحة من حول المضايق وما يليها.

هذه لمحات سريعة كأنها جوانب مشهد يلتقطه البصر في طرفة عين ويمضى بعده بسرعة إلى بقية مشاهد الصورة العامة التى سوف يمارس فيها الجيش المصرى دوره الوطنى والقومى.

**ثانياً:**

إن الجيش المصرى سوف يواجه المعركة وحده.

سوف تصدر بيانات تعلن عن رفع درجة الاستعداد في جيوش عربية أخرى.. وسوف تنطلق إعلانات تذيع أن قوات هذا البلد أو ذاك على استعداد للتوجه إلى ميدان القتال.

ولكن من سوء الحظ أن المعارك لا تُخاض بالبيانات والإعلانات.

ومن سوء الحظ أكثر أن هذه البيانات والإعلانات لا تساعد الجيش المصرى بقدر ما تساعد عدوه.

وللعقيد معمر القذافي في هذا التقليد العربى رأى نافذ ولعله رأى جارح يقول فيه:

- لماذا ندعى بعكس الحقيقة... لماذا لا نقول برجولة أن الجيش المصرى وحده في الميدان؟

المشكلة أننا حين نغالط وندعى بوجود غيره فإن كل ما نفعله هو أننا نوحى للعالم أن إسرائيل محاصرة بعدة جيوش وأن دولاً عديدة تكالبت عليها وبالتالى فإننا نفتح لها الباب لكى تشد غيرها معها في المعركة.

يبقى الجيش المصرى أمامها وحده.. وتستغل هى الأوهام التى نطلقها نحن فتجئ بغيرها يساعدونها بالطريق المباشر أو غير المباشر على أساس خرافة أن الأعداء أطبقوا عليها من كل جانب.

لماذا لا نقول الحقيقة ولو مرة واحدة.

ونقولها ولو حتى بالسكوت ما دمنا لا نملك غيره؟

**ثالثاً:**

إن الجيش المصرى سوف يواجه الجيش الإسرائيلى بأكمله.. وكل المعلومات - مرة أخرى لدى مراكز الدراسات العسكرية في الغرب.. وفيها الثقاة والخبراء - تشير إلى أن ذلك هو المعنى.. الذي يمكن استخلاصه من توزيع القوات الإسرائيلية على الجبهات العربية.

- الجبهة الأردنية ليس عليها غير قوات الأمن الداخلى في إسرائيل.
- الجبهة السورية ليس عليها حتى هذه اللحظات غير لواء واحد.

والجبهة المصرية أمامها الآن في سيناء - غير ما يمكن دفعه بسرعة فائقة من القوات الاحتياطية - ما يلى:

- فرقتان من المشاة الميكانيكية (٣٥ ألف جندى).
- فرقة مدرعة أربعمائة دبابة بأطقمها.
- لواء قوات كوماندوز محمول جواً بالهليكوبتر (٧٠) طائرة هليكوبتر وثلاثة آلاف من قوات المظليين.
- مائة قاذفة ومقاتلة في مطارات سيناء القريبة.
- ما بين ثمانمائة إلى ألف مدفع ثقيل.

هذا غير قوات خط التحصينات القابع على حافة الماء مباشرةً وحقول ألغامه.. ونطاقات أسلاكه الشائكة.. وأسلحته.. وما زود هذا الخط نفسه به من المخترعات وحيل الخداع والتمويه.

وهذا أيضاً غير ما تستطيع إسرائيل دفعه بسرعة إلى مسرح العمليات المصرى في حالة اتساع مدى القتال واضطرارها إلى التعبئة الجزئية أو العامة.

وفي هذه الحالة فإن الجبهة المصرية سوف يكون عليها أن تتحمل طاقة ثلاث فرق مدرعة [١٣٠٠ دبابة] وخمس فرق من المشاة الميكانيكية.. وقوة السلاح الجوى الإسرائيلى كلها.. أى حوالى ٦٠٠ طائرة بينها الفانتوم وسكاى هوك والميراج وغيرها.

رابعاً:

أن الجيش المصرى سوف يقوم بما يتحتم عليه أن يقوم به.. ويواجه ما يتحتم عليه أن يواجهه بعد قرابة أربع سنوات حافلة.

- كان عليه في بدايتها أن يتحمل خطايا هزيمة لم يكن الذنب فيها على المقاتلين.. وتلك مسألة سوف يدور فيها بعد المعركة بحث طويل يضع الحق في مكانه.. ويكتب التاريخ كما ينبغى أن يكتب إنصافاً وانتصافاً.
- كان عليه أن يتحمل بعد ذلك استفزازات لا قبل لمقاتل شريف بتحملها ولكنه تقبلها بمنطق الكاظمين الغيظ انتظاراً للحظة يستطيع فيها أن يرد على النار بالنار.

ولكى يصحح تصوراً شاع.. جعل عدوه أسطورة وجعل منه هو عبرة.. والتصور بشقيه على غير أساس فلا عدوه يستحق أن يكون أسطورة ولا هو يستحق أن يكون عبرة !

وكان عليه فيما تلا ذلك أن ينصرف لعملية إعادة بناء نفسه واستيعاب سلاحه واستعادة الثقة في المثل الأعلى.

وكانت عملية إعادة البناء واستيعاب السلاح واستعادة الثقة.. في أصعب الظروف الطبيعية والإنسانية.. من تحمل قسوة الصحراء إلى تحمل سيطرة العدو الجوية على السماء.

وفي هذه الفترة واجه تجربة بالغة القسوة نفسها عليه.. تلك هى أن العدو راح يتجنبه وينفذ من فجوات بعيدة إلى عمق مصر.. يحاول منها أن يطول المرافق الحيوية أو يتجاوز ذلك إلى الإغارة على أهداف مدنية يقتل فيها الرجال والنساء والأطفال في المصانع وفي المزارع وفي المدارس.

وتوقفت قسوة التجربة النفسية.. تفسح الطريق لتجربة أخرى.

تحول العدو من غارات العمق وراء الجبهة وصب جنونه كله على شريط رفيع من الأرض بمحاذاة الشاطئ الغربى لقناة السويس.. وبعرض ثلاثين كيلو متراً بعد ذلك عمقاً.

على هذا الشريط المحدد وهو ركيزة الخط الأمامى من الجبهة المصرية كان متوسط غارات العدو اليومية ١٥٠ غارة.. وكان معدل القصف متوسطه ١٢٠٠ طن متفجرات كل يوم.. ولأكثر من مائة يوم متواصلة.

وكانت طاقة التحمل المصرى مجيدة حتى استطاعت طلائع شبكة الصواريخ أن تأتى بأسبوع "تساقط الطائرات" المشهور وهو الأسبوع الأول من يوليو ١٩٧٠.

ثم وجد نفسه مدعواً بالتطورات أن ينتقل من عصر إلى عصر في الحروب.. من عصر الحروب التقليدية إلى عصر الحرب بالإلكترونات.. ومن عصر الرؤية النهارية بالنظارات المكبرة إلى عصر الرؤية الليلية بالأشعة تحت الحمراء.

وفجأة - والدنيا هائجة مائجة - رحل قائده الأعلى.

إن الدنيا اهتزت كلها لرحيل (جمال عبد الناصر).. ولكن ما من مكان كان وقع الصدمة فيه مروعاً كما كان في الجبهة.

كانت الصلة بين (عبد الناصر) والمقاتلين صلة من نوع خاص.

كان المقاتلون يعرفون أن الرجل الذي يمسك في يده بزمام المعركة قادر على تحريك عوالم بأكملها وذلك عن طريق مكانته وشخصيته التاريخية التى تملأ منطقة الشرق الأوسط بأسرها وتؤثر منها على العالم.

كانت هناك هالة ثقة - صنعتها التجارب - تحيط به في كل وقت.. كان بشكلٍ ما رجل الأوقات العصيبة.. وكان رجل المعجزة في زمان بعد عهده بالمعجزات.

لكن فترة الانتقال - من المعركة بوجود (عبد الناصر).. إلى المعركة على طريق (عبد الناصر)- مرت بأمان.

وكان مطالباً في النهاية بأن ينتظر السياسة تحل الأزمة - بالسلم - إذا لاح للسلم طريق.

أو تصدر إليه الأمر بالقتال.. إذا استحال طريق السلم.. وتكون على الأقل قد مهدت له الأجواء كي يؤدي مسئوليته في أكثر الظروف السياسية ملاءمةً لإنجاح مهمته.. ومع المراعاة الكاملة لإطار التوازن الدولى الراهن وهو إطار لا يستطيع أحد أن يتجاوزه بسهولةٍ أو بيسر.

خامساً:

وطول الطريق ومنذ البداية وإلى النهاية فإن الجيش المصرى كان يراوده إحساس أصيل بالانتماء إلى شعبه.. وكان شعوره عميقاً بمدى التضحيات التى قدمها هذا الشعب حتى من قوت يومه لكى يوفر للجيش كل ما هو ضرورى.

وكانت القوات تتشوق مرات كثيرة إلى خوض المعركة ولو قبل تمام الاستعداد لها لكى تختصر بعض العبء على الشعب.. وكانت في ذلك على استعداد لأن تدفع الفارق من تضحيات بالدم إذا دعا الأمر.

وذلك شعور لا يستطيع أن يحس به غير الذين يستطيعون أحياناً أن يلمسوا نبض المقاتلين ويتسمعوا بشفافية العاطفة على دقاته وخفقاته.

وتلك ميزة من ميزات جيش الشعب يختلف بها عن غيره فهو ليس جيش حزب.. ولا حزب جيش.. كما أنه ليس أداة قمع لسلطان.. أو طبقة فوق الطبقات.

وخلال الأيام الأخيرة.. ومنذ أعلن (أنور (السادات)) في خطابه إلى الأمة يوم الأحد ٧ مارس "أنه قد جاءت اللحظة التى يتحتم فيها على كل مصرى أن يقف ليؤدى واجبه" فإن أمة بأسرها كانت تحاول من بعيد أن تصغى لأحاديث الجنود.. وكانت الأصداء

من هناك حماسة صافية.. حماسة الشجاعة المبرأة من كل أثر للمزايدة التى شوهت مع الأسف وجه النضال العربى المعاصر.. هناك لم تكن حماستهم مزايدة.. إنهم هناك على خط النار.. لا يزايدون.. لأنهم هناك على خط النار.

هنا انتهى مقال (هيكل) الذي نُشر بجريدة الأهرام في مارس من عام ١٩٧١ فماذا عن ردود أفعاله؟

اعتبر جميع الكتاب والصحفيين أن هذا المقال تعجيزياً للشعب و للجيش على السواء.. لدرجة أن أحدهم رد عليه بقسوة في مقالٍ آخر حمل اسم "**تحية (هيكل) مردودة إليه** " لمح فيها كاتب المقال بأن (هيكل) عميلاً للمخابرات الأمريكية.. ويثبط عزم الرجال علي جبهة القتال.. وتباري الجميع وخاصة كتاب مجلة الطليعة في الرد علي المقال الذي أعتبر في حينه حدثا سياسيا بارزاً.

ونلاحظ أن توقيت كتابة ونشر هذا المقال كان يسبق أحداث مايو ١٩٧١ و قيام (السادات) بما سماه "ثورة التصحيح"

### سيبوا لى (هيكل).. أنا هتصرف معاه

كما حدثت ردود فعل عنيفة داخل القوات المسلحة بعد المقال.. ولكى يمتص الفريق فوزى مشاعر غضب العسكريين.. قال في أحد اجتماعاته مع كبار القادة العسكريين (سيبوا لى (هيكل).. أنا هتصرف معاه).. ونقل الفريق محمد صادق ما دار في هذه الجلسة للأستاذ (هيكل) بطريقة استفزت (هيكل).. وجعلته يتوجس من نوايا الفريق فوزى ضده.. فحملها الأستاذ (هيكل) في نفسه.. ويبدو أنه لم ينساها حتى الآن.

### هو ورجال الاتحاد الاشتراكي

كان لـ (هيكل) خلافاته العميقة مع رجال الاتحاد الاشتراكى.. ومنظمة الشباب.. وقد لعب (هيكل) دوراً خطيراً في الهجوم على تنظيم الاتحاد الاشتراكى.. وإبراز سلبياته والتهوين من شأنه..



٩

## مع..وضد هيكل.. !!

بعد أن استعرضنا بموضوعية حرصنا عليها بشدة خلال الصفحات الماضية كل الاتهامات التى يُتهمُ بها (هيكل) .. نحاول من خلال هذا الفصل تمحيص تلك الاتهامات.. وفرزها لنتبين الغث من السمين فيها.. والحقيقة من الإدعاء..

ونبدأ بتساؤل منطقي وهو : هل ملايين القراء العرب.. وغير العرب الذين يحرصون على متابعة كل ما يكتب.. ويقول الرجل أولاً بأول "مغفلون" لأنهم لم يكتشفوا زيف أسطورته كما يدعى عليه ناقضوه؟

ألا تعكس هذه الشعبية الساحقة حقيقة لاجدال فيها مفادها أن ما يكتبه الرجل فيه من الصدق والوفاء ما يجعلنا نحترم فيه ذلك.. خاصةً أنه ينتمى لزمن.. وعصر انقلب عليه من أتباعه الكثيرون ؟

**ليس مؤرخاً..**

أما اتهامهم إياه وتساؤلهم: لماذا لا يستعين بأصول التأريخ والتوثيق؟

ولماذا لا يستخدم الهوامش؟

ولماذا لا يستخدم المناهج الأكاديمية؟

لماذا لا يعود إلى المؤرخين الكبار المعاصرين؟

لماذا لا يستخدم النماذج النظرية؟..

وفي النهاية نتساءل نحن: لماذا لا يطالبونه بتدريس التاريخ في المدارس والجامعات بالمرة؟ هذه ليست مهمته.. لقد قام بواجبه في حدود عمله ونجح تماماً في ذلك.. لكن في حدود كونه صحفياً لا يجب أن نطلب منه أن يحقق لنا شروط المؤرخ الأكاديمية الدقيقة؟

لماذا نظلم الرجل ونحاول أن نطبق عليه ما لا يُطبق على من كان مثله؟

فهو أولاً.. وأخيراً صحفي.. شاهد.. وعاش.. وتعايش وسط أحداثٍ دونها بطريقته.. وعندما كتبها ونشرها جذبت انتباه الكثيرين.

**و(هيكل) يؤكد: نعم لست مؤرخاً!!**

أما (هيكل) نفسه فينفي تماماً عن نفسه قطعياً وصف المؤرخ.. فقد كان من الذكاء في هذه المسألة.. وفطن لها مبكراً.. وقال فيقول في كتابه (**سنوات الغليان**):

"أنا لست بمؤرخ وإنما مجرد صحفي.. شاهد في التاريخ... فأبعد الأشياء عن مقاصدي أن أجعل من كُتبي محاولةً لـ"كتابة التاريخ" والحقيقة أنه محاولة لـ"قراءته".. وهذا معنى كررته كثيراً في وصف ما أكتبه وما زلت متمسكاً به.. وليس من باب التواضع أن أقول أن "كتابة التاريخ" ليست صناعتي ولا أنا مدعيها.. وليس من باب التفاخر أن أقول أن "قراءة التاريخ" حقي لأنها حق كل مهتم بالشؤون العامة.

ولعلي لا أتزيد إذا قلت أن "قراءة التاريخ" كانت أصعب بالنسبة لي لأني عشت وقائعه.. وكان علي لكي أقرأه بأمانة أن أضع للاختبار كثيراً مما كنت أظن أنني أعلمه.. وأن أطرح لمراجعة كثيراً مما كنت أتوهم أنني أفهمه"

**ويقول عن نفس الكتاب:**

"لأننا يجب أن نتذكر أن هذا الكتاب ليس رسالة دكتوراه حتى أناقش فيه القضايا من خلال جزئية هنا وأخرى هناك.. وإنما أنا أكتب كتاباً هو عبارة عن قراءة صحفية

للتاريخ من المفروض أن تصل إلى أكبر عدد من القراء.. واعتقد أن الكتاب حاول تحقيق هذا الهدف..

**كما يقول (هيكل) عن نفسه ومهاجميه:**

كثيرون هم الذين كتبوا عني.. ولم أعد أتفاعل معهم كثيراً.. حتى لا أموت غيظاً حينما يهاجمني بعضهم.. ولا أموت غروراً حينما يمدحني بعضهم الآخر.

والآن قبل أن ننهي رحلتنا في القسم الأول مع (هيكل) نقوم بزيارة خاصة إلى عالمه الخاص.. لنتعرف أكثر وأكثر على الجو الذي يعيش داخله الأستاذ عندما يكتب.. فإذا أردنا ذلك كل ما علينا فعله هو الذهاب إلى تلك البناية الضخمة المتواجدة في شارع النيل بالجيزة.. والمحاذية تماماً لفندق الشيراتون.. ثم نأخذ المصعد لنتوقف عند الطابق الرابع.. وتحديداً عند الشقة رقم (٤٣) لنضغط جرس الباب.. في الغالب سوف يستقبلنا شخص يدعى الأستاذ "منير عساف" هو مدير مكتب كاتبنا الكبير (محمد حسنين هيكل).. وتسبقنا نظراتنا ونحن نقلب النظر في المكان.. سنجد أن المكتب يحتل بجوار موقعه المتميز خارجياً.. مساحة كبيرة داخلياً.. تأثيث المكتب من النوع التقليدي.. الكراسي.. المكتبة.. تتوسط الشقة صالة كبيرة.. تتفرع عنها مجموعة الغرف الداخلية.. وعلى جدران الصالة.. وكذلك في معظم الغرف أهم ما يلفت نظرك هو تلك المجموعة الكبيرة من الصور التي تمثل مختلف المراحل العمرية والعملية للأستاذ.. في الحرب الكورية وفي سيبيريا وفي مدن شهيرة أخرى من العالم.

يعمر المكتب بالعديد من الموظفين.. وفي إحدى الغرف تشاهد مجموعة من أجهزة الفاكس.. تعمل كلها تقريباً... إضافة إلى أجهزة الكمبيوتر الكثيرة.

وإذا أسعدك الحظ ورأيت الأستاذ.. على موعد.. أو صدفة أثناء دخوله.. أو خروجه.. أو تنقله بين الغرف فستجده كالمعتاد في بدلته الأنيقة.. والسيجار الفاخر بين أصابعه.. وإذا لمحك.. أو تقابلت عيناه بعينيك سيصافحك بحرارة وهو يبتسم.. ويسألك عن أحوالك.. حتى وإن كان لايعرف من أنت..



## القسم الثاني

# هيكل وتجربة حياة.. قراءة خاصة جداً في حلقات التجربة!!

.. لا شك أن أحاديث هيكل في (قناة الجزيرة) هي بمثابة مرآة تعكس صورة متكاملة لبانوراما حياة.. وتجربة كاتبنا.. صحفياً.. وتاريخياً.. وقبل هذا وذاك إنسانياً أيضاً.. وقبل أن نتوقف عبر الصفحات القادمة لنقرأ خلاصة تجربة أستاذنا الكبير.. نشير أولاً لعدة نقاط هامة وهي:

- أن هذه الصفحات هى عبارة عن تفريغ لأحاديث هيكل التي تحدث بها عبر أثير "قناة الجزيرة" والتى حملت عنوان (مع هيكل.. تجربة حياة).
- عند تناولنا لهذه الأحاديث لم نلتزم - متعمدين- الترتيب الزمني وفق إذاعتها.. ولكن جاء ترتيبنا وفقاً لوحدة الموضوعات..
- لم نحاول أن نتدخل كثيراً.. بل لم نتدخل إلا نادراً فيما قاله هيكل.. نقلناه عنه بالنص.. وباللغة العامية المطعمة أحياناً بالفصحى كما نطق بها تماماً.. واكتفينا بما ألحقناه بها من حواشي للتساؤل أحياناً.. والتفسير.. أو التحليل أحياناً أخرى.. أوالتعريف لما ذكره من شخصيات.. ومسميات لبعض الأحداث

وقبل أن نخوض في القراءة.. نحدد أولاً بعض الخطوط العامة التى سار عليها هيكل في رواية التجربة ربما بشكل منهجي مقصود.. أو بشكل سردي.. وعفوي غير مقصود.. وبين هذا أو ذاك نحاول أن نستنتج ونحدد تلك السمات من خلال فقرات بعينها قالها فيما رواه من أحاديث.. ولعل أبرز تلك السمات هي ما يلي:

**الربط بين الماضي والحاضر**

يحاول هيكل دائماً استنباط دلالات الأحداث.. وربطها بالحاضر.. أو المستقبل وفقاً لتنبوءاته الخاصة.

**حروب العرب**

الملمح الأول في أحاديث هيكل في قراءته التاريخية هو تركيزه على حروب العرب.. كما أضاف بعض العوامل التي تساعد على فهم التغيرات الجديدة التي قد تطرأ في كل عصر.. حيث يقول في أول حلقاته عن حرب السويس:

(دائماً كنت أقول باستمرار أن الجغرافيا والتاريخ هما العنصران الحاسمان في صنع التاريخ ولكن.. هما دول الثوابت في صنع التاريخ.. وفي صنع أحداثه الكبرى.. لكن في المتغيرات.. أول متغير هو الإدراك الحقيقي لطبائع العصور لأنه هنا في جغرافيا لا تتغير وموجودة.. وهناك التاريخ وهو تراكمى لا نستطيع أن نلعب فيه لأنه له آثاره.. وصحيح أن آثاره مستمرة.. لكن ما مضى منها لا يمكن التلاعب فيها.. وقد أدى دوره في الحسابات وأصبح عاملاً معترفاً به.

**هيكل وحربي ٦٧ و٧٣**

وفي سياق تحليله لأحداث حربى ٦٧ و٧٣ وفي حلقة حملت عنوان "المدافع والبشر" قال هيكل:

بعد أسابيع من صدمة ٥ يونيو سنة (٦٧) كان في مصر جبهتان.. جبهة كانت عبارة عن ميدان القتال والإعداد للحرب والوقوف وراء المجهود الحربى.. وجبهة أخرى هى الجبهة الداخلية.

انقسام الجبهتين من طبائع الأمور في التاريخ كله.. ميدان قتال معبأ لأقصى درجة.. وهناك جبهة داخلية تساند في ميدان القتال.. لكن التعبئة بها ليست بالأوامر العسكرية.. ولكن بالشعب.

وجبهة ميدان القتال كان فيها (جمال عبد الناصر) القائد العام للقوات المسلحة في هذا الوقت وكان الفريق فوزى وعبدالمنعم رياض.. وكان هناك مجلس وزراء.. مهتمين أكثر بالمجهود الحربى.. ومخابرات.. وجبهة تمثل الدولة بشكل عام وشكل إجمالى وبشكل أعمق.. ودولة موجودة تحاول أن تواجه المعركة الحربية على خط النار.. وجبهة أولى وهى جبهة ميدان القتال يقودها (جمال عبد الناصر) بنفسه .. وكان هناك انقسام بين المدرسة الفرنسية والمدرسة الإنجليزية.. المدرسة الإنجليزية.. التى تتمثل في تشرشل.. وهى القتال وأن نقف ونقاتل إلى آخر حد وفي كل شارع والجبال.. وفي كل منطقة.. والجبهة الأخرى متأثرة بالمدرسة الفرنسية.. التى تتصور الاستسلام لم يكن عندنا أحد على سبيل المثال يطالب بالاستسلام.. لكن الجبهة الداخلية كانت بتنادى بأشياء أخرى.. فأنا أتذكر أغنية لصلاح جاهين كان يقول فيها: الشعب بيزحف زى النور.. الشعب جبال.. الشعب بحور..

كان شيئاً جيداً أن يقال عن الشعب.. لكن الجبهة الداخلية العسكرية جبهة ميدان القتال.. كانت فيها الأمور واضحة.. وأنا رأيى أن (جمال عبد الناصر) كانت لديه مشكلة في ذلك الوقت من نوع غريب جداً.. وقليل أن نرى قيادات لديها خبرات عسكرية.. فهناك قادة قاتلوا بالفعل مثل (جمال عبد الناصر) في حرب فلسطين ولديهم تجربة الإحساس بالجماهير وسط عمل شعبى وتعلق جماهير برابط معين بين شعب وبين قيادة.. وهناك قادة لم يشتركوا في معركة واحدة.

## عبد الناصر

العسكرى الموجود في (جمال عبد الناصر) كان يلح عليه وينادى بالقتال وروح المبادأة والسياسى الموجود فيه وهو الوجه الآخر من (جمال عبد الناصر) يعلم أن قرار المقاتل ينطوى على تضحيات كبيرة جداً وهو رجل خبرة.

فهو لديه زملاء له وجنود يقعون في ميدان القتال.. ويكون موجوداً بينهم ويتصور أيضاً واقع الأسر وهو أسرته نفسها كانت معرضة.. ويصل لها جواب من إدارة الشئون العاملة بالقوات المسلحة في فلسطين باستشهاد فلان.

فهو كان يشعر وهو يدفع للقتال بكل وسيلة بأن هناك وجهاً آخر إنسانياً فقرار القتال يجب أن يؤخذ بأعصاب باردة.. وأنا أتذكر تحديداً كيف كان يتعذب من أجل استمرار المبادأة.. والقتال باستمرار.. وعدم ترك الجبهة العسكرية تخمد أو تبرد.. كيف كان هذا مكلفاً من الناحية الإنسانية الأخرى.

لكن في مجمل الأحوال اعتقد أن الجبهة العسكرية كانت متحركة.. ورأينا فيها أشياء بديعة فبعد أقل من أسبوعين.. فكرة أن الإسرائيليين احتلوا سيناء في منطقة الشمال شرق بورفؤاد كانت فكرة خاطئة.. فهم لم يحتلوها لأن منطقة السبخة لم يستطيعوا دخولها حتى بعد ١٠ أيام.. وتقرر الدخول في معركة.. وكانت هى معركة رأس العش.. وأظن أن الذين حاربوا فيها أبلوا بلاءاً حسناً.. وأنه بالفعل ظلت هذه المنطقة موجودة.. لكن بعد تضحيات واضحة وكبيرة بالدم.

وعندما جاء الإسرائيليون على الضفة الأخرى فوجئوا بالوصول لضفة قناة السويس.. فالإغراء للوصول لقناة السويس كان كبيراً.. وعندما وجدوا الطريق مفتوحاً أمام الإسرائيلين سنة (٦٧) كانت هناك قوات كثيرة لم ينتبهوا لذلك.. وأظن أننا خسرنا في هذه الحرب فقط حوالي ٦ آلاف.. وكانوا من الممكن أن يصلوا لـ٦٠ ألفاً لو لم يغتر الإسرائيليون بفكرة الوصول لشاطئ قناة السويس.. وهكذا قلت الخسائر مما كان يمكن أن تكون عليه.. لكن عندما وصلت إسرائيل شاطئ قناة السويس وهم يريدون تقليل أعباء التعبئة العامة لأن ذلك بالنسبة لإسرائيل عبئاً لا يحتمل.. فبدأوا في إنشاء مواقع مراقبة.. أصبحت فيما بعد نوعاً من الدُشم وهى عبارة عن مواقع محصنة صغيرة على مواقع مختلفة من قناة السويس.. تحول لما نسميه الآن خط بارليف.. ولكن في بداية إنشائهم لهذه الدشم بدأت عملية إطلاق النار.. وبدا هناك نوع من حرب المدافع تدك هذه المواقع.. وكل ما تجد فيها شيئاً تخرجه.

وبعد ذلك حدث شيء مهم للغاية تمثل في إغراق المدمرة الاسرائيلية إيلات[1].. التى وضعت لتسد فوهة قناة السويس.. والتي لم تغطها الدشم المتمثلة في خط بارليف.. وبدأت في دوريات بمنطق أنها تكمل غلق قناة السويس وتكمل خط الدشم.

---

(١) في العشرين من يونيو عام ١٩٥٦ وصلت أول مدمرتين للبحرية الاسرائيلية تم شراؤهما من إنجلترا وأحضرهما طاقم إسرائيلى وكانت إحداهما "إيلات"والثانية "يافو" نسبة الى الميناءين إيلات ويافا.. اشتركت "إيلات" في حرب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ وكذلك في حرب يونيو ١٩٦٧ وسرعان ما تقدمت إسرائيل تحت نشوة الانتصار في حرب ١٩٦٧ وغرور قوة الجيش الذي لا يقهر بدفع بعض قطعها لاختراق المياه الإقليمية المصرية في منطقة بورسعيد في محاولة لإظهار سيادتها البحرية..كما أظهرت من قبل سيادتها الجوية والبرية بضربها الطيران المصرى.. واحتلال سيناءوتم إغراقها في ٢١ اكتوبر ١٩٦٧ بواسطة فرقاطة مصرية صغيرة روسية الصنع.. وتعتبر هذه هي المرة الأولى في التاريخ الذي تدمر فيه مدمرة حربية كبيرة بلنش صواريخ.. كانت تلك كارثة ليس فقط على البحرية الإسرائيلية بل على الشعب الإسرائيلي بأكمله وعلى الجانب الآخر فان البحرية المصرية والشعب المصري بأكمله الذي ذاق مرارة الهزيمة في ٥ يونيو من نفس العام ارتفعت معنوياته كثيراً وردت إسرائيل على هذه الحادثة يوم ٢٤ أكتوبر

وفي يوم من الأيام قابل الفريق فوزى (جمال عبد الناصر) يقول له أن شباب البحرية مستفزين من هذه المدمرة.. وهم في اعتقادهم أنهم بإمكانهم إغراقها.. لكن حالياً هذا يحتاج لقرار سياسى.. لأنه بالكاد استطعنا تثبيت وقف إطلاق النار بشكل أو بآخر.. ومعارك تدمير الدُشم دائرة على الجبهة.. وعلى الرغم من خطورتها في لفت الأنظار إلا أن ذلك ليس ثابتاً على الخطوط.. وأن الإسرائيليين بدأوا في ضرب مصانع تكرير الوقود في السويس.. وكان هذا مكلفاً تكلفة عالية للغاية لو كنا تركناه.. لكن في هذا الوقت بدأ المهندسون في القيام بعمل بطولى.. وتم فك مصانع التكرير تحت النار.. ونُقلت تقريباً سليمة بخسائر قليلة جداً بجوار الإسكندرية بمنطقة الملاحات بعيداً عن ضرب المدافع والطائرات.

وعندما نقل الفريق فوزى رغبة شباب البحرية بوضع مخطط ضرب المدمرة إيلات.. أعطى (جمال عبد الناصر) الضوء الأخضر.. لتنفيذها ونفذت العملية بنجاح كبير.. وأمامى الآن تقارير المجلس الدولى الأمريكى الصادرة في ذلك الوقت.. وجاء فيها مقتل ٤٧ ضابط وجندي إسرائيلي ونحو ١٠٠ جريح.. أما تقرير المجلس الأمن القومى الأمريكى فيقول أن القوارب المصرية وجهت لإيلات ٤ صواريخ.. واستغرب واضع التقرير من دخول ٣ صواريخ في جسم المدمرة مباشرةً.. بينما صاروخ واحد فقط أخطأها ووقع بالقرب منها.. ويقول التقرير إنهم مندهشون من هذه الدقة والجرأة وهذه البسالة والنجاح الضخم جداً.

## الجبهة الداخلية

كانت هناك جبهة حية.. في قناة السويس وجبهة ميدان القتال تؤدى دورها بالتصاعد.. وسط المخاطر ونزيف الدم.. لكن المهم ألا تقف الجبهة وتبرد وتخمد لأن هذا مهم جداً إذا أردت أن تحصل على نتائج.

بالنسبة للجبهة الداخلية عندما نقول الشعب "يزحف زى النور شعب جبال وشعب بحور" هذا كلام جميل لكنه كلام أغانى.. وفي واقع الأمر الشعب طبقات.. وفئات بأفكار مختلفة.. وحياة تتجدد كل يوم.. وبالتالى نحن لدينا مشكلة كبيرة في تعبئة الجبهة الداخلية.. فالأخيرة من الممكن أن تتماسك جداً في حالة الحرب المستمرة

---

بقصف معامل تكرير البترول في الزيتية بالسويس بنيران المدفعية كما حاولت ضرب السفن الحربية المصرية شمالي خليج السويس.

والمتصلة.. ولكن إذا كانت عندنا حرب فهى حرب بطيئة لا تحرك الأعصاب كما ينبغى.. ونحن كنا نحتاج لبعض الوقت بعد تعرض قواتنا المسلحة لكارثة ٥ يونيو وما بعده.. فمن الطبيعى أن تظهر في الجبهة الداخلية ما يسمى في اللغة الفرنسية بالملاذ أو الإحساس بالضيق والإحساس بعدم الراحة.. وكان ذلك طبيعياً بعد أحداث ٥ يونيو.. وأصبح في الجبهة الداخلية شعور بالضيق والاكتئاب والقلق.. وأصبح هناك وجع حقيقى كل الناس تشعر به.. وكان ينبغى التنبوء به.. وأنا اعتقد أن (جمال عبد الناصر) كان لديه الاستعداد لكى يفهم ما في داخل الجبهة الداخلية ويفهم أنه بعد التعبئة.. وبعد الشدة كلها.. وبعد كل ما جرى ستحدث لحظة عودة للنفس والتفكير والتأمل واللوم والحساب وطلب الحساب.. فهناك شعور طبيعى جداً بهذا الشكل.

### "التيار الإسلامى"

وبدأ بظهر في الجبهة الداخلية تيار كبير هو التيار الإسلامى.. ودخل هذا التيار في أفكار ومحاولات وتجارب وأصبح وجوده مشروعاً.. فبعد سقوط الخلافة نشأت في مصر حركة الإخوان المسلمين.. وتصورت أن الجانب الإسلامى سيكون مستضعفاً في فترة ما بعد سقوط الخلافة.. وأنه يحتاج لتنظيم قوى.. وهو ما فعله حسن البنا.

وبدأ تحالف الإخوان المسلمين مع (الملك فاروق) كونه في تصورهم مؤسس فكرة الخلافة في ذلك الوقت.. ثم اختلفوا مع مجمل الحياة السياسية في مصر والوفد.. وهم قريبون من الملك.. والوفد بعيدون عن الملك.. وبدأ الصدام وصعد اسم التنظيم السرى في ذلك الوقت.. وبدأت حركة الاغتيالات.. وتعرض رئيسهم حسن البنا نفسه للقتل بأمر من الملك (فاروق)[1].. وذلك بعد أن فقد (فاروق) رئيس وزارئه وقائد جيشه وأهم مستشاريه المستشار الخازندار[2].

---

(١) نلاحظ هنا صحيح اتهام هيكل للملك فاروق بأنه وراء اغتيال حسن البنا.. وذلك دون أن يقدم لنا كاتبنا الكبير أي دليل مادي يثبت ادعاءه.

(٢) أحمد بك الخازندار رجل قانون وقاضي مصري اغتاله أفراد ينتمون لجماعة الإخوان المسلمين.. نظراً لكونه كان ينظر في قضية أدين فيها بعض شباب الإخوان لاعتدائهم علي جنود بريطانيين في الإسكندرية وحكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة في ٢٢ نوفمبر ١٩٤٧. بعد حكم الخازندار بالسجن على المتهمين الاخوان.. قال عبد الرحمن السندي رئيس النظام الخاص أن حسن البنا المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين قال في اجتماع بجماعته "ربنا يريحنا من الخازندار وأمثاله". وهو ما اعتبره أعضاء في التنظيم بمثابة "ضوء أخضر" لاغتيال الخازندار" وفي صباح يوم ٢٢ مارس ١٩٤٨ خرج الخازندار من منزله بشارع رياض بحلوان ليستقل القطار المتجه إلى وسط مدينة القاهرة حيث مقر محكمته.. وكان في حوزته ملفات قضية كان ينظر فيها وتعرف بقضية "تفجيرات سينما مترو".. والتي اتهم

## الإخوان المسلمون

في الإخوان المسلمين هناك تيار مقاتل بشكل أو بآخر وعندما جاءت الثورة تصور "الإخوان المسلمين" أن لهم في الثورة النصيب الأكبر فوقع الصدام.

## واقعة الشيخ الشعراوي

وكان هناك من التيار الإسلامى في ذلك الوقت أعتقد أنهم خرجوا خارج الحدود قليلاً.. وأتذكر هنا موقف الشيخ متولى الشعرواى - رحمه الله - حيث قال أنه حينما سمع بضرب الجيش المصرى في يونيو ١٩٦٧قام وتوضأ وصلى ركعتين حمدا لله على أن السلاح السوفييتى.. الذي كان في أيدى القوات المصرية لم ينتصر.. لأن هذا السلاح شيوعى..

وأقول هل سواء أكان السلاحُ شيوعياً أو غير شيوعي.. أليس هو سلاحٌ يقاتل في أيدٍ وطنية تقاتل من أجل الإسلام.. وأنا اعتقد أنه كان هناك تجاوز للخطوط الفاصلة بين ما هو عام أو ما هو خاص ومحدد.. وبين ما هو فئوى وحزبى.

فالإخوان كانوا موجودين بين الشعب ككتلة في ذلك الوقت ليس فقط حزينة مثل كل الناس.. ولكن تتصور في نفسها القدرة على أن تكون بديلاً.. كما أن الشيوعيين قد تصوروا أنهم باستمرار في تناقض مع الوطنية بالمعنى التقليدى.. وكانت لهم رؤى خاصة.. والحركة الثورية العالمية.. وكل هذه الأشياء والتنقلات الطبقية المتجاوزة الحدود إلى آخره.. ويتصوروا أن التجربة الوطنية.. والقومية في مصر وقد وصلت إلى هذا المأزق.. وكان هناك خلط بين الحرب والثورة كعمل ثورى خارق للعمل الطبيعي وما بين الثورة بمعناها الاجتماعى.. وفي ذلك الوقت كان إخواننا الشيوعيين يعتقدون أن الثورة كانت لطبقة متوسطة صغيرة.

وفي ذلك الوقت ظهر التنظيم الدولى للإخوان المسلمين.. وكان فيه الدكتور سعيد رمضان[1] وجاء في تصوره حركة إسلامية عالمية مثل الحكومة الأممية شيوعية تحت

---

فيها عدد من المنتمين لجماعة الإخوان المسلمين.. وما أن خرج من باب مسكنه حتى فوجئ بشخصين هما عضوي جماعة الإخوان حسن عبد الحافظ ومحمود زينهم يطلقان عليه وابلاً من الرصاص.. فأصيب الخازندار بتسع رصاصات ليسقط صريعاً في الحال.

(١) سعيد رمضان هو أحد قيادات الرعيل الأول في الإخوان المسلمين.. وزوج ابنة الإمام حسن البنا.. والسكرتير الشخصي له.. ومن قادة الإخوان في أوروبا وأحد أوائل مؤسسيى العمل الإسلامي في أوروبا وألمانيا علي وجه الخصوص.. قاد

لواء الاتحاد السوفييتى بصرف النظر عن أى شىء آخر.. وكان إخواننا الشيوعيين في موقف آخر مناقض للإخوان المسلمين.. لكن في نفس الاتجاه والمنطق وهو أنه جاء وقت الحزم ووقت الفرز ووقت القطع وإما أناس مقاومين أو مستسلمين.. أو أناس مع أو ضد أفكارهم وهذا لا يقبل أنصاف حلول.

**أجنحة السلطة**

وللأسف انتقل هذا من مشاعر عامة لبعض أجنحة السلطة مثل الجناح الاشتراكى كضرورة الحزم.. ودخلنا في استقطابات خطيرة بأن الجبهة في القتال على خط السويس مشتعلة.. وموجودة في القاهرة.. وفي البلاد أشياء أخرى مختلفة في النوع وهذا طبيعي.. كنت أدعو وقتها لتفهمها ووضعها في إطارها الصحيح مع الإخوان المسلمين.. ومع التيار الإسلامى ومع التيار الشيوعى.. ونشأت أيضاً مراكز كثيرة جداً في القاهرة.. بمعنى أن هناك عدد كبير جداً من المسئولين السابقين.. وهذا طبيعى.. وعدد من أبناء العائلات القديمة التى أضيرت بالقوانين الاشتراكية.. وهذا طبيعى ومنطقى أيضاً.. وبدأ موجود في النوادى كنادى الجزيرة والصيد والسيارات كانت هناك أعداد تتكلم على أن الاعتماد على الحرب كلام لن يصح.. وأنا أتذكر بعد خروج الضباط من الخدمة ظلوا متمركزين في نادى سبورتنج بمصر الجديدة.. ويقولون ليس هناك أى فائدة من المعركة لأن السلاح الروسى لا يفعل شيئاً.. والأمريكان سيعطون الإسرائيليين ما هو أقوى منه.



---

متطوعي الإخوان المسلمين في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ بعدها رحل إلى جنيف عام ١٩٥٨ ودرس الحقوق فيها.. وأسس في ألمانيا ما أصبحت واحدة من المنظمات الإسلامية الثلاث هناك وهي الجمعية الإسلامية في ألمانيا التي ترأسها من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٨ وأحد مؤسسي رابطة العالم الإسلامي.. وهو والد الدعاة طارق وهاني رمضان والأخير حالياً رئيس المركز الإسلامي في جنيف.. ومن الشائع أن جمال عبد الناصر أصدر ضده حكماً غيابياً بالإعدام.. توفي عام ١٩٩٥ ودفن في مصر.

١

## عقدة العُقد !!

في أعقاب الصدمة التى جاءت بعد هزيمة ٦٧ بدا أن عقدة العقد في الموقف كلها هى الوضع الدولى.

ففي الداخل يستطيع أى طرف موجود أن يحصل على ثقة الناس بشكل أو بآخر.. وأن يجمع الجبهة الداخلية.. ويضم صفوفها.. ويعبئها للمعركة.

وفي الخارج.. في الإقليم تحديداً كان من الممكن أن يستثير واقع الصدمة كل الهمم.. وأن يستدعى نسيان الخلافات السابقة جميعها.. ويضع أساس جبهة عربية تقوم عليها جبهة شرقية طبقاً لاستراتيجية متصورة لمعركة حتمية قادمة.

لكن الوضع الدولى كان لا يستطيع طرف محلى أن يتحكم فيه أو يديره وحده أو يتصور أن القرار في يده.

وهناك مسألة مهمة جداً.. هى وجود حالة من استقطاب قوتين في المنطقة.. القوة الأولى هى الاتحاد السوفيتى الذي ساندنا بشكل أو بآخر إلى مدى كبير..

وقوى كبرى غربية لها عندنا مصالح طائلة.. لكنها تساعد الطرف الآخر وهو إسرائيل.. بتصور أن إسرائيل هى الدولة القادرة على ضبط الإيقاع في المنطقة بالقوة.. وهذا هو المنطق الأمريكى على أى حال.

وهناك أسلحة تبيعها أمريكا للدول العربية لكن هذه الأسلحة لا تقاتل وهذا واضح ومعروف.. ولن تستطيع أمريكا لا اليوم ولا غدا ولا حتى بالأمس أن تعطى أى أسلحة لطرف عربى يقاتل بها إسرائيل.. فالسلاح الوحيد الذي كان موجوداً في ذلك الوقت هو السلاح السوفيتى والسلاح السوفيتى ليس متاحاً بأى طريقة كما يتصور البعض.. فالسلاح السوفيتى تحكمه سياسات الدولة السوفيتية.

**إشارات متناقضة**

وعلى الجانب السوفيتى كانت هناك مشكلة واضحة جداً أظن أنه من مخاطر ما جرى في ٦٧ أن نحسن فهم الأوضاع السوفيتية خصوصاً في ذلك الوقت.. لأن القوة السوفيتية كانت تدخل ـ وأريد أن أوضح أننا نتحدث عن دولة لم تعد موجودة على خريطة العالم.. ولم يعد هناك ما يسمى بالاتحاد السوفيتى ـ لكنها كانت قوى خطيرة وكبيرة وتبدو ظاهرياً متماسكة.. كان هناك أشياء أخرى لم نكن متنبهين لها بالقدر الكافي.. ونحن بالفعل نعرف أشياء ونسمع لغات تبدو متناقضة فالعسكريون مثلاً يتحدثون عن شيء.. والسياسيون عن شيء آخر.. ونجد من العسكريين مَن يشجع ما هو غير متصور أو أكثر مما هو متوقع.. ونجد من يحذر من الخطورة والسياسات.. والذي غاب عنا في ذلك الوقت أن هذا كله وراءه شيء يتمثل في بنيان الدولة السوفيتية في حد ذاتها.. أضيف إليه حجم الصراعات والاختبارات التى دخلت فيها بعد الحرب العالمية الثانية.. فيما يتعلق بالقوة السوفيتية فنحن لم ندرس بالقدر الكافي العلاقات بين الدولتين.

هناك خطأ أساسى حدث في بنيان الاتحاد السوفيتى.. فعندما واجهت الإمبراطورية الروسية القديمة ما بعد الحرب العالمية الأولى لينين[1] بأحلامه وتصوراته والذي تصور أنه من خلالها يستطيع حل مشكلة الأقليات وفقاً للعقيدة المشتركة.. ووحدة العمال..

---

(١) فلاديمير اليتش أوليانوف المعروف ب (لينين) ثوري روسي.. كان قائد الحزب البلشفي والثورة البلشفية.. كما أسس المذهب اللينيني السياسي. لينين رفع شعار "الأرض والخبز والسلام". وُلد في مدينة سيمبيرسك الروسية (تعرف اليوم باسم أوليانوفسك)..

وحقوق العمال والفلاحين.. تصور أن العقيدة السوفيتية تستطيع أن تغطى كل تناقضات الإمبراطورية القومية والوطنية والعرقية.. ومشكلة الوطنيات وقتها جمهوريات كثيرة ضمت للاتحاد السوفيتي.. وفي العصر الإمبراطورى مثل أوكرانيا وروسيا وجورجيا وأرمينيا وكازخستان لم تجد لها حلاً.

وبالتالى نحن أمام كيان غطت عليه عقيدة مشتركة وقوة بدت لنا مؤثرة وهى بالفعل مؤثرة لكن القاعدة تحت هذه الهيبة.. وتحت هذا الغطاء الكبير الذي يسمى الاتحاد السوفيتى كان هناك كم كبير من التناقضات.

في هذه الفترة اعتقد أن (جمال عبد الناصر) أنه كان في حاجة شديدة جداً لعملية إعادة فهم.. وتقييم.. ودراسة الوضع الدولى كله.. لأنه وضع أمامه الاتحاد السوفيتى وعدة مواقف رآها علناً.. بعضها كان متناقضاً.. فهو على سبيل المثال استمع لكلام ( أنور السادات) لما مر على موسكو قادماً من كوريا ١١ مايو .. وكان هناك تحذيراً واضحاً لـ( أنور السادات) بأن هناك عمليات على سوريا.. لكن في يومين قال كوستيجين شيئاً آخر غير كلام سيمونوف لأنور (السادات).. واستغل الأمريكان التناقضات في الموقف السوفيتى.

وكانت هذه رسالة لـ(كوستيجن) ينقلها عن وزير خارجية أمريكا (دين كوراس) والمسألة الأخرى أن هناك تيارات أمريكية يوم المعارك.. والانسحاب يوم ٦ و٧ ومرت وقتها ٦ طائرات أمريكية فوق سيناء ومسحت كل المسافة جنوبا من ناحية البحر الأحمر وعبرت وهبطت على حاملة طائرات في البحر الأبيض ومرت فوق سيناء.

ولم يأت إيضاح من الأمريكان حول هذا الأمر وجاء خطاب من (كوستيجن) لـ(جمال عبد الناصر) يقول له إنه قد اتصل به أمريكان وأبلغوه بعدم القلق من هذه الطائرات التى عبرت الأجواء المصرية.. لأنها في مهمة بريئة هى الكشف عن محالاوت التحرش الإسرائيلى في البحر الأبيض وهم يريدون كشفها ويحددوا موقفهم منها.. ولذا مروا من سيناء تقليلاً للإجراءات.. فكيف يمكن أن يستخدم الأمريكان الاتحاد السوفيتى وسيلة لإبلاغ الرسائل؟!.. وهذه حالة كان يجب دراستها فيما يتعلق بالاتحاد السوفيتى.

وهنا أنت لديك طرف تعتمد عليه كجزء أكبر مما تريد ومما هو مطلوب في المعركة.. ومن ناحية أخرى أنت حائر في تصرفاته ولا تستطيع أن تحدد فيها شيئاً إلى

جانب ظهور شيء آخر كان أمامنا هو وجود عملية تشجيع أمريكى بشكل ما وتراجع سوفيتى بشكل ما وهو الأمر الذي أنهى الحرب الباردة.. وكلا الطرفان أرهقتهما الحرب الباردة لكن أحدهما كان لديه موارد كبيرة جداً.. وآخر لديه موارد محدودة.. ونكتشف بعد ذلك أنها لم تزد عن ثلث ما كانت عليه الموارد الأمريكية.. ويبدو بشكل ما عدم وجود تكافؤ في القوى لكن السلاح والقدرة النووية.. والردع المتبادل.. والترسانة النووية الموجودة عند كل طرف كانت تغطى على كثير من الحقائق.. وخلقت نوعاً في تصورى من المساواة المؤقتة التى لا يحسب عليها لمدة طويلة.

لكن فكرة الحرب النووية مستبعدة بالكامل.. والموازين هنا لا بد من مراعاتها لأنها سوف تحدث آثارها على وجه التحديد.. وفي ذلك الوقت أنا اتصور أن (جمال عبد الناصر) كان منهمكاً للغاية ويتعلم من جديد.. وكان يمتلك خاصية السمع كثيراً.. ويكتب مذكرات لما يسمعه.. ولم أرى في حياتى في التاريخ الكم الذي كان يكتبه وهى أوراق لا حدود لها.. والدهشة هنا أين الوقت الذي كان يكتب فيه كل هذا؟!

وكان لدى عبد الناصر استعداد كبير أن يسمع لأى أحد له فائدة.. وعندى قائمة بأسماء الذين حضرت مناقشاتهم.. وهي قائمة لا حصر لأولها.. ولا لآخرها.



٢

# مرحلة حد السيف!!

هناك خط أحب أن أسميه دائماً "حد السيف" وهذا الخط مقتضاه أن (جمال عبد الناصر) يدرك أنه في هذا الصراع القادم سينتهي بشكل أو بآخر.. والصراع الدولي القادم سينتهي بشكل أو بآخر.. والاتحاد السوفيتي تغير عدة أمور فيه.. وأن هناك حرباً باردة.. وهذه الحرب سوف تنتهي بفوز أمريكي.. لكن طبقا لما سمعناه من جنرال ديبو أن أمريكا ستخرج متعبة جداً من هذه الحرب.

**أولاً :** المقاومة المصرية هي الأساس..

**ثانياً:** ضرورة بناء جبهة شرقية لكي لا يكون الصراع مصري/ إسرائيلي.. ولكن عربي / إسرائيلي.. وفلسطين هي محوره حتى في الحرب المصرية..

**الثالث والأهم:** هو كيف يمكن رفع درجة الصراع ولو بأي قدر من المستوى الوطني إلى المستوى الإقليمي والدولي.. وكيف نجعل الاتحاد السوفيتي في بعض اللحظات يشعر أنه يقاتل في وطنه.. ويقاتل من أجله هو أيضاً يمسه وهو أيضاً قضية أمنه.

ومن هنا بدأ وجود سياسة حد السيف.. قلتها لـ(جمال عبد الناصر) هذه السياسة بتصورات هذه المرونة بتصورات هذا التنبه بتصوراته التى تقتضى الاتصال بالأمريكان لا يمكن استبعادهم وبتصورات أوروبية.. ولكن نعتمد في الدرجة الأولى على الاتحاد السوفيتى كسند سياسى وكمورد سلاح هذه.. وكان رأى (جمال عبد الناصر) أن الأمر يقتضى الصبر.. وأننا بعد المعارك وإعادة التنظير وما جرى.. فنحن في حاجة إلى فتح أبواب الاتحاد السوفيتى بسرعة.. وأى هرولة للاتحاد السوفيتى قد تظهر أمامهم في هذه الظروف المعقدة بأننا ذاهبين إليهم لاجئين.. وهذا أسوأ وضع يمكن أن توضع فيه أمة أو شعب خصوصاً في مثل هذه المرحلة معقدة للغاية.

## كيف نفتح الباب؟

القضية كانت كيف نفتح الباب.. خصوصاً أن الاتحاد السوفيتى مأخوذ بشكل ما بما جرى.. والزعماء بعضهم ذهبوا في أ جازة.. والقيادة الثلاثية و(كوستيجن) موجودون في موسكو.. وبرجيت كان موجوداً على البحر الأسود.. وكان من الواضح أن الأزمة سارت بأسرع مما كان متوقع.. فهم صدموا ونحن أيضاً صدمنا.. وأعدنا ترتيب أوضاعنا بضرورات الأشياء لأن تعيين قيادة جديدة كان لا يحتاج لمناقشة.. وتعيين مجلس أركان حرب جديد أمر لا يحتاج مناقشة ونحن كنا نتكلم من الناحية السياسية.

## الضغط على السوفيت

أمامى الآن بعض الوثائق الخاصة بهذه المرحلة فهنا رسالة تبين حالة الاتحاد السوفيتى من مراد غالب السفير المصرى في موسكو آنذاك يقول فيها أن السوفيت يشعرون بحرج شديد جداً لأن هناك تصريحات في الصحف في القاهرة وغير القاهرة تحاول أن تلصق تهماً من بينها التلميح باشتراكهم في مؤامرة ضد العالم العربى مع الأمريكان.. الأمر الثانى لاتزال المعركة دائرة ضد الاستعمار الغربى وعلى رأسه الولايات المتحدة.

الكلام كان في القاهرة أن الروس خذلونا.. ولكن طبائع الأشياء كانت تحتم الاعتماد عليهم لدرجة معينة.. وحقائق الأشياء كانت تبين أن الآخرين أخذتهم الأزمة.. لكنهم يجابهون بلوم شديدا في القاهرة.. وغير القاهرة لأن العواصم العربية كانت مستفزة.

ومن الطبيعى أن يكون مراد غالب في موسكو قلقاً.. والغريب أن رده جاء بمعنى أننا إذا ذهبنا للاتحاد السوفيتى إذن سيأخذ موقفنا مساراً آخر لأنه لا مجال لأحد في العالم الدولى أن يقنع الآخرين بمساعدات بدعوى العطف.. فالعاطفة في اللغة الدولية ليس لها وجود.. الموجود فقط هو الحقائق المجردة.. وهذا ما يعتمد في هذه اللحظة ونحن محرجين دولياً لأبعد مدى بعد المعركة.. وبعد الصدمة بصرف النظر عن كل ما حدث.. لكن المجتمع الدولى.. وبالتالى نحن.. في احتياج للاتحاد السوفيتى.. ولكن بشكل معين وبطريقة وبأسلوب مختلف.

وينتهز الرئيس (جمال عبد الناصر) حاجة الرئيس العراقى عبدالرحمن عارف للاتحاد السوفيتى لأنه يريد أن يأخذ سلاحاً أكثر مما أخذه بالفعل بعد أن أعطوه أسلحة دفاعية.. وأن الأمريكان كانوا سيعطونه أسلحة أكثر.

والمعروف أن الرئيس عبدالرحمن عارف بطبيعته رجل خجول وهادئ ولا يتحدث كثيرا.. لكن بومدين قائد التحرير الجزائرى وهو أزهرى تعلم في الأزهر وثورى عاش الثورة في الداخل.. عموماً ذهب عبدالرحمن عارف وبومدين إلى موسكو.. وكان بومدين يستطيع أن يقول كلاما لا أحد غيره يستطيع قوله.. فهو الذي دفع ثمن الأسلحة مقدما بشيك بمائة مليون إسترلينى وطالب وقتها بالسلاح.. لكن (كوسيجن) رفض هذا العرض وقال أن الاتحاد السوفيتى ليس تاجراً للسلاح.. ونجد (كوسيجن) يقول له إنهم أعطوهم أفضل الأسلحة وأنهم سلموها لإسرائيل.. وأنهم حصلوا على الطائرات والدبابات.. وأن الأسلحة التى يتحدثون عنها غير كافية.. ولا ذات كفاءة.. ويحارب بها الفيتناميون.. ولم يكن يعرف أحد وقتها الرد على بومدين فقال له أننا رجال لا نعرف إلا قيادة الإبل فإذا أردتم أن تحاربوا معنا فلا أمانع وأرسلوا لنا خبراء وقوات دفاع جوى.. ولم يكن حديث بومدين بحدة لكن هناك من أبلغ الاتحاد السوفيتى.. أن هناك حالة استياء عربى من ترددهم إلى آخره.

لكن كلام بومدين له أصداء نسمعها ونضعها في سياقها وتبدو أمامنا أنها متسقة مع صورة عامة معينة.. وأجد فجأة دون مقدمات والطرف المصرى صامت لا يتحدث.. تاركاً حملات على الاتحاد السوفيتى.. ليعيد تقدير موقفه ويحاول فهمه ويترك زعماء آخرين عرب يتحدثون بقوة في هذه الظروف لكن أجد فجأة رسالة قادمة والقادة العرب في موسكو من مرشن زاخروف للفريق فوزى تقول إنهم سيحضرون ويطالبون ببدء المحادثات على الفور.

وينقل الفريق فوزى ما قيل له لـ(جمال عبد الناصر) ولم تكن هناك مقدمات.. وأرسلت هذه الرسالة من الملحق العسكرى في موسكو ووزارة الدفاع أبلغه وزير الدفاع أن هناك وفداً عسكرياً برئاسة مارشال زاخراوف في طريقه إلى مصر.. وأنه يريد محادثات على أعلى مستوى فأبلغ الفريق فوزى.. وكان هذا كله خارجاً عن القنوات الدبلوماسية.. وقال (جمال عبد الناصر) للـ (فريق فوزى) أنا لا أتقدم بطلبات.. ونحن أناس بحاجة إلى التعاون معهم.. ولكن مع الأخذ في الاعتبار الحفاظ على كرامتنا.. وهناك وفد عربى موجود.. وهناك كلام قاسى يمكن أن يُنقل لهم هناك.. وأنا أتذكر الفريق فوزى وهو خارج عندما قال له (عبد الناصر) أنه يعرف أيضاً كيف ومتى يحتد.. فقد تعلم مثله في الكلية الحربية الضبط والربط.. وأنه هذه المرة يريده ألا يتحدث وينتظر حتى يسمع منهم.

أمامى المحضر الذي كتبه الوفد السوفيتى والقادم كان على أعلى مستوى ونحن نريد أن نكون عسكريين دون أن ننسى أن هؤلاء العسكريين أنهم في أدوار مدنية مؤثرة حتى هذه اللحظة.. ويعرفون أن هناك تشققات.. ويشعرون أن وراء الصورة السوفيتية تشققات.. ويبقى في هذه اللحظة دولة كبرى تتكلم.. ويبقى أن أمامى في هذه اللحظة دولة عظمى تتكلم ولديها ما يسند أقوالها و يرفع صوتها.. وعلى أى حال لم يكن لدينا خيار في ذلك الوقت.

## وفد على أعلى المستويات

وإذا نظرنا للوفد السوفيتى.. أعلى وفد سوفيتى يمكن أن يتصوره أحد.. وكان يضم القيادات التالية:

- مارشال زخاروف رئيس أركان حرب الجيش السوفيتى..
- المارشال لتشكوف خبير تنظيم عسكرى..
- الجنرال شجالوف..
- الجنرال تشتكسف..

ومعهم حوالى ١٢ جنرالاً من أفضل القيادات العسكرية بالاتحاد السوفيتى.. بالنسبة للوفد المصرى كان أعلى رتبة فيه هو الفريق فوزى.. والفريق مدكور أبو العز[1] وكان

---

(١) وُلِدَ الفريق مدكور أبو العز سنة ١٩١١بكفر سعد البلد بمحافظة دمياط.. وتوفي عام ٢٠٠٦م.. عُينَ قائداً للقوات الجوية المصرية بعد حرب ١٩٦٧ بمجرد توليه قيادة القوات الجوية أعاد تأسيسها وتحديثها في حرب ١٩٧٣ ظل في

قائد طيران.. وأعتقد أنه كان له دور مهم جداً.. ولم يستطيع أن يكمل دوره لأسباب متعلقه به وبتصوراته.. وكان من أهمهم أيضاً اللواء محمد علي فهمي.. وأعتقد أنه من أهم شخصيات حرب أكتوبر فيما بعد.

**وبالنسبة لهذه التعليمات وكيف نفذها محمد فوزي؟**

اعتقد أنه حتى هذه اللحظة أنه زودها حبتين.. ويقول المحضر أنه «بدأ بترحيب الفريق محمد فوزى لمرشال زخاروف ومجموعته.. ثم استفسر سيادته عن الغرض من حضورهم.. وعن برنامج الزيارة المقترح".. أنا أريد أن يأتوا وأريد أن أتحدث معهم.. لكن الفريق فوزي كان يسأل لماذا أتيتم تحديداً.

وتتلخص إجابة مارشال زخاروف في أن الغرض من الزيارة هو المعاونة في رفع كفاءة القوات المسلحة وتلبية مطالبها في أقرب وقت ممكن.. وحتى هذه اللحظة عبدالرحمن عارف تحدث عن طلباته ويومدين تحدث أيضاً ولم نكن قد تقدمنا سريعاً.. وهم يأتون الآن للسؤال عن طلباتنا.. ولتحقيق هذا الغرض وضمان وصول هذه الطلبات في أقرب وقت إلى آخره.. واقترح أن يرى الميدان.. والمساعدين ونقاط الضعف.. وقال لهم فوزى أنهم مسئولون عما جرى.. وواجبه أن يشرح للقائد العام تطورات الموقف لغرض وضع زخاروف في الصورة.. وإبراز نقاط أساسية.. والحشود.. وكل المعلومات على الجانب السورى إلى آخره.. وقال مارشال زخاروف أن تصوراتهم في الأولويات كما رأوها من بعيد وشعروا أن ضرب الطيران كان كبيراً.. وشعروا بضرورة دعم القوات المسلحة والدفاع المدنى ثم تحدث عن فيتنام وما حدث فيها.. واتفقوا في النهاية على أن يقدم الاتحاد السوفيتى ما نريده من أسلحة.

## ممارسة العمل السياسي عن طريق الدبلوماسية

حول كيفية ممارسة العمل السياسى عن طريق الدبلوماسية متعددة الاتجاهات والقنوات والوسائل خصص هيكل إحدى حلقات التجربة.. وقال:

أنه لكى يتحقق هدف متفق عليه ومطلوب لصالح بلد يمر بمرحلة شديدة الخطورة مثل تلك التى أسماها (جمال عبد الناصر) "سياسة حد السيف" التى تَمَسّكَ بها بعد صدمة يونيو.

---

موقعه هذا حتى ٢٤ ابريل١٩٧٢ وكان قائداً ومدرباً للرئيس حسني مبارك على الطيران.. اتسم بوطنيته وحبه الشديد لمصر وطوال حياته لم ينتم لأحزاب سياسية.

**ويقول هيكل:**

أنه كان للجيش الدبلوماسي في هذا العمل ثلاث اتجاهات.. وقديماً كان هناك مسلك واحد وهو أن السياسة تمارس بواسطة وزراء كبار.. مثل ريشوليو في فرنسا[١].. وهيتيرتيخ في النمسا.. والعمل كله مركز في شخص الوزير المسئول وهو يدير كل شيء وكل نواحي العمل.

بعد الثورة الأمريكية[٢] ودخول عنصر آخر شعبي وفاعل في العمل السياسي أصبح يحكم العمل السياسي تقريباً ثلاث اتجاهات واضحة.. هي كالتالي:

- الدبلوماسية المباشرة التي تقوم بها وزارة الخارجية..
- غير المباشرة التي يمكن أن تجري بواسطة اتصالات شخصية أو مفهومة ومعروفة أو طرق جانبية تقوم بالالتفاف لحل مشكلات قبل أن تستطيع الدبلوماسية المباشرة أن تواجهها.
- الدبلوماسية العامة وهي الدبلوماسية الموجهة للشعوب وكسب الرأي العام..

وأنا أعتقد أنه في فترة الأزمة.. أدرنا مرحلة صعبة جداً بهذه الوسائل الثلاثة معاً.. لأنه في أعقاب الصدمة كانت علاقتنا مع الاتحاد السوفيتي وفتح الأبواب معه مرغوباً فيها من الجانبين.

وكانت لدينا مصلحة في تأييد الاتحاد السوفيتي.. والأخير كانت له مصلحة في الوصول للعالم العربي.. وهو مورد السلاح الوحيد لنا وقد ذكرت سابقاً كيف بدأ الاتحاد السوفيتي في إجراء اتصالات وإرسال وفد عسكري سوفيتي.. وجاء لنا رئيس

---

(١) أرماند جان دو بلاسيس دو ريشيليو (Armand Jean du Plessis de Richelieu) أو الكاردينال ريشيليو عاش بين تاريخي (٩ سبتمبر ١٥٨٥ - ٤ ديسمبر ١٦٤٢) وهو رجل دولة ودين ونبيل فرنسي.. كان وزير الملك الفرنسي لويس الثالث عشر.. ثم أصبح كاردينالا سنة ١٦٢٢ ومن ثم أصبح سيد الوزراء لدى لويس الثالث عشر سنة ١٦٢٢ حتى وفاته سنة ١٦٤٢ وهو من خريجي السوربون ومؤسس أكاديمية اللغة الفرنسية.. يعتبر أول رئيس وزراء في التاريخ.. عند وفاته لم يكون محبوباً لدى الشعب بسبب القرارات التي اتخذها مما جعل الشعب يحتفل بإطلاق الألعاب النارية عندما عند إعلان وفاته.. استعمله الكسندر دوما كأحد شخصيات الفرسان الثلاثة.

(٢) الثورة الأمريكية تشير إلى الأحداث التي وقعت في أواخر القرن الثامن عشر والتي قامت ضد بريطانيا.. وأدت إلى استقلال الولايات المتحدة عن الإمبراطورية البريطانية.

الاتحاد السوفيتى نفسه.. وذكرت كيف انفتح لنا الباب من موسكو بعد فترة من سوء الفهم وسوء التقدير وسوء الظن التى أعقبت حرب (٦٧).

**مرحلة بناء الجسور**

لكن كان أهم من فتح الأبواب مع الاتحاد السوفيتى هو بناء جسور مع العالم الآخر.. ومع العالم الأوروبى أولاً.. ومع أمريكا ثانياً.. وعلى الرغم من أهمية أمريكا إلا أن أوروبا كانت هى الأقرب.. وكانت مطلوبة لعدة أسباب من أجل تحقيق أو ضمان نجاح سياسة حد السيف.. وقيل عن علاقتنا في ذلك الوقت مع الاتحاد السوفيتى أننا بشكل أو بآخر نفقد بريق جزء من القضايا.. وأننا ظهرنا كما لو أننا في إطار أو غطاء أو تبعية للاتحاد السوفيتى.. وأن هذا كله لا يمكن قبوله.

وبالتالى كان مطلوباً في ذلك الوقت أن نقيم علاقات مع أوروبا وبأسرع ما يمكن.. وأتذكر قول (جمال عبد الناصر) في ذلك الوقت لو لم تكن لنا علاقات حقيقية مع أوروبا لا بد من أن نحاول التصور أنها موجودة.. والتصرف على هذا الأساس.. ثم العمل على إيجادها.. وكان هذا دائماً في ذهن فرنسا.. وكانت الأقرب للانفتاح معنا لعدة أسباب.. الشيء الأول أنه أننا كنا سبب المشكلة بين الجزائر وفرنسا.. والشيء الثانى هو أن جنرال (شارل ديجول)[1] أتى وهو لديه عقدة تاريخية تقريباً من إنجلترا وأمريكا.. وكان يأمل أن تلعب فرنسا دورا مؤثراً في الأحداث.

---

(١) شارل ديجول (١٨٩٠ - ١٩٧٠) أول رئيس للجمهورية الفرنسية الخامسة.. وينظر الفرنسيون إليه باعتباره الأب الروحي للجمهورية الفرنسية.. ويرجع كثير من الفرنسيين الفضل إليه في استقلال بلادهم من الجيوش النازية أثناء الحرب العالمية الثانية إذ لم يتوقف وهو في لندن من إطلاق الشعارات التي كانت تلهب قلوب الفرنسيين وتدفعهم إلى المقاومة.. ومن أشهر نداءاته "أيها الفرنسيون لقد خسرنا معركة لكننا لم نخسر الحرب.. وسوف نناضل حتى نحرر بلدنا الحبيب من نير الاحتلال الجاثم على صدره". وينعكس تقدير هذا الرجل بشكل واضح في العاصمة باريس إذ تم تسميه العديد من المرافق الحيوية باسم الجنرال مثل (المطار.. الشوارع، المتاحف ومحطات القطارات) له عدة كتب حول موضوع الاستراتيجية والتصور السياسي والعسكري.. في يناير ١٩٤٠ قاد مقاومة بلاده في الحرب العالمية الثانية وترأس حكومة فرنسا الحرة في لندن في ١٨ يناير.. وفي سنة ١٩٤٣ ترأس اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني والتي أصبحت في يونيو ١٩٤٤ تسمى بالحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية.. عرف بمناوراته الاستعمارية تجاه الجزائر.. منها مشروع قسنطينة.. القوة الثالثة.. الجزائر جزائرية .. مشروع فصل الصحراء الجزائرية سلم الشجعان . توفي في عام ١٩٧٠.

## جسور مع أوروبا

حاول (ديجول) صناعة هذا الدور المؤثر أول ما بدأت أزمة إغلاق خليج العقبة والتى كانت تهدد بانفجار عالمى كبير دعا (شارل ديجول) لمؤتمر رباعى.. وكان في ذهنه باستمرار أن فرنسا متساوية مع إنجلترا.. وأمريكا.. والاتحاد السوفيتى.. وفكرة القمم الرباعية هى قمة العالم في ذلك الوقت كما كان يسميها تشرشل هم الأربعة دول دائمى العضوية في مجلس الأمن.. وكانت الصين وقتها هى العضو الخامس الذي أصر على وجوده الأمريكان.

وبينما كان العالم كله لا يعترف بالصين.. كنا نحن نعترف بها.. وبعد دعوة (ديجول) لعقد القمة الرباعية.. كان هناك رفض لوجود فرنسا في ذلك الوقت.. وكذلك أن يقوم (ديجول) بفعل أى شيء.. وبدا أن هناك معارضة أمريكية لاقتراح (ديجول) لأسباب خاصة بهم.. وكل الناس عارضوه حتى نحن.. وكذلك الإسرائيليون عارضوه مصممين على تحقيق نصر كاسح على مصر.

أما نحن فكنا غير راغبين في الذهاب في إطار قمة رباعية قد تفرض علينا ما لا نريده.. وقد تتخذ قرارات من الصعب جداً تحديها.. ونحن هنا أمام فعل مباشر.. وقُوىً مؤثرة في العالم.. ولسنا أمام قرار من الأمم المتحدة أو قرار من مجلس الأمن.. وهنا إذا اجتمع رؤساء أهم ٤ دول في العالم.. وصدرت توصيات وقرارات بشأن حل القضية.. ففي هذه الظروف غير المواتية.. قد نجد قراراتهم فرضاً علينا.. وأكثر مما نستطيع قبوله.

وعندما وجد (ديجول) أن اقتراحه باء بالفشل.. أظن أنه بدأت الاتصالات غير الرسمية في هذه الفترة.. ونحن في هذه المرحلة الصعبة والصدمة التى تعرضنا لها أن يخرج للعالم ويتحدث بلهجة قوة.. وأن أى قوى خارجية لا بد أن يعبر عنها قوى داخلية.. ولا أحد يستطيع التحدث في العالم الخارجى بصوت أعلى من موازين القوى التى يعيش العلم تحت مظلتها.

وأول أفكار بدأت تأتى لنا عن فرنسا موجودة في وثائق وهى واضحة أمامى وأريد أن أجعلها دراسة أكثر منها رواية.

جاء ذلك في أول اتصال مع فرنسا أجراه الاتحاد السوفيتى وتصادف أن رئيس الوزراء (كوسيجين) كان قد عاد وقتها من أمريكا بعد مقابلته للرئيس الأمريكى (جونسون).

وقبل رجوعه بلده قابل الجنرال (ديجول) في باريس وكان الأخير له رأى مشهور في ذلك الوقت.. في مؤتمر القمة العربية.. وعلى مستوى العالم.. وقد سقط اقتراح (ديجول) ولم يُنفذ.

وزار سفير الاتحاد السوفيتى في اليوم الثانى من المقابلة وطلب منه أن يبلغ عبدالمنعم النجار السفير المصرى في باريس آنذاك.. ويطلعه على فحوى ما جرى مع (ديجول) ورئيس الوزراء السوفيتى.. وقال للنجار أنه لمس بعض المناقشات التى دارت أمس وأن الجنرال (ديجول) مازال متردداً في تحديد موقف فرنسا.. على الرغم من أنه يسلم بأن اسرائيل قد بدأت بالعدوان.. وأنه يجب أن تجلو عن الأراضى التى تحتلها.

ولم يكن الجنرال (ديجول) من تقدم فقط باقتراح القمة الرباعية لكن زاد على ذلك أنه قال في تصريح رسمى أن فرنسا ستحدد موقفها من هذه الأزمة على أساس الطرف الذي بدأ باطلاق النار أولاً.. وأن فرنسا ستقف ضد من أطلق الرصاصة الأولى.

أما موقف السوفييت فكان الإصرار على ضرورة سحب العدوان.. وسحب القوات الاسرائيلية من كل الأراضى المحتلة.. وأنها البداية الأساسية لحل القضية وعدم توضيح موقف فرنسا.. ذلك يعتبر انضماماً للقوة الأمريكية.. ونفي (ديجول) هذا الموقف بشدة ولكنهم شعروا أنه بدأ يتخذ موقفاً أوضح.. ويشعرون أن فرنسا وقعت تحت التأثير الأمريكى في الداخل والخارج وأنه يجب مواجهته بضغط متزايد من الاتحاد السوفيتى.

وعندما حضر الاتحاد السوفيتى كان يقدم نفسه كوسيلة للاتصال وحيدة ومتفردة.. وكانوا يشرحوا لنا كيف كانوا يتصرفون مع المواقف الفرنسية وكيفية الضغط.

وقد طلبنا بعد يومين أن تتصل الجزائر بـ(ديجول) وذهب وقتها رئيس الجزائر الحالى عبدالعزيز بوتفليقة[1] وكان رئيس خارجية مع (بومدين) و(عبدالرحمن عارف).. ولم يكن (ديجول) يتحدث نقلاً عن (كوسيجين) أنهم يزيدون في دورهم.. ويقدم تقرير بطريقة أوضح.. وقال أن بوتفليقة قابل (ديجول) أمس وسأله عن أسباب عدم وضوح موقف فرنسا ضد العدوان الاسرائيلى.. فأجابه أنه ينتظر أيضاح الموقف السوفيتى.. وأن

---

(١) عبد العزيز بوتفليقة من مواليد ٢ مارس ١٩٣٧ رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية. في يناير ٢٠٠٥ عين من قبل المؤتمر الثامن رئيساً لحزب جبهة التحرير الوطني. ولد بمدينة وجدة المغربية.. ودخل مبكراً خضم المقاومة من اجل قضية بلاده.حيث التحق بعد نهاية دراسته الثانوية بصفوف جيش التحرير الوطني الجزائري وهو بعد في التاسعة عشرمن عمره في ١٩٥٦.

السوفييت كانوا عائدين من أمريكا.. وأن الرئيس الأمريكى مصمم على أن يتخذ موقفاً معيناً.. وأن السوفييت يحاولوا زحزحته عن هذا الموقف لكن لا يبدو أن هناك نتائج واضحة يمكن الاعتماد عليها لاتخاذ مواقف حقيقية.

ونقل بوتفليقه عن (ديجول) اعتباره أن مشكلة الشرق الأوسط صدى لحرب فيتنام[1] وأن أمريكا مع العدوان الاسرائيلى ويرى ضرورة إيجاد الطرق لوقف السيطرة الأمريكية التى زادت بشكل مطلق.. وأنه استفسر عن موقف الجزائر فأكد بوتفليقه له تسلميها واستمرارها حتى النهاية.. وسأله عن الرئيس عبد الناصر فقال له أنه لم يره أكثر هدوءاً وصلابةً عنه الآن وحثه (ديجول) على الحرص على التضامن بين الجزائر ومصر وأبلغه تصميمه على انسحاب اسرائيل وعدم السماح لها بتحقيق أى مكاسب.

أما عن كلام (كوسيجين) والذي نقله لنا سفير الاتحاد السوفيتى فقد كان يحمل نبرة مختلفة عن تلك النبرة التى يحملها كلام بوتفليقه.

وحدث بعد ذلك أن جاء وفد برلمانى من الجمعية الفرنسية يريد زيارة القاهرة.. وكان متقدماً بطلب لزيارة القاهرة قبل الأزمة.. وبعد الأزمة وافقنا على حضورهم.. وجاء الوفد الفرنسى ليدرس كيف جرت هذه الأزمة وكيف أديرت هكذا في ظل ظروف بالغة الصعوبة.. وكيف تحرك فيها أناس كثيرين جداً لأنه بالفعل وضعت دراسة في الدبلوماسية.. الرسمية.. والطرق الجانبية ودبلوماسية عامة.

(١) حرب فيتنام أو الحرب الهندوصينية الثانية كانت نزاع بين جمهورية فيتنام الديموقراطية (الشمالية).. متحالفة مع جبهة التحرير الوطنية.. ضد جمهورية فيتنام (الجنوبية) وحلفائها (وكانت الولايات المتحدة الأمريكية إحداهم) اندلعت الحرب بين ١٣ سبتمبر ١٩٥٦ و١٧ يونيو ١٩٧٥ بدأت قوات الفيت منه في الجنوب في التمرد على حكومة ديم.. وقد عُرف هؤلاء بالفيت كونج.. وفي عام ١٩٥٩أعلنت فيتنام الشمالية تأييدها لهذه الفئة وأمرتها بشن كفاح شامل ضد حكومتها.. وفي عام ١٩٦٠ شكل الثوار جبهة التحرير الوطنية التي أوكلت إليها مهمة قيادة الثورة. ورويداً رويداً تشعبت الحرب وازدادت ضراوة.. وكانت بداية تدخل الولايات المتحدة في الخمسينيات بعد أن شرعت في إرسال مستشارين مدنيين وعسكريين لفيتنام الجنوبية.. وبحلول عام ١٩٦٥ بدأت في إرسال قوات عسكرية وشن غارات جوية على فيتنام الشمالية. واستمر التورط الأمريكي في هذه الحرب حتى عام ١٩٧٣ علماً بأن الصين والاتحاد السوفييتي كانا يمدان فيتنام الشمالية والفيت كونج بالأسلحة والإمدادات.. كانت الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية وتايلند وأستراليا ونيوزيلندا والفلبين متحالفة مع فيتنام الجنوبية.. بينما تحالف الاتحاد السوفياتي والصين مع فيتنام الشمالية.. انتهى الغزو الأمريكي في ١٧ يونيو ١٩٧٥ باتحاد فيتنام الشمالية والجنوبية.

وعندما أتى الوفد البرلماني في ذلك الوقت كان عبد الناصر غير مستعد لمقابلة أى وفود خارجية وهذا طبيعي.. وقابله نائب رئيس الجمهورية السيد زكريا محيى الدين[1].. وعندما جلس مع الوفد أبلغه رئيس الوفد جاكسون صراحة أنهم تلقوا من الجنرال (ديجول) توجيهات مباشرة وبدأوا في الحديث مع زكريا محيى الدين وكان موجوداً وقتها السفير جمال منصور وكان رئيس إدارة غرب أوروبا في وزارة الخارجية وسجل محضراً بما جرى وقال فيه إنهم يريدون حل المسائل بطريقة سلمية.. وعاتب رئيس الوفد الفرنسى زكريا محيى الدين وقال له أنه يجب أن تكون هناك حرب عصابات.. وإلى آخر مدى الحرب يجب أن تكون شعبية.. وكان رد زكريا أننا لن نكون في حرب شعبية.. ولابد للرئيس أن يدرس الموقف دراسة جيدة ليتوصل لهذه النتائج.

ولم يحضر الرئيس المقابلة في ذلك الوقت.. ولكن في ذلك الوقت كان هناك شخصية مغربية - لن أقول اسمها في الوقت الحالى - على اتصال بالمكتب العسكرى للجنرال (ديجول).. ويشكل ما كان يرغب الجنرال (ديجول) أن يسمع أشياء عن مصر دون مصادر رسمية.. ولديه أشياء يريد السؤال عنها.

---

(١) زكريا عبد المجيد محيي الدين كان أحد ابرز الضباط الأحرار علي الساحة السياسية في مصر منذ قيام ثورة يوليو.. ورئيس وزراء ونائب رئيس جمهورية.. عرف بميوله يمين الوسط.. ولد في ٥ يوليو عام ١٩١٨ في كفر شكر بمحافظة القليوبية بمصر.. التحق بالمدرسة الحربية في ٦ أكتوبر عام ١٩٣٦.. ليتخرج منها برتبة ملازم ثاني في ٦ فبراير ١٩٣٨ وفي منقباد عام ١٩٣٩ التقي بجمال عبد الناصر.. ثم سافر إلي السودان في العام ١٩٤٠ ليلتقي مرة اخرى بجمال عبد الناصر.. ويتعرف بعبد الحكيم عامر.. عام ١٩٤٨ سافر إلي فلسطين.. فابلي بلاءً حسناً في المعارك هناك.. وتطوع أثناء حرب فلسطين ومعه صلاح سالم بتنفيذ مهمة الاتصال بالقوة المحاصرة في الفالوجا وتوصيل إمدادات الطعام والدواء لها.. انضم زكريا محيي الدين إلى تنظيم الضباط الأحرار قبل قيام الثورة بحوالي ثلاثة اشهر.. وكان ضمن خلية جمال عبد الناصر.. شارك في وضع خطة التحرك للقوات وكان المسئول علي عملية تحرك الوحدات العسكرية.. وقاد عملية محاصرة القصور الملكية في الإسكندرية أثناء تواجد الملك فاروق الأول بها.. وتولي فيما بعد منصب مدير المخابرات الحربية بين عامي ١٩٥٢و ١٩٥٣.. ثم عُينَ وزيراً للداخلية عام ١٩٥٣ أُسند إليه إنشاء جهاز المخابرات العامة المصرية من قبل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في ١٩٥٤. عين بعد ذلك وزيراً لداخلية الوحدة مع سوريا ١٩٥٨ تم تعينه رئيس اللجنة العليا للسد العالي في ٢٦ مارس ١٩٦٠ قام الرئيس جمال عبد الناصر بتعيينه نائباً لرئيس الجمهورية للمؤسسات ووزيراً للداخلية للمرة الثانية عام ١٩٦١. في عام ١٩٦٥ أصدر جمال عبد الناصر قراراً بتعينه رئيسا للوزراء ونائبا لرئيس الجمهورية.. عندما تنحي عبد الناصر عن الحكم عقب هزيمة ١٩٦٧ ليلة ٩ يونيو أسند الحكم إلي زكريا محي الدين.. ولكن الجماهير خرجت في مظاهرات تطالب ببقاء عبد الناصر في الحكم.. فتقدم محيي الدين باستقالته.. وأعلن اعتزاله الحياة السياسية عام ١٩٦٨ شهد زكريا محيي الدين.. مؤتمر باندونج وجميع مؤتمرات القمة العربية والإفريقية ودول عدم الانحياز.

### مقابلة مع (شارل ديجول)

وبالفعل بدأنا العمل في هذا الموضوع وكنت متحمساً له.. وكان الرئيس يريد القيام بما هو ممكن.. وقال له إنه لن يتحدث معه في شيء محدد لكن يريد أن يسأل عن أشياء يريد فهمها أكثر.. وفي ذلك الوقت أيضاً كانت هناك محاولة لتوفير وقت لـ((محمود رياض)) وزير الخارجية الذي مر على باريس وهو في طريقه للجمعية العامة للأمم المتحدة.. وعندما علمت سألت الرئيس عبد الناصر هل هناك داع لذهابي؟ وكان رأيه أننا قد نتكامل ولا نتقاطع.. وكل واحد يعرف ماذا يقول.. فليس هناك تقاطع.

وقبل ٥ أيام من زيارة (محمود رياض) ذهبت لمقابلة جنرال (ديجول) فوجدته مع أحد أفراد الحاشية العسكرية.. ودخلت من الباب الجانبي المواجه لقصر كاريملين في شارع كاريملين.. ووجدته أمامي وقد وضعني في موقف محرج للغاية لأنه أول ما دخلت.. وكنت قلقاً قال لي ماذا تريد أن تقول.. وكنت أتوقع أن تبدأ المقابلة بالتحية.. وبعض المجاملات في أول الأمر.. وبعد ذلك ندخل الموضوع طبقاً لما يراه هو.. وقد ارتبكت لبضعت ثوان وبعد ذلك كتبت.. وكان المهم أن أضع (محمود رياض) في الصورة لمعرفة ما حدث.. وكان سيقابله بعدي بخمسة أيام.

وبعد أن سألني جنرال (ديجول) عما أريد قوله.. ترددت وحاولت التغلب على هذا التردد وقلت له أن ملايين من المعجبين في العالم يتابعون حركة فرنسا الحرة.. وقلت له أنك لا تعرفني.. لكنني أعرفك وقابلتك قبل ذلك وجهاً لوجه عام ١٩٤٥.. كان ذلك وقتها في مؤتمرٍ صحفيٍ عُقِدَ في القاهرة.. وكنت آنذاك مساعد محرر في الإيجبيشين جازيت.. ولم يكن هو وقتها رئيساً.. وعندما أبدى اهتماماً وقال أنه قضى أياماً سعيدة في القاهرة.. وأن الإنجليز وقتها كانوا مسيطرين علينا.. وأنهم أتعبوه وأتعبونا أيضاً..

ثم بدا الجنرال (ديجول) في التقليل من الإطار الرسمي.. وسألني عن طبيعة الأزمة.. فحاولت أن أشرح له أزمة خليج العقبة.. فقال لي كل هذا الكلام أعرفه.. وأنه يفهم الوطنية.. ويعرف معناها جيداً.. وأن فرنسا مرت بصعوبات عديدة.. وأنها تحترم فكرة الوطنية.. وأنه لن يُجادل في الانسحاب عندما يجيء الموعد.. وأنه قاد انسحاب الجزائر لتعلن استقلالها.. ثم سألني عن الحلول فقلت له أنني غير مُخول للحديث عن الحلول.. وأنني أتصور أنه في ظل الاحتلال لا يمكن أن يكون أى معنى لأى كلام عن مفاوضات أو أى كلام عن حلول سلمية.

ثم سألنى عن المستقبل فقلت له في لحظة من اللحظات شيئاً أظنه قد أعجبه عندما قلت له أننى رأيت بعض من خطاباته لـ(جمال عبد الناصر).. وكلها مطبوع عليها جنرال (ديجول).. وليس الرئيس (ديجول) ولا ختم الرئاسة.. فكان رده أن العسكرية كانت اختياره وأن السياسة فرضتها عليه الظروف.. وشعرت وقتها بقيمة هذا الرجل تاريخياً فهو رجل لا يخطىء في فهم ما يتحدث عنه.. وقال أنه رأى عبدالحكيم عامر منذ سنة ونصف.. وأنه كان مارشال في حين أن سنه أصغر من أن يكون مارشالاً.

وسأل عنه فقلت له أنه موجود في القاهرة ومصاب بصدمة بعد ما حدث.. وأبدى استغرابه من حالة الصدمة والانهيار حتى على مستوى الشعب.. وأننا كان لدينا فترة حماس في أول الأمر.. ثم أصبحنا متشائمين.. ثم قال لى انظرو للخريطة واعرفوا موقعكم وحجمكم وحجم إسرائيل.. وأضاف أننا أقوياء بالموقع والحجم.. أقوياء بالموارد التى لدينا.. وأننا ليس لدينا مبرراً أن نصبح قلقين مما يجرى.

وعن زيارة (محمود رياض) والتى كانت بعد أيام قال لى إنه يتمنى لو يأتى رياض باقتراحات محددة.. وطلب منى أن أبلغ (جمال عبد الناصر) أنه يتفهم مشاعرنا وأنه عاش هذه التجربة من قبل.

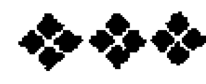
وبعد هذه المقابلة بخمسة أيام بالضبط قابل (محمود رياض) جنرال (ديجول).. وكنت قبلها قد قابلته وأعطيته فكرة عن كل ما جرى.. وعلى أساس الملاحظات التى كتبتها عن المقابلة.. وبالتالى ذهب (محمود رياض) وهو لديه فكرة عما قاله الروس.. وما قاله بوتفليقة.. ثم أرسل برقية لـ(جمال عبد الناصر) يخطره أنه قابل الجنرال (ديجول) صباح اليوم.. وكانت المقابلة لمدة ساعة.. وكانت ودية للغاية وصريحة.. بل وعاطفية عندما تحدث عن السيد الرئيس وطلب إبلاغه تحياته.. وأشار إلى المصاعب الكثيرة التى صادفها.. وطالب أن يصمد الرئيس أمام المحن التى تواجهه.. وأكد أن مصر في النهاية ستكون لنا.

وكان (ديجول) قد تحدث معى عن موازين القوى في التاريخ.. لكن مع (محمود رياض) كان رأيه أن روسيا لن تستطيع أن تعمل شيئاً في ذلك الوقت وأن كل ما يشغل أمريكا هى فيتنام.. وأنها سعيدة بما حققته اسرائيل.

وعن إنجلترا قال (ديجول) أن إنجلترا لا قيمة لها.. وعلى العرب أن يعتمدوا على أنفسهم.. وهنا كانت كل أنواع الدبلوماسية تتحرك.

وبعد أيام صدرت قرارات تأكيد حظر تصدير أسلحة لإسرائيل وكان هذا وقتها مهماً للغاية.. وأنه كانت هناك أعمالاً دبلوماسية تكاملت فيه كل عناصر الانتصارات من أول الرسمي.. ثم الجانبى.. ثم العام.

وأن الدبلوماسية العامة ظهرت أكثر في علاقتنا مع إنجلترا.. وأريد الاشارة أن الطرق الجانبية تصنع أزمات في أوقات.. وأن الولايات المتحدة توسعت لمساحة الضعف بالضبط عندما تمكن الرئيس الأمريكى جفرسون من شراء كل الولايات الفرنسية في الجنوب وكل حوض المسيسبى.. وعلى امتداد كاليفورنيا.. وأنه قام بهذه العملية صديق لجفرسون.. وكان يعلم أنهم يريدون أموالاً.. فأرسل وقتها وزير خارجيته مونرو لكى يعرف مدى استعداد فرنسا لبيع ممتلكاتها أو مستعمراتها الجنوبية في أمريكا الشمالية.. وكانت عندها جنوب أمريكا كله.. فأبعد جفرسون وزير خارجيته لأنه لفت الأنظار.. وأرسله صديقه ديبون الفرنسى وكان مهاجراً من فرنسا لأمريكا.. وتم عقد الصفقة وضاعفت الولايات المتحدة مساحتها بعمل دبلوماسى جانبى.



## ٣

# شيك بقيمة جاسوس!!

وبالانتقال بالعلاقات من فرنسا لإنجلترا كان مطلوباً بناء جسر معها بعد أن قمنا بذلك مع فرنسا.. وهو جسر آخر لا بد من بنائه في ذلك الوقت لأن علاقتنا مع إنجلترا كانت آنذاك مقطوعة.. وكان قطع علاقات اضطرارياً بسبب قناة السويس.. وأنا أتذكر في ذلك الوقت أننا لعبنا أدواراً كبيرة أنا وغيري من ٥٧ إلى ٦٠ لما التقى (جمال عبد الناصر) بالأمم المتحدة.. وأجد في الوثائق الموجودة عندي أشياء غريبة جداً بالنسبة لقطع العلاقات وأشياء غريبة في الممارسة الدبلوماسية.

وأجد أن الفرنسيين كانوا متفقين في إقامة علاقات معنا.. وأننا راغبون وهم راغبون.. وهم لديهم شروط وطلبات.. فنحن نريد قنصليات في بعض الأماكن التي بها سيطرة بريطانية مثل الكويت.. ونيجيريا.. وقبرص.. وتنزانيا.. ونريد فتح العديد من القنصليات في الكثير من البلاد.. وهم يريدون فتح قنصلية في دمشق.. وفي ذلك الوقت أرسلوا لنا قائماً بالأعمال مهماً جداً وهو سير "كولن كول" وهو سفير جاء قائماً بالأعمال.. وقابلني.. وقابل (محمود رياض).. وقابل كثيرين غيرنا.. وكان هناك كلام كثير دائر بيننا من تبادل قنصليات إلى آخره.

بالنسبة لموضوع الأسرى كان لهم جواسيس محبوسين لدينا.. أُعتقلوا في ظروف السويس.. واحد منهم يسمى "زارب" والآخر "سويندر" كان في وكالة الأنباء العربية.. أُفرِجَ عن الأول لأسباب صحية.. وظل الأخير في السجن.. وعندما أرسلنا قائمة بالقنصليات المطلوبة رد سير كولن أن هذه الطلبات مبالغ فيها.. وأنه أراد أن يعرف ما الذي نستطيع تقديمه في المقابل.. وهل سيكون هناك عملٌ متكامل يحل موضوع القنصلية بشكل كامل.. وبعد ذلك هم يريدون زارب الجاسوس بشكل قاطع قبل أن يأتي لنا سفير رسمي معتمد.

وقال عبد الناصر أنه ليس لديه مانع في الإفراج عن الجاسوس.. ولكن نحن لا نريد أن نفرج عنه بطريقة سهلة.. وكان مدة إقامة كولن جو السفير قد قاربت على الانتهاء.. وكنت أعرف كم هو مجروح.. وهذه الواقعة لم أكن أجرؤ أن أقولها لولا أن أحد المؤرخين الإنجليز وهو "روبرت ماكنمارا" أستاذ التاريخ في جامعة أيرلندا ذكرها بالتفصيل.

حيث أنني تصرفت وقتها وقلت إننا وافقنا.. وفي نفس الوقت لا أريد القول إننا تنازلنا.. وطلبت من كولن جو قبل سفره أن أقابله وأنني قمت بعمل غريب وقتها.. وأنني كتبت شيك لـ"سير كول" وشطبت كلمة "مبلغ" وكتبت مكانها "زارب" ووضعت الشيك في ظرف.. ووضعته على مكتبي.. فقلت له إنه تقديراً من الرئيس (جمال عبد الناصر) لجهودك قررت أن أعطيك هذا الظرف.. وكان متردداً في فتح الظرف.. وعندما أخبرته أن به شيك اضطرب.. واحمر وجهه فكيف لمندوب بريطانيا العظمى سير كولن كول أن يعطيه أحد شيكاً.. وطالبته كثيراً بأن يعرف ما في الشيك.. وقلت له على الأقل اعرف قيمتك عندنا كم تساوي.. وعندما رآه ووجد مكتوباً فيه "زارب" قلت له أي أحد يأخذ هذا الشيك.. ويذهب به لسجن طرة ليأخذ زارب.. بعد أن اتفقت مع وزير الداخلية آنذاك "علي جمعة" على ذلك بإذن من الرئيس عبد الناصر.. وأرسل واحداً ومعه الشيك.. وتسلم الجاسوس.. وقامت العلاقات.. وتم حل أزمة قطع العلاقات.



# ٤

## ميادين القتال!!

خـلال الأسـابيع التـى تلـت صـدمة يونيـو.. وخـلال يوليـو.. وأغسطس.. وسبتمبر إلى آخره في هذه الفترة كانت المعارك في ميـادين القتـال علـى أشُـدّهَا.. معـارك المـدافع.. ومعـارك إغراق إيلات .. وفي هـذه الفـترة أيضـاً كـان هنـاك طلب من الشباب الجديد المتطوع أن يجعل من عملياته أكثر جرأة.. ويتقدمون ويدخلون بدوريات وراء الخطوط الإسرائيلية عبر قنـاة السـويس لكـى يلتحمـوا مـع العـدو.. وكانـت هنـاك تعليمات أيضاً أنه باستمرار يتغير شباب هـذه الـدوريات حتـى يتاح لأكبر عدد من الشباب الوجود في المعركة في ملامسة أو اشتباك مع العدو لكسر حـاجز الخـوف.. ولكـى يشـعروا بأنفسـهم بعيـداً عـن الخطـوط الدفاعيـة.. وبـأكثر مـن انطلاقات المدافع وبأكثر من إيلات.

وفي نفس الوقت كانت هناك معركة دبلوماسية على خطوط النار في معركة السلاح كدور لمساندة أى عمل دبلوماسى أو سياسى على مختلف القنوات.. وهناك قنوات كثيرة تعمل وهناك قنوات دبلوماسية مباشرة.. وهناك قنوات اتصالات جانبية.. وهناك قنوات الدبلوماسية العامة.

ولكن في هذه اللحظة كان هناك رأى أن تتحدث قناة واحدة عن مصر وليس قناتين أو ثلاثاً.. وهذه القناة هى قناة الوفد الموجود في نيويورك.. لأنه كان هناك إحساس في ذلك الوقت بعد بناء جسور مع فرنسا وإنجلترا وجاء الوقت لبناء جسور مع أمريكا.. وكان هذا ضرورياً.. وكان الإحساس وقتها هو أننا لا نبنى جسراً.. فالطريق ما هو إلا حقل ألغام مفروشاً عن آخره بكل أنواع المتفجرات.. وكان المطلوب في ذلك الوقت فتح ممر شبه آمن بنزع فتيل بعض الألغام.. ولم يكن يتصور أحد في ظل هذه الظروف فتح جسور مع أمريكا كما فعلنا مع الاتحاد السوفييتى.. وهو فتح أبواب وفتح جسور مع فرنسا.. ولذلك تقرر في ذلك الوقت أن المسار الرسمى والوفد الرسمى عليه أن يعمل.. وبعد ذلك تعمل باقى القنوات.. وفي ذلك الوقت كان الاتصال ضرورياً لعدة أسباب.. أولاً لأننا كنا أمام معركة لديها مدى طويل وسوف يغطيها عمل سياسى لهذه الفترة.. وإذا أريد لعمل سياسى أن يكون مؤثراً أو موجوداً لا بد أن تكون الولايات المتحدة طرفاً فيه لعدة أسباب..

**أولاً:** لا يمكن أن يتحدث أحد عن عمل سياسى بصرف النظر عن اعتقاده بنتائج عملية وحقيقية إلا والولايات المتحدة موجودة فيه.. وحقائق موقف دولى وحقائق لحظة تاريخية معينة لا يستطيع أحدٌ مهما كانت عواطفه أو مشاعره أن يهرب من هذه الحقيقة..

**ثانياً:** الموضوع كان مهماً بالنسبة للاتحاد السوفييتى نفسه لأنه كان مهماً ألا نكون بمفردنا مع الاتحاد السوفييتى.. وكان هذا من دواعى فتح جسور مع أوروبا الغربية.. وقلنا إنه إذا لم تكن هذه الجسور موجودة بالفعل لوجب اختراعها.. ووجب تنفيذها.. أو العمل على إنشائها.. والعلاقة مع الولايات المتحدة ضرورية لطمأنة الاتحاد السوفييتى وضرورية لتشجيع أوروبا أن تقوم بدور.. وضرورية من ناحية أصدقاء لنا لهم رؤى مختلفة حول الاتحاد السوفييتى.. والولايات المتحدة الأمريكية.. ورأيهم وقد يكون له منطق يسنده.. وهو أن السياسة المصرية استفزت الأمريكان.. ولابد أن نلطف قليلاً.. وفي هذه اللحظة كان لابد من تفعيل قناة واحدة فقط للعمل السياسى وهى القناة الدبلوماسية المصرية.

وكان الذي يقود هذه العملية في نيويورك في الأمم المتحدة وفي مجلس الأمن هو الدكتور (محمود فوزى) .. وتحدثت عنه فيما سبق كثيراً وسألجأ قليلاً لهذه الفترة لبعض الوثائق.. ففي هذه الفترة جاءت أول برقية من (محمود فوزى) خاصة بذهابه إلى نيويورك في أوائل يوليو.. ثم أرسل برقية ١٦ يوليو قال فيها أنه قابل المندوب الأمريكى (جولد برج ) وأناساً كثيرين.. لكن قيل له صراحة بطريقة غير مباشرة من كل الوفود العربية أن الرسالة واضحة من أرثر (جولد برج ) وهو المندوب اليهودى في ذلك الوقت للولايات المتحدة في الأمم المتحدة.. وهو المندوب الدائم للرئيس (جونسون) وهو الأقرب له في ذلك الوقت وهو الذي طلب في هذه اللحظة وهو من أكبر أصدقاء إسرائيل.

وفي أول البرقية قال (جولد برج ) لكل الوفود العربية لأن كل الوفود العربية أرسلت جزءاً منها لنيويورك.. وهنا الوفد المصرى مكلف بشيئين ألا وهو حضور هذه المناقشات بالطبيعة الجارية في الأمم المتحدة ومجلس الأمن حول مشكلة الشرق الأوسط.. ثم هو مكلف أيضاً بفتح هذا الممر وسط حقل ألغام.. والوفد كان قوياً فكان فيه (محمود فوزى) .. و(محمود رياض).. والدكتور حسن صبرى الخولى.. وأشرف غربال.. وهى مجموعة قوية.. بل وأحسن مجموعة كان من الممكن أن توجد في نيويورك في هذه اللحظة.. وقال (محمود فوزى) في البرقية أن كل بلد منكم لا بد أن يعقد صلحاً مع إسرائيل في هذه اللحظة ثم تبقى في موقعها.. والولايات المتحدة لا يهمها أن تقوم.. أو تبقى حكومة عربية أو تسقط.. فلتسقط حكومات عربية كثيرة حتى تأتى الحكومة الملائمة التى يكون في مقدورها أن توقع صلحاً مع إسرائيل.. وكانت هذه فاتحة برقية (محمود فوزى) .. ولم تكن مبشرة لا بأمل ولا بخير.. لكنى اعتقد أن الدكتور فوزى وصف حقيقة الموقف.. وما يحدث وفي وقته.

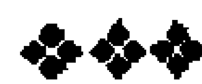
وانتقل لبرقية يوم ١٦ يوليو من فوزى والتى قال فيها أن الأمور واضحة جداً.. ويجب أن تعقد الحكومة العربية صلحاً نهائياً مع إسرائيل.. ومن لم يستطع فسيقع.

وبعد ذلك نجد أن حسن صبرى الخولى لم يلحق بالوفد.. وكان الممثل الشخصى للرئيس وقتها في اجتماعات القمة العربية.. ولأنه لما بدأت هذه القمم العربية اتفق الزعماء العرب على تسهيل الأمور.. وتشكيل لجنة اتصال فيها ممثلون للرؤساء تواصل متابعة تنفيذ ما توصلوا له مع الأمانة العامة للجامعة العربية بطبيعة الحال.

وفي يوم ٢٠ أغسطس وقبلها ١٧ أغسطس نجد أن السفير دونالد برجس سيحضر للقاهرة للالتحاق بالسفارة الأسبانية التى هى قائمة على شئون المصالح الأمريكية في القاهرة.. فعندما تقطع الدول علاقتها بينها وبين بعضها عادة تختار كل دولة دولة سفارة دولة أخرى لتمثلها في مصالحها المعنية بالبلد الآخر.. والسفارة الأسبانية في ذلك الوقت كانت هى الممثلة لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية.

وأخطرونا أن دونالدس برجس قادم.. ودونالد برجس هو سفير ملحق بالسفارة الأسابنية بالقاهرة.. رأى حسن الخولى قبل أن يلتحق بالوفد.. وهنا قال له إنه يتأسف لحضوره في هذه الظروف الصعبة.. وأنه قد عرفه في ظروف سابقة.. وأنه في حيرة ولا يعرف ماذا يفعل.. فقال له حسن صبرى الخولى ـ وكان وقتها الرجل الثانى أو الثالث في وزارة الخارجية ـ إنه يستطيع أن يتصل بواحد من اثنين فقال له تستطيع الاتصال بـ (زكريا محيى الدين) نائب رئيس الجمهورية في ذلك الوقت.. أو هيكل.. وكان رأى (جمال عبد الناصر) هو ألا يتصل أى أحد في ذلك الوقت.. وهناك العديد من البرقيات أمامى فيها أشياء غريبة.. منها أن الأمم المتحدة قررت قطع المعونة عن السودان إذا لم يعلن السودان عن عودة العلاقات بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية.. وكان السودان قد قطع علاقته بالفعل بعد أن ظهر التدخل الأمريكى في ٧ و٨ و٩ يونيو ٦٧ وضمن حكومات عربية كثيرة.. فبدأوا بالسودان كأنه أمراً مقصوداً.. والشيء الآخر أنه في برقية أخرى أرسلها بتاريخ ٣ أكتوبر "دين راسك" وزير الخارجية الأمريكية سأل الدكتور (محمود فوزى): هل مصر كلها تتحدث بصوت واحد.. فردّ عليه فوزى أن هناك وفد واحد يمثل الجمهورية العربية المتحدة وليس لأى أحد أى شيء آخر وهذا ما لدى من القاهرة.

ثم قال له "راسك" إنه لا يرى موقفاً عربياً موحداً فيرد عليه بأن قرارات الخرطوم هى التى تمثل الرأي العربى الموحد.. وإذا كنتم قد سمعتم آراء أخرى.. مثل قرار واشنطن بمنع استيراد القطن من مصر ومقاطعة النسيج المصرى.



٥

## الملك حسين.. والقرار الأمريكي!!

ومن بين أوراق تجربة هيكل يستخرج وثيقة هامة يقول عنها:

أجد بين أوراقي مقابلة أيضاً يبدو فيها اللعب بين روستو مستشار الأمن القومي للرئيس (جونسون) في ذلك الوقت وبين السفير الإسرائيلي في واشنطن هارمان.. وقال الأول له أن (الملك حسين) هو الجبهة التي يمكن التركيز عليها في هذه اللحظة.. وأنه أكثر من أُضير في هذه الحرب وفقد الضفة الغربية.. وفي كل اتصالاتنا به يقول إنه ذهب للخرطوم لكي يرى موقفاً عربياً واحداً.. وقد رآه لكن هذا الموقف العربي الواحد متشدد لأنه لا قرارات ولا صلح مع إسرائيل.. ولكي أكون أميناً ذهب (الملك حسين).. وكان يبدو قلقاً.. ولم يستطع أن ينتظر الموقف.. وفي ذلك الوقت عذرته لأن كان يخاف من أي تصرفات إسرائيلية في الضفة الغربية إذا طال الاحتلال..

وكان في ذلك الوقت عصبياً.. وشاركه الأمريكان في هذا التصور ألا وهو جبهة الاختراق في الشرق.. وهناك معركة قادمة من جبهة شرقية واحدة وغربية واحدة.. فهنا (الملك حسين) يلمح للأمريكان والإسرائيليين وهو يعرفهم من تجارب سابقة أن جبهة الأردن قد تكون الجبهة الأولى التى قد يمكن اختراقها.. وبالتالى يحدث كلام من السفارة في واشنطن أو الوفد أن (الملك حسين) يبدى استعداده للموافقة على عقد صلح مع إسرائيل.. ويبدى في أحيان أخرى عدم قدرته على الخروج عن الإجماع العربى.. وأنه بالخروج يعرض العرش لأسباب داخلية لمخاطر لكن رفض صلحاً أيضاً مع إسرائيل يعرضه لضغوط.. وموقف الملك متردد ويشعر الأمريكان.. وهنا يمكن لجبهة الأردن أن يحدث لها اختراق.

ويطلب (الملك حسين) من (محمود رياض) أن ينقل للقاهرة أن الأمريكان يعملون على سحب القوات الإسرائيلية.. وبالتالى فهو سيقع تحت ضغط شديد للغاية بغرض موافقته على مشروع القرار الأمريكى.

وفي برقية أخرى للدكتور فوزى يحكى أنه قابل "راسك" وقال له أن هذا القرار لا يبدو مقبولاً.. وأنه يحتاج لمناقشات طويلة.. فقال له "راسك":

إنك رجل دبلوماسى.. وإذا طلبت تدخل الولايات المتحدة للضغط على إسرائيل فلا بد للولايات المتحدة أن تجتهد لذلك.. ونحن لا نستطيع أن نوافق على مشروع قرار لا نقدر على تنفيذه.. لكن نحن نضغط على إسرائيل من أجل قرار واضح أمامنا.

وعندما حضر الدكتور فوزى للقاهرة تكلم مع عبد الناصر في المشروع.. وكان (جمال عبد الناصر) باحساسه رافضاً هذا المشروع.. لكن الدكتور فوزى كان لديه قدراً هائلاً من الحكمة والتجارب.. فرد على ناصر قائلاً:

- يا سيادة الرئيس لقد حضرت معظم هذه المناقشات.. وجزء منها اجتماع جرى في القناطر وبالتحديد في استراحة القناطر.. يا سيادة الرئيس نحن جميعاً مسلمين بأن العمل السياسى ما هو إلا غطاء لعمل عسكرى.

**وهنا يقول هيكل:**

في اعتقادى وباستمرار على مدار التاريخ أن النصوص ليست هي ما يُعتدُ به.. وإنما ما يعتد به هو القوة التى وراء هذه النصوص.. فأى وضع يمكن أن يملى نصاً.. وإذا تغير هذا الوضع ونحن نتوقع ذلك.. فستتغير النصوص.. وما يملى النصوص هو أمر واقع.. وأنا

أخشى أن هذا النص هو قصارى ما نستطيع أن نصل اليه مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى.

وقال فوزى لعبد الناصر أن هذا القرار سيصدر بأغلبية وسوف يُملىَ علينا.. وحالياً من خلال هذا الوضع الذي نشأ يوم ٥ يونيو لا شيء يمكن تغييره.. وأنا أتذكر أن فوزى في ذلك الوقت كان يستعمل تعبيراً باللغة الإنجليزية.. معناه أنه لابد أن نلغى ما قد حصل.. ولا بد أن نمحى ما قد حدث.

وقال "راسك" للملك حسين إننا في طريقنا للاتصال بالشرق الأوسط إذا تحققت ثلاثة شروط هي..

- أن يكون العرب على يقين من قوة إسرائيل العسكرية..
- أن توضح الولايات المتحدة للاتحاد السوفييتى أنها لن تسمح بمزيد من التغلغل السوفييتى في الشرق الأوسط..
- ألا يعطى تل غراب آمالا زائفة في تدخل الأمم المتحدة أو غيرها لفرض تسوية على إسرائيل.

والغريب أيضاً قول "جولد برج" للوفود العربية دون أن يخفي رأيه إنه لابد من بناء حقائق سياسية تقنع العرب أنه لا فائدة في حلم قد يراودهم إلى ميدان القتال.

**شروط متغطرسة**

وهنا تحضرنى ثلاثة مشاهد لاستكمل قفزة للأمام تؤكد فيما بعد أن ما وصلنا إليه مع الولايات المتحدة كان طبيعياً قياساً بمجريات الأمور.. وكان من الصعب احتمال الوضع أو تقبله وكأنه لم تحدث معركة.. فهذه الأمة حاربت وهذه الأمة قاتلت ولكن هناك تصميمٌ أمريكيٌ بشكلٍ ما.

أولاً في ذلك الوقت حدث لقاء (الملك حسين) مع "راسك".. وكان موجوداً في الأمم المتحدة.. وكان قد قابله في نفس السنة في أكتوبر أو نوفمبر.. وقابله في لندن في زيارة سرية في عيادة الدكتور يدعى "هريت" وأجد أن الذي كتب ذلك هو "إدليش لاين" أحد المؤرخين العظام.. وهو إنجليزى إسرائيلى يقوم بالتجهيز في جامعة أكسفورد.. وهو يعتقد أنه مؤرخ لديه حس بالعدل التاريخى.. وحس بالحقيقة التاريخية.. وما نحكيه هنا هو رواية (الملك حسين) لإدليش لاين على أى حال.. وقال الأخير أن (الملك حسين) قابله

وتصور (الملك حسين) أن الاستعداد عربياً.. والكلام سلمياً.. قد يساعد على أن يكون الأردن نموذجاً.. وأنه حدث كلام في واشنطن حول البداية كخطوة أولى.. وأنا ـ أى (الملك حسين) ـ مستعد للبداية كخطوة أولى إذا بدت بادرة تشجعنى على هذا.. وأنا لا أقدم على وعود فقط.. ولم يملك "راسك" ما يقدمه للملك وقتها.. وعاد (الملك حسين) من هذا كله خائب الرجاء.

المشهد الثانى الذي أريد التحدث فيه هو ممر آمن مع أمريكا لكنى لا أعرف أن هناك من تقدم بمنتهى الشجاعة.. وعرض كل شيء على الولايات المتحدة الأمريكية مثل الرئيس أنور (السادات).. وأنا هنا أكمل الخط الأمريكى لأصل به إلى منتهاه لأنه فيما يتعلق ببناء جسور أو ممرات وسط حقل ألغام أنا أعتقد إنها قضية تحتاج لإعادة نظر وإلى دراسة متأنية على الأقل لأن إعادة النظر أعتقد انها ستأتى في تاريخ مقبل لكن تحتاج إلى بعض الروية والحذر.



٦

## مشروع هنري كيسنجر!!

هنا كتاب كتبه السير "أرستل هورل" وهو أحد أهم المؤرخين العسكريين الإنجليز وكان ضيفي في إحدى المرات بالقاهرة.. وطلب مقابلتى لأنه كان يكتب كتاباً عن "(كيسنجر) سنة ١٩٧٣" وهو اسم الكتاب وأحب كمؤرخ أن يكتب عن سنة واحدة وهى ٧٣ معتبرها في السياسة الدولية سنة (هنرى كيسنجر) لأنه فيها تحرك في الوفاق وتحرك أمام الصين وتحرك في أزمة الشرق الأوسط وكان أكبر نجاح له.

لكن السير "أرستل هورل" تصور أنه سيركز على هذه السنة فقابل (كيسنجر) وهو يكتب كتابه فطرح له بعض الأسماء وكنت منهم لكى يقابلهم لمعرفة ما جرى سنة ٧٣.

يحكى "رستل هولم" نقلاً عن (كيسنجر) أنه كان يدخل للسادات.. وهو متخوفاً من اللوم لأنه كان السبب في الجسر الجوى الذي أنقذ إسرائيل.. أو أنقذ المعبد من الانهيار كما كان يقول ديان.. وكان هذا الجسر مهماً للغاية.. ولكن هناك قضية أخرى وهى الاتصالات السرية.. وكان هارلم يتوقع أن يفاتحه (السادات) في موضوع الجسر الجوى أو قضية وقف إطلاق النار.. لكن لم يفاتحه (السادات) وقال له أنا لا أريد الدخول في تفاصيل.. بل اقترح عليك مشروعاً تسميه (هنرى كيسنجر) ولكن اسمعنى جيداً فأنا سوف أعكس كل ثوابتي السابقة.. فنحن قد دخلنا في مواجهة معكم أنا لا أؤمن بها.. ولا اعتقد فيها وأنا أرى أن الوقت قد حان لعكسها.. وأنا لا أريد الاتحاد السوفييتى.. فقد أدى دوره ولم تكن هناك حروب.. ومن الآن فصاعداً سأكون صديقاً الولايات المتحدة.

وقد أدهش هذا الكلام (هنرى كيسنجر) وحكاية أن (السادات) قال له إنه ليس خليفة لـ(جمال عبد الناصر).. وأنه فقط خلف للفراعنة الكبار.. وأنه ينظر لوجهه ويرى أنه يبدو كرأس أخناتون.. لكن هنا وسط معركة.. وأجواء متوترة.. وهناك وفد عربى قادم من جيوش وأسلحة.. وهناك جبهة شرقية وجيوش عربية متمركز من أول الجولان إلى العين السخنة في مصر.. والسلاح الذي نملكه هو سوفييتى.. واعتقد أن ذلك كان أكبر طمأنينة يمكن أن نعطيها للأمريكان.. وهذه النقطة هى التى تهمنى في هذه اللحظة.. فأنا هنا أمام رجل - سواء اتفقت أو اختلفتُ معه - تقدم بجسارة وقال لهم في لحظة حرجة أن كل ما مضى انتهى وأن سياستى تكون معكم.. لا ضدكم.. وقبلها استطاع أن يحقق حدثاً مهماً ألا وهو كسره لأسطورة تفوق الجيش الإسرائيلى.. ووافقه (كيسنجر) في الأيام السبع الأولى في الحرب.. ويقول (أنور السادات) وهذا مكننى من أن أغير ما أشاء في مصر.. ودخل في رهان أن يسلم ٩٩٪ من الأوراق لأمريكا ومع هذا فذلك الرهان وصل للحد الذي رأيناه.

أما المشهد الثالث وكنت موجوداً فيه وهو لقاء مع "كوفد دمورفيل" وهو سياسى ودبلوماسى فرنسى مهم جداً وكان صديقاً للجنرال (ديجول) وسفيراً لفرنسا في مصر في الفترة من سنة ٥٤ إلى سنة ٥٦ ورحل "دمورفيل" قبل تأميم السويس ليصبح وزيراً للخارجية.. وأثناء وجوده في القاهرة رأيته كثيراً جداً.. وكان بيننا مناقشات طويلة.. كما كان بيننا نوع من الود والمناقشات الساخنة بسبب الجزائر.

**لعبة الشرق الأوسط**

قال لى "كوفد دمورفيل" إنه يعرف مصر جيداً وأننا الإثنان على المعاش نلعب الجولف.. وقال لى إننا فهمنا لعبة الشرق الأوسط خطأ.. وأن هناك معركة هى معركة إسرائيل.. وأن الغرب وإنجلترا وأمريكا يوافقون على دولة إسرائيل ويساندونها.. وهذا صحيح ولكن هناك مشروع آخر لدخول إسرائيل وهو خروج مصر.. ولا يتحقق إلا بخروج مصر.. وأن إنجلترا هى التى ساعدت على دخول إسرائيل.. لكن أمريكا هى الدولة التى تعمل على خروج مصر.. وقال لى أننى قد رأيت الجنرال (ديجول).. وعرفت منه طبيعة العلاقة بين السياسة والخريطة.. ووضعت الخريطة أمامى فقال لى أن مصالح أمريكا ترى أن مصر ليست مهمة فى حد ذاتها.. وتذكروا أن مركز الثقل فى العالم كان فى قناة السويس.. وفقدت بعد ذلك أهميتها من الناحية الأمريكية وأصبحت تدور حول رأس الرجاء الصالح.. ولديها مراكب كبيرة تستطيع قطع المسافة والتكاليف لم تعد كبيرة.

وأن قناة السويس مهمة لأوروبا الغربية.. والهند.. والصين.. ولكن بالنسبة للأمريكيين لم تعد مهمة.. فقد انتقل مركز الثقل إلى الخليج.. ثم المحيط الهادى بين الصين وأمريكا فى وجود الاتحاد السوفييتى واليابان أيضاً وكانت القوة الرابعة وهو الصراع على العالم مقبل عليها فى المرحلة القادمة.. وأن الخطأ أننا لم ننتبه لهذا.

وعندما قامت إنجلترا بالانسحاب من قناة السويس فهمنا أن إنجلترا تعيد تمركز قواتها وهذا غير صحيح.. والأهم من الاستراتيجية وكانوا يعرفون ذلك فى أوروبا أن قناة السويس هناك شرق.. وغرب القناة.. وفى الأخيرة لم يكن عندهم مانع أن يكون هناك دولة أفريقية أخرى مسلمة فى حدودها وأن الخطر باستمرار هو تخطى قناة السويس.

وقال لى إنه فى وقت (الملك فاروق) صنعت مصر صلة مع المشرق بالجامعة العربية وبعد صدمة فلسطين وقف لعدم ظهور مصر بالبريق والقوة المتوقعة.. لكن الذي حدث بعد ذلك هو أن عبد الناصر أحضر المشرق العربى كله إلى القاهرة وأصبحت هناك مشكلة هذا المشرق العربى فيجب أن تخرج مصر من المشرق وهذا المشرق الذي جاء من الغرب لا بد أن يخرج من الغرب وخط قناة السويس هو الخط الفاصل.

استمعت إلى "دمورفيل" وكيف أنه كان هناك مشروعان وليس مشروعاً عربياً واحداً الا وهو دخول وخروج.. ومشروع الخروج مازال يأخذنا حتى هذه اللحظة في الأمم المتحدة.. وبعد(٦٧) قمنا بكل ما هو ممكن أن نحصل على حق إزاء إسرائيل.. ثم جاء (الملك حسين) الذي أبدى استعداده أن يعترف بإسرائيل وكان ذلك قبل (٦٧) ثم جاء الرئيس (السادات) وأعطى بلا حدود ولم يأخذ شيئاً في المقابل.

في تلك الأوقات الصعبة والخطرة من خريف( ١٩٦٧) وبينما تبذل كل هذه الجهود لإعادة بناء جبهة معينة وقضية معينة ومواقف وقوة معينة بمعنى أن هناك شعباً اختار أن يقف ويقاتل.. وأمة عربية اختارت مساندة المعركة.. وهناك جسور يمكن بناؤها مع العالم الخارجي.. وطرق وممرات آمنة يمكن فتحها وسط حقول الألغام.. يبدو لأي مراقب أن هناك في الموقف حلقة ناقصة.. وهذه الحلقة الناقصة ببساطة هي:

**أين شعب فلسطين؟**

شعب فلسطين وأرضه في هذه اللحظة هما مركز القضية.. رغم أن القضية أوسع بكثير لأنها قضية الأمن العربي.. لكن بؤرة المركز لابد أن تكون حاضرة.. وظاهرة ومؤثرة.. وفي هذا الوقت بدا الشعب الفلسطيني وقتها مثقلاً بهموم كثيرة.

وفوجئ شعب فلسطين في هذه اللحظة بالأزمات.. وبقرار انسحاب الجيش الأردني من الضفة الغربية.. وحاول بعض الناس المقاومة لكنهم سقطوا شهداء.

ولم تمض إلا أيام معدودة واتضح حجم المأساة.. لأن الضفة الغربية وغزة أصبحا كلتاهما تحت الاحتلال.. وفي هذه اللحظة التي كان يجري فيها البحث عن الشعب الفلسطيني.. كان الشعب في حالة إدانة لأنه كانت لديه القيادات مختلفة مثل الحاج أمين الحسيني والذي أدى دوراً باهراً سنة ١٩٣٦ وقاد قدر ما استطاع.

وبعد عودة (أمين الحسيني) من الحرب ليبحث عن قضية فلسطين ودوره فيها كان المشروع الإسرائيلي على وشك أن يبدأ.. فقابل الحسيني (الملك فاروق) في محاولة لتهريبه لمصر وحتى لا يحاكم في أوروبا بعد الاحتلال.. وبعد محاولاته لإظهار وجود الشعب الفلسطيني ولتحريك همم الفلسطينين بعد الحرب وبعد الهجمة الصهيونية بالهجرة من فلسطين.. وكان يواجه موقفاً صعباً للغاية لأنه إلى جانب مطاردته كانت الدول العربية لا تريد أن تظهر شكل وجه أمين الحسيني بأكثر مما ينبغي.. لأن ذلك كان يعني بالنسبة لهم أنهم سيفقدون على الفور الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا لأن صور الحسيني مع هتلر كانت موجودة في كل مكان.. وكانت تستخدم ضده.

## أحمد الشقيري[1]

وما أن توارى الحسيني حتى ظهرت قيادات أخرى مختلفة.. لكن مؤتمر القمة العربى سنة ١٩٦٤ أنشأ منظمة تحرير.. واختار الرئيس (أحمد الشقيرى) رئيساً لهذه المنطقة وكان محامياً.. وفي مرحلة سابقة التحق بالوفد السورى بالأمم المتحدة وكذلك الوفد السعودى.. ومَثَّلَ السعودية لبعض الوقت في الأمم المتحدة.. وفي ذلك الوقت لم تكن الخطوط الفاصلة بين الشام وشبه الجزيرة العربية فاصلة وقاطعة كما هى الآن.. لكن أحمد شقيرى قام بأدوار للتعبير عن القضية الفلسطينية وبالتالى أصبح وكأنه المرشح الطبيعى ليكون رئيساً لهذه المنظمة في مرحلة حشد واستعداد نفسى وتعبئة نفسية لكى تعود قضية فلسطين بوجهها الحقيقى في المواجهة.

ظهرت بعد ذلك جماعات فدائية تقاوم وظهرت على أطراف الأرض المحتلة خصوصاً في سوريا حيث كان هناك جماعات مقاومة.. وظهرت حركات مثل حركة تحرير فلسطين.. وأخذت أول حرف من كل حركة ومن تحرير ومن فلسطين وعكستهم لتكون فتح.. وظهرت حركة فتح.. وظهرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.. وظهرت حركات أخرى.. والحركة الشعبية لتحرير فلسطين كان أصلها حركة المقاومين العرب التى كان يرأسها الدكتور (جورج حبش) وهو رجل مثقف ومناضل ومقاتل وكان على صلة بمصر.. وعندما جاءت مقدمات( ١٩٦٧) ظهر الخيار الماركسى عند بعض الحركات الثورية العربية.

### أين فلسطين؟

في خريف ٦٧ كانت هناك التباسات كبيرة جداً في المقاومة الفلسطينية.. وبقيت هناك مسألة مهمة.. وهى أين فلسطين؟.

وكان يمثلها في ذلك الوقت الأستاذ (أحمد الشقيرى) لكنه رجل خطيب وقانونى وقد لا يكون صالحاً لهذه المرحلة خصوصاً وأنه كانت قد ظهرت آنذاك جماعات فلسطينية خارجة على منظمة التحرير الفلسطينية وتعارض منهجها بعد الحرب.

---

(١) هو قيادة فلسطينية وليس أحمد شقيري الداعية السعودي المعروف حالياً.

## معركة التوريط

وكتب (أحمد الشقيرى) في مذكراته - وهذا يحسب له - أنه قد نبه القيادة المصرية في ذلك الوقت أن بعض الجماعات المسلحة التى تتكلم عن المقاومة هدفها التوريط.. وأنها منذ أوائل عام ٦٥ وحتى عامي ٦٦و٦٧ تخوض معركة أسمتها وقتها "معركة التوريط" قصدت فيها بعض العمليات في سوريا.. وشجعتها بعض العناصر المغامرة في حزب البعث.. وتقوم بعمليات مختلفة كنسف طرق أو كبارى في المنطقة القريبة من الحدود مع سوريا.. وهذه العمليات قد لا تكون مجدية.. ولكنها تقوم بذلك لتثبت أن هناك مقاومة موجودة.. وهم في ذهنهم سوريا وإسرائيل.. وأن هذه العمليات سوف تستدعى ردة فعل على سوريا.. واذا ما حدث رد فعل على سوريا فمصر ستلجأ بالتأكيد إلى مساعدة سوريا.

وكانوا يتصوروا أنهم إذا ورطوا الدول العربية لتدخل في المعركة مهما كانت التكاليف فهذا معناه إعادة إحياء للقضية.. فستدخل سوريا.. وتدخل مصر.. وكل الدول العربية وستكون معركة كبيرة.

وكان الأستاذ ((أحمد الشقيرى)) متخوفاً من هذا الموضوع.. وهنا لابد أن اعترف أنه أعاد النظر في هذا.. وعقد مناقشات كثيرة جداً مع بعض قيادات هذه الجماعات الفدائية التى تعمل في سوريا.

وانا أظن أن الورطة والأزمة في حرب (٦٧) كانت أكبر مما قامت به هذه الجماعات.. لأنه كان هناك حالة تربص وسباق مع الزمن بشكل معين قبل أن تقوى الدول العربية وخصوصاً مصر في ذلك الوقت.

## ولو طلقة واحدة

وهنا طلب (جمال عبد الناصر) من (محمود رياض) وزير الخارجية أن يتحدث مع (أحمد الشقيرى).. وأن تُطلق طلقة واحدة في فلسطين لكى يعرف العالم أن هناك شعبٌ.. وهناك قضية ومقاومة..

ولما تحدث (محمود رياض) مع الشقيرى كان الأخير يعرف كما قلنا أن هذه الجماعات بشكل أو بآخر كان هدفها التوريط.. لكن كان هناك خلاف واضح في الساحة الفلسطينية بين الخطباء وبين المقاتلين.

## حكاية الرائد الشهيد ( خالد عبدالمجيد)

في ذلك الوقت جاء لى محرر شاب في الأهرام هو المحرر (إحسان بكر) وقال لى أن هناك ضابطٌ أردنيٌ من أصل فلسطينى تمرد على الجيش الأردنى وشارك في عمليات المقاومة.. وأنه لديه ما يريد أن يحكيه عما يجرى في الأرض المحتلة.

كان هذا الرائد الشاب يدعى ( خالد عبدالمجيد) استشهد فيما بعد.. وعندما قابلته واستمعت له عندما حضر لى مع (إحسان بكر) وحكى لى عما يجرى.. وعن العمليات الفدائية التى قامت بها بعض المجموعات.. و تصورت أنا أن هذا يلبى طلباً يمكنه الإجابة عن سؤالٌ معلق وهو أين الشعب الفلسطينى كرمز لقضية المقاومة؟.

وعندما تحدثت عن هذا الشاب مع (جمال عبد الناصر) طلب منى مقابلته ليستمع له.. وفي يوم كان عندى فطلبت منه أن يأتى معى في سيارتى.. وقلت له أنه سيقابل مسئولاً مصرياً.. لم يكن يتخيل من هو.. ولكن لما وصلنا للمنزل.. ودخلنا بالسيارة الى الباب أصيب الشاب بهستيريا.. وحاولت تهدئته قبل مقابلة الرئيس.. وعندما دخلنا ظل مرتبكاً لفترة أمام (جمال عبد الناصر).. ثم بدأ يحكى.. وبدأ (جمال عبد الناصر) يسأله وهو يجيب.. ويتحدث عن حركات مقاومة كثيرة وموجودة.. ويتحدث عن مواقع في الخليج كان (جمال عبد الناصر) يعرفها جيداً.. وظهر لى أن (جمال عبد الناصر) يرى في هذا الشاب إجابة عن سؤال يحيره.. وقال له ابقى على اتصال مع هيكل.

عاد بعد ذلك خالد الحسن[1] العضو القيادى في حركة فتح.. ومعه أبواللطف السيد (فاروق قدومي) [1].. وأبو إياد (صلاح خلف) [2] وجلست معهم واستمعت لهم كثيراً

---

(١) يعد خالد "محمد سعيد" الحسن "أبو السعيد" فارساً من فرسان حركة (فتح) الأوائل وقائداً طليعياً من رموز النضال الفلسطيني.. وأحد مؤسسي وعضو اللجنة المركزية لفتح.. وُلِدَ في مدينة حيفا في ١٩٢٨/٢/١٣ لأسرة وطنية متدينة احتضنت اجتماعات الشيخ عزالدين القسام ورفاقه.. أرسله أهله لدراسة الاقتصاد في لندن عام ١٩٤٧إلا أنه هجّر مع عائلته إثر النكبة عام ١٩٤٨ إلى لبنان فسوريا ثم تفرقوا في الشتات.. تبوأ أبو السعيد منصب رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية ما بين (١٩٦٨-١٩٧٤) وعمل مفوضاً للتعبئة والتنظيم ما بين (١٩٧١-١٩٧٤).. وتسلم رئاسة لجنة العلاقات الخارجية في المجلس الوطني الفلسطيني منذ العام ١٩٦٨.. واعتبر عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح منذ انطلاقتها ورسميا منذ العام ١٩٦٧ وتسلم منذ الثمانينات مهمة الإعلام في حركة فتح.. اشتهر أبو السعيد كمتحدث بارع ومفكر ومنظر لا يشق له غبار.. صدر له أكثر من عشرين كتاباً منها: الدولة الفلسطينية شرط للسلام العادل.. الاتفاق الأردني الفلسطيني.. العلاقة الإسرائيلية الأمريكية.. يوميات حمار وطني.. قبضة من السلام الشائك.. القيادة والاستبداد. توفي في المغرب في ١٩٩٤/١٠/٩.

وقالوا لى عن ياسر (عرفات).. وأنا فيما بعد سأتكلم عن ياسر (عرفات).. وهو على أى

---

(١) فاروق قدومي (أو أبواللطف السيد) ولد سنة ١٩٣١عمل رئيساً للدائرة السياسية بمنظمة التحرير الفلسطينية وأمين سر حركة فتح من المعارضين لاتفاقية أوسلو.. في بداية حياته السياسية انضم إلى حزب البعث العربي الاشتراكي منذ اربعينيات القرن الماضي، وأثناء دراسته بمصر التقى ياسر عرفات (ابو عمار) وصلاح خلف (أبو إياد) ليتم تأسيس حركة التحرير الوطني الفلسطيني في نهاية الخمسينات بمشاركة خليل الوزير (ابو جهاد) ومحمود عباس (ابو مازن)،في ١٩٦٩ رشحته حركة فتح لعضوية اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية التي أصبح رئيسا لدائرتها السياسية في ١٩٧٣ أقام في الأردن غير ان السلطات الأردنية اعتقلته إثر أحداث أيلول الأسود عام ١٩٧٠ فغادر الأردن إلى سوريا.. كان القدومي ضمن قيادات منظمة التحرير الفلسطينية التي غادرت بيروت إلى تونس في ١٩٨٣ بعد الغزو الإسرائيلي للبنان.عارض القدومي اتفاقات أوسلو التي اعتبرها تشكل خيانة للمبادئ التي قامت عليها منظمة التحرير الفلسطينية.. ورفض العودة مع قيادات منظمة التحرير إلى الأراضي الفلسطينية وظل يقيم في تونس.. عقب وفاة الرئيس ياسر عرفات في نوفمبر ٢٠٠٤ نشب خلاف بين القدومي ومحمود عباس حول خلافة عرفات على رأس حركة فتح. عرف القدومي أيضا بمعارضته الشديدة للخلاف بين حركتي فتح وحماس الذي يرى أنه سيؤدي إلى صراع شامل بين مختلف الفصائل الفلسطينية.. ثارت الوثيقة التي اصدرها فاروق القدومي يوم ١٤-٧-٢٠٠٩ التي اتهم فيها دحلان وعباس باغتيال عرفات في محضر مع قادة أسرائيلين ردود فعل كبيرة.. القدومي وأكد في لقاء على الجزيرة صحة الوثيقة التي أدت أيضاً إلى اغلاق مكتب الجزيرة في أراضي السلطة.

(٢) صلاح خلف اسمه الحركي أبو إياد.. هو سياسي فلسطيني بارز.. من مؤسسي حركة تحرير فلسطين (فتح).وقائد الأجهزة الأمنية الخاصة لمنظمة التحرير وحركة فتح لفترة طويلة.. أشيع أنه زعيم منظمة أيلول الأسود.. قدم والده من مدينة غزة إلى يافا.. وهناك ولد صلاح خلف عام ١٩٣٣ وعاش أول سنين حياته حتى قبل قيام الكيان الصهيوني بيوم واحد.. حيث إضطر وعائلته الذهاب إلى غزة عن طريق البحر.. فأكمل في غزة دراسته الثانوية وذهب إلى مصر عام ١٩٥١ ليكمل دراسته العليا في دار المعلمين هناك.. حصل على ليسانس تربية وعلم نفس من جامعة القاهرة.. انضم اثناء وجوده في غزة إلى العمل الوطني وكان لا يزال قاصرا.. وفي أثناء وجوده في مصر.. نشط مع ياسر عرفات وآخرين في العمل الطلابي وقاما بدور بارز في اتحاد طلاب فلسطين.. قبل أن يعود إلى غزة مدرسا للفلسفة حيث واصل نشاطه السياسي وبدأ ينحو به منحا عسكريا.. وانتقل إلى الكويت عام ١٩٥٩ للعمل مدرساً وكانت له فرصة هو ورفاقه وخصوصاً ياسر عرفات وخليل الوزير لتوحيد جهودهم لإنشاء حركة وطنية فلسطينية وهي حركة "فتح"التي وبدءوا بعرض مبادئهم أمام الجماهير الواسعة بواسطة مجلة "فلسطيننا".. وفي العام ١٩٦٩ بعد دمج حركة فتح في منظمة التحرير الفلسطينية بدأ اسم أبو إياد يبرز كعضو اللجنة المركزية لفتح.. ثم مفوض جهاز الأمن في فتح.. ثم تولى قيادة الأجهزة الخاصة التابعة للمنظمة ومنذ عام ١٩٧٠ تعرض أبو إياد لأكثر من عملية اغتيال استهدفت حياته. أصدر كتاب (فلسطيني بلا هوية) عام ١٩٧٨ على شكل سلسلة من اللقاءات مع الصحفي الفرنسي اريك رولو حيث حاول نفي أي علاقة له بأيلول الأسود.ويعتبر أبو إياد أحد أهم منظري الفكر الثوري لحركة فتح، واحد مؤسسي ركائز جهاز الرصد الثوري، وكان يسمى على النطاقات النخبوية في حركة فتح بجارنج فلسطين نسبة للدبلوماسي السويدي المشهور جارنج وذلك لقدرته الفائقة على صياغة التوجهات والاستراتيجيات وبناء التحالفات وإدارة التفاوض بشكل فائق الحكمة.. اغتيل في ١٤ يناير ١٩٩١ في تونس وحملت إسرائيل مسؤولية الحادث.. وكان المنفذ أحد التابعين لأبى نضال.. وتقول مصادر مطلعة جداً أن عملية الاغتيال كانت بتوجيه من الرئيس العراقي صدام حسين وذلك بسبب مشادات عنيفة حصلت بينهما عندما طلب منه عدم زج اسم القضية الفلسطينية في خلافه مع الكويت.. حيث عمل أبو إياد جاهداً في آخر أيامه على النأي بالملف الفلسطيني عن الخلافات العربية.

حال رجل حيرنى.. وجاءوا لى ب(ياسر عرفات)في الأسبوع الذي تلاه وكانت أول مرة أراه فيها.. وقلت وقتها لـ(جمال عبد الناصر) أنى رأيتهم كذا مرة.. وأتصور أنه قد يكون مفيداً أن يراهم خصوصاً وأنه كان يبدى اهتماماً كبيراً بجماعات المقاومة.. وقال لى أنه من الغريب أن تتخذ كل الجهات الرسمية في مصر مواقف مختلفة من فتح.. فالمخابرات كانت تعتقد أن فتح لها اتصالات بالإخوان المسلمين وهذا صحيح.. وفتح كانت تعتقد أنهم كانوا العناصر التى تساعد على التوريط بشدة.

وإلى أن حُددَ الموعد والذي كان في العاشرة صباحاً في أواخر سبتمبر سنة( ١٩٦٧) وتجمعوا كلهم في مكتبى في الأهرام الذي كان آنذاك في شارع الساحة.. وكانوا يعرفون أنهم سيقابلون (جمال عبد الناصر).. لكنهم كانوا لا يتصورون أن هذا سيحدث ويقابلونه هكذا ببساطة.

ثم تحركنا وتكدسنا في سيارتى وسيارة أخرى تابعة للأهرام وقلت لهم: على أى حال ستقابلون الرئيس.. وقتها حطَ عليهم الصمت.. وشعرت بنوع من الرهبة.. ووصلنا وكانت المقابلة.

ولم يخف الرئيس عبد الناصر أى شيء وقال أريد أن أقول لكم شيئاً بوضوح أن كل الجهات الرسمية في مصر ضدكم.. ولا يثقوا فيكم.. لكن إزاء طلبى وهو سماع طلقة في فلسطين كل يوم.. فأنا مستعد أن أقوم بأية مجازفة.. ثم تحدثوا عن (ياسر عرفات)ودوره البارز في حركة المقاومة ونفوا أن يكونوا على علاقة بالإخوان المسلمين.. وقال (ياسر عرفات)أنه كان متطوعاً في الجيش المصرى سنة ١٩٥٦ وكان هناك كلام عاطفي ثم انتقلنا إلى ما يمكن عمله.

فتحدثوا عن الأوضاع في فلسطين.. وما الذي يستطيعون القيام به.. وما يقدموه لمصر والدول العربية.. وأظن أنه كان هناك بناء لقاعدة أو لجسر من الثقة بينهم في هذه المقابلة.

وفي هذه المقابلة أيضاً طلب منى الرئيس أن أقدمهم للواء محمد أحمد صادق مدير المخابرات العسكرية في ذلك الوقت.. وهناك مساعدات مالية وعسكرية ستقدم لهم.. وهناك نواحى تدريبية سنوفرها لهم.

بعدها رتبت مع الفريق صادق لكى يقابلوه.. وأظن أن المسائل صارت فيما بعد بطريقة مُرضية للغاية.. وأظن أنه ظهر أثر ما كان في القاهرة على الموجود في فلسطين.

وأخذوا أسلحة وبدأوا في التدريبات.. وحصلوا على المعونات بقدر ما تم الاتفاق عليه مع الفريق صادق.. وظهرت فلسطين في حيوية أكثر مما كانت.

في ذلك الوقت كان (أحمد الشقيرى) وأنا بأثر رجعى أعتذر له حيث كانت هناك رغبة وهم يعملون بالمقاومة.. كانت العلاقات في الوضع الفلسطينى غير مستقرة لأن هناك قيادة سياسية تتحدث.. فمصر هى التى أنشأت منظمة التحرير أو على الأقل اقترحت إنشاءها.. وهناك عمل عسكرى مصر تساعد في بناءه.. والمنطق يدعو للاندماج.. حتى أن الأستاذ شقيرى كتب في مذكراته أنه كان هناك مؤتمر وطنى لمنظمة التحرير.. وأنا اعتذر للشقيرى لأنه رأى أن تكون منظمة التحرير هى حركة فتح.. لكن الشقيرى كتب في مذكراته أنه قرأ المقالة في الأهرام.. وفهم الرسالة وقدم استقالته.. ودخلت فتح منظمة التحرير وأصبحت الجبهة السياسية والعسكرية جبهة واحدة.. وأظن أنهم أرادوا تفعيل هذا.. ودخلوا فيما يسمى بمعركة الكرامة والتى أراد فيها الجيش الإسرائيلى أن يضرب قواعد الفدائيين في الضفة الشرقية بالأردن.. ولاحظ الإسرائيليون ظهور حالة جديدة على المقاومة الفلسطينية.. وأن هناك معسكرات تقام على الضفة الشرقية أمام جسر (الملك حسين).. وأمام جسر الملك عبدالله.. وأن هناك في هذه المنطقة حشودٌ فدائية بشكل أو بآخر.. وبدأوا يتربصون به.. ويستعدون لضربها مبكراً.. ويجب أن أسلم هنا أن (الملك حسين) والجيش الأردنى دخلا المعركة والتى كانت بغرض تصفية الوجود العسكرى الفدائى الفلسطينى في هذه المنطقة - شرق الأردن - وهو يحشد الجيش الأردنى.

**ما ترتب على معركة الكرامة**

بعد معركة الكرامة حدثت عدة أشياء منها:

- اعتراف مصر بمنظمة التحرير.. وحركة فتح..
- تبع ذلك ظهور (ياسر عرفات) بطريقة واضحة..
- ثم ظهور المنظمة بطريقة مقاتلة..
- وظهر العالم العربى متشوق جداً لفعل وتحريك قضية فلسطين..
- تسابق الجميع عليها بإعطاء منظمة التحرير تبرعات و أسلحة بعد موقف مصر ..

وقد أرسل لى الرائد (خالد عبدالمجيد) رسالة عن معركة الكرامة وكان يحكى فيها عن أعاجيب ثم استشهد بعدها.

وكنت قد قلت للرائد خالد قبل وفاته عندما سألنى عن رأيى في المعركة أن المعركة هائلة لكن أكاد أرى بعينى مزالق أخاف منها جداً.. وعندما أعود لأرى ماذا قلت له وقتها أجد صورة غريبة.. فقد قلت له رغم أننى أرى ما فعلتوه بكل المعايير له قيمة.. لكننى أخشى عليكم لأنكم أصبحتم تبالغون في المعارك.. ومعركة الكرامة.. وغيرها جيدة للغاية.. لكننى أخاف جداً من وهم أنكم تتصورون أن بمقدوركم تحرير فلسطين.. وأخاف أن يخطر بخيالكم ما يتعدى قدراتكم.. وأخاف من الإعلام الزائد عن الحد.. ففي معركة الكرامة حدث انفجار للمشاعر العربية.. وأنا أخاف من الانفلات العاطفي.



# ٧

## أنا .. وياسر عرفات!!

لقد أحببت (ياسر عرفات).. ولا أنكر أنه في بعض المرات كنت أختلف معه بشدة وبوضوح.. لكنني التقيته في آخر لحظة في حياته.. وفي كل الأحوال هذا الرجل أعطى للقضية الفلسطينية وجهاً وملامح وصوتاً للتعبير في وقت كانت تحتاجه بقوة.

وكانت له أخطاؤه.. عندما تطور وزادني حيرة.. ولقد قدرتهُ كثيراً بقدر ما استطعت.. لكنه حيرني بمعنى أنني قدمته لـ(جمال عبد الناصر).. ورأيتهُ كيف يتحدث مع (جمال عبد الناصر).. وبعدها بفترة قدمتهُ في موسكو بطلب من (جمال عبد الناصر) لرئيس الوزراء السوفييتي (كوسيجن).. وكان يعتقد في البداية أنه من الوفد المصري..

ولما عرف من هو قال لى (كوسيجين) أن هؤلاء أناس من المغامرين.. والاتحاد السوفييتى يتردد قبل صنع أية علاقة معهم.. وعلى أى حال صافح "(كوسيجين) ياسر (عرفات)" ونشأت علاقة ل(عرفات) مع الاتحاد السوفييتى.

وبعد سنة واحدة قال لى (كوسيجين) بنفسه هل صحيح أن (ياسر عرفات) أقوى رجل في العالم العربى؟ وقال لى أنه قال ذلك على نفسه وأنه قال لمازروف[1] هذا الكلام.. وكنا قد قدمناه لمازروف وقال له أنه أقوى رجل في العالم العربى لسبب واحد هو أن قضية فلسطين تجعل له حزباً في كل عاصمة عربية.. وهو يستطيع أن يحرك هذه الأحزاب حين يشاء.. بينما أى زعيم عربى يستطيع أن يتحكم فقط في عاصمة بلده.. أوعاصمة أو اثنين آخرين.. لكن (ياسر عرفات)يستطيع أن يفجر الموقف في كل العواصم العربية.. وقد استغربت عندما قال لى (كوسيجين) ذلك.. ولكننى لم أعلق.. لأنه عندما تقول إنك أقوى من أى زعيم عربى في ذلك الوقت هذا خطأ لأنك موجود في منفي بعيداً عن بلدك.. وتعادى كل الدول.. بالإضافة إلى كون هذا ليس صحيحاً.

## بين (عرفات) و(الملك حسين)

أتذكر مشهداً آخر مع (الملك حسين) وكان في قمة خلافاته مع ياسر (عرفات).. واضطر تحت ضغط القمة العربية أن يُسلم عليه ويظهروا كما لو كانا أصدقاء.. وبعد ذلك أشدت بالصورة وكنت وقتها وزيراً للإعلام أمام الملك مع الرئيس ساهى الأدغم الذي كان رئيساً للجنة التى أنشأتها القمة العربية لمتابعة العلاقة بين الملك والمقاومة الفلسطينية.. وأنا عضو فيها كوزير إعلام مصرى وكنت أمثل الناحية السياسية.. ومعى الفريق (محمد أحمد صادق) الذي كان يمثل الناحية العسكرية.. وعندما قلت للملك أنه شيء جميل أن تسلم على (ياسر عرفات)فرد قائلاً:

ومن نكد الدنيا على الحر  أن يرى عدو له ما من صداقة بد[2]

وفي مرة ثالثة مع الرئيس صدام حسين في بغداد دخلت عنده مع السيد (طارق عزيز) رئيس الخارجية العراقى في ذلك الوقت.. ووجدت عنده (ياسر عرفات) لكنه كان انتهى من الموعد وخارج.. فقلت لصدام : إن شاء الله خير.. وكان لدى صدام طريقة خاصة في الكلام.. ورد عليَّ بقوله:

---

(١) كان مازروف وقتها في المكتب السياسى السوفييتى مسئول عن حركات التحرير الوطنى.

(٢) بيت شعر معروف للمتنبى.

- يا أبوعلى هؤلاء أناس أصغر من قضيتهم.. وقال لى أنه ستثبت الأيام صحة كلامه.

**أوسلو أكبر أخطاءه**

وأنا أعتبر أن أكبر خطأ لـ(ياسر عرفات)على الإطلاق هو قبوله توقيع اتفاقية أوسلو[1] وهى اتفاقية تؤجل القوائم الرئيسية لشعب فلسطين والقضية الفلسطينية وهى المستوطنات والقدس والحدود وحق العودة بالنسبة للاجئين ومعنى تأجيل هذه القضايا يعنى أنه القضية الفلسطينية كلها رحلت إلى مستقبل نحن لا نعرف موازين القوة فيه كيف تكون.

وفي ذلك الوقت كنت قد ألقيت محاضرة بالجامعة الأمريكية في القاهرة وقلت: أريحا وغزة أولاً وأخيراً.. فغضب منى وجاء لى في زيارة له للقاهرة في مكتبى فقلت له إننى قلت في المحاضرة ما أعتقده وأنا أخشى أنك لن تأخذ شيئاً.. وحكى لى ماذا تم قبل أوسلو وما بعدها.. وحكى لى أن (الملك الحسن) ملك المغرب سوف يتعامل مع أناس يستطيعون تحويل قاطع الطريق إلى إبليس في ٢٤ ساعة بالآلة الإعلامية المهولة والموجودة عندهم.

---

(١) اتفاقية أو معاهدة أوسلو هو اتفاق سلام وقعته إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في مدينة واشنطن الأمريكية في ١٣ سبتمبر ١٩٩٣.. وسمي الاتفاق نسبة إلى مدينة أوسلو النرويجية التي تمت فيها المحادثات السرّية عام ١٩٩١ أفرزت هذا الاتفاق في ما عرف بمؤتمر مدريد.. وتعتبر اتفاقية أوسلو.. التي هى أول اتفاقية رسمية مباشرة بين إسرائيل ممثلة بوزير خارجيتها آنذاك شميون بيريز.. ومنظمة التحرير الفلسطينية.. ممثلة بأمين سر اللجنة التنفيذية محمود عباس.. ورغم أن التفاوض بشأن الاتفاقية تم في أوسلو.. إلا ان التوقيع تم في واشنطن.. بحضور الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون.. وتنص الاتفاقية على إقامة سلطة حكومة ذاتية انتقالية فلسطينية (أصبحت تعرف فيما بعد بالسلطة الوطنية الفلسطينية).. ومجلس تشريعي منتخب للشعب الفلسدايني.. في الضفة الغربية وقطاع غزة.. لفترة انتقالية لاتمامها في أقرب وقت ممكن.. بما لا يتعدى بداية السنة الثالثة من الفترة الانتقالية.. ونصت الاتفاقية.. على أن هذه المفاوضات سوف تغطي القضايا المتبقية.. بما فيها القدس.. اللاجئون.. المستوطنات.. الترتيبات الأمنية.. الحدود.. العلاقات والتعاون مع جيران آخرين.. ولحفظ الأمن في الأراضي الخاضعة للسلطة الفلسطينية.. نصت الاتفاقية على إنشاء قوة شرطة فلسطينية قوية.. من أجل ضمان النظام العام في الضفة الغربية وقطاع غزة.. بينما تستمر إسرائيل في الاضطلاع بمسؤولية الدفاع ضد التهديدات الخارجية.. في إسرائيل نشأ نقاش قوي بخصوص الاتفاقية؛ فاليسار الإسرائيلي دعمها.. بينما عارضها اليمين. وبعد يومين من النقاش في الكنيسيت حول موضوع الاتفاقية وتبادل الرسائل.. تم التصويت على الثقة في ٢٣ سبتمبر ١٩٩٣ حيث وافق ٦١ عضو كنيسيت وعارض ٥٠ آخرون.. وامتنع ٨ عن التصويت.. الردود الفلسطينية كانت منقسمة أيضاً. ففتح التي مثلت الفلسطينيين في المفاوضات قبلت بإعلان المبادئ.. بينما اعترض عليها كل من حركة حماس والجهاد الإسلامي والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (المنظمات المعارضة) لأن أنظمتهم الداخلية ترفض الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود في فلسطين.. على كلا الجانبين كان هناك تخوفات من نوايا الطرف الآخر. وفهموا تلك المقولات على أنها محاولة لتبرير توقيع الاتفاقية بالتوافق مع التاريخ الديني.. مع اتفاقيات مرحلية للوصول إلى الهدف النهائي. ومن أشهر معارضي الاتفاق محمود درويش وإدوارد سعيد.

وأنا أقول أن (ياسر عرفات)لم يكن قاطعاً للطريق.. بل كان رجلاً مقاوماً يقود ثورة.. ولكن استهواه أن يتحول لنجم في الإعلام العالمى.. وهذا استمر لأيام قليلة جداً ثم انطفت الأنوار كلها.. وجاءت أوهام كثيرة.

**أشياء غريبة**

كنت أذهب لقصر الأندلس لكى أراه وقد طرأت على هذا الرجل الثائر أشياء غريبة جداً بالمصادفة.. وأشياء كنت أخاف عليه منها.. وقد كنت أعتقد أن قصر الأندلس الذي كان ينزل فيه بمصر الجديدة ليس لائقاً بوظائفه.. فذات مرة قال لى أنه لا يوجد شيء للإفطار.. وأن الموجود جبن وزيتون فقط.. وإنه كان عنده أسامة الباز قبل حضورى بيوم.. ونزل الباز فندقاً قريباً واشترى طبق فول.. وأشياء أخرى.. فقلت له أن هذا لا يهمك فأنت رجل ثائر فقال لى وأنا رئيس دولة أيضاً.

أريد القول أن هناك ما يطرأ على الثوار عندما يأتى موضوع السلطة والثورة قبل الآوان ووهم الدولة.. ووهم الحكم والسلطة.. وحتى على الثوار يريدون أشياء ليس لها لزوم في اعتقادى.. لأنه لما كان (عرفات) يذهب ليدخل فلسطين أول مرة ترجيته بألا يدخل فلسطين بعد اتفاقية أوسلو.. فإنه إذا دخل فلسطين سيصبح أسيراً في فلسطين وسيبقى رهينةً عندهم.. فقال لى غريبة أن رأيك يخالف رأى كل الزعماء العرب.. فقلت له أتريد رأيى بصراحة فقال لى نعم فقلت له يريدون أن يخلصوا منك.. وطلبت منهم أن يظل خارجاً.. ويطلب إدراة فلسطينية تدير من الداخل من المناطق التى تزعم إسرائيل أنها ستعطيها لكم.. لكنه كان متعجلاً جداً.. واستُقبِلَ في غزة استقبالاً هائلاً.

ولما حدثنى بعدها بيومين ليعرف رأيي في الاستقبال.. قلت له أنه كان هائلاً لكن لم يعجبنى حرس الشرف.. فقال لى أنت لا تريد أن تتقبل أننى رئيس دولة.

واعتقد أن (ياسر عرفات) تعرض لعمليات نصب صريحة.. ففي يوم من الأيام دخل وقال لى أنه معه الدليل الحاسم الذي يدين (الملك حسين) والحكومة الأردنية.. وأعطانى ملفاً من ٣٠ أو ٣٥ وثيقة.. وعندما نظرت للملف فقلت له وهو في مكتبى إنها مزورة.. ولا يمكن أن يتم تسجيل العلاقة بين الأردن وإسرائيل بأوراق رسمية.. وليس بهذه الفجاجة.. فقال لى: أنه ليس مزوراً وأنهم دفعوا فيه ٣٠٠ ألف جنيه إسترلينى.. فقلت له وهذه الوثائق أمامى أنا أثق أنها مزورة.. وبالتالى أنا أمام رجل أمانيه تسبق قدراته.. وطموحه يسبق وسائله.. وهو يشعر أن هذا ملف القضية.

احتفظ أبوعمار لنفسه بقضايا مهمة للغاية.. فاحتفظ بالمال.. والسلاح والإعلام.. وبالتالى أصبحت هناك تناقضات لا تتحملها الثورة الفلسطينية في هذه اللحظات.. لكن يبقى دائماً رجل عزيز علينا.. وذكراه لا تزال عزيزة أيضاً.



٨

## بين العام.. والخاص!!

هنا أريد أن أتحدث عن موضوعات قد تبدو عسكرية ولكنها في الواقع تدخل في نطاق ما هو ضرورى في الاهتمام العام.. وأنا عادةً أفرق بين المعرفة العامة بشيء.. وبين التخصص المحدد في علم..

واعتقد أنه لمقاربتى لبعض الموضوعات العسكرية فأنا لا أريد أن أتدخل في موضوع علم الحرب لأنه ليس اختصاصى لكن في المقابل أريد أن اقترب من معرفة الحرب.. وأعتقد أنه في هذه السنوات التى قاتلنا فيها اكتسبنا كثيراً جداً.. في تأكيد معنى السلام.. وأود القول وأبقى واضحاً أن الأمم تحارب لكى تحقق سلاماً حقيقياً.

أظـن أن معضلـة المعضـلات في حـرب الاسـتنزاف كـانـت هـى سـلاح الطـيران بطبيعـة الأمور وقتها.. وفكـرة الحرب كانت جديدة علينا.. والطيران في حـد ذاتـه سـلاح جديـد طرأ والناس تحتاج خبرة به طويلة.. وقـد تـركـزت النكسـة كلها أو حـرب (٦٧) تقريبـاً في الطيران.. وأصبح الطيران رمزاً لها بظلم أو بغير ظلم.. لكن أنا أعتقد من واقـع الأمـر أنـه ظُلِمَ لأنـه أُلقِـيَ عليـه عـبءٌ كـبيرٌ جداً ليس فقـط لأنـه لم يكـن مستعداً بطبيعـة الظروف لكن اللوم كله ألقى عليه والحملات كلها وجهت ضده.. وكان هذا منطقياً في جـزء منـه في الضـربة الجوية.. وهـى كانت الافتتاحية المروعـة في حـرب سـنة (٦٧) وبالتالى الضرورات التى استوجبت الاهتمام بسلاح الطيران في ذلك الوقت كانت سابقة لأى أولوية أخرى.. وأُزيحَ قائد الطيران.. وجاء رجل اعتقد أن دوره يستحق بعض الاهتمام والاحترام وهو (مدكور أبوالعز) [1].

---

(١) الفريق طيار مدكور أبو العز ولد في ١٢ مارس عام ١٩١٨ بقرية ميت أبو غالب التابعة لمحافظة الدقهلية وقت ميلاده.. وحالياً تابعة لمحافظة دمياط.. تخرج من االكلية الحربية عام ١٩٣٧ وعمره وقتها ١٧ عاماً فقط مما جعله أصغر ضابط بين خريجي الكلية ثم تدرج في مناصب القوات الجوية حتي وصل إلي منصب مدير الكلية الجوية في الفترة من عام ١٩٥٦ حتي عام ..١٩٦٢ وعلي يديه تخرج في الكلية نخبة من أفضل طياري القوات الجوية.. شاءت الأقدار بعد ثلاث سنوات من خروجه من ميدانه الأساسي (الجيش) أن يعود إليه مرة ثانية.. في لحظات حالكة من تاريخ مصر عقب نكسة ١٩٦٧. فبعد خطاب التنحي الذي ألقاه عبدالناصر بعد النكسة وإصرار الشعب علي بقائه كان أول قرار يصدره عبدالناصر هو قرار عودة الفريق مدكور أبوالعز للقوات المسلحة قائداً للقوات الجوية.. وصدر القرار تحديداً يوم ١٠ يونيو في نفس يوم خطاب التنحي.. وقام على الفور وخلال ثلاثة أيام من توليه قيادة القوات الجوية بالمرور علي المطارات المصرية بالكامل.. وحدد احتياجات كل مطار.. أما أهم حدث قام به الفريق مدكور أبوالعز وما زال الشعب المصري يذكره له.. فهو قيامه بعد ٤٠ يوماً فقط من نكسة ٦٧ بتوجيه ضربة جوية للعدو الإسرائيلي بسيناء نجح خلالها في إصابة مطارات العدو ومراكز القيادة.. وتشكيلاته علي مدار يومين هما ١٤ و١٥ يوليو عام ١٩٦٧ دون أن يفقد طائرة واحدة بعد أن نجح في تجميع ٢٥٠ طائرة هي كل ما تبقي من سلاح الجو المصري بعد هزيمة ٦٧ وأعاد تأهيلها.. لم يستمر الفريق مدكور أبوالعز في القوات الجوية سوي ٤ شهور قام خلالها بإعادة بنائها.. واستكمال إنشاء مخابئ الطائرات ومهد لحرب أكتوبر بالضربة الجوية التي قام بها يومي ١٤ و١٥ يوليو وكان لخروج الفريق مدكور الثاني من القوات المسلحة سببان هما : - أولاً زيادة شعبيته بشكل لافت للنظر بعد الضربة الجوية حتي إنه في إحدي زيارته لقاعدة طنطا الجوية.. وكان ذلك في يوم جمعة فخرج من القاعدة للصلاة بمسجد السيد البدوي.. فإذا بالخبر ينتشر بين الناس فتهب جموع الشعب في طنطا إليه حتي انه وصل إلي سيارته في ساعتين.. وقام أهالي طنطا برفع سيارته من فوق الأرض.أما السبب الثاني فهو الخبراء الروس الذين استقدمهم عبدالناصر للقوات المسلحة المصرية.. وبالفعل عندما قرر الرئيس جمال عبدالناصر الاستعانة بالكامل بالخبراء الروس كان أول مطلب لهم هو اقصاء الفريق أبوالعز من الجيش. صدر قرار إحالة الفريق مدكور أبوالعز إلي التقاعد في نوفمبر عام ١٩٦٧ بعد ٤ أشهر فقط من توليه المسئولية ولم يستطع عبدالناصر مواجهة الشعب.. الذي أعجب بالقائد الذي ضرب إسرائيل بعد ٤٠ يوماً فقط.. وبسلاح الطيران الذي تفوقت به علي مصر بحجة تعيينه مستشاراً.. بعد الخروج الثاني آثر الفريق أبوالعز الابتعاد وعاد إلي قريته ميت أبوغالب وعندما جاء موعد انتخابات مجلس الشعب فوجئ الفريق

## سلاح جديد

وهذا الرجل وضُع على رأس سلاح من أخطر الأسلحة نحن حديثي العهد فيه.. وهو السلاح الذي وُجهَت له أقصى ضربة في الحرب.. والضربة التى اعتبرت أم الضربات كما يقال.. وحاول هذا الرجل أن يقوم بثلاث مهمات شبه مستحيلة في ذلك الوقت.. أولها أن يحاول أن يلم شتات ما جرى.. وأن يرى صورة واضحة له. الشيء الآخر أن يرفع معنويات سلاح من أهم الأسلحة تعرض لضربة خطيرة أثرت في معنوياته وفي صورته أمام الناس والشيء الآخر أنه يشارك بقواته في حرب الاستنزاف.

ونحن هنا أمام قائد جاء في مرحلة صعبة للغاية وأمامه أحوال نفسية وعملية صعبة للغاية.. ومشكلة إعادة تنظيم وكان عليه كما كنت أتصور أن يتطلع إلى أفق مختلف وإلى رؤيا أخرى تضع دور سلاح الطيران في وضعه لأننا تأخرنا في استيعاب فكرة الطيران والحرب الجوية كلها فكرة جديدة.

لكن فيما يتعلق بـ(مدكور أبوالعز) فقد جاء لسلاح الطيران وكانت فيه مشكلات كثيرة.. وقام (مدكور أبوالعز) في بداية عمله بكتابة تقرير طويل جداً عما وجده وكيف يمكن تصحيحه وعن الطلبات التى رآها ضرورية حتى يمكن تصحيحها.. وأظن أن هذا التقرير كان ولايزال مما يستحق الدراسة ولكن لن أخوض فيه ولكن سأعرض لمقدمته وبعض ما ورد فيه.

وقال مدكور في بداية التقرير أنه تأخر في كتابة هذا التقرير ٣ أشهر وتأخره كان ناجماً عن حجم المشكلات التى وجدها أمامه لأن هذا السلاح ألقى عليه مبكراً جداً أعباء هائلة في التقدم.. فالطيران والأسلحة كلها في العالم كله جديدة.. وقد أخذ سلاح الطيران كسلاح هامشى أو مكمل أو مظهرى إلى آخره.

ولما جاءت حرب سنة (١٩٤٨)لم يكن هناك طيران ولم نلعب أى دور مؤثر إطلاقاً لأنه لم يكن هناك طيران.. والطائرة لم تكن سلعة تباع بسهولة لأن منتجها قوى كبرى متحكمة في أسواقها وتعتبر هذا مهماً للغاية.

---

مدكور أبوالعز بالناس اثناء قيامه بجولة استطلاعية تطالبه بدخول الانتخابات وبالفعل قام بترشيح نفسه في دائرة كفر سعد ونجح باكتساح ليدخل برلمان عام ٧٧ وكان عضواً بارزاً وعندما قام السادات بحل المجلس رفض العودة إليه مرة أخرى .. وامضي ما تبقي من عمره هادئاً ساكناً حتي وافته المنية في ليلة القدر١٤٢٧. عن عمر يناهز الـ٨٨ عاماً.. رحل الفريق مدكور أبوالعز وهو يصلي الفجر في ليلة القدر.. فارق الحياة بعد ان فرغ من صلاته ومات جالساً وهو يرفع كفيه بالدعاء.

ولما جاءت صفقة الأسلحة السوفييتية مع مصر سنة(١٩٦٥) كانت فكرة الطائرة الجديدة فكرة حديثة وغريبة ونحن حصلنا على طائرة (ميج ١٧)في ذلك الوقت ولم تكن السبيد فاير والهارى كين والتى أعطوها لنا الإنجليز مستهلكة.. فالطائرة والطيار كانوا شيئاً حديثاً.. وسلاح الطيران ضُرِبَ سنة ١٩٥٦ وكانت تضربه إنجلترا وفرنسا.. والطائرات التى حصلنا عليها حتى بداية الحرب كانت أرقامها لا تتجاوز العشرات.. ولا تزيد على (٣٠) أو(٣٢) طائرة.. ولم يكن هناك هذا الاهتمام بالطيران بالقدر الكافي لأنه كان سلاحاً يملكه العالم في الوقت الحالى ونحن نحاول أن نقترب أو نستوعب ولكن ثبت أهمية هذا السلاح.. وقد لا يكون حاسماً لمعارك دائماً تحسم على الأرض لكن الجو مسألة مهمة جداً ويؤثر في الموازين.

ويدرك (مدكور أبوالعز) حينما يذهب لسلاح الطيران ويطل على المشهد الذي جرى والتدمير الذي جرى أننا أمام مشكلة كبيرة جداً والمشكلة ليست فقط مسألة الطيران.. والمشكلة ما تبدى في ذلك الوقت وما ظهر قبلها دون تأكيد كاف أن الطيران على وجه التحديد بخلاف العديد من الأسلحة يحتاج إلى قاعدة صناعية مهمة جداً حتى اذا لم تكن قادرة على صنعه أو على الأقل صيانته.. وتحتاج لخبراء فالتعامل مع الطائرة مختلف تماماً التعامل مع المدفع.

والشيء الثالث أن الذي يطير يحتاج للياقة عالية جداً وكان يتم اختيار خمسة أو ستة في فرز من ألف من المتقدمين.. وأنا ركبت طائرة وأعلم ما معنى ركوب طائرة مقاتلة.. وحتى إذا لم يكن هو القائد ولكنه يكون وراء الملاح الذي يضرب فإنه محتاج لقاعدة فنية وصحية ونفسية وصناعية وهو الأمر الذي لم يكن سهلاً مطلقاً وكان هذا بداية سنة (٦٧) لكنه مع الضربة ومع الإحساس بأن هذه الضربة تركزت فيها كل النكسة تقريباً.

واعتذر (مدكور أبوالعز) في مقدمة تقريره عن التأخير وقال أنه كان لزاماً عليه أن يتقدم بهذه المذكرة منذ الأيام الأولى لتعيينه قائداً للدفاع الجوى في ١٠ يونيو لكن الظروف التى تمر بها القوات منذ ٥ يونيو حتى الآن لم تمنحنه الفرصة لتقييم الموقف بالكامل نظراً لحالة الاستعداد المستمرة للعدو والتدريب المتواصل للطيارين إلى آخره.

لكنه في الحقيقة لم يواجه مشكلة كان يواجه عملية إعادة التصور ومهمة هذا السلاح الجديد.. ووقع (مدكور أبوالعز) على أشكال مفروض على كل الأطراف

بمعنى أنه في ختام تقريره في ملاحظاته كان مرهقاً تقريباً من العبء الواقع عليه.. وكان بعيداً عن الخدمة وعين محافظاً لأسوان لفترة لأنه كانت له علاقات ملتبسة أو نفور بينه وبين قائد الطيران السابق محمد صادق محمود.. لكنه يمثل هذه الفترة التى لم يكن واضحاً فيها التفكير الاستراتيجي المصرى وهذه الإمكانات المهمة جداً والملقاة على سلاح الطيران في عصر مختلف تماماً عما سبقه.. وسلاح هو جديد العهد به والناس كلها جديدة العهد به.

وجاء (مدكور أبوالعز) وبدت هناك حاجة له وكانت فيه صفات جيدة للغاية وهى صفات تنظيمية وحزم.. ولكنه جاء وسلاح الطيران مجروح.. والطيارون مجروحون وكان يتحدث عن إعادة تنظيم وينقُد ما فات.

**نبوءة ناصر**

في اعتقادى أن أكبر مفاجأةحدثت وقتها كانت تتمثل فيما قاله (جمال عبد الناصر) في اجتماع القيادة العامة للقوات المسلحة مساء ٢ يونيو حيث أشار إلى أنه ستقع ضربة عسكرية في أزمة خليج العقبة.. وستبدأ يوم الاثنين يوم ٥ يونيو( ١٩٦٧) بضربة جوية.. وهذا بالفعل ما حدث.. لكن يجب علينا أن أُسجل أن صدقى محمود[1] طالب وقتها بضربة أولى.. وكان هذا مستحيلاً سياسياً.. وفي هذه المناقشة قال صدقى لعبد الناصر أن سلاح الطيران مُتشجع.. وكان مُتشجعاً بأكبر من قُواه الحقيقية وعلى غير معرفة بالقتال في الحرب الجوية.. وعلى غير معرفة كافية إطلاقاً.

والمرتان اللتان حدث فيهما الاستطلاع فوق مفاعل ديمونة صنعتا نوعاً من النشوة غير المبررة.. ولما طلب صدقى محمود في اجتماع ٢ يونيو المبادرة بالضربة الجوية الأولى لم يكن هذا ممكناً لأن أى تصعيد في الدنيا له حسابات.. ولا أحد يقول أنه سيضرب ضربة أولى بعد أن ضُربت ضربة خليج العقبة.. وضربة تحريك القوات إلى سيناء.. فأى أمرٍ سوف يحدث معناه أن نجد العالم كله وفي مقدمته الولايات المتحدة الأمريكية و٣

---

(١) اللواء محمد صدقي محمود (فبراير ١٩١٤ - ١٩٨٤) كان قائد القوات الجوية المصرية أثناء نكسة ١٩٦٧ وعمل كبيراً للمعلمين في مدرسة الطيران.. وتخرج على يديه عشرات الطيارين المصريين.. كما تولى رئاسة أركان القوات الجوية منذ ١٩٥٣ وحتى ١٩٥٩ وكان الرجل الأول في سلاح الطيران من عام ١٩٥٩ حتى ١٩٦٧ كان في طائرة في سماء سيناء متجهة إلى مطار بير تمادة صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ برفقة المشير عبد الحكيم عامر واللواء أنور القاضي للمرور على القوات الجوية.. حوكم بعد النكسة وأودع السجن الحربي.. وأفرج عنه السادات بعد حرب أكتوبر وذلك في ١٩٧٤ وتوفي في ١٩٨٤.

حاملات طائرات أمريكية تحوم حول المنطقة بجوار الشواطئ.. وهذا كله مباشرة سوف يضرب فينا.. وصدقى كان يعلم أنه لا يستطيع أن يضرب ضربة أولى.. و(جمال عبد الناصر) قال له إننا لا نستطيع ضرب الضربة الأولى ولا بد من الانتظار واستيعاب الضربة الأولى.

وإنصافاً لصدقى أقول أنه قال باللغة الإنجليزية ما معناه أن تلك الضربة قد تصيبنا بالشلل.. فقال له (جمال عبد الناصر): لأى مدى؟ فقال: بنسبة ٢٠٪.

وسأل عبد الناصر هل تستطيع تحمل خسائر ٢٠٪ فقال له نعم.. ولكن ما حدث أن ما وصفه محمود صدقى بالشلل بنسبة٢٠٪ وجدناه ٧٠٪.

وبدأ (مدكور أبوالعز) في مُلاحظاته العامة كما لو أنه يلوُم القوات البرية.. وقال في أولى ملاحظاتهُ العامة أن هذا هو موقف القوات الجوية والدفاع الجوى بكل دقة وأمانة أضعه أمام المسئولين على حقيقته.. ثم قال نقطة كان يرجو أن تنال الاهتمام.. وهى تتلخص في الاعتقاد بأن استمرار القوات البرية في القتال لا يكون إلا بتوفير حماية جوية دائمة فوق ميدان المعركة وهذا اعتقاد خاطئ.

ويظهر هنا أن (مدكور أبوالعز) حاول أن يعفي سلاح الطيران من الاشتراك في المعارك.. ويلوم القوات البرية في قوله أن هناك دلعاً لعدم تصورهم أنهم لن يحاربوا من غير حماية جوية.. لكن التاريخ الحديث يعرف جيوشاً كثيرة جداً حاربت في أقصى الظروف دون حماية جوية.. وقال أن الاقتصاد في حماية المعاونة مبدأ مهم من مبادئ الاستخدامات للقوات الجوية.. وخاصةً في العمليات القوية.. لكن عجز ت القوات الجوية عن ذلك لسبب أو لآخر خلال فترة ما عن تقديم المعونة والحماية الجوية لا يجوز بأى حال أن يكون مبرراً لانهيار أفرع أخرى.. وانسحابها من مواقعها بالصورة التى تمت عليه في عمليات يونيو.

ويدا للقيادة العامة أن القائد الجديد بشكل أو بآخر يحاول أن يقلل إمكانية اشتراك القوات في المعارك الجارية.. وهى معارك الاستنزاف.. وهذه هى المشكلة.. والمشكلة الأخرى أن كل الدراسات العسكرية وكل التجارب أثبتت ضرورة فصل سلاح الطيران عن الدفاع الجوى.. ولكلٍ قيادة خاصة.. لكنه كان مندمجاً عندنا لأسباب كثيرة راجعة للتقاليد القديمة.. واقترح (عبدالمنعم رياض)والفريق فوزى في القيادة العامة فصل الدفاع الجوى عن سلاح الطيران.. وكان هذا منطقياً.. لكن

(مدكور أبوالعز) عارض هذا الاتجاه.. والحقيقة أن هذا الاتجاه بدا في فرض نفسه لأنه في اتساع المعركة واختلاف الأسلحة أصبح ذلك يخلق اختلافاً كبيراً بين ما هو مطلوب من سلاح الجو.. من استطلاع وعمل مقاتلات وتشغيل قاذفات وعمل طائرات النقل الخاصة به.

لكن الدفاع الجوى بتطور الصواريخ بدأ يظهر في شكل مختلف.. على سبيل المثال.. وجود بعض الأهداف يجب أن يكون فيها باستمرار مثل القناطر والكبارى على النيل.. ولما بنينا حائط الصواريخ كان سيتحرك فيه.. ويطلق فيه وحدات متحركة وموجودة في نفس الوقت تحت حائط الصواريخ.. حتى لما تدخل في معارك وتواجه الطيران المنخفض بصواريخ مثل ا"لاستريلى" يصبح الدفاع الجوى لا علاقة له بالسلاح الجوى.

## حيرة عبد الناصر

وهكذا ظهر خلاف في القيادة العامة بين (مدكور أبوالعز) والفريق فوزى.. مدكور يريد أن يظل الدفاع الجوى والطيران معاً.. والفريق فوزى وعبدالمنعم يطالبون بالفصل.. وذهب الخلاف لـ(جمال عبد الناصر) واحتار عبد الناصر فيه.. وللاحتكام فيه دعا مارشال "كتشتن" قائد الدفاع الجوى في الاتحاد السوفييتى وتناقش معه ٣ جلسات طويلة ليصل لفكرة الفصل بين الدفاع والطيران وكان واضحاً ضرورة الفصل.

لكن ما حدث أن (مدكور أبوالعز) قدم استقالته.. وقُبلَت.. وهنا أصبح هناك مشكلة أخرى أُضيفت للطيران بجانب المأزق الطبيعي المتواجد.. لأن القائد الجديد الذي ظل ثلاثة أو أربعة أشهر وبعد تقديمه تقريره نشأت خلافات كان لابد من ضرورة حلها.

وقُبلت استقالة مدكور.. ولكنها كانت محيرة لـ(جمال عبد الناصر).. وأجد ورقة لـ(جمال عبد الناصر) بها من التساؤلات أكثر مما فيها من أى شيء آخر.. وأجد (جمال عبد الناصر) محتاراً جداً.. وجاء بعد ذلك قائد جديد وهو اللواء مصطفي الحناوى ليتولى قيادة سلاح الطيران.

وعلى أى حال كان سلاح اللطيران في وضعٍ شديد الحرج.. وفي هذا كله لابد من أن نتذكر أن هناك معارك كانت دائرة.. وأن حرب الاستنزاف لم يكن لها خطط كاملة.. وكان هناك رغبة بعدم وقوف صوت القتال على منطقة القناة ولا بد من أن تبدو المقاومة مستمرة في كل مكان.. وكانت أقرب ما تكون لاستنهاض الأمة أكثر

من التخطيط.. ولكننا كنا متأخرين بالنسبة للوضع في ساحة الطيران.. وكان الإسرائيليون يرتكزون على الطيران كنقطة تفوق حقيقي.

### تفوق إسرائيلي

وأدركت إسرائيل أن أكثر شيء يناسبها هو سلاح الطيران لعدة أسباب:

- كونها أرضاً محصورة وبالتالي الطيران يناسبها.. لأنه أسرع سلاح ينقل الجنود لمعركة العدو.
- ويناسبها لأنها دولة محدودة في عدد السكان الذي لا يزيد على ١٨ ألفا.. وأن الطائرة تحتاج لـ١٥ شخص في الخدمة وفي العمل لا أكثر بينما الجيوش الجرارة شيئاً آخر.
- الشيء الآخر أن إسرائيل وجدت البنية الأساسية للطيران جاهزة.. وذلك بعد أن ترك الإنجليز في فلسطين مجموعة من القواعد الجوية كانت معدة لملاقاة هتلر وزحف مارشال روميل إذا كان سيزحف من ليبيا على مصر على القوقاز.. فبُنيت كمية من القواعد في فلسطين أخذتها إسرائيل على الجاهز.
- ويستطيع الإسرائيليون أن يجدوا القاعدة البشرية في الانتقاء.. فهم ليس لديهم المشكلة في الصحة والرعاية وكانت لديهم فرصة أن يحصلوا على طيارين من كل أنحاء العالم.

ولما دعا بن جوريون[1] كل الطيارين اليهود الموجودين في كل أنحاء العالم لمساعدة الطيران الإسرائيلي وجد شخص مثل "وايزمان" وهو تقريباً الذي أعد خطة ٦٧ كلها لكن هذا كان أصله طيار في الجيش الإنجليزي.

---

(١) دافيد بن جوريون هو أوّل رئيس وزراء لدولة إسرائيل. وُلد في ١٦ أكتوبر ١٨٨٦ بمدينة "بلونسك" البولندية باسم دافيد جرين. ولتحمّسة للصهيونية.. هاجر إلى فلسطين في ١٩٠٦وهناك امتهن الصحافة في بداية حياته العملية وبدأ باستعمال الاسم اليهودي "بن جوريون" عندما مارس حياته السياسية.. كان من طلائع الحركة العمّالية الصهيونية في مرحلة تأسيس دولة إسرائيل. وخلال فترة رئاسته لمجلس الوزراء الإسرائيلي الممتد من ٢٥ يناير ١٩٤٨ وحتى ١٩٦٣(باستثناء الأعوام ١٩٥٣ حتى ١٩٥٥) قاد إسرائيل في حرب ١٩٤٨ التي يُطلق عليها الإسرائيليون.. حرب الاستقلال. ويعد من المؤسسين لحزب العمل الإسرائيلي والذي تبوّأ رئاسة الوزراء الإسرائيلية لمدة ٣٠ عاماً منذ تأسيس إسرائيل.. في المرحلة السابقة لتأسيس إسرائيل. كان يُوصف بالمعتدل مقارنة بمنظمة الهاجاناه الصهيونية التي تعامل معها البريطانيون في مواقف متعدّدة. ومن جانب آخر.. فقد شارك في العمل المسلّح من أجل تأسيس دولة يهودية في فلسطين عندما تعاونت الهاجاناه مع منظمة الإرجون التابعة لمناحيم بيجن. ولكن بعد أسابيع من الإعلان الرسمي لقيام دولة إسرائيل.. أمر بحل جميع المنظمات المسلحة كالهاجاناه وشتيرن في سبيل تأسيس جيش الدفاع

أما في العالم العربى فقد كانت الفكرة جديدة.. والبنية الأساسية غائبة من مطارات وقواعد جوية.. وعدم وجود قاعدة لياقة بدنية وصحية وتعليمية.. ونحتاج الكثير لفهم أحداث الحروب في تاريخ صراعات الإنسان في العالم.

وفي هذه الفترة كان موضوع محاكمة الطيران مثاراً وإن لم نكن نشعر به مباشرة.. ولاشك كان له تأثيرهُ على السلاح الجوى.. بمعنى أن يكون قائد هذا السلاح مقدماً للمحاكمة وهو صدقى محمود.. وأركان حرب موجودون معاه.. وهنا قضية نحن نحتاج إلى تعلمُها وتفهمها وهى مسألة بالغة الدقة تتعلق بالقادة العسكريين في ميدان القتال حيث ينبغى أن يكون لهم حق التقدير المستقل للمواقف التى تواجههم في حدوث خطة معينة.. والدول كلها اعتمدت سياسة هى في واقع الأمر حق وهى ألا يحاكم قائد عسكرى على تقديراتهُ.. لكن يمكن أن يُحاكم على تهمة خيانة عظمى إذا ثبت أنه خائن.. ويمكن أن يُحاكم أيضاً بتهمة الإهمال الجسيم.. إذا اتضح بطريقة واضحة أن هناك إهمالاً لا يمكن أن يُحاسب عليه.. لكن لا يمكن أن يحاسب أو يحاكم قائد على خطأ في تقديراته لأنه معنى ذلك أننا نشل فكرة أن يكون لدى قائد من القوات فكرة المبادرة والحركة.. ففي اعتقادى أن ما ميز قائداً عظيماً مثل روميل هو قدرته على استغلال أى ثغرة فُتحت أمامه للاندفاع خارج التعليمات في إطار تصور عام للخطة ولكن خارج التعليمات وقد ينجح أو يفشل ولا ينبغى أن يحاكم.



---

الإسرائيلي. وبهذه التعديلات الجديدة التي طرات على التنظيمات المسلحة الصهيونية.. أمر بإغراق السفينة "التالينا" المحملة بالسلاح.. وكان السلاح الذي على متنها سيؤول إلى منظمة الأرجون الصهيونية. والى اليوم.. يظل الأمر الذي اصدره بإغراق السفينة مثاراً للجدل! وقامت مجلّة "التايم" الأمريكية باختياره كأحد ابرز ١٠٠ شخصية عالمية شكّلت القرن العشرين.. توفي في ١٤ ديسمبر ١٩٧٣.

# ٩

## أحكام الطيران!!

في الأسبوع الأخير من شهر فبراير سنة ١٩٦٨ وقع حدث بالغ الأهمية في التاريخ المصرى ومن اللحظة الأولى بدا الحدث عادياً في سياقه الطبيعى.. فهو متصل بقضية ما زالت معنا حتى هذه اللحظة وسوف تؤثر طويلاً في مستقبلنا.. ففي ٢٠ فبراير صدرت الأحكام المعروفة باسم "أحكام الطيران" وهى أحكام[١] على قادة الطيران السابقين الذين قُدموا إلى المحاكمة بتهمة أنهم لم يعدوا سلاحهم للمعركة بالطريقة الكافية.. وأنه كان هناك إهمال.

(١) تراس المحكمة الفريق الحديدى وأصدر أحكاماً متفاوتة على من تم اتهامهم فيها.

وفي صباح يوم الأربعاء ٢١ فبراير سنة ١٩٦٨ نشرت هذه الأحكام في الصحف.. وعلى الفور توالت ردود الأفعال.. و كان هذاطبيعياً في سياقه.. عندما أُذيعت هذه الأحكام بدأت تظهر ردود فعل غاضبة وثائرة من المصانع الحربية في حلوان وبالتحديد مصنع الطائرات المعروف باسم "رقم ٣٦" والمختص بصناعة هياكل الطائرات.. وبدا أن هذه الأحكام في هذا الموقع الذي عاش أو قارب أو لاصق المشكلة المتعلقة بضربة ٥ يونيو الجوية وظهر أن هذا الموقع هو الأكثر تأثراً وقرباً مما جرى.

وبالتالى بدا في صباح ذلك اليوم وجود تجمعات وفرق متناثرة تتحدث في الأحكام.. ورغم أن الأحكام اتسمت بالشدة حيث حُكم على صدقى محمود قائد الطيران السابق بالسجن ١٥ عاماً.. ولكن بدا لهؤلاء الشباب من العمال رجالاً ونساء في مصنع ٣٦ أن الأحكام لا تتوازى مع الجريمة وأن العقاب أقل بكثير مما حدث.

وبدا أن هناك نوعٌ من الغضب.. ثم بدأت التجمعات المتناثرة تتجمع في شكل مظاهرة.. وحدث أن مدير المصنع كان قلقاً لقرب هؤلاء العمال من ماكينات متقدمة شديدة الحساسية لصنع الطائرات.. فاختصاص المصنع في ذلك الوقت كان هياكل الطائرات.. فاستدعى مدير المصنع الأمن الخاص بالمصنع ودخل رجال الأمن إلى أحد العنابر.. وعندما شاهدهم العمال أخذوا يُدقون على أظهر بعض الماكينات أمامهم احتجاجاً على التدخل الأمنى في قضية يعتقدون أنهم قريبون منها.. وشاهدوا أوجه الإهمال بها.. وهذه حقيقة شهادة لهم.

**مظاهرة مصنع ٣٦**

تكونت مظاهرة في المصنع ٣٦ وبدأ قسم حلوان يأخذ حالة طوارئ.. وحاول بعض العمال الخروج من المصنع ولكن الشرطة تصدت لهم بقوة وحدث اشتباك محدود بينهم مُستعينين فيه بالحجارة.

عندما علم عمال مصنع آخر وهو المصنع ٣٥ و٣٢ بما حدث بالمصنع ٣٦ خرجت مظاهرة كبيرة اشتملت على جميع هذه المصانع.

وحاول مأمور قسم حلوان في ذلك الوقت منع هذه المظاهرة مما أدى إلى حدوث تراشق بالحجارة خلال عمليات المنع.. ثم صدر أمر يفيد بإطلاق نار في الهواء حتى لا يصاب أحد.. ولكن أصيب بعض المتظاهرين في أقدامهم وبعد ساعة ظهر أن هناك خمسةٌ من رجال الشرطة أصيبوا أيضاً بجراح.

## مظاهرات جامعتى القاهرة وعين شمس

فهذه الشعارات بدأت تُسمع في جامعة القاهرة وظهرت تجمعات في شكل مظاهرات ضمت كليات الحقوق والآداب والهندسة.. ثم انتقل صداها إلى جامعة عين شمس.. وإلى هذه اللحظة يبدو الأمر وكأنه في سياقه الطبيعى فهناك حالة غضب تجاه أحكام صدرت ارتآها البعض غير كافية على من صدرت تجاههم الأحكام.

كما بدا لهم أن الأمر أكبر مما يبدو أنه لا يقتصر على سلاح الطيران فقط وهذا في اعتقادى أنه كان رد فعل طبيعى للغاية ومفهوم.. فالناس تقبلت ما جرى وخرجت تطالب عبد الناصر لكى يبقى في منصبه ليس لإعفائه من المسؤلية بل رغبة في تحمله لها.. وهو كان يدرك ذلك وتحمل المسئولية وغير في القيادة.

## نقطة انفجار

لكن لم يتصور أحد أن هذه هى نقطة تفجير.. لكنه الوعى العام خاصةً لدى الشباب.. وبدأنا نشاهد كميات من المنشورات.. وتوسع الموضوع ليشمل ظاهرة أخرى موجودة تستحق الوقوف أمامها لأنها كانت تمثل ظاهرة هذا الجيل من الشباب في هذه البلد الذي اعتقد أنه ظُلِمَ تاريخياً رغم أنه من أحسن الأجيال التى ظهرت في التاريخ المصرى الحديث.. ولكن الظروف لم تسمح له إطلاقاً بأن يأخذ فرصة حقيقية لكى يؤدى دوره في السياق العام في البلد.

ولأول وهلة بدأت المظاهرات تكبر وظهر الاتجاه إلى البحث عن الحقيقة ومناقشة المستقبل.. ولم يستطع أحد إدراك الظاهرة في حجمها الطبيعى سوى من لمسوها بالفعل.. وأول من لمس هذه الظاهرة في اعتقادى كان مديرو الجامعات ومنهم آنذاك الأستاذان محمد مرسى الذي كان يرأس جامعة القاهرة.. والدكتور حلمى مراد الذي كان يرأس جامعة عين شمس.

وتفهموا طبيعة هؤلاء هذا الشباب المتظاهر الذي بدا في أول الأمر أنه متضامن مع العمال.. وأنا كنت أردد دائماً أن ذلك الجيل رغم أنه ابن لنظام ٢٣ يوليو ولكنه أثبت تجاوز هذا النظام وتقدم عليه.

ولكن في ظل ذلك ظهر موقف شديد الحيرة حيث كانت هناك أوامر واضحة من قبل عبد الناصر لأنه في هذه اللحظة حدث انقسام واضح في المجموعة المحيطة بالقيادة

ما بين المطالبين بالتشدد الثورى الذي يقضى بأن البلد في حالة حرب وعلى الجيش الذي يحارب في الخنادق أن يلتزم بالحزم مع هؤلاء الشباب.. بالإضافة إلى أن بقاء مظاهرات الشباب في الجامعة حتى لا تخرج خارج نطاق الحرم الجامعى.. فهى دليل تمرد على النظام يضعف صورته أمام العدو والعالم كله.. وعلى الجانب الآخر فسر الآخرون الظاهرة على أنها تحتوى في عمقها أكثر مما يبدو على سطحها.. ودعا إلى توصيف الظاهرة بشكل صحيح محذراً من أن الخطأ في التوصيف سوف يؤدى إلى مشكلات كبرى وكان لديه عدم رغبة في الصدام مع هذه المظاهرات الموجودة في حرم الجامعة.

تصور أنصار المواجهة بالحزم الثورى أن لديهم عذراً ولابد أن يواجهوا المظاهرات وبدى أن هناك عدم فهم فالأمر كان يحتاج إلى استقصاء أوسع لأننا نحن أمام ظاهرة مختلفة.

ولأول وهلة بدأت الأمور تتدرج في محاولة فهم ما يجرى حيث رأى البعض أحقية الشباب فيما يفعلون وأنهم أصحاب قضية وتساءلوا حول طبيعة هذه القضية.. واتضح من خلال المتابعة وجود موقف واحد خطير وأنه من الإمكان أن يسىء كما يتصور البعض ولكنه في رأيى كان ظاهرة صحية وكان علينا أن نتمهل في الحكم عليها.

**تصاعد المظاهرات**

لكن خلال اليوم الثانى قامت بالفعل مظاهرات بعضها ذهب مجلس الشعب[1] والبعض الآخر ذهب إلى الأهرام.. وذهب آخرون إلى مناطق أخرى.. والمظاهرة الأولى التى أُحيطت بمجلس الشعب الذي كان يرأسه آنذاك أنور (السادات).. طلع (السادات) على التراس الخاص بالمجلس وحاول التحدث مع الشباب وعندما وجد في ذلك استحالة.. استدعى بعضهم للدخول إلى مكتبه ودار حوار بينهم اتسم بالحدة إلى حد ما.. ثم بعد ذلك وجدت أنا شخصياً مظاهرة في طريقها إلى الأهرام تحمل هتافات مختلفة مثل (أين الحقيقة يا هيكل) و(أين حرية الصحافة) و(لماذا لم تقل الحقيقة؟) وغيرها.

وأول اتصال وصل لى أثناء المظاهرات بالأهرام كان من السيد شعراوى جمعة وزير الداخلية الذي أبلغنى أنه وصله الآن بلاغ يفيد حدوث مظاهرات حول الأهرام.. وأوضح لى أنه يريد الاطمئنان لوجود رجال شرطة محيطة بالأهرام.. ولكنى ترجيته أنه إذا ظهرت الشرطة سيستفز المتظاهرين كما حدث قبل ذلك وأبلغته أننى حتى هذه اللحظة لست قلقاً من هذه المظاهرات.

---

(١) كان وقتها يُسمى مجلس الأمة.

بعد ذلك كلمنى الرئيس عبد الناصر وسألنى هل هناك مظاهرة حول الأهرام؟ فقلت له نعم هناك مظاهرة.. ثم قال لى بلغونى أن الأهرام مُحاصر.. وأوضحت إليه أننى إلى الآن أرى شباباً يهتف غاضباً.. ولكن ليس هناك ما يهدد أحد.

**اقتحام الأهرام**

دخل الشباب الأهرام.. ومنه إلى مكتبى.. ولمح البعض منهم توفيق الحكيم فوقف معه.. وآخرون شاهدوا الدكتور لويس عوض الذي كان مندهشاً مما يجرى.. وكان يرغب في التحدث معهم.. والدكتورة عائشة عبدالرحمن المعروفة ببنت الشاطئ كانت موجودة أيضاً.

دخل حوالى نصف الشباب المتظاهر تقريباً مقر الأهرام وبعد ذلك جاءت مديرة مكتبى وأبلغتنى أن الرئيس عبد الناصر على خط التليفون وهى لا تستطيع أن تحوله إلىَّ لأننى موجود بداخل الاجتماع مع الشباب.. حيث كانت المناقشة محتدمة أكبر مما يمكن تصورها.. وكان أمامى شباب حائر وضائع.. ذهبت خارج قاعة الاجتماع وتلقيت تليفون عبد الناصر الذي أبلغنى أن الأهرام محاصر واقتُحِمَ من قبل الشباب.. فقلت له أنا لا أعلم إذا كان هذا اقتحام أم لا.. ولكن حوالى نصف المتظاهرين بداخل الأهرام.. وسألنى لماذا ذهبوا إلى الأهرام بالتحديد؟ وأبدى ملاحظة شعرت من خلالها أن هناك من يحاول التحريض أو نقل صورة خاطئة حول ما يحدث.

فكان بالفعل هناك مظاهرة غاضبة ومناقشات دائرة وكان الأمر واضحاً فالشباب صاحب قضية.. وعمل البعض على الإيحاء بأن الشباب بمجيئهم إلى الأهرام مع معرفة عامة بالعلاقة الخاصة التى تربطنى بعبد الناصر قد يكون موجهاً إليه هو.. وكان هو يريد العلم بما يجرى فأبلغته أن الشباب كان يُناقشوننى أثناء اتصالك بى.. وكنت أستشعر بحيرتهم.

**جيل يطلب الحقيقة**

أثناء جلوسى مع الشباب ساعدونا بحماستهم الطبيعية في كتابة قصة ما جرى خلال هذا اليوم.. وأنا لدى حتى الآن البروفات.. حيث أنهم كتبوا ما حدث بالجامعة مما ساعدنا في أن نعطى لقارئ الأهرام صورة حقيقية في اليوم التالى.. ومحررى الأهرام المختصين بتغطية أخبار الجامعة وما يحدث بها من مظاهرات.. كتب عشرات المتظاهرين كميات مهولة لما جرى بما يملأ حوالى ١٠ صفحات.

وأبلغت قاعة التحرير أن ما كتبه الشباب جزء منه سينشر.. ولكن من الصعب نشر الجزء الآخر لضيق المساحة.. وفوجئت في المساء بمناقشات الشباب معنا والذين بدوا وكأنهم من ضمن أسرة تحرير الأهرام.. ومن خلال تحركي بالمكتب ومشاهدتي للمناقشات تبين لي أنها كانت ظاهرة غريبة تستحق الاهتمام.. ووجدت توفيق الحكيم يرغب في الذهاب لمنزله لأنه لا يستطيع السهر أكثر من ذلك.. والشباب يحيطون به ويصرون على استكمال حديثهم معه.. فاقترحت عليهم الذهاب معه.. وطلبت أتوبيس من أتوبيسات عمال الأهرام.. وركبه توفيق الحكيم ومعه مجموعة من الشباب جلسوا معه إلى أن وصل منزله.

وهنا نحن أمام ظاهرة.. جيل يطلب البحث عن حقيقة ما جرى لبلده.. وكما لديه شكاوى وقضايا حقيقية جرت للبلد.. بمعنى أنه كان هناك تجاوزات سلطة.. وبدأ الشباب يطرح قضايا التراكمات التي نتجت من الآثار السلبية تجاه نظام استمر عشر أو خمسة عشر عاماً منذ أحداث السويس إلى ٦٧.. وكان الشباب لديه ما يسأل فيه عن حق.

بعدها حدث اجتماع للجنة المركزية أُثيرَ به موضوع الشباب.. وجدت في الورق الذي كتبه (جمال عبد الناصر) التناقض بين النظرية والتطبيق.. وهذا يدل أن عبد الناصر كان معترفاً أن ما يتم تطبيقه من سياسات لم يكن يطابق ما تم تنفيذه بالفعل.

**عهد جديد**

تغيرت الوزارة ودخل فيها ناس كان منهم مديرا جامعتي القاهرة وعين شمس.. ووجدت عبد الناصر يحضر نقاطاً تشتمل على ما يرغب في إبلاغه للوزارة الجديدة في ٤ ورقات.. فقد كان عبد الناصر يشعر أنه لابد من التغيير.. فالشباب يطالب بعهد جديد وتغيير حقيقي.

ووجه عبد الناصر حديثه لمجلس الوزراء الجديد في ٤ نقاط.هي:

- النقطة الأولى تضمنت تساؤلا لعبد الناصر وهو الوزراء الجدد وماذا يمثلون؟ وأجاب عبد الناصر الشباب لم يكونوا بعيداً عن الوزارة وجميعهم لديهم خبرة بالعمل العام ويمثلون جيلاً جديداً يتقدم بالمسئولية.
- أكد عبد الناصر أن التغيير في معناه الحقيقي لا يقتصر على تغيير أشخاص فقط.. لكنه تغيير أوسع.. مع الاستعداد للقتال في الحرب من خلال شباب سيذهب إلى الحرب بالمستقبل لذا لابد أن يفهم الشباب ما يبحث عنه.

وقال: هناك عدة نقاط أرغب في التركيز عليها وهى أنه ليس فيكم من هو مدين بمركزه لأى شيء سوى لعمله وتجربته ورؤيته السياسية.. وكرامة الحكم تضامنية كمسئولية الحكم".. ثم توجه بحديثه إلى حلمى مراد[1] وأبلغه أنه كان يعلم رغبته في تولى وزارة التعليم العالى.. لكنه أسند إليه وزارة التربية والتعليم لأنها لديها القاعدة التى ينبغى البدأ منها حيث أنه يوجد بها شباب المدارس الابتدائية.. والثانوية.. وأنا أريد أن تبدأ التربية من هؤلاء".

وأنا أتصور أن ذلك الورق من أهم الوثائق حول هذا الموضوع.. وجدير بالذكر أن الكثير من الناس لم يعجبهم حديث عبد الناصر واعتبروه تفريطاً في الثورة.. ولكن هؤلاء جميعاً غاب عنهم أننا كنا أمام شيء آخر.

ولدى وثائق فيها جلس قائد البحرية الإسرئيلية مع أحد السفراء يقول له أن المسائل في مصر انتهت وأن النظام سيقع.. والملحق العسكرى الإيطالى وقتها تحدث مع مثيله الأمريكى وأبلغه بأنه لديه معلومات أن النظام المصرى أيام وسيقع.

بالفعل لو أخذ في ذلك الوقت بأن العملية عملية قمع ثورى أعتقد أن هذا البلد كان سيدخل في مشكلات لا حدود لها ولكن لحسن الحظ أن (جمال عبد الناصر) تنبه لذلك.. أظن أن خلال هذه الفترة استمع عبد الناصر كثيراً.

أتذكر أن يوم الجمعة ٣ مارس ١٩٦٨ اتصل بى عبد الناصر وأبلغنى عن رغبته في مقابلتى بالقناطر وذهبنا بالفعل ووقتها لملمت الورق الذي كنت أكتب فيه خلال جلستى معه لأننى لا أحبذ الاعتماد على الذاكرة فقط.. وبذلك الورق أخذت بعض النقط الصغيرة اثناء حديثى معه وعند انتهاء الحديث.. قمت بإعادة بناء لما سمعته من عبد الناصر خلال مقابلتى معه.

---

(١) نائب رئيس حزب العمل ووزير التربية والتعليم الأسبق.. وُلدَ في ٧ يوليو عام ١٩١٩ القاهرة تخرج في كلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٣٩حصل على دبلوم الدراسات العليا القانون العام عام ١٩٤٠حصل على دبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد السياسي عام ١٩٤١ أوفد في بعثة حكومية عام ١٩٤٦ إلى فرنسا للحصول على دكتوراه الدولة من جامعة باريس في الاقتصاد واستطاع أن يحصل على دبلومى الدراسات العليا في القانون العام وفي الاقتصاد من الجامعة المذكورة في عام دراسى واحد.. حصل على درجة دكتوراه الدولة من جامعة باريس عن رسالته " صندوق النقد الدولى "عام ١٩٤٩ له العديد من المؤلفات وحصل على جائزة الدولة التقديرية في العلوم الاجتماعية من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٧٣.

اتضح لى أنه نظر وتأنى وفكر واستوعب ثم اتخذ موقفه وكان ذلك في منتهى الصعوبة لأن عبد الناصر كان رجلا أسطوريا في وقته كما اتسم بأنه لا يقاوم في العالم العربى وأخذ صدمة أكثر بكثير مما ينتظر وشعر بتناقض داخلى شديد للغاية.

**عام المتاريس ثورة شباب عالمية**

فات على الكثير منا في الداخل والمراقبون لمصر في الخارج أن يعلموا بأن حركة الشباب عام ٦٨ كانت ثورة شباب عالمية.. وفي بعض الأحيان أتساءل لماذا لا نفكر منذ اللحظة الأولى أن الذي رأيناه في مصر كان جزءاً من حركة شباب عالمى خلال عام ١٩٦٨ حيث أطلق الفيلسوف ماركيز[1] على هذا العام بعام المتاريس.. وهو هنا كان يسترجع سنة ثورية أخرى كانت خلال عام ١٩٤٨.

وفي عام ٦٨ الإمبراطوريات المنتصرة في الحرب العالمية الثانية والتى تصورت بأنها حققت القوة الكبرى.. حدث بأمريكا ثورة شباب وأقيمت المتاريس بجميع المناطق في أوروبا وخرج الشباب هائجاً يبحث عن الحقيقة والمستقبل والأمل.. لأن الشباب في ذلك الوقت كان يرغب في أن يشعر بأن هناك شيئاً تغير بعد الانتصار في الحرب العالمية الثانية.

أتذكر أنه بعام ١٩٦٨ وصل الاهتزاز إلى كل شيء.. كان هناك اهتزاز لجميع العقائد.. فلا الرأسمالية تصلح.. ولا الشيوعية.. وظهر العالم وكأنه داخل على نفس التغيير الحادث بعد الحرب العالمية الثانية.. وأن هناك شيءٌ يجرى في العالم كله له أصول تاريخية.. فكان من البديهى أن يحدث عندنا شيء من قبيل ذلك.

في تاريخنا نحن لم يظهر أن لعب الشباب دوراً بارزاً في العمل العام فثورة عرابى قادها الضباط أبناء الفلاحين الذين امتلكوا أرضاً ولديهم ضيق من الشراكسة.. وثورة ١٩١٩ قادها بالدرجة الاولى موظفون وأزهريون بينما لم يدخل الشباب الجديد في الصورة.

---

(١) جابرييل خوسيه جارسيا ماركيز روائي وصحفي وناشر وناشط سياسي كولمبي. ولد ( في ٦ مارس ١٩٢٧) في مدينة أراكاتاكا في مديرية ماجدالينا وعاش معظم حياته في المكسيك وأوروبا ويقضي حالياً معظم وقته في مدينة مكسيكو سيتى.. نال جائزة نوبل للأدب عام ١٩٨٢ م وذلك تقديرا للقصص القصيرة والرويات التي كتبها. اشتهر بآرائه السياسية الحادة.. وتعاطفه مع القضية العربية ضد الكيان الصهيونى.

هذا الجيل الجديد من الشباب الذي أطلق عليه فيما بعد بجيل السبعينيات شاهدته بالجامعة والمظاهرات وخنادق ميادين القتال.. ولكن للأسف هذا الجيل طلع وأبدى رأى وتظاهر ورفض وتمرد وفرض تغييراً لأنه بعد ذلك صدر بيان ٣٠ مارس الذي شمل على تصور لمستقبل ليس به (جمال عبد الناصر) لأن عبد الناصر كان يردد أكثر من مرة أن ميدان القتال سوف يعلم الجيل الجديد أشياء عديدة أهم ألف مرة من كل ما يُدرس في الكتب والمحاضرات والندوات وأن هذا الجيل سيرجع وقد اكتسب قدرة تجعله يطالب بحقه.

**محاولة انقلاب داخل الأهرام**

وجدت في ذلك الوقت محاولة انقلاب من داخل الأهرام لم أتنبه إليها رغم أنني أُخطرتُ بها.. حدث ذلك من خلال تفكير التنظيم السياسى في عمل انقلاب داخلى في الأهرام.. وأبلغنى (السادات) بذلك.. وطلب من سامى شرف أن يبعث إلىّ نسخة من التحقيق الذي جرى حول ذلك الموضوع.

وحقيقة ما حدث أنه كان هناك شاب من الأهرام - لا أريد ذكر اسمه - تم تجنيده أو شيء من قبيل ذلك وأبلغهم أنه يعمل منذ ٣ سنوات بالأهرام ومع ذلك لم يقابلنى أبداً واتهمنى بأننى مستبد في إدارة شئون الأهرام.. وطلب أن يصدر قرار في شأنى بسبب طول فترة رئاستى للأهرام.. وقال لى (السادات) «شوف كانوا عايزين يعملوا فيك إيه" ووجدت في الورق أنهم وصفوا مقالاتى بالتخاذل واستنتجوا أننى أطالب بمفاوضات مع إسرائيل وليس مع الأمريكان.

وخلال التحقيق أوضح الشاب أنه شرع في وضع شعارات للانقلاب بمنشورات سيقوم بتوزيعها.. ولكنه أبلغ المحققون أنه لا يستطيع عمل انقلاب داخل الأهرام بمفرده.. لذا فهو يحتاج إلى مساعدة من خارج الأهرام من خلال السلطة السياسية وأنا حتى خرجت من الأهرام لم أشاهده ولم اتخذ أى إجراء تجاهه وبقى في الأهرام.



# ١٠

## حركة التاريخ!!

نتحدث عن حركة التاريخ ويخيل لبعضنا من واقع كلمة "حركة التاريخ" أننا نتحدث عن شيء مجرد وغير محسوس.. لكن واقع حركة التاريخ أنها ليست مجرد أحداث تتوالى يتلو بعضها بعضاً دون عقل[١].

ومن اللحظات الدالة بشدة عن حركة التاريخ هي تلك الفترة التي ظهرت فيها مظاهرات الشباب.. فبينما كانت حركة الشباب دائرة في القاهرة.. تصور بعض الناس أن هذا يعطل كل شيء.. والغريب أنه في هذه الفترة بالتحديد.. لم تتأثر الجبهة.. وهناك حركة في القاهرة تبدو وكأنها درجة من درجات الفوضى.. وفي هذه اللحظة تقاتل الجبهة بمقدرة ونظام وكفاءة.

(١) لاحظ هنا دلالة ما يتوله هيكل مع ما أشرنا إليه في التمهيد لهذا الكتاب والمتعلق بنظرية حتمية التاريخ.

## إغراق الغواصة داكار[1]

ووقعت في ذلك الوقت معركة أظن أنها لم تأخذ حقها وهى إغراق الغواصة داكار.. ففي ٢٥ يناير ١٩٦٨ قبل مظاهرات الطلبة وقبل أحكام الطيران حدث أن قيادة البحرية بدأت ترصد الغواصة.. شعرت بمحركاتها اثنتان من مدمرات الأسطول المصرى في ذلك الوقت كانتا تعملان في شمال دمياط.. في الموقع الذي أغرقت فيه أو حوله المدمرة إيلات من قبل.. وصدرت أوامر من المدمرتين بملاحقة هذه الغواصة.. وتم رصدها يوم ٢٥ ليلاً.. ويوم ٢٦ أدركوا أن الغواصة قد شعرت بوجود رقابة فدخلت في الأعماق الأبعد.. وفي يوم ٢٧ حاولت الغواصة إغلاق محركاتها لكى لا يصدر عنها صوت ويختفي أثرها.. لكن في نفس اليوم صدرت أوامر للمدمرتين أن يقوموا بالالتفاف حول المنطقة التى يشتبه وجود الغواصة فيها.. ويقوموا بضرب قنابل أعماق.. لأنه كان هناك خوف وقلق بأن ترسل إشارات للطيران وأن تكون المدمرات مكشوفة أمام الطيران الإسرائيلى.

وفي مساء ٢٧ صدرت أوامر بأن يقوموا بعمل دائرة حول منطقة الاشتباه.. ثم ضُربت ١٨ قذيفة أعماق.. وتحركت المدمرتان للعودة لقواعدهما.. ومنهما التى كانت تتابع المدمرة المصرية أفاتر.. فالرصد موجود ومستمر وكان هناك شعور بأن الغواصة غرقت.. ولكنها أصدرت إشارة خافتة جداً لطلب النجدة SOS وقائدها كان يبدو أنه في موقف حرج وسنعرفه فيما بعد.. لأنه أعلن وأذيع في الوثائق الإسرائيلية.

وبعد أن أعطت الغواصة الإشارة.. التقطتها محطة قبرص.. وقيادة البحرية في الإسكندرية لم تلتقط الإشارة كاملة نتيجة لأن الإشارة كانت باهتة ضعيفة لا أحد يستطيع أن يقدر ما فيها.. لكن أصبحت قيادة البحرية صباح ٢٨ يناير وهى على ثقة تقريباً أن هذه الغواصة غرقت.

وتوجه الفريق محمد فوزى والفريق عبدالمنعم رياض.. وطلب الفريق فوزى من (جمال عبد الناصر) أن يعلن خبر إغراق الغواصة.. لكن (جمال عبد الناصر) وقتها بالتشكك

---

(١) وكانت إنجلترا في ذلك الوقت قد باعت لإسرائيل غواصتين صُنعتا سنة ١٩٤٣ في الحرب العالمية الثانية مزودتان بإمكانيات لم تكن متوافرة في أجيال من الغواصات السابقة.. وكانت واحدة من اثنتين دخل عليهما التجديد من طراز عمل ٤٣ ولكن لما اشترى الإسرائيليون هذه الغواصات طلبوا إجراء تجديدات عليهما.. وكان اسم الغواصة الأولى "بوبن" ولكن الإسرائيليين طلبوا تغيير اسمها لداكار يعنى وحش البحر.

وبالعقد الناشئة عن بيانات وبلاغات كان مبالغاً فيها.. وما تلاها بدأ يقول مثل كل المرات أنه يريد يقيناً.. وقال أنه لا يريد أن نقوم بالإعلان والتهليل.. ونقول إننا حققنا انتصاراً دون أن يكون لدينا دليل لأنه يخشى أن إسرائيل ستتكتم على الخبر إذا كان صحيحاً.. وأنه ليس من المعقول أن تغرق غواصة.. ولا يظهر لها أثر على سطح البحر كنوع من الحطام أو بقع زيت.. وبالتالى فقد طلب تأكيداً لأنه لا يقبل إعلاناً إلا إذا كان هناك دليل.. خاصةً في رأيه أنه لو كان هذا الخبر ليس دقيقاً فقد يؤثر على قيمة العمل الذي أدى إلى إغراق المدمرة إيلات.. فبدأت قيادة البحرية ترسل دوريات في اليوم التالى وتحاول تصوير المنطقة وأن تلتقط أى أثر أو صور ليكون دليلا على الإغراق.

ولما أُرسلت الطائرات في الدوريات للتسجيل لم تستطع الاقتراب لأنها وجدت نشاطاً إسرائيلياً كثيفاً حول هذه المنطقة بحرياً وجوياً ولم يكن هناك داع للاشتباك لأنها كانت طائرات استطلاع.. ووجد (عبدالمنعم رياض)أن تواجد مثل هذا النشاط وبهذه الكثافة يدل على أنه بالفعل حدث شيء ولكن عبد الناصر كان لايزالُ متشككاً.

ولكن كان الموضوع حساساً.. بمعنى أن خبر إغراق غواصة تابعة للقوات الإسرائيلية فالغواصة بها أكثر من ٧٠ ضابطاً هم طاقمها.. وهى عملية كبيرة قد تبدو وكأنها سحابة للتغطية على مظاهرات الشباب.. وقد يبدو أننا نحاول التأثير على هؤلاء الشباب أو الرأى العام أن هناك معركة دائرة وأن هناك أشياء كثيرة جداً تتحقق.. وبالتالى هذا التظاهر ليس هناك ما يبرره.. خاصةً أنه حتى تلك اللحظة لا يستطيع أحد أن يقدم دليلاً يقينياً قاطعاً وحاسماً على ذلك...

وبالتالى هناك تهيج وقلق أن يتم إعلان شيء وفي يوم ٦ مارس أعلن الجنرال موشى ديان في الكنيست غرق الغواصة الإسرائيلية داكار في نفس النقطة تقريباً التى كنا ندور فيها.. وأنا هنا أمامى بيانه في الكنيست والوثائق التى ظهرت فيما بعد.

وكانت الغواصة الأخرى في ذلك التوقيت تقفو أثر أختها بعد يوم أو يوم ونصف.. ووقف الجنرال ديان في الكنيست في يوم ٦ مارس يعلن أن إسرائيل ونتيجة لسوء الحظ فقدت إحدى الغواصتين الكبيرتين اللتين حصلت عليهما أخيراً.. وأعطى تفاصيل عن عدد الضباط والبحارة والقادة وكانت الغواصة كانت تحت قيادة أحد رواد بناء الغواصات الإسرائيلى وهو الكوماندا "رانل".. وعرفنا عنه كثيراً فيما بعد.. وتم إعلان

يوم حداد في إسرائيل.. ولما تم الإعلان لم يكن لدينا وسيلة نقول ماذا جرى إلا نشر ما قاله ديان ثم نستشهد بتأكيد حدوث الواقعة.

وعرفت من (عبدالمنعم رياض)أن بعض ضباط البحرية بلغ به الضيق أشده لأنه بعد المدمرة إيلات وبعد ضربها بزوارق.. وبعد ما قام به أسطول المدمرات المصرى قام بعمل هائل لم يأخذ حقه.. وكانت هناك رغبة في إظهاره لكن الظروف لم تسمح بذلك.. وتضايق كثيرٌ من الناس لأنه بدا أن هناك تردداً أو خشية من إعلان نجاح ليس هناك ما يبرره.

والوثائق الإسرائيلية تقول وتؤكد لى كل رواية قالها ضباط البحرية المصرية.. وتؤكد أن الغواصة شعرت بمن يُتابعها بشكل أو بآخر فطليت بعد أن قامت من ميناء "بورتسموث" هى والغواصة الأخرى.. ودارت حول شواطئ أوروبا داخلة في مضيق جبل طارق.. وطلب منها أن تغطس حتى لا تظهر لأنها كانت عائمة في المسافة من إنجلترا لجبل طارق.. ولما فاتوا من جبل طارق متقدمين من ميناء حيفا بدأ يُطلب منهما أن يتقدموا غاطسين وفي قياس الملاحة لا يوجد قائد غواصة يستطيع أن يحسب بالضبط سرعة وصوله لميناء يستطيع أن يصل إليه.. ولكنه وصل مبكراً عن موعده المفترض.. وكان مطلوباً منه فطلب إليه أن يظل في البحر ولا يظهر في حيفا مرتين طلب منه.. لأنه كان هناك احتفال في ميناء حيفا لاستقبال الغواصتين والقيادة الإسرائيلية لا ترغب في دخول الغواصتين قبل ميعادهما ويضيع الاحتفال بالاستقبال.. وكان مرتباً أن يظهروا ويدخلوا الميناء وسط احتفال خاص.

ولما وجد قائد الغواصة أنه لا بد أن يتأخر لعدة ساعات شاء حظه أن يتقدم لخط يقع ما بين خان يونس وميناء دمياط فالتقطته المدمرات المصرية وتحكى المركب أنها أرسلت بالفعل إشارة(S.O.S ) ويظهر أن محطة (قبرص) التقطت الإشارة واضحة والتقطناها نحن.. وكانت باهتة.. كما التقطتها محطة (كريت) وأبلغت الإسرائيليين بها ولكن بعد فوات الأوان.

ولكن تحكى الوثائق أن الغواصة غطست في هذه المنطقة العميقة وبدت تحاول أن تخفي حركة وجودها.. لكن واضح أن قذائف الأعماق قسمتها نصفين.. وأنها غطست لعمق ٥،٢ كيلو تحت سطح البحر بكل ما فيها.. ومن فيها[1].

ولأن الزمن يقوم بدوره والأفكار تسبقها أفكار.. وما كان جديداً بالأمس يصبح اليوم قديماً.. وهذه هى طبيعة حركة التغيير أنها تجدد وفق ما يراه العقل من ضرورات الحرية البشرية وضرورات الإنسان.. ويُقال باستمرار أن الحركة السياسية في العالم تتبع الطموحات المتعلقة بكل جيل.. ورؤياه لمعنى الحرية الشاملة فيما يتعلق بعصره وفي زمنه.. ولم يربط أحد هذا بالقدر الكافي في ذلك الوقت.. لكننى أجد الكتلة الشيوعية وما جرى في مصر يستوجب بشكل أو بآخر نوعاً من الحل السياسى.. وأجد في الوثائق السوفيتية التى ظهرت بعد سقوط الاتحاد السوفيتى أن هناك كنزٌ من المعلومات يجب أن نرجع لها.

وأجد محضر اجتماع دول حلف وارسو أنها كانت تبحث الوضع في مصر وما الذي يجرى.. وما الممكن أن يجرى بعد ذلك.. وترى أن القوات المصرية تحارب.. وهذه القوات المسلحة المصرية تقاتل.. وإذا لم تكن وراءها جبهة داخلية متماسكة سيكون هناك إعادة نظر.. وبدا أن هناك كلام هل تقبل مصر في هذا الوقت بحل سلمى.. وأنه ليس هناك داع لما بدا أنه مكابرة.. وحلاً سلمياً معقولاً.. وأجد أن الكتلة السوفيتية في الاجتماع كان لها آراء متنوعة ومختلفة جداً.. وأجد برجنيف رئيس الاتحاد السوفيتى يأخذ موقفاً صلباً لأنه له مصلحة لاستمرار المقاومة المصرية.. وأنه يعاتب على بعض ما جرى.. وأنه مندهش من استعمال أسلحة لأنهم اعتبروا أن السلام السوفيتى أهين بالطريقة التى استعمل بها في سيناء.. وجزء كبير منها لم يستخدم بعد وقوعها في أيدى الإسرائيليين بعد قرار الانسحاب وبالطبع ذهبت للأمريكان.

وكان الاتحاد السوفيتى ضيق الصدر مما حدث لكنه كان لديه مصالح كبيرة لأن مواقع صفقاته أو مواقع علاقته في الشرق الأوسط مهددة.. وتبين أن برجنيف أخذ موقفاً متصلباً.. وأن برجنيف يقول أن هناك حلولٌ معروضة على مصر.. وقال برجنيف في محضر الجلسة أن الاتحاد السوفيتى مصمم على مساعدة مصر والدول العربية في

---

(١) مؤخراً بعد معاهدة السلام طلبت إسرائيل تصريحاً من أمريكا بعد ٣٦ سنة من الحادث للبحث في المياه القريبة من خان يونس ودمياط ووجدوا الحطام واستطاعوا تصويره.

مواجهة ما تعرضوا له.. خصوصاً وأن الأمريكان يقوموا بتصدير السلاح علانية لإسرائيل.. ويقول أنه قابل على صبرى في ذلك الوقت في موسكو.. وقال له على صبرى أنه لديهم شهادة رئيس أركان حرب الجيش السوفيتى الجنرال مارشال زاخروف والذي قال لهم أن الجبهة المصرية تماسكت.. وأن هناك قدرة دفاعية طيبة يطمئن إليها.. ولكن في هذه اللحظة تدخل الزعيم البولندى جوملكا وقال أنه لا يشكك في قول المصريين أنهم جاهزون للدفاع.. خصوصاً أن رئيس أركان حرب الجيش السوفيتى يؤيد ذلك.. ثم يدخل الرئيس تيتو[1] في هذه المناقشة فيقول أن عبد الناصر يعرض وجهة نظره على أساس تسليح جيشه ليكون قادراً على الدفاع.. وأن وجود جيش قادر على الحركة ضرورى جداً من أجل السلام.. ثم يرد جوملكا ويقول أنه ليس هناك فرق بين الحالتين لأنه قادر على الدفاع منه على الهجوم.. ونحن نخشى أن نتورط والكتلة السوفيتية تخشى أن تتورط.

**ما هى نهاية هذا الطريق؟**

ويطلب زعيم ألمانيا الشرقية في ذلك الوقت الكلمة ويقول أنه من الجيد أن يقول المصريون أنهم مستعدون للدفاع.. وأن القدرة الدفاعية معناها وجود القدرة الهجومية.. ثم نسأل ونريد أن نعرف من المصريين: ما هى نهاية هذا الطريق؟ بمعنى أن يقولوا ما هى رؤاهم للحل السلمى.. وأنه لابد أن يروا نموذج لهذا الموضوع.. وقال أن المصريين طلبوا منا خبراء في الطيران.. ولكننا ترددنا في أول الأمر لأننا خشينا أن يبدو أن في إرسالهم تشجيعاً للمصريين على الحرب ونحن غير معتقدين في الحرب.

وبعد ذلك تابع الرئيس تيتو كل هذه المناقشات وبعد ذلك بدأ يقلق لأن من أحوال الجبهة المصرية.. وحِراك الجبهة الداخلية.. ورأى أنه من واجبه أن يُرسل لـ(جمال عبد الناصر) ويعطى له ملخصاً للكلام ورأيه فيه.. ووجدت رسالة الرئيس تيتو يرمى إلى

---

(١) الرئيس اليوغسلافي جوزيف بروز تيتو (٢٥ مايو ١٨٩٢ - ٤ مايو ١٩٨٠) كان ثوريا.. ودكتاتورًا.. والأمين العام (الرئيس في وقت لاحق) لرابطة الشيوعيين في يوغوسلافيا (١٩٣٩-١٩٨٠) وقاد حركة العصابات اليوغوسلافية ضد النازيين في الحرب العالمية الثانية. في الفترة من ١٩٤٢ حتى وفاته في عام ١٩٨٠ كان يشغل رتبة مشير في يوغوسلافيا بوصفه القائد الاعلى للقوات المسلحة اليوغوسلافية.. وهو من أكبر الدكتاتوريين الشيوعيين في تاريخ الشيوعية.. وواحد من مؤسسي مكتب الإعلام الشيوعي.. وواحداً من المؤسسين الرئيسيين والمروجين لحركة عدم الانحياز.. والأمين العام الأول لها.. كان يؤيد سياسة عدم الانحياز بين الكتلتين الشرقية والغربية على الرغم من تقربه لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية في الحرب الباردة.

الصداقات التى كنا نقوم بها في ذلك الوقت.. وأجد أن هذا الجواب يستحق الدراسة أجد أنه يقول أنه بعد حلف وارسو بدا أنه مهتم ومشغول بالموضوع وأنه يجب على مصر أن تبدأ ويعمل اتصال على شكل زيارة يقوم بها (جمال عبد الناصر) لموسكو لأنه مطلوب تثبيت الاتحاد السوفيتي.. ويتعرف الاتحاد السوفيتى أكثر ومباشرة على طباعنا ورؤانا للمستقبل ويطلب أنه لا بد من التفكير.

وفي نفس الوقت ذهب له ناحوم جولدمان لأن إسرائيل تتابع ما يحدث وتشعر أن الكتلة السوفيتية داخل الحلبة.. وكان الاتحاد السوفيتى قد دفع مجهوداً وسلاحاً لتأييدنا ووصلنا لموقف لا يبدو في الأمور بشكل أو بآخر ليست قادرة كما يروها من الخارج فبدا أن هناك قلقاً.

**رسالة من تيتو**

وقال تيتو في رسالته لعبد الناصر:

السيد الرئيس والصديق العزيز.. أود أن أحيطكم علماً بالحديث الذي أجريته حديثاً في بيوجراد مع ناحوم جولدمان.. والأخير كان في ذلك الوقت رئيس المؤتمر اليهودى العالمى.. والذي يمثل كل يهود العالم.. وأنه زوده بمعلومات عن الموقف في إسرائيل.

وحكى تيتو عن المعلومات التى سمعها من الدكتور جولدمان وقال له أن هناك فرصة لا بد من استغلالها وأنه حدث استفتاء إسرائيلى كتبت نتائجه وأظهر أن ٦٨٪ يرون أن إسرائيل عليها أن تُعيد كل الأراضى المحتلة خلال الحرب إذا كان ممكناً للوصول لاتفاق سلام.. وبعد ذلك يقول أن هناك تغيرٌ في الموقف العام.. ويقول أن الموقف السوفيتى يقلق كثيرين في إسرائيل.. وقال إنهم خائفين من القنبلة الديمغرافية وقلقين من ضم أراض كثيرة لسكانها نتيجة تغيير أوضاع.. وكانوا على اتصال ب(الملك حسين) و(الملك حسين) قابل الجلاء من الضفة الغربية كلها في مقابل تصحيحات بسيطة في الشمال والجنوب حول وضع القوى المقسمة على الناحيتين.. وحتى ديان كان يقول أنه لا يهمه من سيعمل اتفاقية السلام.. فهو يعرف أن العرب ليسوا مستعدين لهذه اللحظة نفسياً لاتفاقية سلام لكن بعد انتهاء حالة الحرب وهذا يكفيه.

ثم اكتشف بعد ذلك شروط الحل التى وضعها هى بالضبط ما وصلنا إليه في نهاية المطاف وبعد حروب طويلة ولكن في ذلك الوقت وبعد حروب.. فبالنسبة للقدس قال إنها توضع تحت إشراف دولي والأماكن المقدسة إلى آخره.

ولما أرسل تيتو الجواب لعبد الناصر أرسل لى نسخة عليها علامة تخصنى بأن جولدمان يقول لتيتو: قد أُشير عليَّ من أجل هذا الغرض ببحث هذه التسوية مع هيكل وهو ليس بمسئول رسمى مقترحاً بطريقة عابرة أن يتم هذا الاجتماع في نيويورك.. وقال أن ديان يشكر جهده ويريد حلاً سلمياً وأنه على أى حال رجل ليس مسئولاً.. فمن الممكن أن يقول لى ما يشاء وأنا أقول ما أشاء دون أن يكون ذلك رابطاً للسياسة المصرية لأننى ليس لدى صفة رسمية.

وكان رأى (جمال عبد الناصر) أنه بالطبع لا.. ولا ينبغى في هذا الظرف ولا تحت أى ظرف من الظروف أن يتم أى اتصال سياسى لا عن طريق المجمع اليهودى أو الوكالة اليهودية أو الأمريكان ولا على أى أحد أبداً.. وأنه لا يمكن البحث في قضية سلام إلا إذا كان هناك شيء عملى على الأرض يبرر حدوث ذلك.

ولم يلبث أن أرسل تيتو هذا الجواب و رد عليه الرئيس وقال له أنه سيذهب للاتحاد السوفيتى بحسب اقتراحه ويجلس مع قادة الاتحاد السوفيتى.

**اقتراح إيطالى**

ومن ضمن الأحداث وقتها حركة نجد أنها من الحزب الشيوعى الطليانى وكانت إيطاليا لديها تطلعاً للبحر الأبيض.. وبدأ الحزب الشيوعى الإيطالى يتحرك.. وبدأ يأتى عمدة (فرانس لابيرا).. وأتى لعبد الناصر.. واقترح عليه عمل لقاء بينى وبين أباييان في فلورانس.. وأن هذا الاجتماع يتم في متحف فلورانس المشهور جداً.. بصفتى معبراً عن الرئيس.. أو صديقاً له.. ونتكلم في فلورانس.

وبعد أن قابل (جمال عبد الناصر) (عمدة لابيرا) دخل مكتبى ومعه تمثال يبحث عن السلام.. وقلت له أنه ليس ممكناً ثم أظهر لى رسالة جولدمان له واقتراحه الأصلى ونتقابل أباييان في سنيوريا.

وبعد أن ذهب أتى لنا الحزب الشيوعى الإيطالى مباشرة وهو بـ "إيتا".. وكان عضواً في مجلس الشيوخ.. وأتى باقتراح لا تزال له أصداء إلى الآن.. ويقول إننا لا نستطيع القيام بأية اجتماعات ثنائية لا سراً.. ولا علناً.. وأننا نبحث عن السلام والأمر يقتضى أننا نتلاقى من خلال إطار لا يثير حساسيتكم.. ولا يضايق جماهيركم.. ويكون معقولاً.

## حوض السلام

وبعد أن قابل الرئيس أتانى ليقول لى أنه يريد عمل تجمع للبحر الأبيض.. وتجمعٍ فيه يكون فيه كل دول البحر الأبيض.. وأن يكون البحر الأبيض "حوض سلام" بدلاً من كونه حوض حرب.. وحوض ثقافةٍ بدلاً من كونه حوض عداء.. ثم سأله هل ستكون إسرائيل موجودة فقال له بالطبع.. فقال له عبد الناصر أن هناك صراعٌ أكثر من هذا كله ولا بد من وجود حل له قبل البحر الأبيض.. ولا بد أن نجد وسيلة للحق الضائع في فلسطين.. فلا بد أن يعود.. والعدوان على الدول العربية منطق فرض أشياء بالقوة.. فلا تقول لى أن أجلس وقتها في مؤتمر للبحر الأبيض.

ولما جاء لى (عمدة لابيرا) في اليوم التالى في الحقيقة لم أكن أعرف ماذا قال عبد الناصر له.. لكن لما سمعته تقريباً لم تختلف إجابتى.. وقلت له بحر أبيض إيه ونحن لدينا قضية.. ومشغولون بسيناء.. وبالضفة الغربية.. وكلنا مشغولون بهم.. وأن هناك قضية تحرير لا بد أن تسبق كل ما بعدها.. ولكن لا تقول لى قضايا التنسيق وقضايا الشعوب فهذا كله جيد.. وكل هذا أوافق عليه ونسعى فيه.. ولكن هذا ببساطة لا يمكن.. وليس كافياً أن يتصور الناس وجود قضايا ومشاكل توضع في إطار واسع أكبر من العلاقات غير المحددة.. ولا بد لأى دولة أن تكون واضحة.. وأنا أتذكر أن الرئيس عبد الناصر.. كان يقول نحن جاهزون لأى تعاون دولى ولكن مثل هذا التعاون الوثيق يقترحه.. ولا تستطيع أن تتعاون ولا تتدخل في تنظيم واحد ضيق ومحدد بهذا شكل إلا دول تربطها مصالح مشتركة.. إلا دولة ترابطها جغرافياً متصل.. ودولة عندها أمن واحد.. وبالفعل فالبحر الأبيض منطقة تعاون ثقافي.. لكن الأمن هنا يسبق الثقافة.

وجلس معى بيتا في اليوم الثانى وكان مستولياً عليه أن هذه هى الفرصة لحل الصراع العربى الإسرائيلى في إطار حوار ثقافي وحضارى أكبر منه.. وأكبر من فكرة السلاح.. والغريب جداً أن فكرة البحر الأبيض عادت ولا تزال موجودة..

وما أود قوله في النهاية أنه في تلك المرحلة من سنة ٦٨ والشباب يتحرك.. والجبهة تتحرك.. وبعض أصدقائنا يقلقون.. وبعض أصدقائنا يطرحون مشروعات.. وبدا أن هناك قلقٌ ونحتاج لمجهود أكبر لكى نوضح لأصدقائنا قبل أى أحد.. وأهم شيء في أى صراع أن يحاول كل طرف داخل في الصراع أن يتأكد من سلامة خطوطه كلها.. هو ومن

معـه.. والمتصلين بـه.. والقـوة المؤيـدة لـه لكـى يعـرف ويتأكـد أن قواعـده في خـوض صـراعه.. قواعـد مأمونـة.. وصلبة.. وماضـية في تأييـدها لـه لأنـه أمامـه شـوط طويـل.. وهكذا في ذلك الوقت بـدا التـاريخ يتحـرك.. وبـدا مرحلـة أخـرى.. ويجـب أن نخطـو لما قبلها وهى خطوة لصالح تدعيم موقف أصدقائنا.



# ١١

## تحول التيار!!

قبل الزيارة التى قام بها (جمال عبد الناصر) للاتحاد السوفييتى في بداية شهر يوليو سنة ١٩٦٨ كان هناك شواهد كثيرة تستدعى إعادة نظر في الموقف.. فقد قام الشباب المصرى ليعطى صورة مختلفة عن شعب يريد التحرير والتغيير. وهناك محادثات سلام لا تصل لشيء.. وهناك عمليات تجرى لإعادة بناء قوات تجرى في إطارها عمليات في منتهى الأهمية مثل إيلات وداكار وما يجرى على جبهة خطوط قناة السويس.

وكنا نتابع ما يجرى في العالم كقمة أوسلو والتى تحدثت عنها.. ويظهر فيها أن الكتلة السوفييتية غير متنبهة ويتحدثون عن أمور هل سيستطيعونها أم لا؟.. من بينها قولهم أننا يجب أن نساعد العرب وأنها معركة مهمة جداً.

وكانت العمليات العسكرية تجرى وهى مقاومة لردة فعل طبيعية ولكن ليس هناك خطة واضحة لعمل عسكرى وعمل سياسى يغطيه لأنه لا يمكن أن يقوم أحد بعمل عسكرى إلا إذا كان له تغطية سياسية.

**إشارات ورسائل**

وعلى هذا الأساس ذهبنا للاتحاد السوفييتى في نوع من المواجهة معه أو في نوع من حديث لا بد أن يكون فيه تباين واضح.. لأن الاتحاد السوفييتى على قمة القوى العظمى مع الولايات المتحدة ونحن في حاجة إليه.. ولكن نحن نذهب إليه من موقف من لديه إمكانات حقيقية.. ولا نتسول منه.. وهنا قال الأصدقاء مثل تيتو : أنه حان الوقت للحديث مع الاتحاد السوفييتى بطريقة محددة وواضحة.. لأن هذه الرحلة كانت الأولى التى يخرج فيها (جمال عبد الناصر) من بعد يونيو.. إلا إذا استثنيت مؤتمر القمة الذي كان بالخرطوم.

كانت المرة الأولى التى يخرج فيها من مصر تستدعى أن يخرج القائد الأعلى من بلده ليذهب لبلدٍ آخر كى يتحدث عن أمورٍ لها خطورتها وأهميتها.. وفي هذه الفترة لم أر في حياتى في مصر مناقشات وحوارت جادة لأبعد مدى.. وتشارك فيها أكبر قاعدة ممكنة من الناس.. وكل خبير لديه شيء يتحدث فيه.. ولا أعرف بوجود أى مفاوضات ولا أى محادثات بيننا سبقها هذا القدر من الإعداد الذي شارك فيه كل الناس.. والمفاوض المصرى.. في اعتقادى.. ذهب إلى موسكو وهو لديه كل ما هو ممكن عن الأوضاع المقبل على مواجهتها.. خصوصاً الأوضاع الدولية لأنه لم يكن ممكناً عزل قضية الشرق الأوسط عما يجرى حولها.

وأرسل عبد الناصر إشارات واضحة قبل أن نستقل الطائرة التى ركبناها يوم ٢ يوليو ١٩٦٨ وكان عبد الناصر قد طلب قبلها ثلاثة طلبات من الاتحاد السوفييتى.. أولها طلب ألا ينزل في الكرملين لأنه لا يريد لا استقبالات ولا حفلات.. ويريد مناقشات مركزة في قضايا محددة.. واقترحوا أن ينزل في الشاطئ الغربى لنهر مسكوفا في ضواحى تسمى منطقة تلال وفيها ٣ أو ٤ منازل ويجوارها ناد رياضى.

والشيء الثانى الذي طلبه عبد الناصر هو أن من أسماء الوفد المرافق للرئيس كان هناك اسم لم يلفت النظر وهو عبدالمنعم رياض.. والطبيعى في المحادثات أن يذهب الفريق محمد فوزى وزير الحربية لأنه سيقابل وزراء.. ومن الممكن أن يذهب رياض معه

لكن فوزى يكون رئيس المجموعة العسكرية مع الوفد.. و(جمال عبد الناصر) قصد ذلك والسوفييت يعلمون أن الفريق محمد فوزى مكلف بإعادة تكوين الجيش ولكن (عبدالمنعم رياض)مكلف بخطة قتال.

## (عرفات) ضمن الوفد

الشيء الثالث كنت تقدمت باقتراح للرئيس وقد قبله وهو إيفاد الرئيس (ياسر عرفات)ضمن الوفد ووافق الرئيس وأنه إذا كان ممكناً أن نقول للروس أنه سيحضر معنا.. وقبِلَ عبد الناصر الاقتراح لكنه رفض إخطار الروس بقدومه.. خوفاً من شعورهم بالقلق وإحساساً منهم بتوريطهم في أى موضوع.. لكننا قلنا أن هناك ممثلاً لفلسطين باعتبارها القضية المركزية.. ولم نقل من هو.

وكل هذا كان واضحاً.. وكانت تظهر دلالاته أمام الاتحاد السوفييتى.. وأظنهم أكثر شيء فهموه هو إشارة عبدالمنعم رياض.

ووقتها كان بالطائرة أماكن مخصصة للدرجة الأولى جلس فيها (جمال عبد الناصر).. وهناك أماكن لثمانية أفراد.. والباقى يجلس في الخلف.. وكنت أجلس بجوار الرئيس.. وبالقرب منا محمد فوزى.. وأنور (السادات).. وفي الناحية الأخرى (محمود رياض) وعبدالمنعم رياض.

وشعرت بإرهاق عبد الناصر على الرغم من أنه حصل على يوم راحة لكنه ظل مرهقاً وبدأ يتحدث فيما سيحدث.. وجلس (عبدالمنعم رياض)إلى جوار عبد الناصر ليريه كشفاً بالتسليح وطلبات التسليح التى سوف نعرضها على القادة السوفييت.. وكان (جمال عبد الناصر) له ملاحظة على هذا الكشف وكان قد رآه مبكراً وأبدى ملاحظاته عليه.. لكنه رأى أن الطلبات لاتزال مبالغاً فيها.. وأن تقديم هذا الكشف للاتحاد السوفييتى قد يصيبهم بصدمة.. وتحدث (عبدالمنعم رياض)فيها وأظنه كان نجماً لهذه الرحلة.

## نوعٌ جديد من الزعماء السوفييت

كان ستالين هو بطل من أبطال الحرب العالمية الثانية لأنه قاد الحرب الوطنية الكبرى للاتحاد السوفييتى.. وكان خروشوف يعطى الوجه الإنسانى للاتحاد السوفييتى.. لكننا هنا كنا أمام نوع جديد من القيادات السوفيتية يريدون أن يرتدوا

ثوب الزعامة.. وهم في طبيعة الأمر رؤساء تقدموا بالتصاعد الطبيعي في الحزب.. لكن لم تكن هناك الكاريزما التي من الممكن أن تكون عند أحد مثل خورشوف.. أو الهالة الأسطورية عند ستالين.

وعندما جلسنا معهم قال برجينيف لعبد الناصر: أتمنى ألا تكون الرحلة مرهقة.. وأنه أحسن الاختيار عندما رفض النزول في الكرملين لأن قاعاته الكبرى ليست مكيفة.. وسأل عبد الناصر عن الجو في القاهرة.. وأن هناك أصدقاءه قالوا له أن الجو هنا مثل القاهرة.. وأنا كنت أشعر مع خورشوف أنه طبيعي وتلقائي في الأشياء التي كان يقولها وكان لديه كاريزما من نوع خاص".

وطلبوا تأجيل المحادثات لليوم التالي في النادي في التاسعة صباحاً.. وأول جلسة في اليوم التالي كتبها مراد غالب سفيرنا في موسكو.. وقد كتب كل ما يريده السوفييت.. وقال برجينف: من العدل أنه من يُرد أن يطرح تصوراً فعليه أن يبدأ.. وأنه يرحب بذلك.. وبدأ عبد الناصر يحكي.. وقال إننا أخذنا صدمة ونعترف أنها أكبر مما كنا نتوقع.. ونحن أول من يعترف أنها انتهت ليس بنتيجة سيئة لنا فقط.. ولكن لكم أيضاً.. وأنها من الممكن أن تكون إساءة لسمعتكم.. وإسرائيل حققت ما حققت.. ونحن لم نستطع مع الاختلاف في العلاقة بيننا وبين الاتحاد السوفييتي وبين إسرائيل وأمريكا.. وأن المعركة جرت على غير ما نريد نحن.. وعلى غير ما تريدونه أنتم.. وأننا اتخذنا قررات خاطئة سواء في إدارة الأزمة السياسية.. أو في التصرف العسكري في الجبهة.. وأنا لا أخشى وأعترف بها.. ولكن جرى ما قد جرى وها نحن في هذا الموقف.

**الجبهة العربية**

وتحدث عبد الناصر عن الجبهة العربية مؤكداً أنها سليمة جداً.. وأن الجميع أدرك في قمة الخرطوم أنها معركة مصير.. ومع أنه لا يصدق وقوف من كان معه في الخرطوم إلى النهاية إلا أنه يعرف أن ضغط الجماهير عليهم يجعلهم غير قادرين على أن يخرجوا في معركة من هذا النوع عن خط اتجاه المعركة.

وتحدث عن الحل السلمي مع الأمريكان.. وقال أننا حاولنا بكل الوسائل.. وكذلك حاول الناس في الأمم المتحدة.. وصدر قرار من الأمم المتحدة رقم ٢٤٢.. حاولنا بكل الوسائل.. لكن يبدو أن طريق الحل السلمي مغلق.

وسأل (كوستيجن) عن الوضع العسكرى.. ورد عبد الناصر عليه.. ووَضَحَ لهم كيف تغيرت الأحوال.. وسألوه عن حجم التدريب وحجم العلاقة مع أمريكا.. وقال أن القوات الموجودة اليوم أكثر بكثير من القوات التى كانت موجودة قبل حرب سنة( ١٩٦٧)وقال أنه لدينا ٨ فرق مشاة.. وفرقتان مدرعتان.. وهم يعرفون التفاصيل.

وقال أن الهدف أن تسيطر القوات الأمريكية.. وتصفي كل النُظم الموجودة التى تطلب الحرية والاستقلال والتقدم بالدرجة الأولى.

وعن التفتيش النووى.. قال عبد الناصر أنه لا مانع من إشراف الأمم المتحدة لكنه رفض دخول الأمريكان.

**بداية غير مطمئنة**

وكان من الواضح بعد الانتهاء من الجلسة الأولى أن الأمور ليست على ما يرام.. على الرغم من اهتمامهم وجديتهم وأسئلتهم في كل شيء.

وعلى الغداء كنت موجوداً وكانت بين الجلستين.. وأثناء الغداء كانت محاولات لتلطيف الأجواء والتنكيت.. وكان عبد الناصر لا يحب النكت كثيراً.. وكان ظاهراً عليه أنه لم يكن سعيداً بما رآه.. وقال لهم في الجلسة الصباحية أنه معه قائد الحركة الفلسطينية وزعيم حركة فتح وقائد التنظيم الفلسطينى "ياسر (عرفات)" ولم يعلق السوفييت.. ولكن سأل (كوستيجن) عن عدد المقاتلين الذين كانوا معهم.. وشرح عبد الناصر ما قاموا به من عمليات وخوضهم معركة الكرامة.. وكان (ياسر عرفات)موجوداً.. دخل موسكو باسم مستعار وهو عبدالفتاح إبراهيم.. وأنه اختار الاسم لأن عبدالفتاح من فتح.. وإبراهيم أبوالأنبياء إلى آخره.. ولكن كوستجين لم يكن يريد أن يتحدث معه على الإطلاق وقال إنهم مغامرون.. وعليهم التفكير جيداً أولاً.

ولم يكن (ياسر عرفات)مصدقاً أننا سنصطحبه معنا وأخذته هو وأبواللطف.. وأبوإياد لمقابلة عبد الناصر.. وفي الطائرة قال لى عبد الناصر ناد (ياسر عرفات)يجلس معنا فوجدته في حالة إعياء وقيء شديدتين.. ولم يستطع وكتبت عنها في الأهرام وغضب منى أن أكتب على زعيم ثورة أنه كان يتقيأ في الطائرة.

**الجلستين الثانية.. والثالثة**

وحدث تكرار في الجلسة الثانية وفي نهايتها طلب عبد الناصر أن يحضر الجلسة غداً القادة وهو وفقط.. لأنه يريد أن يتحدث بطريقة أكثر وضوحاً وأنا أمامي النقاط التي كتبتها من كلام (جمال عبد الناصر) في هذه الجلسة.. والتي حضرها ( أنور السادات)و(محمود فوزي) و(محمود رياض) ومراد غالب.. وعبدالمنعم رياض.. وقال عبد الناصر أنا غير راض عن ما قلناه لا في الجلسة الصباحية.. ولا المسائية أمس.. وأنه يريد التحدث صراحةً.. وأن يضع الأمور بوضوح.. وقال أن هناك أهداف من الممكن أن تتحقق بأن نمشي وراءه ونقتنع بها وألا يكون هدفاً يقطع معه.. وأنه يضغط ويعرف ويريد أن يأخذ الباقي وراءه.. ولكن هناك نوعٌ آخر من الضغط.. وهو أن يضغط لكي يعطي نفسه مبرراً لكي يترك كل شيء ليتخذ طريقاً آخر مختلفاً.

ولكن في هذا الضغط الذي مارسه عبد الناصر قال إننا جئنا هنا ووراءنا جبهة أُعيد بناؤها.. وجيش يقاتل.. ونحن نطلب أن تساعدونا.. وحتى إذا لم تساعدونا سنستمر.. وإنا وراءنا عالم عربي له موقع وأهمية كبيرة في هذا العالم.. ونحن نأتي من موقع امتداداته الجغرافية.. وصداقاته السياسية.. ونفوذه واصل في العالم كله.. وهو يستطيع أن يعطينا خلفية عن معركة قد تطول أو تقصر عما نريد.. لكن نحن لا نرى خياراً آخر.. وأنا لا أنصح أحداً بما تعملوه ولكنني أذكر فقط وأريد بوضوح أن أقول إننا لسنا وحدنا المستهدفين.. فأنتم أيضاً مستهدفون.. ولكم أن تطلوا على ما يجري في الكتلة الشرقية.. فهناك وقيعة بينكم وبين الصين في المعسكر الاشتراكي.. وهناك في أوروبا الشرقية محاولاتٍ لإحراجكم.. وهو جزء من هجوم عام تعرضنا نحن للجزء الأخطر فيه.. وهو عاصفة حرب مسلحة.. وإذا كان بينكم من يتصور أن معركتنا منعزلة عن المعركة العالمية كلها فهذا أظنه يحتاج لمراجعة.. لأننا في هذه اللحظة أمام أمريكا التي تريد تأكيد سيادتها على العالم وعلينا أن نقرر.

وقال أن هناك كثيرون في المنطقة يستطيعون أن يكونُوا جسوراً بيننا وبين الأمريكان.. وهناك من يُنادي بهذا.. لكن أنا أرغب أن يكون واضحٌ لديكم أنها ليست معركتين.. ونحن نصمم على هذا.. وأنتم أعطيتمونا سلاحاً ولكننا نعلم أن الجيش المصري لن يبقى في هذه المواقع وبهذه الطريقة.. والجيش المصري أمامه إذا لم يستطع أن يعبر وأن يقوم بعمل عسكري حقيقي لتحرير الأرض فكلنا سنكون في

مشكلة نجتازها أم لا ولكن ما أود قوله أن ضرب هذا الموقع التحررى بهذه الطريقة وبهذه الظروف ستكونون مخططين فيه.. وإذا لم تتنبهوا فإنه جزء من معركة شاملة أنتم أيضاً مقصودون بها.. فهى ليست معركة وإذا كنتم تطرقتم لموضوع الحل السلمى.. فنحن كنا مع يرينج مندوب الأمين العام للأمم المتحدة المكلف بتنفيذ القرار ١٨٤ ووصلنا معه إلى طريق شبه مسدود.. ومع ذلك مازلنا نحاول.. ولكن هل تظل المحاولة دون أن يكون لدينا بديل أو أحاول ذلك.. ولدى بديل.. ويكمل (جمال عبد الناصر).. ويقول ليس هناك حل سلمى في السنة كلها بسبب أنه لدينا انتخابات في أمريكا والرئيس (جونسون) أعلن أنه لن يخوض انتخابات أخرى وأمامنا اثنان من المرشحين.. نيكسون[1] من الحزب الجمهورى.. وهمفرى مرشح الحزب الديمقراطى.

وأننا في شهر يوليو وحتى ميعاد الانتخابات أمامنا ٦ أشهر وحتى يستطيع رئيس أمريكى أن يرتب نفسه في البيت الأبيض ثم يتفرغ ليتكلم عن مشكلة الشرق الأوسط وهى لا تحل إلا بوجود القوتين وأمامنا سنة كاملة.

وسألوا عن طلبات عبد الناصر.. فقال لهم : لا شىء.. وأنتم تقولون أن هناك حلاً سلمياً.. وقال هناك عدة أمور واضحة فهل أتنازل عن الحق أو الأرض فرفضوا.. وإننى لا أستطيع أن أتحدث مع جولد مان وأنا لا أستطيع التحدث إطلاقاً إلا مع الأمريكان.. لكن الكلام عن السلام ووجود حلول سلمية مباشرة أو غير مباشرة فهذا غير مقبول.

وبالتالى نحن لن نسمح أن يأتى السلام بالتنازل عن الحق أو الأرض أو الإجراءات التى تتعلق بالمفوض المصرى وكرامته.. وقال عبد الناصر أنه يترك السوفييت للتفاوض.

---

(١) ريتشارد ميلهوس نيكسون (٩ يناير ١٩١٣ - ٢٢ أبريل ١٩٩٤) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابع والثلاثين (١٩٦٩–١٩٧٤) ونائب الرئيس الأمريكي السادس والثلاثين (١٩٥٣–١٩٦١) وأول رئيس أمريكي يستقيل بطريقة مخزية.. كان زعيماً للتيار العالمي (المضاد للتيار الإنغلاقي) داخل الحزب الجمهوري... تابع حرب فيتنام وانتهت في عهده بنصر الفيتناميين وكان قد أوشك أن يفجر قنبلة ذرية على فيتنام خلال حربها مع أميركا.. حدثت في عهده فضيحة ووترجيت الشهيرة حيث كان نيكسون يخوض معركة التجديد للرئاسة عام ١٩٧٢ ولأنه فاز فوزاً بفارق ضئيل عن خصمة الديموقراطى همفرى خلال انتخابات ١٩٦٨ قرر نيكسون القيام بعمليات تجسسية على مكاتب الحزب الديموقراطى المنافس في مبنى ووترجيت واكتشفت العملية واستقال بسببها.. عاش نيكسون في كاليفورنيا الـ ٢٠ سنة الأخيرة من عمره بعد استقالته.. وتوفي يوم ٢٢ أبريل ١٩٩٤ إثر نوبة قلبية شديدة وهو في الحادية والثمانين وأعلن يوم حداد وطني في امريكا واغلق الكونجرس والمحكمة العليا.. وبورصة نيويورك.. وتوقف توزيع البريد..ونُكست الأعلام إلى منتصف السارية في داخل أمريكا.

ولكي ليتأكدوا من إمكانات الحل السلمى أمامكم (الملك حسين) الذي لم يستطع أن يحصل على أى شيء.. لأن إسرائيل تريد أن تتوسع.. وأمريكا تساندها.. وأنه مستعد أن يتفاوض بشرط عدم التنازل عن حق أو أرض وإجراءات يراها عبد الناصر ضرورية لحفظ كرامة المفوض المصرى .

وطلب بعدها السوفييت استراحة للمناقشة.. وذهب عبد الناصر للمنزل وطلبوا بعض الإيضاحات فذهب لهم مراد غالب.. ثم استئنفت الجلسة بعد ذلك.. وهم يفهمون أنهم سيتولون حلاً سلمياً.

ونحن بالتالى نود التحدث عن البديل ونقترح أن نضم في الجلسة اثنين عسكريين هما عبدالمنعم رياض.. ومارشال جريتشكو.. وبالفعل جاء العسكريون.. وكان كل الناس موجودين في النادى.. والكل يعلم أنها اللحظة الحاسمة.. وهذه اللحظة التى وضع فيها (عبدالمنعم رياض)تصوره للمعركة.. ودار حوار مدهش لأن رياض عرض وقال أنه يتصور أن الحرب المقبلة هى حرب صواريخ.. ولا نريد إحراج السوفييت.. ولكن نريد تحضير جيش لهذه الدرجة ويعبر قناة السويس.. ويأخذ المسافة مرة واحدة ونحن نعرف أن هذا الموقف فوق طاقتنا.. وفوق ما يحتمل الموقف الدولى.. وفوق طاقة السلاح التى يمكن أن توفروه.. ونحن نرى أسلوباً آخر للحرب وقد تناقشنا فيه مع تشاكنكوف كبير الخبراء.. وقد استدعوه من الخبراء السوفييت الذين كانوا موجودين في مصر.. وقال أنه يرى أن خطتنا هى بناء حائط صواريخ على قناة السويس.. وأن نرتب لعملية عبور محدودة على قناة السويس.. وتنشئ خطاً دفاعياً في مواجهة الطرق الثلاثة الرئيسية في سيناء.. وأن هذا الخط يدخل في معركة الاستنزاف.. ونستطيع أن نبنى حائطاً صلباً.. وهذه كانت أول عرض لهذه الخطة.. ونتصور أن هذه هى المعركة الدفاعية.. وأننا سنتمركز هناك بقوة أمام الخطوط الرئيسية.. وسنقيم خطاً دفاعياً.. وسنستنزف قوى إسرائيلية بلا حدود في مرحلة تستمر لفترة.. ونحن نعتقد بالوصول للمضايق فإذن المعركة ستكون محسومة.

**الحرب القادمة هى حرب صواريخ**

ولكن تشكنكوف قال لرياض أنت تتحدث عن حرب صواريخ.. لأن هذا حائط صواريخ.. وتتحدث عن صواريخ متنقلة مع القوات التى تتمكن من العبور لتصد الهجمات الإسرائيلية.. وتنشئ حائطاً تتكسر عليه هذه الهجمات.. والإسرائيليون

يخسرون خسائر فادحة.. وتكاليف فادحة لا يتحملونها.. فسأله عن القوات الموجودة وهل ستستطيع أن ترى حرب صواريخ بهذا المستوى.. فقال له رياض أنتم لديكم معلومات استقيتموها من الجنرال قائد الدفاع الجوى الذي أتى لنا فيما تلى يونيو مباشرة.. وهذه الصورة تغيرت وقال رياض وكان يستشهد بلاشنكوف والذي كان جالساً صامتاً لا يتحدث.. وقال رياض أن وحدات الدفاع الجوى والصواريخ والمواقع المتقدمة من الجبهة نحن لدينا الآن ١٠٠ ألف شاب من حملة المؤهلات وهذا التغيير نوعى ونحن نتصور أننا سنعبر بالوسائل التقليدية بالعمل العسكرى أقول أن هذا مستحيل.. وأنا أعتقد أن الحرب القادمة هى حرب صواريخ.

وأنا لم أحضر الجلسة لكن عبد المنعم رياض كان يتحدث مع عبد الناصر عنها.. ويصف القادة السوفييت فيقول: جرسكو كان يظهر عليه الحماسة.. وجرونكو كان يظهر عليه التشكك.. وبروجريف كان مستعداً أن يقبل.. لأن في ذهنه ما حدث في تشيكوسلافاكيا.

وبعد ذلك اتفق (عبدالمنعم رياض)أنه سيجلس مع القادة السوفييت.. وسنسافر ليقدم لهم تصوره لمعركة في تصوره كلها تقريباً صواريخ.. وهذا كان نوعاً من الحرب المتقدمة لم تكن موجودة في ذهن كثيرين جداً.

وبعد ذلك دخل عبد الناصر غرفته ليرتاح قليلاً.. وكان (السادات) مهتماً للغاية بأن يأتى بأطباء ليفحصوا عبد الناصر وبالفعل جاء الدكتور جازوف.. وكان واضحاً على عبد الناصر الإرهاق.. وكان الدكتور جازوف قد رأى عبد الناصر في مصر.. وهو ممدداً على السرير.. و(عبدالمنعم رياض)يقول له سيادة الرئيس أرجوك لا تقبل حلاً سلمياً.. فنظر له عبد الناصر وقال له لماذا.. فأجاب بأنه لا يريد إحداث أى نقطة دم.. ولكن ما الذي يمنع أن نحقق سلماً قد أستطيع أن تحققه حرب بتكاليف قد تكون فادحة.. وقال له أرجوك حتى لو أنه حل سلمى سيصبح هذا الشباب في هذا البلد شعباً متراخياً[1].

---

(١) هنا لابد نشير إلى أنه لاتعارض في المنطق الذى كان يتحدث به الفريق الشهيد.. والرجل العظيم عبد المنعم رياض مع الزعيم الراحل عبد الناصر.. الرجل يريد أن يقول أنه لا يكره الحل السلمي.. وأن أية نقطة دماء من أبنائه المقاتلين في الجيش غاليةً عليه.. ولكن لابد من التضحية قليلاً لإنقاذ أجيال هذا الوطن القادمة .. ففي حالة عدم الرد العسكري

وأنه يريد حلاً سلمياً ولكن بعد الحل العسكرى.. وحتى لو أريقت الدماء وحتى لو كان هناك ضحايا.. وأنه يرى أنه لا شيء سيبنى هذا البلد وشبابه من جديد إلا إذا خاض هذا الشعب تجربة قتال حقيقية.. ويقول لعبد الناصر إننا لم نحارب مطلقاً ولم نتعرض لأى غارة.

### تجربة نار

ويقول رياض أنه يريد للشعب المصرى أن يدخل تجربة نار.. وأنا في الحقيقة كنت أسمعه وأندهش.. وهنا كتبت تقريراً عن المحادثات لأرسِلَ بهم للنشر.. ونُشِرَ ثلاث أخبار في الصفحة الأولى.. منها:

- رياض يواصل محادثاته مع القادة السوفييت.. وهنا كان يتحدث (عبدالمنعم رياض)عن الصواريخ..
- الخبر الآخر مكنمارا[1] يدرس مشروع قناة السويس.. وكان في القاهرة وكان هناك مباحثات أرسلها له الرئيس جونسن مفادها أنه لن يرشح نفسه للرئاسة.. لذا فهو في هذه اللحظة رئيس متحرر من أى قيود خارجية.. وهى حجة حتى نتحدث معه.
- أما الخبر الثالث فكان (كوستيجن) يذهب لمقابلة قادة السويد ليطلب مقابلة السفير يورنج إذا كان هناك حل سلمى.



تكون النتيجة هي بقاء صفعة يونيو ٦٧ على وجه الوطن للأبد.. وأن من سيدفع الثمن هو الأجيال القادمة التى يجب أن ترتوى في مهدها بماء العزة.. والكرامة.. واستعادة الحق المسلوب..

(١) أحد مبعوثي الرئيس الأمريكي جونسون لإجراء مباحثات الشرق الأوسط في هذا التوقيت.

١٢

## تشيكوسلوفاكيا.. ودورها الخفي!!

لو أنني قلت لأحد من أجيال الشباب الذين يتابعون بعض هذه الأحاديث أن تشيكوسلوفاكيا كان لها دور كبير في حرب الاستنزاف في مصر لبدا القول غريباً لأنه يبدو لأول وهلة أن تشيكوسلوفاكيا بعيدة جداً عن مصر.. ومن الممكن أن يتصور أحد أن دور تشيكوسلوفاكيا قد اقتصر على إرسالها صفقة سلاح مما كانت تنتجه مصانع سكودا في ذلك الوقت.. لكن أيضاً لم يكن الموضوع متصلاً بالسلاح ولكن كان متصلاً اتصالاً مباشراً بالسياسة الداخلية والأوضاع الداخلية لتشيكوسلوفاكيا.. وهذا أظنه يصدق ويؤكد نظرية أن السلاح امتداداً للدبلوماسية بطريقة أو بأخرى.. وأن كل بلد في واقع الأمر يمر بثلاث مراحل وهو يتحرك إلى مستقبله وأهدافه.

- المرحلة الأولى وهو يبنى قدراته..
- المرحلة الثانية وهو يعرض هذه القدرات لتؤكد للآخرين دون أن يفعل هو شيئاً أن له دوراً.. ومهابة.. وقدرة مكتملة.
- والمرحلة الثالثة استعمال هذه القدرة بكل وسائلها.. وأولها الاقتصادية والصناعية والتكنولوجية.. والعلمية والثقافية.

وفي آخر هذه القدرات كلها تأتى الدبلوماسية.. ثم يأتى السلاح كتقريب وجهين لعملة واحدة لتحقيق أهداف أى بلد تريد أنْ تتقدم.. ويريد أن يؤكد لنفسه مكانة ومكاناً في وسط هذا العالم الذي أصبح في واقع الأمر كما يقال قرية واحدة.

وهنا وأنا أتحدث عن تشيكوسلوفاكيا.. وحرب الاستنزاف.. وأقصد هنا تحديداً الشهور الحاسمة وهى يوليو وأغسطس سنة ١٩٦٨ وهذه هى الفترة التى كان فيها عبد الناصر في موسكو يتحدث مع قيادات الاتحاد السوفييتى في أن الظروف تقتضى إحداث نقلة نوعية من المقاومة المتفرقة إلى مقاومة منظمة.. وهذا يحتاج إلى إمداد بأنواع جديدة من السلاح خصوصاً في مجالات الصواريخ.. والحرب الإلكترونية إلى آخره.. وكنت أقول أن الرئيس عبد الناصر ترك الفريق (عبدالمنعم رياض) وهو العسكرى المسئول عن التخطيط للمعركة في ذلك الوقت في موسكو لاستكمال هذه المحادثات.. وليستكمل عسكرياً ما بدا أنه مواضع سياسية.. ونحن وفي المناقشة السياسية وكان (جمال عبد الناصر) موجوداً هناك.. وكان (جمال عبد الناصر) يتحدث.. ويلفت نظر الاتحاد السوفييتى إلى وجود هجمة استعمارية واضحة تقودها الولايات المتحدة الأمريكية.. وهذه الهجمة تستهدف في المقام الأول حركة الاتحاد الوطنى.. ثم أوروبا الشرقية.. ثم تطويق الاتحاد السوفييتى وحصاره.. الذي سقط فيما بعد بالفعل لأن هناك متغيرات حدثت في العالم.

ظل (عبدالمنعم رياض) في موسكو بعد أن غادرنا ليومين.. وعاد بعدها يقدم تقريراً عن مهمته التى كانت ناجحة.. ولم يُستجب خلالها لكل طلباته.. وابتعد القادة السوفييت عن المحادثات.. وتركوا المناقشات للعسكريين والذين كانوا أكثر تنبهاً للأخطار المحيطة بالكتلة السوفييتية من القادة السياسيين.. فالقادة السياسيون متنبهون.. ولكن القادة العسكريين بشكل أو بآخر يشعرون بالحافز للعمل.. ويشعرون بضرورة أن يأخذ عرض القوة دوراً أكثر فاعلية.. في حين أن القادة السوفييت متحفظون لأسباب طويلة تحدثت عنها قبل ذلك.

ويعود (عبدالمنعم رياض) وهو يعتقد أن المحادثات نجحت.. وأنه حصل على أقل تقدير على٨٠٪ مما كان يطلب خصوصاً في مجال الحرب الإلكترونية.. وحاول إقناع القادة السوفييت العسكريين بنقل جبهة بأكملها إلى شاطئ القناة.. لكن القادة العسكريين في الاتحاد السوفييتى لم يكونوا ليتصوروا ذلك في هذا الوقت.. وعاد (عبدالمنعم رياض)يقول إنهم تفهموا الحاجة الشديدة للاشتباكات إلى ما سموه إغارات.. وأنه لا بد من أن نتقدم وأن تجرى عمليات عبور متفرقة على الجبهة حتى تمنع تماسك الإسرائيليين في خطهم الدفاعى.

وعاد (عبدالمنعم رياض) وكان مطمئناً إلى أنه يستطيع أن يخطط لعمليات إغارة واسعة.. وبدأ يحكى عن الكلام الذي حدث بينه وبين القادة السوفييت العسكريين وبدأ يرتب لعمليات أكبر وأوسع نطاقاً لما كان يحدث من قبل وبدأ يعمل ترتيباته.

وكان (عبدالمنعم رياض)يتحدث عن عمليات كثيرة يصفها بأنها ليست فقط إقلاقاً.. وليس فقط اشتباكاً.. ولا قتالاً.. أو نزيفاً للدماء.. ولكن في رأيه أن هذه العمليات بمثابة مجسات لمواقع الضعف في إسرائيل.. والمناطق التى يمكن أن يطول منها إسرائيل.. وهى مجسات ستساعده على وضع ما يسمى إطار خطة.

وفي ذلك الوقت كانت فكرة الإغارات مقبولة.. ولكن بالنسبة للمخطط المصرى في ذلك الوقت ليس فقط عبدالمنعم رياض.. ولكن كل هيئة أركان الحرب المصرية أمامها عملية الإغارات الواسعة في حرب الاستنزاف تكون بمثابة مجسات للاختبار على الطبيعة لنوعية المقاتل.. وليس هو من يختبرها ولكن العسكرى والمقاتل الشاب الجديد من يختبرها.. ويريد معرفة نقط الضعف في السلاح والفراغات الدفاعية.. وهو في ذلك الوقت أرادها أن تكون عملية مجسات تمهد للتصور لإطار خطة القتال الحقيقية.. وبالفعل لم تمض شهور حتى بدأت تلك المقدمات تتبلور في إطار خطة.. وذلك بفضل زيارة (عبدالمنعم رياض) للسوفييت.. وما نتج عنها.. خصوصاً في مجال الحرب الإلكترونية.

كما كان (عبدالمنعم رياض) وغيره من القادة يريدون معدات تنصت وفك شفرات لأنه بدا أن حرب الاستنزاف معمل اختبارات أو مجسات.. حسب ما كان يقول (عبدالمنعم رياض).

وكـان في ذهـن (عبـدالمنعم ريـاض) تصـور معـين لم يكتمـل بعـد في إطـار خطـة.. والعسكريون السوفييت تفهموا أنه لا يمكن أن يتحدث أحد على حرب حقيقية مؤثرة دون اشتباك أو تلاحم قوات.

وبدأ يكون هناك إحساس بالسلاح الجديد.. وبدا هناك استعداد للقيادة السياسية في مصر بأن تـأذن في فتح الاحتيـاطي الاسـتراتيجي.. وأن تخـرج أسلحة لم تخـرج مـن قبـل.. وتـدخل قـوات لميـدان القتـال لم تكـن دخلتـه.. لأنـه باسـتمرار في القيـادة العليـا للقـوات المسلحة لابد أن يكون لـديها احتيـاطي مـن المعدات والرجـال جـاهزون لإخـراجهم عند اللزوم.. وهذا ما يجب أن تحافظ عليه.

ولكن لم تعرف أنه سيأتي لها إمدادات وبدأت هذه الإمدادات تأتي.. وانتظار.. وشحن .. ومواعيد وصول إلى آخره.. ويجب أن تبقى القيادة مستعدة دوماً.. ويجـب ألا تقلق تلك الطاقات التي تنتظـر وضعها تحـت التصـرف في حالـة الطـوارئ.. وفي هـذا الوقت بـدأت تنشط حرب الاستنزاف بطريقة معقولة.

ولكن فجأة حدث شيء في تشيكوسلوفاكيا لم يكن أحد يتصور أنه سيصل لهذا المـدى.. ففـي هـذا الموعـد كنـت مع موعـد مـع الـرئيس جوزيـف تيتـو في جزيـرة برونـي.. وهناك جلست مع الرئيس تيتو ساعتين وربع الساعة.. وكتبت هذا الحـديث والـذي قدر له أن يكون سبباً لمشاكل لم أكن أتوقعها.

وجلست مع الرئيس تيتو وسألته عن التحدي الأمريكي الـذي كـان موجـوداً.. وكـان وقتها قد صدر كتاب لمؤلف فرنسي مهم اسمه شـوربير كتب أن التحـدي الأمريكي سوف يكتسح العالم.. وقال تيتو أنه لم يقرأ هذا الكتاب لكنه سمع عنه.. وأنه اعتقد أن هـذا العـالم أعقـد جـداً من أن تتحكم فيـه قـوة واحـدة.. وأنـه مـن الممكـن أن تـرى جهودا أمريكية في الظروف التي نعيشها من حـرب بـاردة وغيرهـا وفي ظهـور أمريكي لكنه لا يعتقد أن هذا موضوع يمكن أن يستمر.

تحدثت معه عن الأوضاع الراهنة في الكتلة الشـرقية وكـان عبـد النـاصـر قـد تحـدث عنهـا في الاتحـاد السـوفييتي.. وتوقـف تيتـو طـويلاً أمـام مـا حـدث في تشيكوسلوفاكيا وظهر من سنة ١٩٦٣ أن الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي متأثر بجهود كبيرة جداً موجـودة شـارك فيهـا سـواء الحـزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي أو الحـزب الشيوعي الإيطـالي والـذي قـام بـدور مهم جـداً في تجديد شـبـاب الفكـر الشيوعي.. وأن فكـرة

الديكتاتورية أصبحت متعارضة مع العصر وبقى هناك دور للإنسان ووجه آخر للشيوعية ووجه إنسانى للشيوعية والحرية الضرورية.

وبدا في أول يناير سنة ١٩٦٨ في تشيكوسلوفاكيا شيء مهم جداً وهو أن رئيس الحزب الشيوعى السابق سقط وجاء بعده رجل معروف بآرائه التحررية وبدأ يقول أن الشيوعية لا تعنى قهر حرية الإنسان وأن الاشتراكية أو الشيوعية لا يمكن أن تحقق أى عدالة اجتماعية ولا يمكن أن تتحقق عدالة اجتماعية بدون حرية فردية بدون حرية صحافة وغيرها.

وبدا أن هذا التفكير يهدد التفكير التقليدى الموجود في القيادة الشيوعية الموجودة في ذلك الوقت في موسكو وبدأ يظهر أن السوفييت غير راضين عن ذلك خصوصاً أن تشيكوسلوفاكيا لم تكن بلداً عادية.. فبراج بالتحديد كانت العاصمة البديلة لفيينا في وقت والذي كان يذهب ليطل على هذه العاصمة يعرف إلى أى مدى كانت هذه العاصمة تعيش أزهى عصور النهضة الفنية والفكرية والثقافية.

وبدا أن ما يحدث في تشيكوسلوفاكيا يهدد الاتحاد السوفييتى.. وبدا الكلام عن الحرية الشخصية.. وحرية الرأى والأحزاب.. وبدت القيادة السوفييتية تتحسب.

وبدا كلام دوبشك يرن خصوصاً إذا وضع بجوار حركات سبقته قمعت في وقتها مثل حركة بولندا وحركة في ألمانيا الشرقية قمعت.. وحركة في المجر قمعت وقت السويس.. وبدا أن يكون هناك تأثيرات كثيرة وتداعيات.. شعرت وأنا أقابل الرئيس تيتو وهو يتحدث عما حدث في تشيكوسلوفاكيا ويتحدث بتفصيل.. وكنت مهتماً أن أسمع منه.. وكتبت عنه في الحديث.. ولكن قبل أن يُنشر هذا الحديث والذي كنت قد أجريته يوم الجمعة ٧ يوليو بعد رحلة موسكو مباشرة.. وعندما جئت لنشره قلت للرئيس تيتو قبل أن أغادر.. وفي حقيقة الأمر كان حوارا وكان هناك مترجم لأن تيتو كان يتحدث بالصربية ولكنه تحدث بالإنجليزية لبعض الوقت.

وطلب منى الرئيس تيتو أن يكون الحوار في مقالتى يوم الجمعة ووافق على ذلك.. ولكن أثناء تحضيرى للحديث لأنشره مع المقال الأسبوع القادم فوجئت بأننى تلقيت رسالة من مدير الوكالة اليوغسلافية الرسمية يقول فيها أنه حصل على نسخة من الحديث.. وأنه سيذيعه على الفور ويسألنى عن التنسيق معهم.. لكننى كتبت لرئيس التحرير أن ذلك يخالف ما تم الاتفاق عليه.. وطلبت من مكتب الرئيس مراجعة ذلك

بعد أن وافق الرئيس تيتو عليه.. ورد مدير الوكالة وقال لى أن الرئيس لا يزال مصراً على إذاعة الحديث.. واتصلت أنا بمكتب الرئيس تيتو.. ورد عليّ السفير جرجل الذي كان مختصاً بالشئون الثقافية والفكرية.. فقال لى أن أعطيه فرصة للرد.. فلم أنتظر.. واتصلت بنائب الرئيس كارلن.. ورجوته أن يضم صوته مع أصوات من تحدثت إليهم لكى يتم تأجيل الموضوع.. وبعدها حدثنى مدير الوكالة قائلاً أن الرئيس لا يستطيع الانتظار في الجزء الخاص بتشيكوسلوفاكيا.. وبعدها حدثنى نائب الرئيس يقول لى هل من الممكن أن نقسم الحديث لنصفين.. نصف لتشيكوسلوفاكيا يذاع أولاً ولا ينتظر.. لأنه هناك احتمال حدوث تطورات فوافقت على الفور.. ونشرت ما يتعلق بتشيكوسلوفاكيا في نفس الوقت.. وبعد ذلك في يوم الجمعة وهو اليوم الطبيعى الذي كان مقرراً نشرت باقي الحديث.

الرئيس تيتو كان يعتقد أن الجزء الخاص في حديثه عن تشيكوسلوفاكيا هو تحذير للاتحاد السوفييتى من عواقب القيام بأى عمل عنيف ضد تشيكوسلوفاكيا.. ولم يكن يمضى أسبوع أو عشرة أيام وحدث تدخل الاتحاد السوفييتى في تشيكوسلوفاكيا.. وفي هذا التدخل حدثت أشياء غريبة.. لأن السفير السوفييتى في مصر ذهب للإسكندرية ليقابل (جمال عبد الناصر) ويبلغه أنهم سيتخذون إجراءات ضد تشيكوسلوفاكيا.

طلب السفير السوفييتى موعداً لمقابلة الرئيس.. وكان متعباً للغاية وقتها وكان في المعمورة يأخذ إجازة بعد رحلة موسكو.. فذهب السفير السوفييتى يلحق به إلى هناك.. وذهب إلى المعمورة ليقابل الرئيس قبل الفجر.. وأيقظ الرئيس حتى يسمع الرسالة التى تأتى له من القادة السوفييت.. والتى تقول له أن الأوضاع في تشيكوسلوفاكيا تتدهور وإن القيادة التشيكوسلوفاكية الجديدة تستجيب لدعاوى أمريكية.. ونحن كنا نعرف بالفعل بوجود تحريض أمريكى كبير ومحطات إذاعة سرية إلى آخره.. وأنهم عرفوا بدخول جهاز المخابرات الأمريكى الـ (C.I.A) وأنهم مضطرون إلى اتخاذ إجراءات عنيفة.. والقيادة التشيكوسلوفاكية الجديدة منساقة إلى حيث لا تدرى.. والاتحاد السوفييتى لا يمكن أن يقبل هذا وأنه يطلب من أصدقائه أن يتفهموه.

وبعد أن سمع الرئيس (جمال عبد الناصر) هذه الرسالة أرسل خطاب تغطية من مكتبه لـ(محمود رياض) وزير الخارجية لكى يعرف ما الذي حدث.

ولكن كان من الواضح أن الاتحاد السوفييتي أخذ أبعاداً أكثر من تقدير أى أحد لأنه ببساطة في ليلة ٢١ و٢٢ يوليو هبطت قوات بالبراشوت احتلت مطار براج.. ثم دخلت أربع دول من حزب وارسو.. والوحيدة التى امتنعت كانت هى ألمانيا الشرقية.. وإذا بقوة من ٢٥٠ ألف جندى تحتل تشيكوسلوفاكيا.. وبدا الأمر أنه أمام وضع في منتهى الخطورة.. والعالم كله كذلك.. لأن الكلام الذي حذر منه تيتو في حديثه معى.. والذي طلب إذاعته مبكراً قبل موضوع الحديث.. وإنه كان حريصاً الا ينتظر مقالتى ٣ أيام.. وبدا أن ما رآه.. وما كان يخشى منه قد تحقق بالفعل.. وحدث تدخل كان من أكبر الأخطاء التى وقع فيها الاتحاد السوفييتى.. واحتلال البلد بهذه الطريقة بدا أنه غير معقول وبدا أنه غير مقبول في أجزاء كثيفة جداً في العالم.

وبالعودة لوضعنا هنا كنا في موضع بالغ الصعوبة فهناك قضية دولة.. وهناك قضية إحراج للاتحاد السوفييتى خطيرة جداً وهى أيضاً تؤثر علينا.. وهنا قضية أخلاقية ومعنوية بالدرجة الأولى.. ونحن نتحدث ونحن دولة من دول عدم الانحياز وبالرغم مما تعرضنا إليه.. واحتياجنا للاتحاد السوفييتى احتياجاً حيوياً فإن هنا قضية معنوية لا يستطيع أحد أن يهرب منها.

ولكن بالفعل في القاهرة عاد الرئيس عبد الناصر من المعمورة وأصبح هناك مناقشة عن الموقف الذي نتخذه وأتذكر أنه في ذلك الوقت أرسل الرئيس تيتو جواباً لعبد الناصر.. وأنه يريد أن يحيطه علماً بالتطورات التى حدثت في تشيكوسلوفاكيا وأثرها على العلاقات في أوروبا وأثرها على العالم.

وأنه حاول نصحهم بأن هذا هو التطور الطبيعى للأمور.. وأنه علينا أن نقبل الأوضاع مثل ما نقدها خرشوف في تقريره السرى للجنة المركزية سنة ١٩٥٦ وأنها لم تعد قادرة على البقاء وأنه إذا أُريد للاتحاد السوفييتى أن يعيش.. ويتسيد الوضع في أوروبا الشرقية فعليه أن يقبل أن العصر الجديد جاء بمتغيرات لا يستطيع أحد تجاهلها وبالفعل ليس من الممكن.. وحتى إذا قال لى أحد في ذلك الوقت أن الـ (C.I.A) كانت تعمل في تشيكوسلوفاكيا بنشاط وأن هناك محطات إذاعة بكاملها نُقلت إلى النمسا.. وإلى الحدود مع تشيكوسلوفاكيا.. فلماذا يأتى الأمريكان محاولين استغلال الأوضاع في تشيكوسلوفاكيا.. فهنا هناك فرق بين الاستغلال.. والاختراق.. فهو يستغل أوضاع حقيقية لها وجود.. وهو يحاول استغلالها.. وبالتالى هناك فرق بين أن يستغل.. وأن يخترق وهناك أسباب حقيقية لغضب أناس كثيرين من ما يجرى في تشيكوسلوفاكيا وفي غيرها من البلدان.. وهناك رفض لهذا كله.



١٣

## الاستنزاف.. الحرب المظلومة!!

في تاريخ الحروب العربية الإسرائيلية هناك حرب بالتحديد لا أقول إنها منسية.. ولكنها مظلومة.. وهي حرب الاستنزاف وينطبق عليها بالضبط هذا الذي ما قيل عنها في الحروب الكبرى في التاريخ التي مرت عليها الأحداث ثم نسيت أو أريد نسيانها.. وأنها حروب لأبطال الذين لم يغن له أحد ولم يغن له نشيد ولم يرتفع له علم.

ولم تأخذ حرب الاستنزاف في اعتقادي حقها.. وأشير إليها وحدث بالفعل الإشارة إليها في جلسة مجلس الشعب بعد حرب أكتوبر والتي حضرها كل القادة العسكريين وكان في مارس سنة ١٩٧٤ وأراد الرئيس (السادات) أن يشرح القادة العسكريين الميدانيين لأعضاء مجلس الشعب ما حدث في الحرب..

وبالتالى وقفوا جميعاً وتحدثوا وجميعهم بدأوا حديثهم بالكلام عن حرب أكتوبر بالحديث عن حرب الاستنزاف.. ولكن هذه السجلات لم تلبث وأن طويت.. وبشكلٍ.. أو بآخر وُضِعَت على الأرفف.. ولم يتذكرها أحد رغم أن حرب الاستنزاف في اعتقادى قد تكون من أهم الحروب.. وأنها أولاً حرب بدأت فوراً بعد الضربة الأولى سنة( ١٩٦٧)ثم استمرت دون انقطاع وعلى مراحل مختلفة إلى ١٩٧٠ وهذه حرب استمرت سنتين ونصف السنة كاملة وأجد أنه مر عليها ما يزيد على مليون و٢٥٠ ألف مقاتل من شباب هذا البلد.. ذهبوا للخنادق وللمواقع الخلفية.. وذهبوا في مواقع بناء الصواريخ وهذه الحرب أولاً أخذت أكثر مدة وأظنها اقتضت أكثر التضحيات.. وللعلم هذه الحرب فيها من التضحيات ومن الشهداء أكثر مما كانت في يونيو وأكثر من ما كانت في أكتوبر سنة ١٩٧٣ لأنه في هذه الحرب فقدنا ٦ آلاف شهيد في بناء مواقع الصواريخ.

ونتذكر جميعا أنه سنة (٦٧) كانت لدينا قوات في ميدان القتال ما بين ١٥٠ و١٦٠ ألف جندى.. وفي حرب أكتوبر كان لدينا في ميادين القتال في انتصار العبور العظيم يوم ٦ أكتوبر كان لدينا ٥ فرق تدخل لتقتحم وفرقتان في الاحتياطى العام غرب قناة السويس.. وكان وراءها المجموعات الموجودة للخدمات.. والعدد كله لا يمكن أن يزيد على ٣٠٠ ألف في الجبهات التى التفت إليها الناس واهتموا بها.. وعندما أنظر في تقرير الفريق فوزى والذي كان يتحدث عن عدد قوات الحرس الوطنى والتى هى مثلها مثل القوات المسلحة.. والتى كانت موجودة في الخلف تحمى المواقع الداخلية والمطارات والمنشآت الحيوية.. وأجد أنه طبقاً لتقرير الفريق فوزى شكلنا ٣٥ كتيبة ثم رفعنا هذا العدد إلى ٦٠ كتيبة موجودة لفترات خدمة كبيرة في مواقع في منتهى الصعوبة في حرب من نوع مختلف.

ويجب أن نتذكر أنه ليس فقط على الجبهة من أخذ التركيز الأكبر من ناحية النيران لكن في اتساع النيران ومع تطور حرب الاستنزاف ومع تعرض أهداف حيوية داخل البلد من أول الكبارى والجسور والطرق وتقاطعات الطرق والمطارات هناك معارك كبيرة.. وأدارها ووقف فيها وحارب فيها شباب موجودون بعيدون عن مواقع العمران وعن التجمعات الكبرى.. فلما يكون الشاب داخل كتيبة مطمئناً ولكن إذا وجد في أماكن متفرقة من أنحاء البلد وهذا الشباب يحرس مواقع حيوية ومنتظر أى

مفاجأة والعدو يركز عليه ونحن لا نعلم أين يركز بالتحديد وهو معرض لغارات ولعمليات إنزال طوال حرب الاستنزاف لأهوال لا حدود لها.. وهذه الحرب هى حرب الأبطال الذين لم يغن لهم أحد وهذا التعبير ليس من عندى.

**حرب الأبطال**

وهذه الحرب التى تعرض لها وعاش فيها أكبر عدد ممكن أو متصور من هذا الجيل الذي هو جيل السبعينيات.. أوما نسميه جيل أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات وهذا جيل أدى دوراً هائلاً ليس فقط في المعارك.. وطبيعى جداً أن ما يلفت النظر بالدرجة الأولى في المعارك هى المعارك التى تدور بحشد كبير.. وخلال مساحة زمنية محددة.. لتركيز الفعل.. ولفت النظر.

وفي حرب الاستنزاف كانت حرباً طويلة استمرت سنتين ونصف السنة تجرى بالقطارة.. نقطة هنا.. ونقطة هناك.. ومعركةً هنا.. وأخرى هناك.. وبالتالى مثل هذه الأنواع من الحروب لا تلفت الأنظار.. فمدتها طويلة والتركيز فيها غير محدد وليس لها صور.. والشباب الذين عاشوها كانوا متفرقين لأنها كانت حرب الانسان المصرى العادى.. ويمكن أن يكون القادة خططوا لكن الجيش كان به ضباط شباب ينتمون لنفس جيل المقاتلين.. وليس بينهم مثلاً (عبدالمنعم رياض) والذي كان موجوداً في القيادة وليس في الموقع.. وموجود (الشاذلى) [1] في موقع التخطيط وانتقل على جبهة البحر

---

(١) الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس اركان حرب القوات المسلحة المصرية في الفترة ما بين ١٦ مايو ١٩٧١ وحتى ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ ولد في (أبريل ١٩٢٢) بقرية شبراتنا مركز بسيون في محافظة الغربية.. يوصف بأنه الرأس المدبر للهجوم المصري الناجح على خط الدفاع الإسرائيلي بارليف في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ عاد عام ١٩٩٢ إلى مصر بعد ١٤ عاماً قضاها في المنفي بالجزائر وقبض عليه فور وصوله مطار القاهرة وأجبر على قضاء مدة الحكم عليه بالسجن دون محاكمة رغم أن القانون المصري ينص على أن الأحكام القضائية الصادرة غيابياً لابد أن تخضع لمحاكمة أخرى.. وجهت للفريق للشاذلي تهمتان الأولى هي نشر كتاب بدون موافقة مسبقة عليه.. واعترف "الشاذلي" بارتكابها. أما التهمة الثانية فهي إفشاء أسرار عسكرية في كتابه.. وأنكر الشاذلي صحة هذه التهمة الأخيرة بشدة.. بدعوى أن تلك الأسرار المزعومة كانت أسرارًا حكومية وليست أسرارًا عسكرية.. وأثناء تواجده بالسجن.. نجح فريق المحامين المدافع عنه في الحصول على حكم قضائى صادر من أعلى محكمة مدنية وينص على أن الإدانة العسكرية السابقة غير قانونية وأن الحكم العسكري الصادر ضده يعتبر مخالفاً للدستور. وأمرت المحكمة بالإفراج الفورى عنه. رغم ذلك.. لم ينفذ هذا الحكم الأخير وقضى بقية مدة عقوبته في السجن.. وخرج بعدها ليعيش بعيدًا عن أي ظهور رسمي.. ظهر لأول مرة بعد خروجه من السجن على قناة الجزيرة في برنامج شاهد على العصر في ٦ فبراير ١٩٩٩ الغريب أن الفريق الشاذلى هو الوحيد من قادة حرب أكتوبر الذي لم يتم تكريمه بأى نوع من أنواع التكريم.. وتم تجاهله في الاحتفالية التي أقامها مجلس الشعب المصري لقادة حرب أكتوبر على الرغم من الدوره

الأحمر وقاد بنفسه عمليات في حرب الاستنزاف و(أحمد إسماعيل) و(محمد فوزى) إلى آخره.

والقادة والنجوم كانوا بعيدين عن هذه العمليات لكن كل هذه العلميات التى دارت دون أن يشعر أو يعترف بها أحد لم تجد من يسجلها.. وشبابها قد عاشوها وفي مواقع كثيرة جداً.. ونقابل بعض الناس ويعرفون أننا نتحدث عن موضوعات الحرب أجد كل واحد فيهم يوصينى بالتركيز على حرب الاستنزاف لكن عندما يبحث أى أحد يجد أنه من الصعوبة أن تلخص هذه الجبهة الواسعة بهذا العدد الكبير من الناس بعيداً عن النجوم وبعيداً عن الأضواء.. وهذه الحرب هى التى علمت الجنود ضرب النار.. والقتال.. وامتحنت صبر المقاتل المصرى.. وكفاءته.. وعلمته دروساً كثيرة.. وأظن أن كل القادة اعترفوا أنها الحرب التى مهدت ليوم أكتوبر.. ولكن يوم أكتوبر خطف الأنظار وأما هذه الحرب البطيئة غير المركزة المستمرة ونزيف الدم فيها لم تأخذ ولم تصنع عنصر الدراما لأن الصورة واسعة منتشرة.. وبالتالى طبيعة هذه الحرب أنها من الممكن ألا تلفت الأنظار.. وكان من الممكن ألا يقف الناس ولا المؤرخون عندها بطريقة كافية لأنه فيها خطط وتصورات ولم يكن بها خرائط والخرائط التى كانت موجودة تفصيلية صغيرة لا تعنى أحد وهنا أعتقد أن طبيعة الحرب نفسها لم تسمح لوقائعها ونتائجها أن تأخذ حقها الفعلى وأن تبدو أمام الناس.

وأعتقد أن ما حدث في أكتوبر كان لافتاً للأنظار.. وأن وهجهُ كان كبير جداً إلى درجة أنه حجب الرؤية عما ورائه وما مهد له.. وأظن أنى أريد التركيز في الأيام الستة الأولى في حرب أكتوبر لأنها لا تعوض ولا تضاهى في التاريخ العسكرى كله المصرى.. وأظن أن هذه الأيام موجودة في الوثائق العالمية للحرب وفي قصة الحرب في العالم.. أظن أن لها قيمة خاصةً ومعنى خاصاً لأنها بالفعل باهرة وخلفها ما مهد لها.. وأريد التركيز عليها لكى تؤكد شرعية وضع جديد ينتقل من ما كان في مصر قبل ٦ أكتوبر ويحاول أن يجرب خلق أوضاع جديدة تسمح بتغيرات مختلفة.. منها أن تؤكد شرعية رجل جديد وهذا منطقى ومعقول.. وثانيا أن تسمح لهذا الرجل أن يجرى ما يشاء من

---

الكبير في إعداد القوات المسلحة المصرية.. وفي تطوير وتنقيح خطط الهجوم والعبور.. واستحداث أساليب جديدة في القتال وفي استخدام التشكيلات العسكرية المختلفة.. وفي توجيهاته التي تربى عليها قادة وجنود القوات المسلحة المصرية.

التغيرات سواء في سياسة مصر الداخلية والخارجية ولديه مؤهل هذا الذي حدث في أكتوبر.

وبالتالى كان هناك جزء في حرب الاستنزاف كان من الطبيعى أن يتم نسيانه.. ولكن كان هناك جزء مقصود للتركيز على حرب أكتوبر لكى يؤكد وجود شرعية وقيادة جديدة.. ولكى يمهد لتحولات كبيرة جداً وواسعة جداً سواء في السياسة المصرية الداخلية والخارجية..

وأصبحت حرب أكتوبر محركاً لإجراء تعديلات تصل للانقلاب في السياسة المصرية.. وهذا لا يختلف عليه في اعتقادى أحدٌ.. لكن التركيز على أكتوبر وبهذا الشكل كان مقصوداً لأن اليوم في حد ذاته كان مبهراً.. وأنا أتصور أن استغلاله كان لابد أن يتم لصالح الذين قاتلوا.. وليس لصالح المقاتلين.. ولكن أيضاً لصالح المبررات في الداخل.

## من مقاتلين إلى مقاولين

هناك حرف واحد تغير في الكلمة من المقاتلين إلى المقاولين.. فإذا بنتائج حرب أكتوبر تقدم للساحة شيئاً آخر..

## (جمال عبد الناصر) مشروعٌ مصري

المفكر المصرى المقتدر الدكتور (جلال أمين[1]) له وصف أو نظرية في هذا الموضوع.. وأنا أعتقد أن جزءاً كبيراً منها صائب.. يقول (جلال أمين) أن هناك مشروعاً يسمى (جمال عبد الناصر) وهو المشروع القومى المصرى.

وظهر مشروع رُمِزَ له بـ (عثمان أحمد عثمان[2]) وهو كمقاول قد يكون على أعلى مستويات الكفاءة.. وبنى أشياء كثيرة.. لكنه أصبح رمزاً في ذلك الوقت بعد تعيينه

---

(١) جلال الدين احمد امين.. وهوعالم اقتصاد أكاديمي.. وكاتب مصري.. من أشهر كتبه كتاب "ماذا حدث للمصريين" الذي يشرح التغير الاجتماعي والثقافي في حياة المصريين خلال الفترة من ١٩٤٥ إلى ١٩٩٥ أي خلال نصف قرن من الزمان.. ويعزي هذا التغير الملحوظ إلى ظاهرة الحراك الاجتماعي.. وجلال أمين هو ابن المفكر الإسلامي الكبير الراحل الأستاذ أحمد أمين.

(٢) عثمان أحمد عثمان (١٩١٧-١٩٩٩) مهندس وسياسي مصري.. ساهم في بناء السد العالي.. وأسس شركة المقاولون العرب.. أكبر شركة مقاولات عربية في تاريخ الوطن العربي.. أصبح فيما بعد صهراً للرئيس أنور السادات.. ووزير إسكان في عهده.. طوال فترة رئاسة السادات كانت مجلة فوربس الأمريكية تورد اسمه ضمن أكبر ٤٠٠ ثري في العالم.. توفي في ١ مايو ١٩٩٩.

وزيراً للتعمير.. وكان ودوره أكثر من أن يمثله رجلاً واحداً سواء في قيمته.. أو حقيقته.. لكن (جلال أمين) اعتبره رمزاً لتحول معين.. وأنا أوافقه على هذا لأنه بالفعل نسيت حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر التى جرى فيها التركيز بشكل معين على يوم معين لإحداث تغييرات كبيرة جداً وقعت على أساسها.

حتى على أساس الشرعية أو السياسة أو تنفيذ توجهات اجتماعية معينة كان هناك عامل آخر يساعد في التركيز على أكتوبر.. ونسيان حرب الاستنزاف.. أريد منها التغطية على ما جرى في النصف الثانى من حرب أكتوبر في الإدارة السياسية.. وأنا أتمنى أن يظهر في مصر جيل جديد من المؤرخين مثل الذي ظهر في إسرائيل يحاول التقصى عن قصة هذا التحول الذي جرى.. لأنه في هذا الوقت ما حدث في حرب أكتوبر.. وما تلاه من الأسبوع الأول جرى استغلاله لإجراء تحولات.. وهناك أشياء ساعدت على نسيان حرب الاستنزاف والتركيز على أكتوبر.. حيث ربط بين ٥ يونيو سنة( ١٩٦٧)و٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ وكأن المساحة بينهما كانت فراغاً.

فيوم ٥ يونيو يمثل صدمة وضربة بشعة..

ويوم ٦ أكتوبر يمثل انتصاراً.. ومدعاةً للفخر..

وكأن لا شيء بين الإثنين.. وكأن معجزة وقعت بينهم.. وبالتالى تختلف الصورة.. وكان هذا في اعتقادى قصداً مقصوداً.. وأتمنى أن يأتى جيلٌ جديد من المؤرخين يركز على هذه النقطة.. وكيف حدث الانتقال؟

وهذه اللحظة الباهرة بالأضواء من المقاتلين إلى المقاولين.. كيف تغيرت من التاء في المقاتلين إلى الواو في المقاولين.. مع العلم أنه هناك من المقاولين من يستحق الاحترام والتقدير.

وأريد القول أنه من ضمن نسيان حرب الاستزاف أنه حدث انتقال وربط مباشر بين يوم يدعو إلى الأسى.. وآخر يدعو للفرح دون وجود مساحة بين الاثنين.. وأنا أظن أنها نقلة غريبة.. وصاحب على نسيانها أيضاً الطبيعة البشرية فمثلاً عندما يكون هناك بناء هائل.. يقف الناس أمامه مبهورين ولا يتذكر أحد ما جرى قبل ذلك ويبدو كما لو أنه ظهر فجأة.

وهذا ما حدث مع يوم ٦ أكتوبر من كونه يوماً خالداً في تاريخ الوطن والأمة وعلامة في تاريخ العالم.. ولكن ما قبله هو الذي مهد له.. وهو الذي صنعه.

الإعلام العربى في هذه كان يسيطر عليه الإعلام المصرى.. واللبنانى.. لكن ظهر إعلام من نوع آخر يموله النفط.. وكان من أشرف على هذا هو السيد كمال أدهم مدير المخابرات السعودية آنذاك؟؟

وأتذكر أنه جاءنى في مكتبى بعد حرب أكتوبر قبل أن أترك الأهرام.. ومعه صفحات بروفات لجرونال سوف يظهر في لندن وسألنى رأيى فيه.. وقال لى أنه يتعلم منا مهنة الإعلام.. ولكن جاء هذا الإعلام في فترة كان الواضح فيها وجود تحولات في مصر.. ففي هذه الفترة كانت كمية الأموال التى وُجهت لإنتاج أفلام.. وإصدار كتب.. وجرائد.. ومجلات وإنشاء محطات إذاعة وتليفزيون مسألة ملفتة للنظر.. لأنه في هذا الانتقال الذي ظهر في مصر كان له أصداء في العالم العربى.. لأنه في اللحظة التى ظهرت فيها فوائد النفط بدأ هذا السلاح السحري يرسم سياسات أخرى مختلفة عن كل ما سبقه.. لأنه لديه مصالحه.. ولديه رؤاه في المستقبل.. ولديه رؤى متوافقة أكثر مع المقاولين أكثر من المقاتلين.. وهذه أيضاً طبيعة الأشياء.. ولكن ما حدث ودون أن يدرى أحد حدث تحول في مصر وفي الإقليم ساعد عليه أشياء كثيرة في العالم.. منها أنها لحظة الظهور الأمريكى.. أو الإمبراطورية الأمريكية في رئاسة نيكسون والذي كان موجوداً في حرب أكتوبر.. وهنا أعتقد أن حرب الاستنزاف.. ضاع منها الكثير.. وتفاصيلها بهتت.. ووقائعها وضعت في السجلات والأرفف.. وأنا أعتقد أن هذه الحرب يجب أن نقف أمامها طويلاً وهذا ما سأحاول أن أفعله فيما بعد.

وقد تحدثت عن حجم الشباب الموجودين في معارك الاستنزاف.. وعن طول المعارك.. وحرب المعارك.. وقلت أن حرب الاستنزاف بدأت في أول يوم من حرب يونيو.. وكانت بمثابة رد فعل طبيعي.. وتمثلت في حرب المدافع ومعارك المدافع على شاطئ القناة.. وبعدها عملية إغراق إيلات وعملية إغراق داكار.

بعد ذلك بدت حرب استنزاف حقيقية لها أهدافها التى تمثلت في ضرورة ألا يستقر الإسرائيليون إطلاقاً.. وألا يشعر العالم بانتهاء الحرب.. وألا يشعر العرب والشعب المصرى أن الحرب انتهت.. وأن الاحتلال الموجود في سيناء لا يستطيع البقاء.. وبالتالى بدأ يكون لدينا تخطيط حقيقى.

وهنا جاءت رحلة (جمال عبد الناصر) إلى موسكو في طلب سلاح أكثر وفي ترتيب مرحلة أخرى مختلفة.. وجاءت مهمة (عبدالمنعم رياض)مع القادة

السوفييت العسكريين مثل مارشال زاخروف.. وكل هيئة أركان الحرب.. وخصوصاً في الطيران والدفاع الجوى.. وبدأت وقتها أشياء كثيرة.. وحرب منظمة.. وبدأت تعمل على نقلة نوعية لم يتنبه إليها أحد.

**عودة القوة المصرية**

وهنا سوف أعرض تقريراً واحداً لإدارة المخابرات للخارجية الأمريكية.. ورئيسها آنذاك توماس يوز والذي كتب تقريراً لديس رازك وزير الخارجية والتقرير يحمل رقم ٨٥١ مذكرة مخابرات بتاريخ ١ نوفمبر سنة ١٩٦٨ إلى الوزير.. يقول فيها أن الجمهورية العربية المتحدة تستعرض عضلاتها على خطوط السويس وكان التقرير بعنوان القوة المصرية تعود.

وجاء في التقرير أنه تشير الاشتبكات الأخيرة بين القوات المتحدة وإسرائيل على طول جبهة قناة السويس إلى شعور متزايد بالثقة في القاهرة بشأن القدرات العسكرية.. ففي ٤ مناسبات متوالية خلال الشهرين الأخيرين وهى أيام ٢٦ أغسطس ٨ سبتمبر.. و٢٣ و٢٦ أكتوبر يبدو أن القوات المصرية استطاعت أن تنال من القوات الإسرائيلية.. وهنا القوات المصرية تحت ستار مدفعية كثيفة جداً اشتبكت في عمليات على نطاق لفت نظر المخابرات الأمريكية في وزارة الخارجية إلى أن هناك تغييراً نوعياً في القوات.

وقال في التقرير أن الاشتباك الأخير بالتحديد قد أكد الأسلوب التكتيكى الذي تتبعه سياسة الجمهورية المتحدة منذ أواخر أغسطس وأوائل سبتمبر.. وبعد عودة (عبدالمنعم رياض) من موسكو وبعد صفقة سلاح سمحت للقيادة المصرية والعسكرية أن تطلق المخزون أو الاحتياطى أو جزءاً منه.. وتدخل في المعركة وهى تعرف أن لها إمداداً قادماً.. ويحكى عن التكتيك المصرى أن الحشد المركز للقوات المدفعية بما يغطى دخولاً عميقاً لقواتهم داخل الخطوط الإسرائيلية بواسطة قوات كوماندوز كما أن الاشتباك الجوى بين الطائرات المصرية والإسرائيلية ٢٣ أكتوبر يظهر تفوقاً له معنى في كفاءة الطيارين المصريين.. أو بعضهم على الأقل.. ويبدو أن الاستراتيجية تركز على قوات عسكرية أقوى وثقة تتزايد في كفاءة التكتيكات المصرية الجديدة المزودة بإمكانات متعددة.. ويقول التقرير أن هذا فيه عنصر خداع نفسى وأنه ليس من الممكن أن يكون هؤلاء الناس مصريين.. وأنهم خائفون من سلسلة الانتصارات التى حققتها القوات المصرية على القوات الإسرائيلية.. وقد تعزز ثقة الجمهورية العربية

المتحدة نفسها وجسارتها على الفعل والخطر الحقيقى في ذلك الوقت أن يؤدى هذا الشعور بالزهو إلى ثقة متزايدة تؤدى بدورها إلى خطأ في الحسابات قد يغرى قادة الجمهورية العربية المتحدة.. وأن يجربوا تحويل نجاحتهم المحدودة الحالية إلى انتصار عسكرى ضد إسرائيل.. ويتحدث عن الطريقة التى ظهرت فيها غارات.. وقد قلت من قبل أن القادة السوفييت خافوا من الهجوم.. ولم يكن أحد فينا يفكر في الهجوم في ذلك الوقت.. ولكن التفكير في ذلك الوقت كان في إقلاق وإزعاج.. ونزيف دم لا تحتمله إسرائيل في معارك مستمرة تشغل العرب والعالم والشعب المصرى وأن المعركة مستمرة وهذا الاحتلال لا يمكن أن يبقى لأنه ضد الطبيعة وضد التاريخ.

وتابع التقرير أنهم يريدون إرغام إسرائيل على وضع قوات كبيرة وأشعروا الجميع بقوة الجمهورية المتحدة.

وأنا أرى في هذا التقرير أنه يتحدث بعد سنة واحدة من بداية حرب الاستنزاف والتى أحدثت تغييراً نوعياً أحس به الإسرائيليون وكل المراقبين في العالم ولفت النظر إلى إعداد شيء آخر.



## ١٤

## خط بارليف!!

وهنا أمامى كتاب عن حرب الاستنزاف وهو كتاب مهم مؤلفه سفير أمريكى سابق هو ديفيد كورن.. وكان في وقت حرب الاستنزاف موجوداً في إسرائيل طول فترة الحرب لأنه كان رئيس القسم السياسى في السفارة الأمريكية في تل أبيب ويتابع عمليات الاستنزاف.. واستشهد بى في مواقف عديدة وكنت أقرب لفهم هذا الجيل بطبيعة العمل الصحفي وكتبت عنه في حرب الاستنزاف وبسبب تلك الكتابة استشهد بى هذا الرجل وهو (ديفيد كورن) وفي حرب الاستنزاف تناول هذا الرجل مناقشات مهمة.

وتحدث عن مناقشة في هيئة أركان حرب الجيش الإسرائيلى وعن كيفية أن يوقفوا هذه الحرب ويتصرفوا فيها.. وقالوا إن هذه القيادة انقسمت لقسمين طبقاً للمؤلف جنرال إبراهام أدان(١) وجنرال بارليف(٢) مدير العلميات.. والذي أصبح رئيس هيئة أركان حرب في واحد يناير سنة ١٩٦٨ وكان رأيهم تقوية القوات الدفاعية على خط قناة السويس ولمنع الاختراقات والدوريات وإيقاف هذا النوع من حرب الاستنزاف الذي ظهر مرهقا للقوات الإسرائيلية لأنه يضطرهم إلى نزيف دم لا يريدونه وأنه لابد من

---

(١) قائد مجموعة العمليات رقم ١٦٢ mg. Avraham adan.. التابعة للواء السابع المدرع هو لواء تشكل عام ١٩٤٨ يتبع القيادة الشمالية للجيش الإسرائيلي خاض حروب حرب ١٩٤٨ و١٩٥٦ وحرب أكتوبر في الجولان.

(٢) إليه يُنسب خط بارليف هو تحصين عسكري إسرائيلي تم بناؤه على طول شرق قناة السويس بعد حرب يونيو ١٩٦٧م وذلك لتأمين الضفة الشرقية لقناة السويس ومنع عبور أي قوات مصرية خلالها.: سمي الخط بذلك الاسم نسبة إلى حاييم بارليف القائد العسكري الإسرائيلي.. وقد تكلف بناؤه حوالي ٥٠٠ مليون دولار.. تميز خط بارليف بساتر ترابي ذو ارتفاع كبير - من ٢٠ إلى ٢٢ مترا - وانحدار بزاوية ٤٥ درجة على الجانب المواجه للقناة.. كما تميز بوجود ٢٠ نقطة حصينة تسمى "دشم" على مسافات تتراوح من ١٠ إلى ١٢ كم وفي كل نقطة حوالي ١٥ جندي تنحصر مسئوليتهم على الإبلاغ عن أي محاولة لعبور القناة وتوجيه المدفعية إلى مكان القوات التي تحاول العبور.. كما كانت عليه مصاطب ثابتة للدبابات.. بحيث تكون لها نقاط ثابتة للقصف في حالة استدعائها في حالات الطوارئ.. كما كان في قاعدته أنابيب تصب في قناة السويس لإشعال سطح القناة بالنابالم في حالة محاولة القوات المصرية العبور.. والتي قامت القوات المصرية الخاصة بسدها تمهيدا للعبور في واحدة من أعظم العمليات.. روجت إسرائيل طويلا لهذا الخط على أنه مستحيل العبور وأنه يستطيع إبادة الجيش المصري إذا ما حاول عبور قناة السويس.. كما ادعت أنه أقوى من خط ماجينو الذي بناه الفرنسيون في الحرب العالمية.. ضم خط بارليف ٢٢ موقعا دفاعيا.. ٢٦ نقطة حصينة.. وتم تحصين مبانيها بالاسمنت المسلح والكتل الخرسانية وقضبان السكك الحديدية للوقاية ضد كل أعمال القصف.. كما كانت كل نقطة تضم ٢٦ دشمة للرشاشات.. ٢٤ملجأ للافراد بالإضافة إلى مجموعة من الدشم الخاصة بالأسلحة المضادة للدبابات ومرابض للدبابات والهاونات .و ١٥ نطاقا من الأسلاك الشائكة ومناطق الألغام وكل نقطة حصينة عبارة عن منشأة هندسية معقدة وتتكون من عدة طوابق وتغوص في باطن الأرض ومساحتها تبلغ ٤٠٠٠ متراً مربعا وزودت كل نقطة بعدد من الملاجئ والدشم التي تتحمل القصف الجوي وضرب المدفعية الثقيلة.. وكل دشمة لها عدة فتحات لأسلحة المدفعية والدبابات.. وتتصل الدشم ببعضها البعض عن طريق خنادق عميقة.. وكل نقطة مجهزة بما يمكنها من تحقيق الدفاع الدائري إذا ما سقط أي جزء من الأجزاء المجاورة.. ويتصل كل موقع بالمواقع الأخرى سلكيا ولاسلكيا بالإضافة إلى اتصاله بالقيادات المحلية مع ربط الخطوط التليفونية بشبكة الخطوط المدنية في إسرائيل ليستطيع الجندي الإسرائيلي في خط بارليف محادثة منزله في إسرائيل.. وتمكن الجيش المصري في يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ م من عبور الخط وأفقد العدو توازنه في أقل من ست ساعات والذي وافق يوم كيبور أو عيد الغفران لدى اليهود من عبور قناة السويس بعد الضربة الجوية.. مستغلين عنصري المفاجأة والتمويه العسكريين الهائلين الذان سبقا تلك الفترة.. كما تم استغلال عناصر أخرى مثل المد والجزر واتجاه أشعة الشمس من اختراق الساتر الترابي في ٨١ موقع مختلف وإزالة ٣ ملايين متر مكعب من التراب عن طريق استخدام مضخات مياه ذات ضغط عال.. قامت بشرائها وزارة الزراعة للتمويه السياسي ومن ثم تم الاستيلاء على أغلب نقاطه الحصينة بخسائر محدودة ومن ال ٤٤١ عسكري إسرائيلي قتل ١٢٦ وأسر ١٦١ ولم تصمد إلا نقطة واحدة هي نقطة بودابست في أقصى الشمال في مواجهة بورسعيد وقد اعترض أرييل شارون الذي كان قائد الجبهة الجنوبية على فكرة الخط الثابت واقترح تحصينات متحركة وأكثر قتالية ولكنه زاد من تحصيناته أثناء حرب الاستنزاف.

تعبئة عامة شاملة وهو يلغى فكرة انتصارهم وهذا الانتصار الذي ينهى كل الحروب وهناك نوع من الانتصارات يتصوره بعض الناس أنه إما هزيمة تنهى كل الحروب أو انتصار ينهى كل الحروب وان هذا لم يحدث.. وهم يرون معركة كبيرة تدور.. ويدفعون تضحيات ويخسرون أكثر وفي هذا الكتاب يستشهد بى هذا الرجل أنه في حرب الاستنزاف وفي أى حرب خسرنا فيه ٥٠ ألفاً أمام إسرائيل وخسرت هى ١٠ آلاف فهذه خسائر لا يمكن أن تتحملها إسرائيل.. وظلت القيادة منقسمة على مواجهتها وكما قلت أن كلاً من الجنرالين "أدان" و"بارليف" كان لهم رأى مختلف.. لكن في المقابل كان جنرال طل[1] قائد المدرعات وجنرال شارون قائد القوات الخاصة ورأى الإثنان الوقوف على قناة السويس وبناء مواقع حصينة.. وهذا لا جدوى منه وأن المدفعية ستحطم هذه القوات وهى نقطة تفوق واضحة للمصريين وستحطم هذه المواقع وخسائرهم ستزيد.. واختلفت القيادة ومال (ديان) للرأى الثانى وهو أن يرجعوا ١٠ كيلومتر للخلف.. مع تمركز المدرعات ويتركوا المصريين كما يريدون وإذا اقتربوا من الشاطئ الشرقى لقناة السويس فالقوات المدرعة تستطيع أن تتقدم وتستطيع أن تحبط أى عملية اختراق أو عملية عبور أو تقدم.. وهنا قال جنرال بارليف مسألة مهمة وهو جنرال أركان حرب في ذلك الوقت وأنه إذا استطاع المصريون العبور.. وحشدوا قواتهم على شرق قناة السويس.. ثم تلى ذلك دعوة مجلس الأمن للاجتماع سواء كان الروس أو غيرهم من أصدقاء إنجلترا وفرنسا إن القوات المصرية الآن تحتل الخط على الناحية الأخرى وهو خطهم ويتم إيقاف القتال عند ذلك الحد وتمكن المصريين من العودة إلى سيناء.. وبالتالى كان رأى جنرال بارليف بناء خطوط في هذا الخط على خط الماء لأن استعمال خط الماء لمنع أى هجوم كبير وأنه بقى واضحاً أن نوايا المصريين ليس في حرب الاستنزاف استنزاف القوات الإسرائيلية فقط لكن أصبح واضحاً أن هناك في التخطيط أن هذا كله يجرى تدريجيا وتخطيطا وعملاً.. وتطعيماً بالنار.. واستعداداً للتضحية وبدا أن هذا كله فيه نقط وخطوط تتحول لأشكال وتتحول في النهاية إلى عملية بناء وهذا ما يقلق وهنا موضوع يقلق الإسرائيليين وبدأ الانقسام في القيادة واضحاً.. وأخذ في النهاية برأى الجنرالين (بارليف) و(أدان) عن طريق بناء خط ثابت على الماء ومواقع حصينة والتمسك بخط الماء وإن مسألة ابتعاد(١٠) كيلو وحتى إذا

(١) هو أحد الجنرالات العسكريين في الجيش الإسرائيلي أثناء هذه الفترة.

كان بتأييد ديان لأنها أسهل لأن المدرعات تستطيع بهذه الطريقة إزالة أى محاولة اختراق إلى الناحية الأخرى.

وبدأوا في بناء هذا الخط والمدافع تحاول تفجير هذا الخط أولاً بأول.. وعمليات الاختراق مستمرة والحرب بدأت تأخذ شكل آخر أكثر مما توقعوه.



## ١٥

## حرب الألف يوم!!

كانت حرب الاستنزاف حرب الألف يوم.. وهذا الوصف قاله الأستاذ مايكل بريشر في دراسته المهمة عن صنع القرار في إسرائيل.. ونسبة للقادة العسكريين وقال إن الأدبيات العسكرية الإسرائيلية وفي التاريخ العسكري الإسرائيلي وصفت حرب الاستنزاف بأنها حرب الألف يوم ونحن لم نتوصل لهذا الوصف و كان في أذهاننا دائما أنها حرب الأيام الست.. وقسمها بريشر والذي أعتقد أنه أهم أحد دراسى السياسة الإسرائيلية والاستراتيجية الإسرائيلية.. إلى ست مراحل طبقاً لتاريخ الحرب كما كتبت في إسرائيل ولنظريات الحرب التى درست فيما بعد في إسرائيل.. وأنا اعتقد أن السجلات تتصف حرب الاستنزاف بأكثر من كثير من الناس الذين حاولوا نسيانها أو تجاهلها أو غض النظر عنها وهذا موضوع سبق أن تحدثت فيه.

ولم تكن حرب الاستنزاف ضرب مدافع ودبابات وصواريخ وإغراق (إيلات) ودخول دوريات لأنه الأهم من ذلك هو اختبار للأعصاب وللصبر وللإرادة وهذا مهم للقدرة على توازن لأنه في وقت من الأوقات كان لا يمكن الاعتبار به وهذه حرب الألف يوم كما قسمها مايكل بريشر إلى ست مراحل وهى مراحل في التصعيد خطوة بعد خطوة كأنها لعبة شطرنج لكنها لعبة خطرة على المنطقة بأسرها وفي مرحلة تقرر أشياء كثيرة بالمستقبل.

وكان التصاعد في حرب الاستنزاف وأنا لا أتحدث من ناحية التقسيم الإسرائيلي لأنه فيه اعتباراتهم ويتحدثون فيها عن ست مراحل فانا أقسمها لثلاثة مراحل أولها المرحلة العفوية التلقائية التى فيها ردة الفعل الطبيعية لبشر غضبوا مما جرى لهم ووجدوا ما لا يستحقونه.. وهنا كانت مرحلة المدافع وبها جرى عمل مهم وهو أثناء عملية ضرب المدافع وإسرائيل ترد عليها بضرب مصانع تكرير البترول حدث أن هناك رهائن في منطقة قناة السويس.. وأصبح سكان المنطقة رهائن في منطقة قناة السويس وسكان كل المنطقة أصبحوا رهائن في يد القوات الإسرائيلية وبالتالي كانت هناك عملية مهمة لنقل مصانع التكرير مثل ما حدث وإنما نقل نصف مليون مواطن إلى الداخل حتى لا يكونوا في مطال المدافع الإسرائيلية وهي ترد على القوات المصرية.

**اختبار الإرادة**

المرحلة الثانية هى المرحلة التخطيطية وهى مرحلة الدخول إلى العمق والاشتباك مع العدو وضرب خطوط مواصلاته وتطعيم الشباب بقوة النيران وبمعرفة العدو وكسر الرهبة منه.. وقد وصف تقرير المخابرات الأمريكية بإنها نقلة نوعية خطيرة في الحرب ووضح فيها إن جبهة قناة السويس بها قدر كبير من التفوق سواء كان بقوة النيران أو بشجاعة الرجال وبدأت هذه النقلة تلفت الأنظار وأن هناك خطوة لا بد أن نتوقعها من إسرائيل وسترد.. وكان الرد مفاجئاً وأنا أعترف بذلك وكنا نتوقع وكذلك صانع القرار المصري وجاءت غارات العمق على نجع حمادى ومحاولات للسد العالي.. ولكن في هذه اللحظة اعتقد أن هناك مرحلة للإرادة والرغبة في التوازن والاصرار عليه والمشي كما يقال على حد السيف.

وانتشر في هذه اللحظة كلام حول صفقة طائرات كبيرة ستعطيها أمريكا لإسرائيل.. فبعد انتهاء حرب الأيام الست أعلنت حظر على تصدير السلاح على المنطقة وإسرائيل كانت لديها كل ما تريده وحققت به ما أرادت تحقيقه في يونيو سنة (١٩٦٧) وأمريكا أعلنت حظر على تصدير السلاح إلى المنطقة وطلبت من الاتحاد السوفيتي أن يحذو حذوها والرغبة في إبقاء الأمر الواقع يوم وقف اطلاق النار يوم ٨ يونيو ولكن ما حدث في المنطقة بالفعل تخطى هذا كله بعد أن استطاعت مصر أن تجلب السلاح وتقف في المعركة واستطاع الشباب الدخول في عمق سيناء وأثبتوا تفوقهم النوعي والكمي وهذا بدا مفاجئا.. وعلى الأقل الأمريكان أبدوا استغرابهم من كيفية حدوث هذا.. ولاحظوا وجود إصرار من نوعٍ آخر.

وهنا حدث تصاعد من جبهة القتال إلى العمق المصري وهنا أمريكا في هذه اللحظة تحاول أمريكا إعطاء إسرائيل صفقة طائرات كبيرة ولم يسبق لها مثيل في كل التاريخ سواء على الشرق الأوسط وبدا أنه أمر لا يصدق.. وأن امريكا رفعت الحظر عن تصدير الأسلحة للمنطقة وبالفعل حصلت إسرائيل على ١٢ طائرة سكاى هوك لتعزيز قوتها على الدوريات في شرق البحر الأبيض المتوسط مكان غرق إيلات وغرق داكار لكن بدأنا الآن نسمع عن صفقة عن طائرات الفانتوم ولم تكن أمريكا قد سمحت بإعطائها للحلف الأطلنطى وكانت قد استعملتها في فيتنام وستحصل على كميات كبيرة منها وأن عدد الطائرات خمسين طائرة لكن الكلام مبهم من وكالات الأنباء وهى تخمينات ومتسربة من مجلس الشيوخ.

## الصفقة الكبرى

ووقعت حادثة في الأسبوع الأول من نوفمبر سنة (١٩٦٧) سأتوقف عندها حيث تلقيت برقية من صديق هو السفير نديم دمشقية الذي كان سفيراً للبنان في واشنطن في ذلك الوقت.. وكانت البرقية من بيروت وطلب منى أن أرتب لحضوره القاهرة.. وأنه سيبقى ٢٤ ساعة يريد فيها مقابلة (عبد الناصر).. وكانت تجمعه صداقة مع الرئيس وكان قومياً عربياً بالطبيعة والتربية.. وقال لى أنه أتى لمهمة ولن يبوح بالمعلومات التى لديه إلا لـ (جمال عبد الناصر) شخصياً.. وحاولت لكن نديم صمم على هذا الكتمان فاحترمت ذلك.

وذهبنا الساعة الخامسة لمنزل (عبد الناصر) وحكى نديم قائلاً أنه صديق لـ (ريتشارد هالمز) مدير الـ (C.I.A) في ذلك الوقت ولديه صلات كبيرة بمجلس الشيوخ.. ولأنه عميد بالسلك السياسي في واشنطن فلديه اتصالات هامة.. وهو سفير نشيط وزوجته السيدة (مارجريت) إيرلندية وإنجليزية أيضاً.. وكانا يشكلان معاً مركز اتصال كبير.. وقال لـ (عبد الناصر) أنه عرف بصفقة ٥٠ طائرة فانتوم لإسرائيل و٣٦ طائرة سكاي هوك وأنها سوف تسلم لإسرائيل.. وأن هذا القرار اتُخذَ بالفعل.. وهذه خطوة خطيرة تنقل المعركة من منطقة قناة السويس إلى غارات العمق.. وقال نديم أنه لما عرف هذه المعلومات رأى أن يقول ذلك للرئيس اللبناني.. والذي اقترح أن يتصل بالملك فيصل باعتبار أنه يستطيع الضغط على الأمريكان ويستطيع أن يمنع أو يعرقل أو يعطل هذه الصفقة في هذه اللحظة لأنه إذا دخلت هذه الطائرة في المعركة في هذ التوقيت من حرب الاستنزاف فسيكون تأثيرها فادحاً.. وعندما سمع (عبد الناصر) هذا الكلام أبدى دهشته لأن هذه الصفقة مسألة كبيرة.. وطلب رسالة أرسلها له (جونسون) قبل ذلك وهى نص رسالة شفوية مبعوثة من (أندرسون) مبعوث الرئيس (جونسون).. وقال (أندرسون) خلال تلك الرسالة الشفوية لـ (عبد الناصر) أن الرئيس (جونسون) لن يدخل الانتخابات الرئاسية الأمريكية مرة أخرى.. التى ستجرى في نوفمبر القادم سنة ١٩٦٨ وأن ظروف حرب فيتنام تمنعه من ترشيح نفسه للرئاسة مرة أخرى وهذا حقه.. وقال (جونسون) خلال الرسالة أنه رئيس حر محرر من اى ضغوط ويستطيع تحقيق حلم السلام في الأرض المقدسة.. وهو ما حاول كل رئيس أمريكي قبله أن يفعله ولم ينجح.. وأنه متحرر من أعباء رئاسية أو انتخابية جديدة.. وسيسلم الرئاسة إما لهانفري أو لـ(نيكسون) والذين كانا مرشحين من الحزبين الجمهوري والديمقراطي.. والشهور المتبقية له يستطيع أن يصنع خلالها سلاماً في الشرق الأوسط.

وبالفعل أعلن بعد ذلك عن صفقة لإسرائيل تضمنت الـ ٥٠ طائرة فانتوم والـ ٣٨ طائرة سكاي هوك.

**مفاوضات مهينة**

ولدى وثيقة منذ أن كان (رابين) في ذلك الوقت سفيراً لإسرائيل في الولايات المتحدة الأمريكية.. والهدف أن يكمل عملية إمداد السلاح.. وهناك تقرير من والتروستد

آنذاك للرئيس (جونسون) يقول أن وزير الخارجية الأمريكية أعطى تعليمات لـ (اسحق رابين) أن يعطي القائمة بالطائرات.. وقال له "وفد إسرائيل سيأتي هذا الصباح.. ومعهم المسودة ووزارة الدفاع لديهم رأى في هذا ".. وقال أننا سنعطى إسرائيل هذه الطائرات.. ولكننا نعرف أن الفرنسيين في وقت حرب السويس سنة ١٩٥٦ ولكي يعفوا أنفسهم من التواطؤ مع إسرائيل أعطوهم بعد العدوان الثلاثي قنبلة نووية صغيرة يمكن تركيبها في أى وقت.

وقال البنتاجون أنهم موافقون على الطائرات.. ولكن يرفضون أن تحتفظ إسرائيل بالقنبلة.. فوجود هذه القنبلة في ظل التصاعد القائم فيه خطورة كبيرة على المنطقة.. ومن الممكن أن تقلب الموازين.. والمصريون يمكن أن يردوا عليهم بما لا نعرف.. ويتدخل الاتحاد السوفيتي أكثر.. ومن الممكن إذا بقيت هذه القنبلة في إسرائيل واستعملوها أو هددوا بها في مرحلة من مراحل التصعيد.. فقد نجد أنفسنا في مواجهة مباشرة مع الاتحاد السوفيتي.. وهذا هو الموضوع الذي وضعه البنتاجون كشرط لإعطاء الطائرات لإسرائيل وهو ليس شرطاً بقدر ما كان طلباً أو ضماناً لا بد أن يعطي للولايات المتحدة حتى يوافق البنتاجون على الطائرات.

أما الوثيقة الثانية فهى مذكرة عن محادثة تلفونية بين وزير الخارجية راسك.. ووزير الدفاع (كلارك كليفورد) وهو محام وأكثر أصدقاء إسرائيل قرباً لهم[1].. وأصبح وزيراً للدفاع مع (جونسون).. وكانت إسرائيل سعيدة به.. وقال وزير الخارجية أنه تحدث مع وزير الدفاع عن الطائرات الفانتوم والرئيس يعارض أن يقوم البنتاجون بلى ذراع إسرائيل في موضوع المسألة النووية وربطها بصفقة الطائرات.. وأنه بناء على ضغوط شديدة جداً بمجلس الشيوخ.. ومن أصدقاء إسرائيل.. وفي رأى (جونسون) أن البنتاجون في ربطه ذلك بمسألة القنبلة النووية متعسفاً بشكل لا مبرر له.. وأنه سيعطيهم الطائرات.

وتقول المذكرة أن يخفف الخبراء في البنتاجون من غلوهم قليلاً ولا يلووا ذراع إسرائيل.. فقرار البنتاجون يخشى خطوة في التصاعد قد يدخل فيها الاتحاد السوفيتي

---

(١) الغريب أن هذا الرجل أصبح فيما بعد أو لعله من قبل هذه الفترة كان محامٍ لبضع دول عربية.

كطرف.. وأن مصر سترد.. فبماذا سترد وإسرائيل لديها قنبلة نووية.. وكان لديهم أبحاث في هذا المجال.. ومتقدمين فيها لكنهم لم يصنعوا أسلحة.

والوثيقة الثالثة تتحدث عن المفاوضات مع (رابين).. وللأسف هذه المذكرة تظهر كيف تتصرف دولة صغيرة تشعر بدورها.. وعندما قيل ل(رابين) أن البنتاجون يريد ضمانات بسبب القنبلة النووية وعدم استعمالها في التصاعد قال (رابين) "قدمنا تصريحاً إن إسرائيل لن تتخذ الخطوة الأولى في إدخال الأسلحة النووية إلى الشرق الأوسط وهذا يكفي وهذا يغطى كلام البنتاجون".

واستعمل (رابين) خبرته العسكرية ومهاراته السياسية.. وقال هل يمكن أن دولة لديها أسلحة نووية سواء كانت حصلت عليها من الفرنسيين أو أنتجته أن تستخدمه من غير إجراء تجارب.. والحقيقة أنهم كانوا قد أجروا تجاربَ في دولة جنوب أفريقيا في زمن التمييز العنصري.. أو كانوا وقتها يقومون بها.. وكان (رابين) في وجهة نظر الأمريكان من خطط لمعركة الأيام الستة.. ورئيس أركان حرب أيام هذه الحرب..

وهنا محضر مناقشة عن اجتماع الجانبين.. الجانب الإسرائيلي فيه السفير الإسرائيلي (اسحق رابين).. ومجيور جنرال (هود) قائد السلاح الجوى الإسرائيلي.. و(دايفيد كارفون) الملحق العسكري الإسرائيلي للسفارة الإسرائيلية بواشنطن.. و(شابيرو) رئيس بعثة وزارة الدفاع.

ومن الجانب الأمريكى (بول وارتكه) مساعد وزير الدفاع.. و(هارى شوارتز) مساعد وزير الدفاع.. و(روبرت ميرى) وكيل إدارة الشرق الأوسط.. وكان الجانب الأمريكي يطلب ومن الإسرائيلي إتمام الصفقة وشراء الطائرات.. وكان البنتاجون متخوف من التصاعد فيما بعد.

وهنا كيف يمكن أن تتصرف دولة صغيرة أمام دولة كبيرة هي في حاجة إليها.. وهنا قال (رابين) أن إسرائيل لا تقبل قيد على استقلالها ولا حتى من أمريكا ولا تقبل قيد على قراراها حتى من أكبر أصدقائها.. وهى بلد صغيرة يعتمد على أمريكا في كل شئ.. لكننا هنا نرى كيف تتعامل مع سيادتها.. وتدرك أن لها دورها الذي تؤديه في المنطقة.. وتحتاج إليه الولايات المتحدة.. وبالتالي فالولايات المتحدة في حاجة لإسرائيل بنفس المقدار الذي تحتاج فيه إسرائيل لأمريكا.. وهنا نرى كيف تستطيع دولة صغيرة أن تقول (لا) لدولة كبيرة وهى من يعتمد عليه سواء في السلاح أو المساعدات.. ولكن

نتصور أن صداقتنا مع دولة كبرى يمكن أن تلغى حقنا في أن نقول (لا) وهو حق أى دولة.. وبدون وجود هذا الحق لا توجد سيادة.. وهنا تعطينا إسرائيل نموذج لكيف يمكن أن تقول لا.

## رقعة الشطرنج

وحاول الأمريكان كثيراً مع (رابين) أثناء المحادثات وقالوا له أن يجرب ويسأل الحكومة الإسرائيلية.. فرد (رابين) أنه يعمل وينفذ تعليمات واضحة للحكومة الإسرائيلية وأنه غير مستعد أن يسأل الحكومة عن سؤالٍ لا مبرر له.. وأن المسألة ليست الطائرات الفانتوم أو غيرها لكن هذا سيعرضنا لأشياء كثيرة جداً في المنطقة لأنه نحن في هذه الصفقة سوف نظهر علنا في الشرق الأوسط وأنتم الأصدقاء ونحن المورد الرئيسي للسلاح لإسرائيل وهذا سيعرفه كل الناس في الشرق الأوسط وفي العالم.

وربما استطاعوا أن يخفوا دورهم في يونيو حول السلاح ولكن هذه المرة ليست بها خفاء لأنه بالفعل في يونيو كانت معظم الأسلحة والطيران إنجليزية وفرنسية وكان هناك معدات أمريكية للتشويش ومعدات إلكترونية ومتقدمة.. وتصنت.. ورصد.. ولكن هذه الصفقة هي أضخم مما قد يتصوره أحد.. ثم أنها تعلن في وقت بالغ الحساسية.. فواركن وزير الدفاع يقول ل(رابين) راعوا موقفنا.. وقال (رابين) له راعوا أنتم إرادتنا المستقلة. وهنا وثائق في الحقيقة تفزعني ومعي هنا وثيقة تتحدث عن اللجوء للرئيس (جونسون) لأن (رابين) لوح في إحدى المقابلات أنه ليس هو من يعود ليسأل حكومته في شأن هذا السلاح النووى وقال أنكم من تعودوا للرئيس (جونسون).. وبالفعل رجع للرئيس (جونسون) وقرر (جونسون) أنه لا داعى للمفوضين الأمريكان أن يتعنتوا هذا التعنت وأن يتقدموا ويوقعوا ويُبلغ هذا الأمر للمفوضين الأمريكان.. وأن يبقوا على هذه الصفقة.

وهنا وكيل وزارة الدفاع يرجو (رابين) المساعدة وأن قرار الرئيس موجود وأن صفقة الطائرات ستتم ولن نصر على ضمان قاطع ولكن أعيدوا جسوراً أقوى قليلاً وتعهدكم بعدم دخول أسلحة نووية بالمنطقة.. و(رابين) يقول أنه لا مانع من تكرار نفس التعهد القديم وأريد إضافة جديدة.. لتغطية موقف البنتاجون الذي يمثل وزارة الدفاع

والجيش الأمريكي وكذلك تغطية موقف الرئيس وأجد أن الوفد الأمريكي تقريباً مغلوب على أمره إلى أن تأتي آخر وثيقة أجدها مهينة والله لأمريكا.

واتفقوا على صيغة.. وقبلها (رابين).. وعاد (رابين) لسفارته واتصل بوزارة الخارجية.. وبعد أن قرأ الوثيقة.. وتشاور مع مساعديه وجد أنه يريد أن يغير فيها كلمة أو عبارة وهو يرى أنه لا تبدو متسقة بعد أن وافق عليها مبدئياً وأحس أنه لا بد أن تتغير الصياغة نهائياً في السياق.. وأنه قد تبدو إسرائيل بتعهد لا تريد أن تعطيه.. وأنا عندما أقرأ هذه الوثائق أُستفز حتى من الجانب الأمريكي.. وتأتي أوامر الرئيس بالاستجابة لكل شئ وبالفعل أجد المفاوض الأمريكي يقول أن (رابين) اتصل به وغير ما سبق وأن وافق عليه وعلى أى حال فإن ما لدى من تعليمات فوافقت على هذا التغيير.

وبعد ذلك اتضح ما قاله نديم دمشقية من معلومات أنها حقائق ولكن هذه الوثائق لم تكن قد ظهرت وقتها وحصلنا عليها بعد ذلك بمقتضى قانون تداول المعلومات..

ولم نأخذ كلام نديم بصورة قاطعة إلا بعد إعلان ذلك رسمياً وحتى بعد إعلانه لم يكن أحد يتصور في القاهرة أن الوثائق ستحكى لنا هذا الكلام.

وبعد إعلان هذه الصفقة كان لذلك آثار مباشرة بالطبع في ماذا يمكن فعله ونحن أمام تحدي جديد وخطير في نقلة حدثت على رقعة الشطرنج في صورة كما كانت لأنه إذا استمرت.. وحدث بعدها خلاف حول ميعاد استلام إسرائيل لهذه الطائرات.

## قيمة السياسة

وقال البنتاجون أنه سيسلم هذه الطائرات سنة ١٩٧٠ وإسرائيل رفضت مشددة على ضرورة تسليمها أول سنة (١٩٦٩) ويوافق الرئيس الأمريكي على موعد التسليم وإعلان الصفقة في حد ذاته مسألة يعني أن التسليم بدأ ولم يكن أحدٌ قد تأكد هل تم تسليم كل هذه الطائرات.. ولكن كنا نعرف أن ١٢ طائرة سكاى هوك سلمت بعد إغراق إيلات.. وبعد تسليم كل هذه الصفقة كان صانع القرار المصري أمام موقف يقتضى نقلة.. وماذا يفعل ولكن في ذلك الوقت أعرف أن هذا حقيقي وحصل في ذلك الوقت وبدا أن هناك مناقشة قوية وعالية الصوت.. وبدا الانقسام الذي كنا نتحدث فيه عن الاستقلال وعدم الانحياز إزاء هذا الموقف الذي نراه أمامنا.. والكل يعرف أن أمريكا

تساعد إسرائيل لكن في هذه اللحظة من حرب الاستنزاف أمريكا أصبحت طرفاً في المعركة.. وبالتالى أى كلام عن عدم الانحياز ليس له معنى.

وفي اعتقادي أن ما حدث هو اختبار في القدرة على التوازن وصولاً لمرحلة الضرب في العمق.. هناك قضية أخرى وهى لأى مدى نستطيع أن نتصرف ولأى مدى يمكن أن نرد بفعل وإذا كان هناك بعض الناس يتصور أن نموذج كوبا هنا يصلح فهذا تصور خاطئ.. وهنا قيمة السياسة وقيمة السياسة كإدارة فأسهل شئ في الدنيا أن تختار أسهل الطرق.



وفي ثقافات وتقاليد الشعوب.. تطالعنا في بعض المرات تسميات للسنين يصطلح عليها وتعرف بها.. فهناك سنة الفقر أو القرد أو سنة تسمى بالتنين.

ففي الكنيسة الكاثوليكية على سبيل المثال هناك وصف للأعوام.. وكل سنة تنتهى بصفر أو ٥ يعنى ١٩٥٠.. أو ٢٠١٠ يحتفل بها على أساس أنها سنة مقدسة وتختم عددا معينا من السنين.

وهناك الأدب الإنجليزي تعبير أخرجه دايفل.. وهو شاعر كبير كان موجودا في القرن ١٦ يقول إنه سنة ١٦٦٦ كانت سنة المعجزة لأن الهولنديين كانوا يأخذون أسطولا للهجوم على إنجلترا بينما الأسطول الإنجليزي يستعد للدفاع.. فجاءت عاصفة وشتتت الأسطول الهولندى وأصبحت سنة المعجزة.

وفي تعبير مقابل له وهى سنة الفزع وهو تعبير خرج من الأدب الإنجليزى واستعملته ملكة إنجلترا سنة ١٩٩٢ عندما فشل أبنائها الثلاثة في زواجهم وطلقوا جميعا فسمتها أنس أوربيلس أو سنة الفزع.

ونحن هنا إذا كنا نريد في تجربتنا أن نختار أسماء لأحد السنين فأنا مستعد للقول بأن سنة (١٩٦٩) هى عام القلق في مصر.

والقلق هنا لعدة أسباب أولها أنه في هذه السنة شهدت مصر أربع معارك وكل معركة مختلفة ولها قسمتها.. أولها المعركة العسكرية على الجبهة وهى واضحة ومركز الاهتمام الرئيسى وبؤرة الطاقات والإمكانات الموجودة عند الشعب المصرى وبالذات شبابه.

والمعركة الثانية مع الإسرائيليين لمواجهة بعض التفوق الذي كان باديا في الجبهة العسكرية المصرية أو بعض القوى المتزايدة.. وبالتالى تم نقل الجبهة إلى غارات العمق وبدأوا بضرب منشآت كنجع حمادى.. وجسر مهم ومحطة تحويل متصلة بالسد العالى وبدأوا يضربون في العمق وهناك جبهة أخرى هى جبهة العمق.

وهناك جبهة سياسية لها بعد محلى ودولى لأن المعركة تقتضى عملا سياسيا في الداخل.. كما أنها تقتضى أيضاً عملا سياسيا دوليا.

الجبهة الرابعة هى الجبهة الفكرية.. وأعتقد أنها جبهة صعبة للغاية وكانت ضرورية.. وأريد أن أذكر الناس بأن هذا الحوار والجدل الفكرى الذي دار في هذه السنوات والتى نستعد فيها للحرب كان ضروريا لأن الحرب باستمرار هى مولدة التحولات الكبرى في فكر الشعوب. والناس تبذل دمها وكل جهدها في أثناء الحرب لتحرر أرضها وبدافع البحث عن مستقبل مختلف.

لكن ضرورات المعركة الكبرى أو الحرب الكبرى.. وهى الحرب الشاملة بكل المعارك يجب أن تكون واضحة في أذهان الناس وفي أذهان كل الأطراف لأن هناك مصائر تتقرر وراء النيران.

في حرب الاستنزاف.. كنا في حرب متقطعة تتكثف كل يوم بشكل أو بآخر لكنها ليست الحرب المتصلة.. ونحن أمام حرب طويلة.. وهذه المعركة الطويلة بها مستقبل يتشكل ملامحه.. وحول هذا المستقبل يدور حوار قد يصل لدرجة الجدل ومن الممكن أن يعنف ويشتد.

وهنا الجبهة الداخلية ليس لأحد أن يضعها في صفوف متراصة صامتة ساكتة ولكن يفتح بها الرؤى والتصورات والأفكار.

وكانت سنة (٦٩) في منتهى الصعوبة.. خاصةً بعد أن بدأت غارات العمق.

وبالتالى بدأ الحوار.. أعتقد أنه حوار المستقبل في وسط المعركة الذي هو جزء لا يتجزأ من حرب الاستنزاف.

أريد توضيح أن هذا الحوار وهذا الجدل لم يكن بعيدا عن حرب الاستنزاف فهو جزء لا يتجزأ لأنه هنا تصورات لما هو قادم وتصورات لما نقاتل من أجله.. ولسوء الحظ بدأ وجود مدرستين في مصر.. أحدهما متركزة على الاتحاد الاشتراكى وهذه المدرسة

صاحبة منطق أحترمه وأقدره مع أننى أختلف معها.. ومنطق هذه المدرسة الثورة إلى آخر مدى.. وكان معناه الاتجاه أكثر يسارا حتى لو اقترينا إلى الاتحاد السوفييتى وهو أكثر ما هو مطلوب في تصوراتنا السابقة عدم الانحياز والاستقلال الوطنى.. فهذا ليس به بأس لأنه لا يوجد شيء يدعى عدم الانحياز بين صديق وعدو.

ومن سوء الحظ وقتها كان بعض الضباط الاشتراكيين.. ومعظمهم الآن عند ربنا.

لكن إنصافا لهم.. كانوا في منتهى الوطنية وهؤلاء الناس حاولوا بقدر المستطاع أن يواجهوا ظرفا معقدا.. لكن حدثت مشكلة وهى أنه لا توجد خلفية ثقافية وراءهم.. وهم متحمسون حماسا شديدا للغاية ونحن هنا في جدل فكرى عن المستقبل.

وحاول هؤلاء الضباط الاستعانة ببعض المفكرين وأن يكتبوا لهم.. وكان المتاح لهم بعض الشيوعيين الذين خرجوا من السجون يبحثون على دور في الحياة السياسية.. وأنا واحد من الذين كان لهم دور في إخراج الشيوعيين من السجون.. فهذا التيار الفكرى له مجاله ومكانه بحق ما أن يكون التيار الإسلامى له نفس الحق أو أكثر لأن جذوره أوسع.

وهنا مسألة موازين دقيقة وبدا أن يكون هذا الكلام يقال في ضرورات التحول الاشتراكي وأوراق كثيرة.. والانحياز بين صديق وعدو في الحرب ليس ممكنا.. وكان النموذج الكوبى موجودا أيضاً ونافذا بالأذهان والناس تتصور أنه في الموقف الذي يأخذه الأمريكان والموقف الذي تأخذه إسرائيل بالكامل.. وفي رغبتنا برفع درجة الصراع من مستوى الصراع الإقليمى والدول من إستراتيجية (جمال عبد الناصر) بحيث يؤثر في الموازين ويشعر الاتحاد السوفييتي بأن هناك خطرا عليه.. وأن هذه أيضاً معركته.. وبالتالى هناك منطق عندهم.. وهم يقولون بعدم الحياد مع أمريكا وكنت أقول هذا الكلام ومن يقل هذا الكلام من الناس فهو مخطئ.

وعندما يتصل أحد يقول إنه سيعطى أكثر لليسار في وقت الثورة لأنها كل شيء في المعركة وإن كل التوازنات الدقيقة التى سرنا عليها خطر جداً .. وأنا مستعد لفهم هذا المنطق وهذا يترتب عليه أشياء كثيرة.. منها أنه مخالف لأشياء كثيرة لدى الأغلبية من الشعب المصرى.. والشيء الآخر أنه يكسر التحالف العربى فورا إذا نحن انحزنا بما هو ضرورى بكسر تحالفنا العربى ليس فقط مؤثر على قيمة التوازن المستقل الذي

استطعنا ان نقيمه بموقف مستقل غير منحاز يختار موقفه في كل قضية.. طبقاً لما يراه وطبقاً لمبادئ يؤمن بها.. وهنا نجد في النهاية أنه مهما قيل عن السلاح وعن النوايا للسوفييت سنجد أن قضيتنا دخلت ضمن قضايا الحرب الباردة مع الأمريكان ومؤجلة في الثلاجة حتى تحل صراعات الحرب الباردة وهذا ما لا أريد. فهناك أمة عربية وأرض محتلة وارتباطات وهناك رؤى وأفكار معينة.

وإخواننا في الاتحاد الاشتراكي.. - وأنا لا أريد تسمية أحد - ولكن كان هناك أناس كثيرون مثل على صبرى وكمال رفعت وغيرهم بجوار مجموعة من المثقفين والمفكرين مثل لبيب شقير وضياء الدين داود.. وكلهم أناس قديرون وموجودون في السلطة وهم جاهزون لتقديم ما لديهم فكريا.. فواحد مثل لبيب شقير.. أنا أعرف كيف يفكر وأظن أن ظروف الحرب جعلت بعض المثقفين يأخذون مواقف أكثر راديكالية من ما يأخذونه في الطبيعة وهذه هى طبيعة الحروب.

في المقابل كانت هناك مدرسة أخرى فسوء الحظ أو حسن الحظ قضى أن تتمركز في الأهرام في ذلك الوقت.

وأهرام في ذلك الوقت كانت لديها مشكلة كبيرة لأسباب كثيرة وتجمع فيها ما يمكن أن يكون جبهة وطنية على أوسع مدى.. فعندما أرى أسماء عدد الناس الذين كانوا موجودين في الأهرام في ذلك الزمن وأجدهم سواء في المجال الفكرى أو الاقتصادى أو السياسى.. (توفيق الحكيم.. نجيب محفوظ.. حسين فوزى.. زكى نجيب محمود.. لويس عوض.. يوسف إدريس.. غالى شكرى.. ويوسف فرانسيس) وفي المجال الأدبى والفكرى.. (إسماعيل عبدالله.. وإبراهيم سعدالدين.. وفؤاد مرسى ومحمد سيد أحمد.. ومحمد الخفيف.. ومشيل كامل).

وفي مجال الاقتصاد والسياسة الدكتور (بطرس غالى) رئيس تحرير الأهرام الاقتصادى.. والدكتور (مصطفي خليل) رئيس وحدة البترول في مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية في الأهرام.. والدكتور (على الجريتلى) موجود في المركز أيضاً.. و(عبدالمنعم القيسونى) عضو مجلس إدارة الأهرام بعد أن ترك الوزارة وقد طلبت منه ذلك.. و(جمال العطيفي).. و(عبدالملك عودة).. و(حسن البدرى) المحرر العسكرى.. وصديقى الأستاذ (أحمد بهاءالدين).. وبالفعل أنه لم يأت للأهرام ولكن

لم تلبث شهور إلا وانضم لأسرة الأهرام.. و(كلوفيس مقصود).. و(صلاح الدين حافظ).. و(سلامة أحمد سلامة).. و(فهمى هويدى) و(لطفي الخولى).

وأنا عندما اذكر هذه الأسماء أندهش من أنه كيف تجمع.. وفي مركز الدراسات (جميل مطر) و(أسامة الباز) و(تحسين بشير).. و(سيد ياسين) ومركز الدراسات التاريخية.. (محمد أنيس) و(حسن يوسف باشا) الذي كان رئيساً للديوان الملكى.. والدكتور (يونان لبيب رزق) وحتى في التحرير لما أرى واحدا مثل الشاعر الكبير (فاروق جويدة) والذي كان محررا في القسم الاقتصادى.. وأجد واحداً مثل الأستاذ (مكرم محمد أحمد).. (صلاح الدين حافظ).. و(صلاح منتصر).. (وصلاح جلال).. و(صلاح هلال) و(عبدالملك خليل) و(سناء البيسى).

وفي القسم الفنى (صلاح جاهين) و(صلاح طاهر) و(كمال الملاخ) و(محيى الدين حسين).. وقد تكون في الأهرام بطبيعة الظروف في ذلك الوقت وكان العالم كله يتحدث عنه وكان لديه مشروعه.. وكان حدثا كبيرا في العالم الصحفي.

وهنا لما كان مركز للاتحاد الاشتراكى موجوداً.. وكان هذا الاستقطاب غير موجود بين مدرسة وأخرى.. وطبيعة الظروف وما كان موجوداً في الأهرام وطبيعة المناقشات الدائرة في الأهرام تطرح قضايا سيادة القانون والحرية والديمقراطية.

وقد كتب (لويس عوض) عن مشكلة التعليم والثقافة في مصر.. وكتب (جمال العطيفي) عن سيادة القانون في مصر.. وأتيح له قدر من الحرية بلا حدود وفي هذا الوقت أعتقد أنه دون أن نقصد وحقيقة دون أن نقصد وطبيعة الظروف.. فمرات الظروف تخلق الاصطفاف دون أن يقصد أحد.. ولكن في المحصلة النهائية الحوار الدائر والجدل الدائر في مصر كلها هو جزء من حرب الاستنزاف ومن معركة التحرير.. وبدا الجانب الفكرى الاتحاد الاشتراكى وشيء ما في الأهرام وهذا ليس معناه المعارضة ولكن نناقش ونحن نحاور في المستقبل وجدنا أنفسنا في جدل اشتد مرات معهم ودخلنا في مواقع بعضها قد يكون ليس لها لزوم.. وهذه الاشتباكات بدأت من وقت قانون تنظيم الصحافة.

وفي البداية في الاتحاد الاشتراكى وقتها كان رأيهم ضرورة التحول الاشتراكى فلابد من السيطرة على الإعلام لأنه أداة مهمة جداً من أدوات توجيه الرأى العام فإذا

كنا نتحدث عن تحولات اجتماعية وبالتالى لابد من وضع الإعلام لخدمتها.. وأنا شخصيا كنت ضد هذا وعندما فكروا في تأميم الصحافة عارضت هذا بشدة.. وقلت إننى سأغادر ليس لسبب.. فأنا ليس لدى مشكلة أن أعمل في شيء مؤمم لكن في النهاية الصحف الفردية لها مالك.. لكننى يقلقنى جداً التدخل الحكومى والروتين الحكومى لأنه يعرف أن مالك الصحيفة المأممة يعرف أنه ليس لديه وقت لهذه الجريدة وهذا سيُترك إما لبيروقراطية سلطة أو هوى سلطة.. فعارضت فكرة التأميم فظهرت فكرة التنظيم.. وقلت لـ (جمال عبد الناصر) صراحة وأنا أشهد أنه كان في منتهى التفهم.. ولذلك لما انتقلوا من فكرة التأميم إلى تنظيم الصحافة.. لأن فكرة التنظيم تختلف تماماً عن التأميم ولسوء الحظ أن كل هذا قد ألغى.

وتنظيم الصحافة كان يعطى كل أدوات الصحف للعاملين فيها ولكن يحتفل بالرخصة الاتحاد الاشتراكى.. وملكية رخصة الجريدة للاتحاد الاشتراكى.. وأنا قلت رأى على أن يكون بيننا وبين التنظيم السياسى اتفاق على ما هى الحدود.. وفي ذلك الوقت اتفقنا على ميثاق هو التزام نحن مالكى هذه الجرائد.. والاتحاد الاشتراكى يملك الرخصة. والتزامي أمام الاتحاد الاشتراكى هو الدستور في ذلك الوقت وهو الميثاق.. وميثاق العمل القومى في ذلك الوقت أيضاً وغير هذا لا يوجد.

وقد وقفت في المؤتمر الصحفي وقت الإعلان وفي الأهرام وقلت إننى لم أوافق لا على التأميم ولا التنظيم يرضينى.. وأنا قلق من اتفاقات أعتقدها مع السلطة فيما بعد.. وهذا الكلام الذي قلته نقل لكل العالم وعاتبنى الرئيس (عبد الناصر).. وسألنى ما الذي نفعله وكان متفهما جداً مشكلة الصحافة.. وقال لى إنه قبل منى الاعتراض على التأميم.. ووصلنا لفكرة التنظيم وهى موجودة عندكم بالقانون وكل شيء موجود إلا رخصة الاتحاد الاشتراكى.. فقال لى ما الذي نستطيع فعله أكثر من ذلك فقلت له إن هواجسى كصحفي وعندى الجمع كله الموجود في الأهرام وحاولوا كثيراً أن يكونوا في الأهرام وممارسة دور أكبر في الكتابة.

وبعد اشتباك تنظيم الصحافة دخلنا في قضية أخرى وهى إلى أى مدى ستدخل الصحافة في التنظيم الاشتراكى ووصلنا في يوم من الأيام لـ (عبد الناصر) ووجدت عنده السيد (على صبرى) و(شعراوى جمعة) و(السيد أحمد فؤاد).. وتحدثوا عن التنظيم

في الصحافة.. وأنه موجود بالفعل داخل النظام الاشتراكى ولكن كلفنا بالقيام به.. وأنا وقتها لم استطع التحدث لوجود أناس معه وخرجت من الاجتماع بأننى سأتحدث مع أصدقائى ومع أناس آخرين.. وكان الكلام حول هل ندخل.. وجاء الكلام بأنه لم لا.. وكان هذا رأى (اسماعيل صبرى عبد الله) على سبيل المثال و(أحمد بهاء الدين) وغيرهما.. ومعى الاستمارات التى كتبت.

ووافقنا ولكن أن نظل كصحفيين موجودين منفردين وبعد يومين أو ثلاثة أيام لم أستطع النوم وذهبت لـ (عبد الناصر) وقلت له إن الجميع وافق والجميع قدم الاستمارات.. ولكن أنا أشعر بوجود تنظيم داخل الأهرام.. فلماذا يوجد تنظيم سرى داخل الأهرام.. إذا كان التزامنا هو الدستور.. فلماذا تكون في الصحافة تنظيمات ولم أكن مقتنعا.. وقد تكون هذه التنظيمات لازمة في مواقع عمل أخرى في مصانع ولكن أنا لست مقتنعا وبالفعل ظلت هذه الاستمارات في أوراقى حتى هذه اللحظة ولم نقدمها ولم ندخل.

وأعتبر أن الأهرام يستكبر على التنظيم وأنا أعتبر أننا نقوم بشيء.. ولدينا التزامات محددة أمام القارئ ومثل هذا عيب.

وجاءت أزمة أخرى بعد ذلك وكتبت عنها مقالة "أزمة مثقفين".. وقد أسيء استعمال المقال بقسوة في حملات التشويه.. وقلت فيها إن أهل الثقة لابد أن يكونوا أهل خبرة وأهل الخبرة لابد أن يكونوا أهل ثقة وأنه لا يمكن أن يكون اطلاقا هذا الانقسام.. فهناك أناس عندهم خبرات ضباط وفي الدرجة الثانية.. وحزن (عبدالحكيم عامر) منى وحدثت مشكلة كبيرة جداً مما كتبته.. وكتب (توفيق الحكيم) "بنك القلق" وهى قصة في نقد أجهزة الأمن.. وقال لى إنه كتب شيء تجريبى ويريد أن أقرأه.. وسألنى عن رأيى.. فقلت.. إنها رائعة.. فسألنى هل أستطيع أن أنشرها؟ فقلت له أنت استطعت أن تكتب.. وأنا أستطيع أن أنشر.. ولكنها جلبت لنا مشكلات ليس لها حدود.. كذلك حدثت مشكلات بعد أن كتب (نجيب محفوظ) )أولاد حارتنا.. وأنا أشهد أن (جمال عبد الناصر) لم يضغط عليا ولم يتدخل في هذا كله لأن (نجيب محفوظ) كتب أولاد حارتنا.. ثم ثرثرة فوق النيل.. واللص والكلاب.. والسمان والخريف.. وهى الروايات

والقصص التى حصل فيها على جائزة نوبل.. ولكنها كانت في نقد أوجه تجاوز النظام جلبت لنا مشكلات بلا حدود.

وفي يوم من الأيام كنت أفتح جريدة الجمهورية ووجدت ٤ مقالات كتبها (على صبرى) و(لبيب شقير) و(ضياءالدين داود) و(عبدالهادى ناصف).. وكلها هجوم شديد.. خاصةً أنه لا مفر من التعامل مع الولايات المتحدة ووقتها كنت أكتب مجموعة مقالات عن تحييد أمريكا وكان رأيهم أنه لا يمكن.. أنه فيما بعد قام أحد الزملاء بعمل حوار مع الرئيس (نميرى) يقول فيه إن الكلام عن تحييد أمريكا كأنه الكلام عن تحييد إسرائيل وهذا مستحيل.. وللأسف كل من كتب عن تحييد أمريكا حيدوا أنفسهم وذهبوا إلى أمريكا.

وكنت أشبه تحييد أمريكا حتى لا يختلط الأمر على أحد بأنه الحرب على أمريكا بأسلوب مصارعة الثيران.. فإلهائه دون الاصطدام بقرونه مع القوى الكبرى في هذا العالم في هذا العصر عصر الحرب الباردة والموازين النووية لا أحد يستطيع القول إنه لن يتعامل مع أحد ولا أحد ببساطة يقول إن أمريكا عدو للأبد.. وأنها خصم.

فجوهر السياسة أن تتعامل مع أشياء غير مطيعة لك.. فلو كانت الأمور طيعة لك فأنت لا تحتاج لعمل سياسى.. تأمر وتطاع ولأن هذا غير موجود في عالم الدول فأنت مضطر لإدارة علاقتك بالعالم الخارجى وليس هناك ما يسمى بأحب وأكره وليس بها صديق إلى آخر مدى أو عدو لآخر مدى.

وهذا الكلام عن الأبدية قد يجوز في أشياء أخرى كالحب.. ولكن في الحياة السياسية لا يوجد عداء مطلق إلا في حالة الأمن القومى وهذا يعنى الأرض مثل إسرائيل وأنه حتى في هذه الحالة يمكن أن ينتهى العداء بتحقيق السلام ولكن هذا غير موجود.

وصلنا إلى أن مشروع الأهرام الجديد تم وأنا كان في رأيى ألا يفتتحه أحد.. لأنى لو طلبت من (عبد الناصر) افتتاحه سأضع الجريدة في كنف السلطة وأنا أحترم سلطة (جمال عبد الناصر).. وهو بالنسبة لى شخصية لها اعتبارها وقيمتها المتميزة في تاريخ مصر.

ولكن تصورى هو أننى لا أريد أن أضع الجريدة في حماية أحد واريد صديقاً ومهتما بها.. فاتفقت مع بعض الأصدقاء أن يجتمع كل من يعمل في الأهرام من عمال ومحررين وكتاب وبالفعل تجمعنا أمام الأهرام ودخلنا جميعاً.. وقلت أيضاً إن افتتاح (عبد الناصر) في هذا الوقت والحوار قائم ستحدث مشكلة مع الطرف الآخر.. وأن يقال إننا نستغل السلطة.

وكتبت الجرائد في الخارج عن الأهرام وزوار كثيرين يأتون هنا واهتمت أيضاً الصحف العربية.. وكنا ندعو الرؤساء الذين كانوا يأتون لمصر لزيارة الأهرام ونرسل لهم دعوات إذا أرادوا مقابلتى أو مقابلة محررين بالأهرام.. ويجلسون معنا وتكون هناك مناقشات كثيرة وحرة.

وفي فبراير سنة (١٩٦٩) تحدث معى (جمال عبد الناصر) وقال لى كل الناس رأت الأهرام وانا الوحيد الذي أقرأ عنه ولم أره.. فقلت له إن هذا شرف كبير أن تأتى لنا هناك. ولكن في افتتاح الأهرام فضلت أن يفتتحه العمال.. ولم يفتتحه الرئيس.. نظرا للولاء للمهنة وحتى زيارة الرئيس للأهرام لم تكن الموضوع الرئيسى بالصحيفة ولم يذكر اسم أحد في استقباله.. وأنه استقبله رئيس تحرير الأهرام دون اسم.. واستقبله (توفيق الحكيم) عضو مجلس إدارة الأهرام دون أسماء لأننا اعتبرناه زائرا ولكنه أهم من زار الأهرام.. ولكن هنا قضية مهمة إذا وضعنا أسماءنا في مقدمة ما نفعل باستمرار فقد ضيعنا فكرة المؤسسة.. والتى تقوم على أن العمل موجود ولأن العمل لم يكن واحداً وهو جماعياً فلابد أن يتقدم دور المؤسسة.. وبالتالى (جمال عبد الناصر) كان هنا يزور أهرام المعنى وأهرام الرمز وليس (هيكل) أو (توفيق الحكيم) ولا (نجيب محفوظ) ولا أى أحد.

وحضر (عبد الناصر) ولم يأت معه سوى السادات.. نظرا للإشكالات التى كانت مع الاتحاد الاشتراكي ولكننى كنت ارحب بأى واحد يأتى.. وكان معى عدد من نجوم الأهرام لويس عوض وصلاح جاهين وكل الناس كانوا فرحين بحضوره.. ثم جلس (عبد الناصر) في مركز الدراسات الإستراتيجية وتحدث مع كل الناس.. وأدهشه فور دخوله مركز الدراسات التاريخية ويقابل حسن باشا يوسف الذي كان رئيس الديوان.. وتناقش أيضاً مع (نجيب محفوظ) حول أعماله ثم جلس معهم في مركز الدراسات

الاستراتيجية وتناقش معهم مع مجموعة الأدباء.. حيث قال الدكتور حسين فوزى: يا سيادة الرئيس اتجاه مصر باستمرار عبر البحر شمالا إلى أوروبا فغمز له (توفيق الحكيم) لكنه أكمل.. وقال شمال شرق أو شمال غرب تقرره القيادة.. فضحك الجميع.

ثم ناقشه يوسف إدريس وبنت الشاطئ تحدثه.. ثم دخل الدراسات العسكرية ووجد اللواء البدرى ووجد الشباب الموجودين ودخل في مناقشات وظلت الزيارة خمس ساعات.. وكان الأستاذ أحمد بهجت مسئول الزيارة وكنا سنغطيها.. وكنا سنعطى (جمال عبد الناصر) العدد الذي فيه زيارته.. وزار (عبد الناصر) غرفة الكمبيوتر وكان يشرح له المهندس محمد نصير والعقيد بشير وكان مساعدا لنصير.. وتطوعت وقلت لـ (عبد الناصر) إن العقل الالكتروني يعمل مشكلة للأفراد لأنه عندما بدأنا العمل به قال لى الدكتور فؤاد إبراهيم.. إن تشغيله سوف يدعو للاستغناء عن ٢٧٠ موظفا في إدارة الحسابات فتحدثت أن التكنولوجيا ستقوم بتغيير الأيدولوجيا.. وأن الفكرة الأساسية في الشيوعية وهى فكرة فاقد القيمة.. وجلسنا اليوم بأكمله في الزيارة وكيف كان (عبد الناصر) سعيدا إلى أى مدى وجلسنا في مكتبى مع السادات وتحدثنا في النقد الذي يوجه للأهرام.. وقال الرئيس (عبد الناصر) لى أنه فهم الآن أن الأهرام الجديد الذي نبنيه لابد أن يكون ملائما لزمن قادم ولابد أن يكون صورة مصر المعاصرة موجودة فيه.

ولما جلس (عبد الناصر) في مكتبى نظر إلى لوحة من نسيج الحرانية وكانت جميلة.. فقال لى إنى فهمت ما جاء في التقرير بأن هناك اسرافا شديدا وكماليات وأشياء رأسمالية.. فقلت له هل طلبوا مالا من الدولة أو الاتحاد الاشتراكى فقال لا.. وهم مولوا كل شيء من مواردهم.. وذهب (عبد الناصر) وجلس على كرسى مكتبى وقال لى بعد الحرب إن شاء الله سأخرج من السلطة ومن الدولة وإذا كان لى أن أختار مقعدا فهذا هو المقعد الذي أريد أن أجلس عليه لما يأتى وقت ترك رئاسة الدولة.

ولكن لم يجلس ولم يستمر الكرسى.. نظرا للظروف فمن الأشياء التى قام بها أنور السادات فيما بعد أن ألغى قانون الصحافة العربية المتحدة وانتقلت الصحافة من فكرة التنظيم إلى فكرة التأميم وأصبح هناك وضع قلق.



## ١٦

# سنة القلق!!

أريد أن أقف في هذا الجزء عند سنة القلق سنة (١٩٦٩) لاعتقادي أنها كانت في منتهى الأهمية.. والقلق عنصر خلاق ويختلف عن الوساوس.. فهو عبارة عن أطراف يبحثون عن حل وعن حقيقة وتصور لما هو قادم ولما هو جارٍ.

كنا بعد الصدمة في حاجة إلى تصور لما هو قائم من مسئوليات؛ لأن المعركة أثبتت أن هناك أشياء تستحق التغيير وتصورات مختلفة.. وأن هناك مستقبلٌ لا بد أن يكون على نحو يتسق مع ما حققته الثورة.. وأنا أعتقد أن مقياس نجاح أى عمل سياسى في أى بلد في الدنيا يرتبط بأن تكون جماهيره أقوى منه وشعبه سباق وأن يطل على ما وراء ما يقدم له.

في سنة (١٩٦٩) جرت حوارات في منتهى الأهمية.. فهناك من تصور في بيان ٣٠ مارس أنه لا صوت يعلو فوق صوت المعركة وأن هذه عملية خلق لحوار وهذا لم يكن صحيحا بالشواهد.. لأنه ما كان مطلوبا هو كل الحوارات النافعة للمعركة ولما بعدها.

وفي منتصف المعركة كان هناك مراجعة.. وفي ذلك الوقت كان هناك حوار محتدم.. جزء منه بين جماعة في الأهرام وأخرى في الاتحاد الاشتراكي ولكن الحوار كان أوسع من ذلك.. ونتذكر هنا لحظة مهمة وهي أن هناك جامعة يقظة وشباب نزل للشارع وتحرك وكان ناقدا لنظام هو ابنه.. لكن كان هناك جامعة حية سواء بطلابها أو أساتذتها.. وكان هذا الشباب مستعدا للنزول إلى الشارع حتى في ظرف حرب.. وأعتقد أن هذا معيار نبض الشارع وتحرك الجامعة وهي مسألة مهمة.

وفي ذلك الوقت كانت هناك معركة.. فلا يصح أن يكون هناك سر؛ لأنها تستدعي تعبئة شعب.. ولا بد أن تقال له الحقائق كلها ولا بد أن يكون شريكا.. فهناك مليون عائلة مصرية.. كل عائلة لديها مقاتل في ميدان القتال.. وعالم عربي متنبه لما يجري ونحن نريد للعالم العربي أن يكون موجودا في المعركة.. إضافة لذلك كنا نحتاج للإعلام العالمي.

كان في القاهرة وقتها ما يزيد على ألف مراسل وكلهم كانوا يتحركون.. ولكن لم يستطع أحد الذهاب إلى ميدان القتال.. ولكن خارج ميدان القتال الكل موجود والعالم كله يراقب ما يحدث.

ولما كنا نتحدث في الأهرام كنا مختلفين ليس على مصالح وإنما على أفكار ورؤى.. فلما كتب (توفيق الحكيم) بنك القلق لم يكن يريد وزارة.. ولما كتب (نجيب محفوظ) اللص والكلاب إلى ثرثرة فوق النيل لم يكن ينتظر وظيفة.

وهنا بالفعل كان موجودا اختلاف في الرؤى.. ولكن بعد ذلك جاء شعار لا صوت يعلو فوق صوت المعركة.. وأنا لا أعلم أن هناك مرحلة الحوار فيها زاد واشتد في هذا البلد مثل سنة القلق.. لأن القلق بطبيعته مختلف عن الوساوس والوساوس من الممكن أن تجعل الشخص يشك في سلامة موقفه.. وأن القلق يدعوه إلى أن يفكر.. معناه أن يبحث عن الطريق وعن الحلول.. والقلق يكون خلاقا خاصةً في أوقات الخطر.

ويجب ألا ننسى أن حجم القيادات التى كانت موجودة فالقطاع العام في ذلك الوقت لم يكن فيه مجموعة موظفين.. ولكن كان قطاع تعتمد عليه المعركة.. ولم يكن أحد يحصل على معونات في ذلك الوقت ولا معونة أمريكية ولا غير أمريكية وفي السلاح كنا ندفع الأقساط بانتظام حتى أثناء المعركة.. وكانت كل قوات البلد تتحرك وأنا لم أقل أنها ديمقراطية ولا الشروط ديمقراطية لكن كنت أقول ولا أزال أقول أن الضرورات تستدعى أن يكون هناك أصوات كثيرة تتحدث وهذه الأصوات تؤثر على صناعة القرار.. وأعتقد أن التعددية هى درجة من درجات الديمقراطية.

ولم يكن الجدل الدائر والاحتكاكات للأهرام وغير الأهرام.. فأتذكر ان الصحافة كانت من أهم الميادين التى تجلى فيها الاحتكاك.. كان يعتقد (عبد الناصر) أن البلد بالطبيعة اتجاهها يمينى ومحافظ وهو يريد باستمرار وجود جرعة يسار وحيوية أخرى من اتجاه لاتجاه مختلف وتحرك وأظنه في هذا.. ولا أتجاوز عندما أقول إن الشيوعيين لعبوا دورا سواء يعرفوا أم لا لدرجة أن هذا الدور أدى في مرة من المرات إلى أن خروشوف الزعيم السوفييتى يعطى ملاحظة لـ (جمال عبد الناصر) أنه يتم اعتقال الشيوعيين.. فرد (عبد الناصر) أن الشيوعيين يقومون بدور خلاق لأنهم يقومون بعملية خصوبة للحوار لأنهم يعطون رأيا آخر. فحزن خروشوف وقال له أنت تعتبر الشيوعية هى مجرد سماد لاستعماله للخصوبة.. ولكن في جزء من هذا كان شيئا من الحقيقة.

في سنة ١٩٦٤ وكان هذا قبل عام القلق حدثت مشاكل كبيرة في أخبار اليوم لأنه جاء قانون تنظيم الصحافة وتحدثت عنه وجاء مفوضون لأخبار اليوم وجاء الأستاذ أمين شاكر لأول مرة وحدثت اشكالات في أخبار اليوم.. وحدثت قضية لأحد مالكى أخبار اليوم ووُجهت له اتهامات وثبتت عليه للأسف ولست أنا من أقول هذا الكلام ولكن هذا تم التحقيق فيه وهو واضح فيه على أى حال.. ولكن هذا الكلام استُغل مع أخبار اليوم لأن أخبار اليوم مؤسسة كبيرة وقوية جداً وقادرة وبها أناس جيدون وأدوا أدوارا.. ودار أخبار اليوم أدت دورا كبيرا في الحياة الثقافية والفكرية بلا جدال ولكن لما جاء قانون تنظيم الصحافة و(جاء أمين شاكر) كمفوض عمل إشكالات.. ووجد أصدقاء بالدار.. وتوصلت أنا وغيرى أن يظلوا في جريدتهم وكانوا مستعدين للجلوس بكل

طريقة لكن هناك حرجا ومشاكل واحتكاكات ضرورية وغير ضرورية من طبيعة البشر.

وبعد حدوث الخلافات خرج (أمين شاكر) واتذكر وقتها أن ولائى للمهنة ولأصدقائى وللدار التى عملت بها وقمت بدور عندما تجاوز المفوض.

وعاد (مصطفي وعلى أمين) إلى أخبار اليوم بعد أن أقصاهم شاكر عنها وكل شخص في أخبار اليوم يعلم هذا ودخلت معهم أخبار اليوم.

وفي ذلك الوقت تم استدعاء الأستاذ (خالد محيى الدين) [1] رئيساً لمجلس إدارة أخبار اليوم وهواحد من الشخصيات المرموقة في هذا البلد وله اتجاه لا يخفيه.. وانضم لأحزاب شيوعية في ظروف كثيرة من حياته وكان رجلاً أميناً مع نفسه وعقائده.. وجاء أخبار اليوم وهى معقل من معاقل اليمين ومعه مجموعة من الشيوعيين وحدثت وقتها مشاكل بلا حدود.. وفي سنة ١٩٦٥ دون توقع وكانت جريدة المساء ينتشر فيها الشيوعيون.. وبعد أن ذهبوا إلى أخبار اليوم الواسعة الانتشار بدأت المشاكل الحقيقية.. فقال لى (عبد

---

(١) خالد مُحيي الدين ضابط سابق في الجيش وأحد الضباط الأحرار.. مؤسس حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي حتى اعتزاله العمل العام... وُلِدَ في كفر شكر في محافظة القليوبية عام ١٩٢٢ تخرج من الكلية الحربية عام ١٩٤٠ وفي ١٩٤٤ اصبح أحد الضباط الأحرار والذين انقلبوا على حكم الملك فاروق سنة ١٩٥٢ وكان وقتها برتبة صاغ.. ثم اصبح عضوا في مجلس قيادة الثورة.. حصل على بكالوريوس التجارة عام ١٩٥١ مثل كثير من الضباط الذين سعوا للحصول على شهادات علمية في علوم مدنية بعد الثورة وتقلدوا مناصب إدارية مدنية في الدولة.. وصفه جمال عبدالناصر بالصاغ الأحمر في إشارة إلى توجهات محيى الدين الماركسية.. وحينما دعا خالد محيي الدين رفاقَه في مارس ١٩٥٤ إلى العودة لثكناتهم العسكرية لإفساح مجال لإرساء قواعد حكم ديمقراطي نشب خلاف بينه وبين جمال عبدالناصر ومعظم أعضاء مجلس قيادة الثورة استقال على إثره من المجلس.. وآثر - ربما تحت ضغوط من جمال عبدالناصر - الابتعاد إلى سويسرا لبعض الوقت.. بعد عودته إلى مصر ترشح في انتخابات مجلس الأمة عن دائرة كفر شكر عام ١٩٥٧ وفاز في تلك الانتخابات.. ثم أسس أول جريدة مسائية في العصر الجمهوري وهي جريدة المساء. وشغل منصب أول رئيس للجنة الخاصة التي شكلها مجلس الأمة في مطلع الستينيات لحل مشاكل أهالي النوبة أثناء التهجير. تولى خالد محيي الدين رئاسة مجلس إدارة ورئاسة تحرير دار أخبار اليوم خلال عامي ١٩٦٤ و١٩٦٥ وهو أحد مؤسسي مجلس السلام العالمي.. ورئيس منطقة الشرق الأوسط.. ورئيس اللجنة المصرية للسلام ونزع السلاح.. حصل على جائزة لينين للسلام عام ١٩٧٠ وأسس حزب التجمع العربي الوحدوي في ١٠ أبريل ١٩٧٦ اتهمه الرئيس السادات بالعمالة لموسكو.. وهي تهمة كانت توجه لعديد من اليساريين العرب في حقبتي السبعينيات والثمانينيات.. وفى السنوات التي سبقت اعتزاله السياسى رفض المشاركة في انتخابات الرئاسة في مصر ليقينه بأن الانتخابات لن تكون نزيهة يرى البعض في تخليه طوعا عن قيادة حزب التجمع مثالا للحكومة والمعارضة في أهمية التغيير وتداول السلطة.. نشر مذكراته في كتاب بعنوان "الآن اتكلم".. وهو ابن عم زكريا محيي الدين مؤسس جهاز المخابرات العامة المصرية.

الناصر) إن رأيه أن يعهد إلى بمسئولية أخبار اليوم ولو لفترة مؤقتة حتى يستطيع أن يجد مرشحاً معقولاً لأخبار اليوم لأن هناك عناصر في التنظيم تساند أخبار اليوم لكنه في رأيه ما جرى تجاوز ما كان يقدره بصرف النظر عن أنه كان يريد جرعة يسار تنشط الحوار لكننى قلت له إننى موجود في الأهرام ولا أستطيع الجمع بين الاثنين ويبدو غريباً جداً الجمع بينهم.

الشيء الآخر أنه كان في بعض المرات منافسة بين الأهرام والأخبار وكثيراً كان يعتقد أنه سيكون محبطا لهذه المنافسة والتى كنت أعتقد أنها حية وضرورية لهذه المهنة.. والأستاذ (خالد محيى الدين) صديق وأنا لا أتصور أن أحل محله.. وكان مشروع الأهرام قرب على الانتهاء وأنا أعرف حدودى سواء في المهنة أو في السياسة.. وأنا أعمل صحفيا فقط ولا أريد شيئاً خارج هذا العمل. ففي يوم من الأيام عرض علىّ الرئيس السادات منصب نائب رئيس الوزراء سنة ١٩٧٥ وقال لى "انت معندكش طموح" فقلت له طموحى في السماء لكن كله داخل هذه المهنة.

وقلت لـ (عبد الناصر) إننى صحفي ولا أتصور أن أجمع بين شيئين متناقضين.. فقال لى لا يوجد حل سوى أن أذهب وبالفعل ذهبت لأخبار اليوم لمكتب (خالد محيى الدين) وكان متفهما للظروف.. وأنا كنت أريد أخبار اليوم في وضعها الطبيعى وكل ما أريده شيء مهنى وأنا جئت لأخبار اليوم.. ودخلنا في عام القلق ومشكلة احتكاك مع التنظيم.. فهم كانوا ينظرون للصحافة نظرة معينة وأنا كانت لى نظرة أخرى.

وما قمت به في أخبار اليوم أشياء استُغلت ضدى فيما بعد أول شيء قلت إننى موجود في الأهرام وهناك منافسة ولا بد أن يكون لأخبار اليوم استقلالها في عملها وفي ما تؤديه من رسالة مهنية.. وأول قرار أخذته هو تعيين الأستاذ (جلال الدين الحمامصى) وطلبت ورجوت جلال الدين الحمامصى.. وهو صحفي له قدره في المهنة.. أن يجيء مشرفا عاما على أخبار اليوم وهو صحفي قديم ومحترف وكان يدرس وقتها في الجامعة الأمريكية بعد أن أقصاه (كمال رفعت) وعمل في الجامعة الأمريكية.. وكان يدرس الصحافة.. وأرسلت له خطاباً قلت فيه:

"عزيزى الأستاذ (جلال الدين الحمامصى)

يسعدنى ان أعزز بهذا الخطاب اتفاقنا الذي تتولى بمقتضاه منصب مشرف عام على التحرير لدار أخبار اليوم.. وأنكم ستباشرون اختصاصاته وفق السياسة التى يرسمها مجلس إدارة المؤسسة وقلت له الراتب هو ٥٠٠٠ جنيه في السنة وهو راتبى أيضاً وكان أقصى حد للرواتب.

ووقتها كانت هناك أصول وحدود للرواتب فكنت أحصل على ٥٠٠٠ جنيه في السنة وكنت رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير وكاتب مقال أسبوعى ومخبرا صحفيا. وعرضت عليه وأعتقد أنه كان أفضل اختيار يُتخذ في ذلك الوقت.

الاختيار الثانى أخبار اليوم الأسبوعية وكنت أفكر في من أعرض عليه هذا المنصب فوجدت الأستاذ (إحسان عبدالقدوس).. وكان في روزاليوسف.. وكنت أعرف ظروفه وكنت متردداً في أن أعرض عليه الأمر.. وعرضت عليه ورحب وأرسلت له جوابا ليكون رئيس تحرير أخبار اليوم وطلبت منه أن يوقع بالموافقة إذا كان يوافق.

وبالنسبة لآخر ساعة فعرضت على الأستاذ (يوسف السباعى) وهو رجل له قدر وهو صحيح ضابط لكنه رجل دائما يتصل بالأدب والفكر والكتابة إلى آخره وترجيته أن يأتى رئيس تحرير آخر ساعة.. واعتبرت أن ما قمت به لأخبار اليوم من الناحية المهنية أفضل شيء من الممكن أن أقدمه.. الكارثة الكبرى في ذلك الوقت أن مصطفي أمين أرسل لى خطاباً من السجن وعليه تأشيرة السجن ويأتى من الداخلية.. وقال لى:

عزيزى (هيكل).. أول مرة أكتب خطابا لك ولكننى أكتب لك لأقول إننى فرحت جداً بتعيينك لمجلس إدارة أخبار اليوم وأهنئ أخبار اليوم بالاختيار الموفق وأنت تعلم أنه كان من أمنيتى أنا وعلى أن تعود لأخبار اليوم وأن تعود أخبار اليوم إليك.. ولعلك تذكر أننى اقترحت هذا الحل في وقت من الأوقات فإن هذا في رأيى خير حل لمصلحة أخبار اليوم التى نحبها جميعا" وفي نهاية الخطاب إمضاء مصطفي أمين والرقيب.. ولكن هذا الجواب وهذه التعيينات في هذا المناخ الذي فيه احتكاك صنع لى مشاكل بلا حدود ويمكن تصورها.

بعض الناس قالوا لى فيما بعد أننى أخطأت في الذي قمت به وأن هؤلاء الناس كلهم تغيروا وكلهم انقلبوا على ما كنت أفكر فيه. وأنا كنت أقول إن الناس لم يتغيروا ولكن الذي تغير هو النظام وطبيعة النظام تغيرت.

في العادة وفي أى ظروف الصحافة جزء من الحياة السياسية في أى بلد.. ومن الممكن أن تكون هناك صحافة مستقلة بالكامل إذا كان هناك برلمان حر بالكامل وإذا كانت هناك جامعة مستقلة بالكامل.. وإذا كان هناك قضاء مستقل بالكامل.. فلا أحد يتصور أن الصحافة وحدها تستطيع القيام بالديمقراطية إذا لم نفهم أننا جزء من الحياة السياسية في البلد جميعها وأنها جزء من أحواله كما تطورت إليه.. ووقتها لم تكن هناك الصحافة الخاصة وكانت وقتها وعد مرهون بالمستقبل.. والصحافة الخاصة أيضاً تحتاج إلى نظر؛ لأن قضية التعامل مع الرأى العام في اعتقادي الشخصى لا يمكن أن تكون مسألة حكومة أو سلطة ولا يصح أن تكون مسألة رأس مال فقط وهنا مطلوب أوضاع وتصورات مؤسسية لكن هذا موضوع آخر. لكن وفي ذلك الوقت كانت هناك صحافة يسندها القصر وصحافة يسندها الوفد وصحافة يسندها الإنجليز ولم يكن هناك غير ذلك إلا أشياء على الهامش.

وهنا لا بد أن يكون وراء الجريدة موارد وهذه الموارد وراءها أفكار وقوة ومصالح ولكن في هذه الحالة التى كنا فيها بوجود ثلاث قوى مؤثرة.. الإنجليز والقصر والوفد في الشارع الذي يمثل الرأى العام لا بد أن يكون هناك سند مع تنظيم الصحافة.. وحاولنا من خلال قانون الصحافة أن تكون هناك ضمانات من خلال المهنة والمؤسسات نفسها.. ولكن هذا لم يكن وضعا عاما لكننى استطعت أن أعمله في الأهرام في مرحلة من المراحل وفي أخبار اليوم.. لما دخلت الصحافة العربية المتحدة وانطبق عليها قانون الصحافة العربية المتحدة.

وفي التعيينات التى قمت بها لم أذهب للمجلس الأعلى للصحافة؛ لأنه لم يكن موجودا ولم أذهب لتنظيم سياسى.. ولكن بمقتضى المسئولية فأنا الذي أعين وأنا أقول من يأتى ومن لا يأتى.. على الرغم من أن هذا الموضوع جلب لى العديد من المشاكل.. فالناس لم تتغير فالذي تغير هو الوضع السياسى كله.

وباختصار في سنة القلق موضوع الصحافة وأنا موجود في أخبار اليوم حاولت أن يكون للناس وجود وجمهور الذين كان لهم وجود سابق في المهنة ولديهم قناعاتهم والتى تحكمها التزامات موجودة مقتضى قانون الصحافة العربية المتحدة في ذلك الوقت والذي قلنا فيه التزمنا بالدستور والميثاق.. وبعضهم بالفعل تغير وبعضهم أناس

هاجمونى وأنا مستعد أن أفهم مع تغير الظروف والأحوال من الممكن أن يهاجمنى أحد لكننى اتبع قاعدة عدم الرد على أحد وحتى هذه اللحظة لا أرد على أحد.. ومن حق أى أحد أن يتكلم.. وبعض المرات يحكى البعض عن وقائع لم تحدث معى وأنا لا أكذب وأترك للزمن والتاريخ ليؤكد الصحيح.. ومسألة الرد على الهجوم مضيعة للوقت أنا في غنى عنها.

ذهبت من أخبار اليوم.. وجاء بعدى الأستاذ (محمود أمين العالم) وهو أيضاً لا يخفي انتماءه السياسى وكنت قلقاً من هذه المسألة.. وكان أصحابه قوميين.. وهم والتيار الدينى.. فلا يمكن أن تقوم في مصر ديمقراطية إلا إذا سمعت أصوات اليمين الدينى واليسار العلمانى.

وكانت الأهرام طرفا موجودا في الحوار الوطنى.. الأستاذ (حلمى مراد) الذي كان وزيراً للتربية والتعليم.. وقد سمعته أثناء حركة الشباب وقدمته لـ (جمال عبد الناصر) ودخل الوزارة وأصبح وزيراً للتعليم لكن بدا وجود أشياء تحيط به أدت لسوء الحظ ليس فقط لخروجه من الوزارة ولكننا اُتهمنا.. وأنا أقول هذا لأول مرة ومعى محضر مجلس الوزراء.. ولأننا قدمنا (حلمى مراد).. يمت بصلة نسب إلى الأستاذ أحمد حسين.. فـ(حلمى مراد) كان رجلا قانونيا متكلما وكنا سويا في السجن أثناء ١٩٨١ وتكلمنا في هذه الظروف وراجعنا بعضنا مرة أخرى.

وأجد (جمال عبد الناصر) وجه الكلام له في محضر مجلس الوزراء يوم ٦ يونيو.. أنه قبل الدخول لجدول الأعمال أريد أن أتحدث في موضوع بصراحة وأنا أعتقد أنكم هنا تقولون كل آرائكم وأتحدث معكم وأنا أعرف الحوار حول السياسة الداخلية والخارجية ومن يتعرض فيكم للضغط لا بد أن يخبرنى ونحن في مجلس الوزراء قصدت حقائق الموقف العسكرى والسياسى تبقى موجودة أمامكم.. وأنا أرى أن هناك أشياء تتسرب من هذا المجلس وهذا خطر في هذا الوقت.. خاصةً فيما يتعلق بما يجرى في ميدان القتال أو في شأن علاقتنا مع الروس.. ونوه على تسرب أشياء في بعض الجلسات وقال إنه ينظر في اتجاه الدكتور (حلمى مراد) وقد وجهت له بعض الأحاديث.

وحدث بالفعل أن (حلمى مراد) كان متحمساً ويتحدث مع (أحمد حسين) ولكن الكلام كان يخرج في صورة منشورات توزع في الجامعة وفي أماكن أخرى بما فيها

أشياء لا داعى أن تقال في الخارج خاصةً فيما يتعلق بالموقف العسكري وبما يتعلق بالعلاقات مع السوفييت والتى فيها شد وجذب.. وهنا قضايا كان لا يجب أن تخرج وهنا استقال (حلمى مراد).. وحُسبت علينا هذه المسألة.

وفي مسألة القضاء وما جرى وما سمى بمذبحة القضاء سنة (١٩٦٩) وهنا مشكلة موجودة في القضاء ولا تزال موجودة.. ويحدث في القضاء أشياء كثيرة جداً وأنا أحترم القضاء.. و(جمال عبد الناصر) مثله مثل أى فلاح ومثله مثل أى صعيدى يعرف معنى قيمة العدل في هذا البلد وهى مرتبطة بحياته في توزيع المياه مياه النيل من أول التاريخ.. فرعون كان يستمد جزءاً كبيراً جداً من شرعيته من عدالة توزيع المياه على الأرض وعلى الفلاحين.

ووجدت مرة الرئيس (عبد الناصر) في حيرة بعد أن جاء له جواب من (الملك سعود) في ذلك الوقت ولجأت إليه السيدة ناريمان صادق زوجة الملك فاروق تطلب الطلاق من شخص تزوجته بعد الملك فاروق وكتب الملك سعود جوابا لـ (عبد الناصر) أن يساعدها في الطلاق وأنها قضية موجودة أمام المحاكم.. فلم يتصور (عبد الناصر) كيف يتدخل في حكم المحكمة.. ووقتها لم تكن هناك أراضٍ ولا مصالح من التى توزع وكان هناك مسائل وآراء واضحة واختلافات وأخطاء ولم تكن المصالح الشخصية موجودة.

وكنت أحترم المستشار ممتاز نصار والذي كتب لى مذكرة طويلة ووضع معها مذكرات للسيد على صبرى في جريدة الجمهورية تتحدث عن القانون وأنه لا بد أن تتفق مع حركة المجتمع وتتفاعل معه والقضاء.. وكان من بينهم مقال مهم حول مشاركة رجال العدالة في العمل السياسى.. ورأى ألا يدخل التنظيم لا في القوات المسلحة ولا في القضاء.. وكان هناك غضب بين القضاة لوجود محاولات من محمد نصير وزير العدل في ذلك الوقت أن يكون هناك تنظيم سرى في القضاء.. وذهبت لـ (عبد الناصر) بمذكرة (ممتاز نصار) والكلام الموجود.. ولكن (عبد الناصر) كان يعانى من مشكلة صحية وسأتحدث عنها فيما بعد.. وشكلت لجنة برئاسة السادات وبها على صبرى ووزير العدل وبعض الناس.. واتخذت هذه اللجنة قرارات بإقصاء بعض القضاة.. وأنا كنت من أحد الناس غير المتحمسين لهذا.

طلبت (جمال العطيفي) وأتى لى في الإسكندرية مرة وسمعت منه المشكلة عن القضاء.. وما يجرى في القضاء وكان معى موعد في نفس اليوم مع (جمال عبد الناصر) في المعمورة.. وطلبت من (جمال العطيفي) أن يأتى معى وينتظرنى في السيارة لأنه تحدث معى في السيارة وأنه يريد أن يسمع منى كل شيء في القضاء.. واستمعت للعطيفي ودخلت لـ (عبد الناصر) وقلت له على ما سمعته عن القضاء في ذلك الوقت.. وأن الموضوع يقتضى تدخله وكنت أتمنى أن تسمع ما سمعته من العطيفي.. فقال لى إنه ليس لديه مانع من أن يسمع منه وطلب منى حضوره ودخل العطيفي وتحدث وانضم لهذه اللجنة.. وأمكن تحديد هذه الإجراءات.. وأنا هنا معى صورة وثيقة لاستقالة وزير العدل.. وكتب وزير العدل استقالته في ورقة واحدة قال فيها: السيد رئيس الجمهورية أرجو التفضل بقبول استقالتي.. لأن موضوع التنظيم السياسى في القضاء وقف وهنا حوار وجدل مع التنظيم وخارجه.

وقد أتى لى الكثيرون من القضاة مثل (صلاح غزالة).. (حلمى قنديل).. (سليم عبدالله).. (يحيى رفاعى).. (فتحى نجيب) كلهم قابلونى ونقلت وجهة نظرهم. وفي ذلك الوقت كان هناك ضيق شديد للغاية مما نقوم به وبدا هناك تحريض شديد. ففي مرة كتبنا عندما أثار (جمال العطيفي) في اجتماع تحريرى في الأهرام موضوع هام وهو وجود قوانين تنشر بأثر رجعى ومن غير تاريخ في الوقائع الرسمية فقلت له أن يكتب هذا في مقاله في الأهرام.. الأمر الذي أثار غضب التنظيم.. وكان وقتها (عبد الناصر) في فترة نقاهة ومعه على صبرى ومعه حسين الشافعى وأنور السادات.

بالنسبة لطبائع البشر هناك التأثر والتأثير ونحن من الممكن نكون قد أفرطنا في مرة أو أخطأنا.. فمرة عاتبنى (عبد الناصر) يوم انتخابات اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكى وكان هناك ثلاثة من أصدقائى وهم (سيد مرعى وعزيز صدقى وحسن عباس زكى) يريدون ترشيح أنفسهم في اللجنة التنفيذية فسألونى فقلت لهم إننى لا أعرف.. وأنا شخصياً لا أنصح لأن التنظيم سيكون له رأى.. ودخلوا الانتخابات وسقطوا جميعا لأنه كانت هناك قوائم بمن يريدهم التنظيم.. وفي هذا اليوم كنت موجودا في مبنى الاتحاد الاشتراكى مع سيد مرعى وعزيز صدقى وكان يريد الأخير الاستقالة رافضا ما حدث وأنه أهين.. وأنا في هذه اللحظة كنت مستفزا مع عزيز.. وفي هذه

اللحظة جاء السيد (شعراوى جمعة).. فقلت له بهزار أنا لو موجود غداً في الأهرام سأكتب عنوانا: "نجح على صبرى وسقط بيان ٣٠ مارس".. وعند وصولى للمنزل وجدت الرئيس يطلبنى فاتصلت به فقال لى إنه زعلان منى بسبب كلمتى وهى نجح على صبرى وسقط بيان ٣٠ مارس.. فقلت له إننى قلت ذلك وأنا أتأسف وأننى سببت الحرج في ظرف أن هناك معارك مستمرة.

وعندما نُشر مقال (العطيفي) وجدت الأخير غير موجود وجدت أنه اعُتقل وهناك تحريض.. فالرئيس كان موجوداً في القناطر ونتصور ما الذي يمكن أن يحدث.. وأن هذا بدا لو أنه اتهام للنظام بالتزوير.. واعتقل (العطيفي) في ثورة غضب لم يكن لها لزوم لكنها في ذلك الوقت من طبائع البشر.. ولما اعتقل (العطيفي) تحدثت مع (شعراوى جمعة).. وزير الداخلية.. سألته عن (جمال العطيفي) قال لى تحدث مع الرئيس.. وقال لى إنه لم يتم اعتقاله بالأهرام ولكن على سلالم وزارة العدل.



ولم يشأ عام القلق كما سميته أن يرحل إلا وقد أصابتنا صدمتان.. إحداهما في الربيع.. والأخرى في الخريف. الصدمة الأولى وقعت في ٩ مارس سنة (١٩٦٩).. وبها تحول عام القلق إلى "عام الفزع" على حد تعبير الملكة (إليزابيث) ملكة انجلترا.فهذا اليوم "٩ مارس" الذي استشهد فيه الفريق (عبدالمنعم رياض).. وهو الرجل الذي يملك الكفاءة.. وكانت لديه الرؤية والتكليف أن يخوض معركة عبور القوات المسلحة المصرية في الحرب عندما يجيء الموعد.

وكانت في اعتقادى صدمة كبيرة جداً ففي ذلك اليوم كانت المرحلة الثالثة من حرب الاستنزاف.. وكنت قد تحدثت عن المراحل الأربع لحرب الاستنزاف قبل ذلك وكانت هناك معركة على الجبهة وضرب في العمق لغارات قامت بها إسرائيل لتتخلص مما بدا تفوقا ملحوظا ومؤثرا على الجبهة وهناك معركة دبلوماسية في الخارج والمعركة السياسية الداخلية.

معركة ميدان القتال كانت هى المستحوذة على كل اهتمام الناس في واقع الأمر وهى المعركة التى لها الأولوية.. وفي يوم ٨ مارس كانت المرحلة الثالثة من العمل المصرى وكانت هناك عملية كبرى تضمنت ضرب المدفعية مع عبور دوريات وأظن أنها

كانت ناجحة.. وهنا أتحدث عن درجة محدودية القتال.. فالإشارة الملتقطة باللاسلكى بعد حل شفراتها يفيد أن قائد مدرعة إسرائيلى أبلغ عن ٢٧ قتيلا فى وحدته وأبلغ كذلك عن عشرات الإصابات.. وعندما تلقى (عبدالمنعم رياض) هذه البلاغات قرر الذهاب لميدان القتال فى اليوم التالى لأسباب لا أعلمها.. وبدا لى أن (عبدالمنعم رياض) أراد نتائج أكثر من ذلك فقرر الذهاب بنفسه ليرى المواقع وآثار الضرب.. ويسمع التقارير ويرى العملية بنفسه.

وكان رياض من القادة الذين يفضلون الوجود باستمرار بين جنودهم.. ورغم أنه كان رئيس هيئة أركان حرب وليس مطلوبا منه أن يذهب كل يوم إلى الجبهة.. إلا أنه كان حريصا على أن تشعر قواته بوجوده.. وذهب ظهر ذلك اليوم إلى الجبهة وراح يتفقد بعض المواقع.. وقيل إنه تحدث مع الضباط حول نقطة مهمة وهى أن الإسرائيليين يضربون عشوائيا لأن أى ضربة تصيب أهدافا مدنية أو عسكرية.. وأننا نحتاج لدقة تصويب أكثر لأن العدو أمامنا.. ولأنه هنا يضرب جامعاً.. أو مصنعاً وحيثما يضرب يصيب هدفا.. وحدثهم عن دقة التصويب والنتائج لأنه لم يكن راضيا عنها.

كما أراد الاطمئنان على دورية المدفعية التى كانت خلف خطوط العدو.. وأثناء وجوده على خطوط الجبهة.. قال له أحد الضباط "ألا تريد أن تلقى نظرة على وحدتنا.. فوافق (رياض) كما روى لى.. وكان تعليم (عبدالمنعم رياض) أجنبيا وفى إنجلترا.. فقال بالإنجليزية إنه "يوافق بكل الوسائل".. وفى هذا الموقع بالتحديد سقط صاروخ وأظنه لم يكن مصوبا عليه.. ليستشهد (عبدالمنعم رياض) فى نفس اللحظة.

جاءت البلاغات للقاهرة بإصابة (عبدالمنعم رياض) واستشهاده ولم يصدق أحد الخبر لكن أكده أناس من الجبهة.. وكان معه اللواء عبدالتواب هديب واللواء عدلى سعيد وأحدهما تعرض لإصابات طفيفة.. وأدى تفريغ الهواء لاختناق فى الرئة ليستشهد رياض فى لحظات. وأرسل اللواء عدلى سعيد بلاغا للرئاسة يفيد باستشهاد (عبدالمنعم رياض) وكان هناك اجتماع فقال الفريق (فوزى) إن إعلان خبر استشهاد (عبدالمنعم رياض) قد يكون مصدرا لسعادة العدو لأنهم أصابوا قائد أركان الحرب.. واقترح الفريق (فوزى) أن يقال إن (عبدالمنعم رياض) راح ضحية حادث.

ولكن كان رأى (عبد الناصر) مخالفا وقال إن (عبدالمنعم رياض) يستحق كل التقدير.. وليشمت الإسرائيليون كما يريدون لكن عبدالمنعم رياض.. كان قد استشهد فمما يشرفه ويشرف القوات أنه اسشتهد في ميدان القتال وأى كلام عن حادث سير لا بد من استبعاده".

وعندما بلغنى شخصيا خبر وفاته لم أكن لأصدق فقد كنت قريبا منه جيدا وكان (عبد الناصر) يعتبره قائدا للمعركة المقبلة.. وكان الفريق (فوزى) وضع للتنظيم ورياض الخطة وقيادتها.. وكان قد وضع الخطة أو الخطط الأولى على أى حال وهيكلها الرئيسى.

وكنت أعتبر أن (عبدالمنعم رياض) بالفعل مؤهل وأنا كصحفي لدى فكرة عن ميدان الحرب وقابلت عدداً كبيراً من القادة.. وأنا كنت أرى أنه بالفعل مُهيئاً لأن يقود الحرب ولأسباب مختلفة عن التى كان يراها (عبد الناصر).. ولما بلغنى النبأ ـ وكنت أتابع ما يقوم به.. وتصوراته في الخطة المقبلة ـ وكان حالى في ذلك الوقت مشابها لبيت الشعر الذي قاله المتنبى :"طوت الجزيرة حتى جاءنى نبأ.. فزعت لآمالى إلى الكذب".

ولم يكن أحد ليصدق أن (عبدالمنعم رياض) رحل بهذه البساطة وبهذه السرعة.. وينشغل معظم العسكريين دائما بالتنظيم والقتال وفي المجال التكتيكى.. وقليل من يكون لديهم تصور استراتيجى.. فالثقافة المتعددة الجوانب التى تسمح له برؤية الحرب في مجال الصراع الإنسانى.. تختلف عن كونها اشتباكات صغيرة أو صراع دبابات وكان لديه "رياض" الرؤية التاريخية للحرب.

أول مرة رأيت فيها (عبدالمنعم رياض) كانت في نوفمبر سنة ١٩٥٧.. وكان الرئيس (عبد الناصر) مدعواً للمشاركة في الاحتفال بالذكرى الأربعين للثورة الشيوعية في موسكو.. لكن بعض الأسباب حالت دون ذلك ومن بينها انشغاله بقناة السويس.. الشيء الآخر أنه كان هناك تجمع عربى في السعودية.. وكانت مشاركة (عبد الناصر) في احتفالات الثورة الشيوعية تضايق من هو ضد الاتحاد السوفييتى.. وذهب (عبدالحكيم عامر) بدلاً من (عبد الناصر).. وقبل الرحلة بيومين طلب الرئيس أن أذهب مع الوفد يوم ٧ نوفمبر.. لأنه كان يريد منى نظرة سياسية وأن أقول هناك ما الذي حدث لأنه في ذلك الوقت كانت هناك تغيرات كبيرة في الاتحاد السوفييتى..

وكان خروشوف وبولجنين بدا يظهرا على القمة وبدا هناك وضع آخر للاتحاد السوفييتى..وعرف أن ماوس تونج سيذهب ليحضر الاحتفالات.. رغبة منه لرأب الصدع الصينى مع الاتحاد السوفييتى.. وبالتالى أصبح اجتماعا مهما.. إضافة إلى أن الكثيرين من العالم أيضاً سيحضرون.. وكان وقتها دور الاتحاد السوفييتى كبيرا في العالم خاصة في أفريقيا وآسيا.. وبين قدراته التكنولوجية خاصة في الصواريخ وإطلاق سبوتنيك إلى آخره.

طلب منى (عبد الناصر) أن أذهب مشيراً إلى أن العسكريين لا يعرفون التحدث جيدا وكان يقصد (عبدالحكيم عامر) بالتحديد.

وأول مرة قابلت فيها (عبدالمنعم رياض) كان في ٧ نوفمبر ١٩٥٧ في الطائرة.. ولم يلفت رياض نظرى.. وعند الوصول فضلت أن أكون بعيدا عن الوفد لأنه كان هناك تدافع على غرف الفندق وكان معنا رجل ينظم الوفد هو الضابط سيرجو تشفرلسكى.. فذهبت له وطلبت أن يساعدنى لأجد فندقاً آخر غير فندق أوكرانيا وهو من المبانى السبعة الشهيرة التى بناها ستالين لتكون رمزاً لما تصوره من عظمة الاتحاد السوفييتى الثقافية.. وكان "المبنى" ضخماً للغاية وعلى مساحة واسعة.. ورفضت النزول فيه وطلبت من تشفرلسكى أن أنزل في فندق آخر فقال لى إن هذا غير ممكن وأن هذا الفندق مخصص وأن الوفد العسكرى سيجلس فيه فقلت له أننى غير عسكرى وأننى لم آت مع الوفد بشكل رسمى ووجدت وقتها ضابطا واقفا بالخلف يريد تشفرلسكى.. فقال لى (عبدالمنعم رياض) أن لا أضيع وقتى معه لأن الترتيبات صارمة ولن أستطيع أن أخرج.

وفي ليلة نفس اليوم في مبنى وزارة الدفاع نظم عشاء للوفد المصرى العسكرى وكانوا راغبين في إكرامه وكان نجوم الحرب كلهم موجودون.. وأتذكر ما كنت أقرأه عن الجبهة الروسية في الحرب العالمية الثانية وأجد الأساطير مارشال كوينشكو ومارشال كونييف الذي قاد الدبابات إلى برلين مباشرة وأيضاً كوسوفسكى وكل مارشالات الاتحاد السوفييتى الذين نسمع عنهم في القصص..

وكان بجوارى مارشال رانديكو قائد القوات الجوية لكن وجدت (عبدالمنعم رياض) في الناحية الأخرى من نفس المائدة وحدث إشكال بينى وبين روندكو لأننى حاولت أن

"أتشاطر" عليه أكثر من اللازم.. وكان يشرب الفوديكا في كأس وطلب منى الشرب فاعتذرت ولم يكن يتحدث لغة أفهمها ولا أنا أتحدث الروسية.. وبعد ذلك "تشاطرت" عليه وكنت أشرب ماء في كاسى وفي المرة الثالثة أمسك يدى وقال "الضيف الذي بجوارى يغش" ثم تحدث معه (عبدالمنعم رياض) قليلاً ثم تأسف المرشال لى بعد ذلك.

وبعد العشاء طلبت من (عبدالمنعم رياض) أن يحكى لى ماذا حدث فقال لى؟ إنه شرح له ما الذي يمنعنى واكتشفت أن (عبدالمنعم رياض) يتحدث الروسية بطلاقة بجوار اللغة الإنجليزية التى تعلمها في مدرسة العسكرية "بلاركل" لثلاثة سنوات وذهب إلى كلية فونزى بعد حرب السويس مباشرة وبدا يدرس فيها وبدا يتعلم اللغة الروسية. وفي اليوم الثانى كانت هناك راقصة بالية شهيرة جداً هى إرى نيلوفا وهى أسطورة عالم الباليه وكانت ستؤدى رقصة وداعية على مسرح البلشواى وجلب لنا مكتب الاتصال العسكرى تذاكر قليلة.. لكن كان هناك على أى حال.. خيارا بين الذهاب للمسرح وكباريه شهر زاد.. وأخذت تذكرة لأشاهد إريدا إرينوفا وإذا أجد بجوارى في المسرح عبدالمنعم رياض.. فقلت له لم أكن أتصور أن ضابط جيش يهتم بمشاهدة إريدا إرينوفا فقال لى كلمة معبرة جداً .. "أنكم تضعون الناس في قوالب.. فما الخطأ أن يجلس ضابط جيش ويشاهد البالية ويقدر من هى إريدا إرينوفا" فاعتذرت له.

وعدنا إلى الفندق بعد انتهاء العرض وتحدثنا عن الاتحاد السوفييتى ووجدته يقول لى تحليلا دقيقا لتناقضات المجتمع السوفييتى ولأسباب قوته.. قال لى "نحن رأينا صورة للباليه وأنا سأخذك لترى صورتين" وذهبنا إلى شارع جوركيه والذي فيه الفنانون والرسامون.. ثم ذهبنا لمحطة سكة حديد كييف وطلب منى الجلوس وأن ننظر إلى الناس وقال لى: "إذا أردت أن تعرف حالة الشعب فاذهب لمحطة سكة حديد" واستغربت ووجدت خطوط تفكيره.. ثم تحدثنا عن إسرائيل والصراع العربى الإسرائيلى وأظن أننى أجد واحداً من أوضح الناس فكراً في تصور إسرائيل ووجدت الخطوط الإستراتيجية في تفكيره. وقال لى الحرب في سيناء وحدها ولكى نصل لموقعها على الحدود أمامنا مسافات طويلة جداً والوصول إليها في منتهى الصعوبة.. وأن هذه القوات عندما تندفع سيبقى أمامها مسافة مكشوفة إما شمال غزة وإما شمال بيت لحم والخليل. وأنه إذا أردنا أن نقوم بمعركة حقيقية مع إسرائيل فلا بد من جبهة شرقية مع

إسرائيل.. والسويس تشعرنا بأهمية هذه الجبهة ويقول لى عن الحرب المقبلة "الصحراء مكشوفة أمام قواتنا والفراغ موجود إلى درجة الوصول لأهداف يمكن التمسك بها.. ومع تفوق الطيران الإسرائيلى ستبقى خطرة للغاية.. وهذا الأمر يتطلب أن يكون الجيش المصرى قادرا على عبور هذه المسافات بسرعة خاطفة وسريعة".

كان وقتها (عبدالمنعم رياض) عميدا ولم يظهر لى كضابط يتذوق الباليه أو يتجول بشارع جوركى لكن في نفس الوقت يذهب لمحطة كييف وينظر للشعب العادى ويدرك تناقضات الاتحاد السوفييتى.. وهو ليس رجلا تعلم فقط في إنجلترا وبدا يفهم دوره ولكن بدأ يقدر ويقول لى في ذلك الوقت إن الطيران هى نقطة التفوق الإسرائيلى ونحن نستطيع التغلب على هذه النقطة وأننا يصعب علينا اللحاق بهم ولكن من الممكن أن نلغى أثره بالصواريخ وأن الصواريخ هى سلاح المستقبل وهى شكل الحرب المقبلة وأن هذا هو أملنا في الحرب المقبلة ضد إسرائيل.. فوجدت أمامى ضابطا لديه ثقافة وفكر وكان لديه هاجس باستمرار الإسرائيليين.

ويوم استشهاد (عبدالمنعم رياض) كان الإسرائيليون يتابعون هذا الاستشهاد وأظنهم كانوا يتحسبون منه وأظنهم كانوا يخفون شماتتهم منه يوم رحيله.. ولكن نجد برقية من السفير الأمريكى المقيم بالقاهرة في ذلك الوقت يقول فيها إن سفيرهم في إسرائيل ريتشارد باركر سمع الجنرال ديان يسأل "هل يا ترى (عبدالمنعم رياض) وكل ما له من شعبية من الشعب المصرى.. إذا يأس من إمكانية معركة هل يمكن أن يقود انقلابا ويجمع البلد حوله ويقوده ضد (جمال عبد الناصر)؟" أظن أن ديان كان متفائلا لأن العلاقة بين الاثنين كانت قوية للغاية.

ومن أجمل ما قيل في وفاة (عبدالمنعم رياض) شعر كتبه نزار قبانى وكان ممنوعا وقتها من دخول مصر بسبب قصيدة كتبها.. وقال نزار في رياض.

**لو يُقتلُونَ مثلما قُتِلتْ..**

**لو يعرفون أن يموتوا مثلما فعلت..**

**لو مدمنو الكلام في بلادنا يبذلون مثل ما بذلت..**

**يا أشرف القتلى.. على أجفالنا أزهرت..**

**الخطوة الأولى إلى تحريرنا أنت بها بدأت..**

يا أيها الغارق في دمائه جميعهم قد كذبوا..

وأنت قد صدقت..

جميعهم قد هُزموا ووحدكَ انتصرت ..

وتحدثت مع (عبد الناصر) بعد عودتي من الاتحاد السوفييتي عن كل ما جرى وتحدثت مع عبدالحكيم ومن ضمن ما قلت له أنني رأيت ضابطا من نوع مختلف "عبدالمنعم رياض".. وبدأ يحكي لي عنه وأسمع منه أن (عبدالمنعم رياض) قضية أخرى. ولما جاء وقت مؤتمرات القمة سنة ١٩٦٣ ووقتها قامت إسرائيل بعمليات تحويل مياه الأردن.. فإذا ب(عبد الناصر) يرشح (عبدالمنعم رياض) رئيسا لأركان حرب القيادة العربية الموحدة والقائد على عامر.. وتحدث (عبدالمنعم رياض) على أهمية الجبهة الشرقية وأنها مقتل إسرائيل وقال أنه ليس مصادفة أن إسرائيل موجهة كل الجهد إلى الأردن وأن نشاطها المخبراتي مركز في الأردن بشكل واضح ثم بدأ (عبدالمنعم رياض) بالتنقل بين العواصم العربية ويذهب إلى كل الجبهات العربية وهنا يوجد قائد مرموق ومتميز ومختلف وكل المهام تتسق مع فهمه وكلف بمهام جزء كبير جداً منها عن الجبهة الشرقية.

وفي أزمة مايو ١٩٦٤ بدأت الأزمة في الكبر وسمعت أن (عبدالمنعم رياض) يريد الحضور ويتابع الجبهة بنفسه وبعد تعقد الأزمة.. وجدته عند محمود رياض.. وزير الخارجية.. في وسط الأزمة.. وكان متجهما أكثر من العادة.. فقال لي "محمود " أن (عبدالمنعم رياض) قام بشيء صعب.. وقرر العبور مع إحدى الدوريات الداخلة لكي ترى ما الموجود في الخلف وهو رئيس أركان حرب القيادة الموحدة.. وكان محمود رياض قلق لدخول (عبدالمنعم رياض) ووصوله بعيداً في منطقة العوجة ولمدة يومين غاب عبدالمنعم رياض.. ولما أخبرني محمود رياض.. وأعلنت إسرائيل أنهم ألقوا القبض على دورية مصرية واعلنوا اسماء عساكر وضباط لم يكن هو منهم.. وفي اليوم التالي فجرا عاد عبدالمنعم رياض.

فقلت له لا أحد يفعل ما تفعله ولقد حبست زمنا فقال لي تعيش وتاخد غيرها.. فهو ضابط مقتنع بأن الوجود مع القوات بالغ الأهمية.. وحتى بعد ما جاء (عبدالحكيم عامر) والنكسة وبدأ الإعداد لعملية العبور بدا أن يكون باستمرار في كلامه أن

القوات إذا لم تشعر بأن قائدها معها فلا فائدة.. وهو يذكرني بطريقته المندفعة بروميل القائد الألماني الشهير وكان هناك تشابه بينهما.. وكان (جمال عبد الناصر) سنة ١٩٦٨ شعر بتعب ما وكان رياض بجوار فراشه ووقتها طلب السادات بأن يقوم الأطباء بالكشف عليه ومنهم الدكتور شازوف وكان وزير الصحة وأكبر الأطباء المشهود لهم في الاتحاد السوفييتي.. ورأيت (عبدالمنعم رياض) وقتها يتحدث مع (عبد الناصر) عن صحته فقال له إنه يريد أن يقول له شيئا.. خاصة أن رياض كان يشارك في اجتماعات حول الأسلحة والطيران السوفييتي.. ولكن رياض كان يتحدث عن خطة "الجرانيت" التي وضعها تقريباً قبل الاستشهاد وكانت تتضمن العبور تحت غطاء الصواريخ.. وفي أنواع الصواريخ وبالتالي هناك تصور واضح.. وبعد العودة كنت أقابله كثيراً وكنا نعلق عليه آمالا كبيرة ونجده "مرة واحدة أتخطف" في سنة القلق.. والتي بدت برحيله سنة الفزع.

صدمة أخرى أخذناها هذه السنة.. ففي يوم ٩ سبتمبر كلمني محمد أحمد سكرتير الرئيس قال لي إنني مطلوب بسرعة وذهبت.. ووجدت أحدا هناك يوجهني على مكتب سامي شرف.. ووقتها كنت أتابع تحركات (عبد الناصر) في الجبهة وكأنه يحاول تعويض غياب رياض وتقريبا أن هاجسه في ورقه وهو لم يكن يكتب كلمة العبور في ورق أنه في أول مرة تحدث عن القوات ويكتب كلمة العبور وضرورة سحبها من الميدان لتحصل على تدريب خاص لمدة أربعة أشهر.. وهناك ملامح خطة وعمل من المفترض القيام به. وعندما دخلت لمكتب سامي شرف لم أكن أتخيل وجود شيء متعلق بصحة (جمال عبد الناصر) وأنا أعرف أن لديه مشاكل الصحية منها السكر بعد ٥٨ ثم عاني من التهابات في القدم ونصحه الأطباء بأن يتعالج بمنتجع بالاتحاد السوفيتي وبالفعل ذهب وعاد وكنا نتصور أن المسائل انتهت.

وخلال فترة علاج (عبد الناصر) كنا مهتمين وننشر باستمرار ولم يكن فيها سر.. وكنا نتصور بعد عودته أن المسائل انتهت وتحت السيطرة.. دخلت غرفة سامي شرف ووجدت سامي.. وأنور السادات والفريق (فوزي) و(شعراوي جمعة).. وجاء بعدي أمين هويدي.. وقال لنا أنور السادات إن الرئيس أمر بتشكيل لجنة تتولى إصدار مهام الدولة

في فترة غيابه لأنه لديه إنفلونزا وسيبتعد لعدة أيام.. فلم أصدق هذا الكلام لأننى لم أدخل هذه اللجنة لأنى غير رسمى ولا علاقة لى بشيء.

وبعد قليل تحدث السادات مع (عبد الناصر) وقال لى سنذهب لنراه حتى تطمئن يا محمد وعندما صعدنا لغرفة نوم (عبد الناصر) كان جالسا.. فلم أصدق شيئا.. فقال له (عبد الناصر) "ما حدث أننى أصبت بنوبة قلبية".. وتدخل السادات وقال "لا يجب أن نعتمد على هذا الكلام ويجب أن نرسل للدكتور جورزوف".. وقال لى "ناصر" أنه يريدنى أن انضم لأقول لهم كيف يمكن أن يفكر في موضوع معين.. ولم يكن هذا الموضوع مطمئن وكان في ذهنى صدمة رياض في أول السنة وفي ذهنى رؤية (عبد الناصر) وجهده غير الطبيعى.. وكان يعرف بالخطط الأولى والتى سميت بالجرانيت وكان في ذهنى أن البلد في حرب والقائد المعد للحرب اختفي وها هو القائد السياسى الذي يقود المعركة.. يصاب بنوبة قلبية فقال لى "أنا لا أريد أن تقلق".. وكان يريد أن يسأل جوزوف "هل أنا صالح وقادر على القيام بمهام عملى؟".. وقال أنه يثق في الأطباء المصريين الذين أعطوه أدوية.. ويريد رأى جازوف كمحايد ليرد على سؤاله.

وكنت متخوفاً.. حيث فقدنا القائد العسكرى والآن القائد السياسى يترك موقعه لأسباب صحية ثم إلى أين؟.. وفي هذه اللحظات كنت أعتقد ان أنور السادات دعا إلى اجتماع هذه اللجنة لكى تبحث في موضوع "كيف يمكن أن يغطى غياب (عبد الناصر) لعدة أيام؟".. فقلت له يجب أن نعرف ما الموضوع أولاً.. فإذا كان الأمر سهلاً فيمكن تغطيتها أما إذا كان (جمال عبد الناصر) لم يعد قادراً على ممارسة مهامه.. فأظن أنه من الأفضل أن نعرف حقيقة هذه الوعكة.. فكل حالة من هذه الحالات تقتضى مقاربة من الناس..

وكان هناك جدول أعمال وقضايا للبت فيها.. وكانت القوات موجودة تؤدى دورها مع الفريق فوزى.. وكان (عبد الناصر) يقوم بمهام رئيس الوزراء أيضاً ونواب رئيس الوزراء كانوا يعملون.. ولم يكن أمامنا سوى الانتظار لمعرفة ما سيقوله جازوف.

وقال له (عبد الناصر): أنا لا أريد أن أكون جندياً هارباً لكن لا أريد ان أبقى في موقع قد لا أكون صالحاً للبقاء فيه وصحتى لا تساعدنى على اتخاذ القرار الصحيح.. وأريد منك أن تقول لى بكل أمانة وصدق إلى أى مدة يمكن أن تؤثر صحتى على عملى

وسلامة قرارتى؟ وطلب جازوف تحاليل.. وفي صباح اليوم التالى ذهب الطبيب إلى (جمال عبد الناصر).. وقال لنا إن الطبيب أعطاه شهادة بأنه قادر وأن صحته لا تؤثر على سلامة قرارته.. وهو لم يكن يتصور أن يهرب جندى من المواجهة بهذا الشكل.. وابتعاده في هذا الوقت عن صنع القرار في لحظة الأمة كلها تتطلع إليه.. وكانت العمليات قادمة وبالتقدير على أول سنة ١٩٧١ آخر الربيع.

وكانت هناك فرق مخصصة للعبور وأنا شخصياً نزلت وكنت مع شوزوف الذي كان مع الأطباء وسألته عن الرئيس فقال لى إنه لا يستطيع إخباري بالتفاصيل ولكنه يريد أن يقول إن مجرد سؤاله في هذه اللحظة "ما إذا كنت قادرا على أداء مهمتى".. يظهر أنه قادر على مهمته وأنه مستعد لها.. وأعتقد أن عنصر الإرادة عندهُ سيعوض أشياء كثيرة.. وبدا هاجس صحة (عبد الناصر) يقلقنى..



## ١٧

## وجاء نيكسون!!

أمامى ١٩ تقريراً كتبت في عام القلق في ظرف بالغ الأهمية والحساسية.. والوقت الذي انتهت فيه ولاية الرئيس (جونسون) في الولايات المتحدة الأمريكية ومجىء الرئيس (ريتشارد نيكسون) خلفا له وبدأ مهامه في البيت الأبيض ٢٠ يناير (١٩٦٩) هذه التقارير تثير اهتمامى لوضوح قدرة الأداء والسياسة ثم إن فيها نظرة ثاقبة لدبلوماسى اعتقد أنه يحتل مركزاً فريداً في تاريخ الدبلوماسية المصرية وهو د. (محمود فوزى).. وقد ذهب فوزى إلى واشنطن في الفترة التى استقرت فيها الإدارة الجديدة في الحكم.. وكتب من هناك ١٩تقريراً بمعدل تقرير كل يوم.. أراها اليوم ليس فقط لأهمية الموضوعات وأهمية المناقشات التى جاءت فيها.

لكن أيضاً لأنها تثير لدى الاهتمام بمدى الكفاءة ووجود نظرة مبكرة أطلت على الأجيال القادمة في الأفق البعيد.

لم تكن لتظهر بعد لكنها لعبت أدواراً مهمة جداً وخطيرة جداً في كل ما جرى فيما بعد.. وتثير هذه التقارير أيضاً نوعاً من الشجن لأنها تشعرنى دون أن أعارض أحداً بالفارق الكبير للغاية بين سياسة وسياسة وبين رجال ورجال وبين أداء وأداء.

وهنا أود الحديث عن بداية علاقتنا بالولايات المتحدة تحت إدارة (نيكسون) وقد جاءت هذه الإدارة في لحظة شديدة الحرج.. لأن (جونسون) قبله كان قد فعل معنا أشياء بعضها كذب صريح لأنه في ذلك الوقت قال إنه لن يرشح نفسه في الانتخابات وأمامه ٦ أشهر في الرئاسة وكان هذا الكلام في يونيو سنة ١٩٦٨ وأنه في هذه الفترة هو حر من أي ضغط ويستطيع أن يتخذ موقفاً عادلاً فيما يراه.. وكانت هذه أكذوبة لأنه في نفس ذلك الوقت ارتكب معنا جريمة في وسط غارات العمق التي كانت إسرائيل تقوم بها آخر ١٩٦٨.. وأوائل (١٩٦٩).. حيث زود القوة الجوية لإسرائيل بسبعين طائرة سكاوي و٣٤ طائرة فانتوم.. ولم يحصل عليها الحلف الاطلنطي.

ثم جاء بعده الرئيس (ريتشارد نيكسون) وكنا نعتقد أننا نعرفه لأنه كان مع أيزنهاور نائبا للرئيس في أيام السويس.. وبعد ذلك دخل مع جون كنيدي في منافسة على الرئاسة وفاز عليه كنيدي وبعد ذلك رأى (نيكسون) أن يطوف العالم.. وأرسل كنيدي خطابا أشرت إليه من قبل.. لأنه قال إن منافسه في الانتخابات يريد أن يطوف العالم ويريد أن يأتي مصر وطلب منا الاهتمام به.

ونحن كنا مستعدين لمقابلته والحفاوة به تقديرا لأيزنهاور في السويس لأنه وقف موقفا بالفعل مع المصالح الأمريكية لكنه كان ضد الدول المعتدية. وظل في مصر لمدة ١٠ أيام وكنت مضيفه غير الرسمي.. لأن الخارجية أو أي أجهزة أخرى لم تعامله وهو رئيس خاسر ويبدو في ذلك الوقت أنه رجل بلا مستقبل سياسي.. فلما وصل كان في فندق شبرد ذهبت له وكانت معه زوجته وابنتاه. وأخذته لأسوان ورأى السد العالي وبعد سفره أرسل لـ (عبد الناصر) يعبر فيه عن انبهاره بالسد العالي ويتحدث عن الروح الجديدة في مصر وأنه كان يتمنى أن تكون الولايات المتحدة هي المساعدة على بناء السد العالي.. وأنه لسوء الحظ سارت الأمور على شكل آخر.

وحتى لما أصبح رئيساً وقتها كنت أستضيف في مصر صحفياً كبيراً في أمريكا هو جوزيف ألسوب.. ولما انتُخب (نيكسون) أرسلت له الخارجية برقية تهنئة بالطريقة التقليدية.. وتحدث الصحفي ألسوب وقابلنا (جمال عبد الناصر).. بدأ يتحدث ونحن لا نصدق أن (نيكسون) رئيس متحيز لإسرائيل.. وأنه على الرغم من أن مستشار الأمن القومي لديه يهودي هو (هنري كيسنجر) فهو يؤكد أن كيسنجر لن يقترب من

الشرق الأوسط.. وقال ألسوب لـ (عبد الناصر) ابدأها من هنا يا سيادة الرئيس ووقتها صدرت البرقية بالتهنئة من وزارة الخارجية لأننا نعرفه واستضفناه من قبل وجاء رد الرئيس (نيكسون) أنه يأمل أن يحقق شيئا له قيمة في أزمة الشرق الأوسط.. وتم إبلاغنا بأنه سيرسل حاكم ولاية ويسكونسن وهو صديق لـ(نيكسون) لكي يزور المنطقة ويقدم تقريرا بحقائق يراها هذا الرجل.. وتقدم للرئيس.

ولكن وضح عندما جاء سكانتم أنهم يريدون التركيز على رسالة في هذا الوقت كانت مهمة.. وهي أننا متطيرون من أن مستشار الأمن القومي هو (هينري كسينجر)لأنه يهودي وآراء مسبوقة بانحيازات.. وعاش تجربة ألمانيا النازية وخرج مع عائلته وكان عنده وقتها ٩ سنوات آثرت فيه.. ثم ذهب للولايات المتحدة عمل خلالها كأكاديمي ممتاز وعمل لنفسه اسما معينا في مجال السياسة الخارجية.

وقال لنا إن للرئيس (نيكسون) رأى وهو مهتم بالشرق الأوسط أن يطمئن كل الناس إلى أنه قد أجرى توزيعا للاختصاصات في إدارته وبمقتضى هذا التوزيع فإن مشكلة الشرق الأوسط واقعة في اختصاص وزارة الخارجية ووزيرها في ذلك الوقت صديقه (ويليام روجرز) وزير الخارجية و(هينري كسينجر) لن يقترب من الشرق الأوسط.. وهذه كانت طمأنة مبكرة.. وعلى أى حال أنا أظن أنها أحدثت بعضا من الارتياح.. ولم نكن في ذلك الوقت نعرف (هينري كسينجر) ولكن كنا نعرف عنه ونعرف ما كتبه ولم يكن أحد لدينا قادراً في ذلك الوقت أن يضع (هينري كسينجر)في موقعه الصحيح في حالة إذا تولى منصباً يؤدى به إلى صوت مؤثر في توجهات الإدارة الأمريكية.

وتوقفت المسائل بعد ذلك لأننا أصبحنا نحتاج اتصالاً مباشراً مع الإدارة الجديدة ونتحدث مع الرئيس (نيكسون) بوضوح.. ولكن لم يكن أحد يريد أخذ الخطوة الأولى قد تبدو تلهفا أو عجلة.. وقد حصل في ذلك الوقت أن الرئيس السابق أيزنهاور كان قد توفي وبدا (نيكسون) يهتم بجنازته باعتباره كان رئيسا لفترة الرخاء والتميز الأمريكي.. أيضاً كان قائدا لقوات الحلفاء المنتصرة أمام هتلر.. وكرمه العالم في وفاته وذهب خمسون وفداً من العالم للعزاء وتقرر في ذلك الوقت أن يرأس د.(محمود

فوزى) وفداً للولايات المتحدة ليقدم واجب العزاء للرئيس الجديد على المستوى الرسمى والعام باعتباره قريباً لأيزن وذهب فوزى.

وأريد ان أطل على كيفية تصرف هذا الرجل في هذه المهمة وما الذي توصل إليه.. لأن الذي توصل إليه ما زال مؤثرا حتى هذه اللحظة مقدما ١٩ تقريراً.

حينما قابل الدكتور فوزى الرئيس (نيكسون) في مراسم العزاء.. وقابل وقتها (الملك حسين) ووزير الخارجية لكنه رأى أن يقابل (كسينجر) لأن هناك شيئا قد لفت نظره فعمل تقريرا.. ثم قابل (نيكسون) مرة أخرى ثم (الملك حسين).. وعمل انطباعات عن هذه المقابلات وتوصيات وهو موجود في واشنطن.. ثم عمل تقريرا عن مقابلة مع نائب وزير الخارجية (ريتشارد نيكسون) والذي أصبح بعد ذلك وزير خزانة.. وقابل المندوب الفرنسى ووزير خارجية فرنسا وسكرتير عام الخارجية الفرنسية هرهير هرفون وقابل سفراء السوفييت والهند.. و كتب الدكتور فوزى تقارير عن هذه المقابلات تلفت النظر.

وسأعرض أول تقرير عندما قابل (نيكسون) وقال فيه استقبلنى الرئيس على حدة عقب الاستقبال العام الذي أقيم في البيت الأبيض للوفود التى اشتركت في جنازة الجنرال أيزنهاور.. وقد علمت أنه استقبل ١١ من رؤساء الوفود إما واحداً فواحداً أو مجموعات في اثنين وثلاثة.

وقد رأيت تقارير كثيرة بها الخيال الروائى أكثر من الحقائق وللأسف الشديد لكنها مرت.

وقال فوزى في تقريره إن استقباله كان دافئا ومتفتحا وأن الأيام ستُظهر السياسة الحقيقية للولايات المتحدة وأن (نيكسون) تذكر زيارته لمصر سنة ١٩٦٣.. وقال إن زوجة (نيكسون) قابلت سيادتكم وأن (نيكسون) وجه كلامه ل(هينرى كسينجر) وكلامه يتحدث عن ذكرياته في مصر وعما رآه مع (عبد الناصر).. وقال في النهاية إننا نريدكم أن تعرفوا أننا في عهد جديد ونريد أن نبدأ بداية جديدة سويا.

وقال (نيكسون) لفوزى أن ينتظر وألا يسافر من واشنطن لمدة أسبوع لأنه لم يعطه الوقت الذي يريده وبالتالى يريد أن يذهب لمسقط رأس أيزنهاور وبعد الجنازة سيقابله.

وقد كتب فوزى في البند الثانى من تقريره إنه انتظر (نيكسون) لمدة عشر دقائق مع (ويليام روجرز) وزير الخارجية ولفت نظره أن (كسينجر) قد جلس معه.. وهنا الفرق

بين الدبلوماسى وبين شخص يؤلف.. وقال فوزى سبق استقبال (كسينجر) حديث قصير ثم دخلنا جميعاً لـ(نيكسون) ولفت نظرى أن (كسينجر) لم يتحدث معى إلا في شئون الشرق الأوسط.. على غير ما ورد عنه وما أُبلغ أنه يتجنب الحديث عن الشرق الأوسط.. وتكلم (كسينجر) عن محادثات الدول الأربع في الشرق الأوسط لا تصل لنتيجة.. وأن الحل هل يتوصلون إليه أم يأتى من الخارج.. وقال (كسينجر) أن الحل أن يتحدث الأطراف.. وسأل عما إذا كان بامكان الدول العربية الاعتراف بوجود إسرائيل.. فأجابه فوزى: إننا مستعدون الاعتراف بالحدود الآمنة كما جاء في قرار مجلس الأمن.. ولا يمكن أن نعترف بحدود لشيء غير موجود لأن إسرائيل ليس لديها حدود.. وسأل (كسينجر) عن فاعليات عملية السلام التى تم التوصل إليها.

وهنا فوزى يتحدث عن رجل أبلغنا أنه لا يتحدث عن الشرق الأوسط لكن هنا هذا الرجل لا يتحدث إلا عن الشرق الأوسط حتى في لقاء تمهيدى وسط مراسم.. ودخل وحضر أول مقابلة لفوزى مع الرئيس (نيكسون).

وأجد فوزى يتحدث مع (روجرز) عن صياغات فيقول الأخير له نريد سلاما ولن نعطى إسرائيل حق الفيتو على تصرفاتها ويتحدث عن القضايا المعقدة كمشكلة اللاجئين.. ثم قابل فوزى (الملك حسين) وكان متفائلاً في ذلك الوقت وأنه من الممكن مع الإدارة الجديدة تحقيق شيء.. ونصح (الملك حسين) أن تعيد مصر العلاقات مع أمريكا لأنه لا بد من التحدث معها.. وأنها فرصة تاريخية قبل إقلاع القطار أو آخر عربة في القطار واللحاق بها أو لا نلحق.

وعندما وجد الدكتور فوزى أن (كسينجر) لم يكن بعيداً عن الشرق الأوسط كما أبلغنا طلب موعد لمقابلته وتحدث عن وجود فرصة لتحسين العلاقات بيننا وبين أمريكا.. فأجاب فوزى بالطبع هناك فرصة.. وسأله عن القابلية للسلام.. فقال فوزى له نحن قبلنا السلام في (قرار ٢٤٢) [1] ولكن هناك شروطٌ لذلك.. وقال (كسينجر).. ما

---

(١) القرار رقم ٢٤٢ هو قرار الذى أصدره مجلس الأمن الدولي التابع لمنظمة الأمم المتحدة في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ وجاء في أعقاب الحرب العربية الإسرائيلية الثالثة والتي وقعت في يونيو ١٩٦٧ والتي أسفرت عن هزيمة الجيوش العربية واحتلال إسرائيل لمناطق عربية جديدة.. وقد جاء هذا القرار كحل وسط بين عدة مشاريع قرارات طرحت للنقاش بعد الحرب. وورد في المادة الأولى، الفقرة أ: «انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلت في النزاع الأخير» وقد حذفت "ال" التعريف من كلمة "الأراضي" في النص الإنجليزي بهدف المحافظة على الغموض في تفسير هذا القرار..

الذي تستعدون لاعطائه فرد فوزى أنه لن يستطيع أن يقول قبل أن يعرف استعداد الطرف الآخر لأن هذا الطرف يحتل أراضي ويضغط علينا.

لكن (كسينجر) قال إن كل حرب في التاريخ يجلس الناس على مائدة فقال له فوزى أنا أعرف التاريخ جيدا والجلوس على مائدة لا يمكن إلا إذا تغير الأمر أو بدا حقائق سوف تتغير على الأرض.. ونحن لا نستطيع مناقشة أى شيء في واقع الأمر.

وسأله سؤال بالغ الأهمية لأنه يعطى ظلالا على ما هو قادم.. هل ممكن ان تتفاوض إسرائيل مع كل دولة عربية على حدة لأنه لا يمكن أن تتفاوض إسرائيل وحدها مع كل الدول العربية.. فقال له الدكتور فوزى هذا غير مقبول فنحن دخلنا معا ونحن مرتبطون بمصير واحد ونحن لا نستطيع أن نتحدث بمفردنا أو جبهة وحدها تدخل وتخرج.. فقال له (كسينجر) لكن سوريا تقبل بقرار مجلس الأمن ٢٤٢ فقال فوزى إذا توصلنا لقبول مبدأ الانسحاب الكامل فلا أظن سوريا حتى لو لم تقبل قرار مجلس الامن سوف تمانع أو تعارض في استرداد الأراضي.. فسأله (كسينجر) عن قلق (الملك حسين).. وظروف الفدائيين.. وأحواله.. وأحوال الأردن.. وهل (الملك حسين) مستعد لحل منفرد لوحده.. وفى حالة قبول (الملك حسين) لذلك.. هل يستطيع تبرير هذا الحل.. فقال فوزى نحن من أنصار أن يحصل (الملك حسين) على كل الحق لكن نحن نرى أن هذا لا بد ان يتم في إطار شامل لأنها في النهاية قضية واحدة.. وأنهم بالفعل في جبهات مختلفة لكنهم مشتركون في قضية واحدة هى قضية فلسطين ـ إسرائيل في هذه اللحظة كقوة الاحتلال.

---

وإضافة إلى قضية الانسحاب فقد نص القرار على إنهاء حالة الحرب والاعتراف ضمناً بإسرائيل دون ربط ذلك بحل قضية فلسطين التي اعتبرها القرار مشكلة لاجئين.. ويشكل هذا القرار منذ صدوره صلب كل المفاوضات والمساعي الدولية العربية لإيجاد حل للصراع العربي الإسرائيلي.

نص القرار أيضاً على :

١. احترام سيادة دول المنطقة على أراضيها .
٢. حرية الملاحة في الممرات الدولية .
٣. حل مشكلة اللاجئين .
٤. إنشاء مناطق منزوعة السلاح.
٥. إقرار مبادي سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط .

وهنا نرى (كسينجر) شديد الوضوح ولم نكن نعرف أنه سيمسك بـ ٩٩٪ من أوراق حل مشكلة الشرق الأوسط.. لكن هنا مبكراً سنة (١٩٦٩) يتحدث مع ما يمكن ان نعطيه وان إسرائيل تحتاج إلى طمأنينة ولن تتحدث معنا جميعا وكل على حده.. وكان يريد أن ينتزع الأردن ليحل المشكلة معها ولكن لم يتصور أحد في الدنيا أن هذه البلد التى سيتم الحل معها بشكل منفرد ستكون مصر في كل الأحوال.

وتحدث (كسينجر) بعدها عن نزع سلاح سيناء مبكرا لطمأنة إسرائيل وأن التقرير الذي كتب في خمس أو ست صفحات كان فيه عنصر المواجهة مع الاتحاد السوفييتى.. وشعر فوزى أن في ذهن (كسينجر) باستمرار قضية الاتحاد السوفييتى وماذا يفعل مع الاتحاد السوفييتى.. وما يراه (كسينجر) خاصة في كتابه "عالم يُعاد بناؤه" وكتبه عن فترة الحزب المقدس في أوروبا سنة ١٨١٤ و١٨١٥ وتضمن إعادة رسم خريطة أوروبا وقيام ممالك وسقوط ممالك وتغيير حدود إلى آخره.. وانا قرأت الكتاب ولم أتخيل أن يركز في كتابه عن ميترنيخ الوزير الأول النمساوى في ذلك الوقت وقد أعاد رسم خريطة أوروبا.. وكان هناك شيئٌ بعيدٌ لا يخطر على بال أحد.

وتسير التقارير بوضوح وقابل فوزى (نيكسون) مرة أخرى وعاد وكان (كسينجر) موجودا ولم يكن (روجرز) موجودا.. واجتمع في المكتب البيضاوى فيه فوزى والرئيس الجديد و(كسينجر).. وموجود من الخارجية جوزف سسكو وكيل الخارجية ولكن وزير الخارجية لم يكن موجوداً.

وتحدث فوزى في التقرير الذي كتبه عن هذه المقابلة وسأل (كسينجر) عن معاهدات السلام وقال نحن لسنا في عجلة لعودة العلاقات نحن نريدها ولكن نرجوكم التفكير بصورة شاملة.. وفكروا في التسوية الشاملة.. وفي ماذا ستقدمون.. ويبدو أن دور (كسينجر) أكبر مما تصور أى أحد.

وتحدث فوزى مع يودل ليعطيه تصوره للشكل للوصول إلى تسوية واقتراح فوزى أنه لا يمكن أن نجلس في معاهدات مباشرة.. وأن الحل الوحيد في رأى فوزى ويتحدث فيه مع سكرتير الأمم المتحدة أن نكتب ورقة تتضمن معنى السلام وتكتب إسرائيل ورقة تتضمن معنى الانسحاب.. ونحن نضع تصورنا للتسوية السلمية وهم يضعون تصور للانسحاب الكامل من الأراضى وأننا نذهب كل واحد في موعد وفي يوم مختلف ويوقع

وثيقته في مكتب السكرتير العام لأنه من المستحيل أن يجتمع الطرفان في مفاوضات مباشرة.

وأجد في آخر تقرير لفوزى أنه يقابل أرين ريتشارد سونج وهو مساعد وزير الخارجية وأصبح وزيراً للخزانة وقال له الأخير: أرجو أن تكون زيارتك ممتعة ومثمرة فرد فوزى أنه قد تكون ممتعة ولكنها لم تكن مثمرة لأنها لو كانت مثمرة قد تكون مفيدة وأنا لا أظن أنها كانت مفيدة من ناحية النتائج العملية.

وعاد فوزى بعد أن قدم تقارير تفخر بها أى دبلوماسية في العالم وأى سياسة لأن الخارجية لا تعنى علاقات عامة أو الدفاع عن سياسات راهنة وخطب وتصريحات ومؤتمرات.. فالمهم هو كيف يمكن أن يطل على الطرف الآخر.

وحاول فوزى خلال مقابلته لـ (عبد الناصر) أن يضع انطباعات لاحقة بتقاريره التى أرسلها من واشنطن وقال فوزى انه لا يظن أن السياسة الأمريكية سوف تتغير في المستقبل وفي ظل الأوضاع الراهنة.. وأن الولايات المتحدة ستستمر في إطلاق الأصوات الضرورية والإشارات الموحية وعلينا المتابعة باهتمام ولكن لا نتوقع تغييرات.. ولفت نظره أيضاً العلاقات مع السوفييت والتى هى الشاغل الاستراتيجى للإدارة الجديدة والشرق الأوسط يدخل في دائرة الصراع.. وهناك معركة دائرة في الإدارة عمن يتولى الشرق الأوسط.. مع أن (نيكسون) وزع الاختصاصات من باب طمأنة العالم العربى أن يبعد (كسينجر) عن أزمة الشرق الأوسط ويحصرها في (روجرز) فإن رأيه أن (كسينجر) وما يبدو من تصرفاته وبصرف النظر عن أى أقوال سمعناها هو الرجل الذي يريد الامساك بالشرق الأوسط ولكنه يريد ان يتحين الفرص.. وأن قضيتنا مرهونة بما نستطيع أن نقدمه نحن من ورائها بقوة محسوبة ومن عوامل ضغط مؤثر.

وقال فوزى إنه لفت نظره في كلام (كسينجر) أشياء لها معنى او قد يكون لها معنى وبالفعل لها معنى وكان هناك صراع محتدم بين كسنجر[1] و(روجرز)[1].. وكان

---

(١) هنري القريد كسنجر والأصح هاينز الفريد كسنجر أمريكي وسياسي الماني النشأة.. وبسبب اصله اليهودي هرب هو واهله في عام ١٩٣٨ من ألمانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية خوفاً من النازيين الألمان.. التحق بمعهد جورج واشنطن في نيويورك.. وحصل على الجنسية الأمريكية عام ١٩٤٨ والتحق بالجيش في نفس العام.. شغل منصب وزير الخارجية الأمريكية من ١٩٧٣ إلى ١٩٧٧ وكان مستشار الأمن القومي في حكومة ريتشارد نيكسون. لعب دورا

الأول المساعد الرئيسى لدينسلون روكفدا الذي كان مرشحا للحزب الجمهورى و(نيكسون) فاز عليه بمعجزة.. وهذا الرجل أخذ مستشار أول لخصمه وأخذه معه.. و(كسينجر) كان كل ما فيه يعارض مشاعر (نيكسون) وأن يأخذه كمستشار مسألة غريبة.. وكان (نيكسون) بطبيعته يكره المثقفين وكان يعتقد أن الجامعات في الولايات المتحدة وحتى في وقت أيزنهاور وكيندى و(جونسون) كانوا معادين له لأن (نيكسون) يمينى بقسوة.

والشيء الآخر أن (نيكسون) يكن عداء شديدا لليهود ففي إحدى تسجيلاته السرية والتى اخذت ضده فيما بعد حينما قال لمساعده في المكتب البيضاوى سنة ١٩٧١ كل الناس الموجودين حولنا يهود.. فرسلى جال.. رئيس لجنة العلاقات الخارجية.. في هذه اللحظة وهو رمز المؤسسة الحاكمة في أمريكا.. ومساعد وزير الدفاع مورتن يهودى وهونفن الذي يعمل في التوجيه السياسى ووضع الخطط يهودى.. وهنا يذكر الرئيس (نيكسون) اليهود في الإدارة دون ذكر اسم مساعده الأول وبعد ذلك قال في تسجيل آخر هذا الولد اليهودى.

---

بارزا في السياسة الخارجية للولايات المتحدة مثل سياسة الإنفتاح على الصين وزيارته المكوكية بين العرب وإسرائيل والتي إنتهت باتفاقية كامب ديفيد عام ١٩٧٨.

(١) روجروليم روجرز (٢٣ يونيو ١٩١٣ - ٢ يناير ٢٠٠١) هو سياسي أمريكي.. وعمل كرئيس لوزارة الخارجية الأمريكية ثم عمل في منصب المدعي العام في الولايات المتحدة.. وذلك في الربع الأخير من القرن العشرين.. ولد وليم روجرز في ٢٣ يونيو عام ١٩١٣ في مدينة نورفوك في ولاية نيويورك. بعد أن أنهى دراسته في جامعة كولجيت وكلية كورنيل للحقوق.. اجتاز اختبار نقابة المحامين في عام ١٩٣٧. وعمل مع توماي ديوي من عام ١٩٣٨ - ١٩٤٢ في محاكمة الجرائم المنظمة في نيويورك.. دخل البحرية الأمريكية في عام ١٩٤٢ وخدم فيه وخاض معركة أوكيناوا. وكانت أخر رتبة حصل عليها في سلاح البحرية الأمريكية هي رتبة قائد ملازم.. وعمل كذلك وزير خارجية الولايات المتحدة في حكومة نيكسون.. من ٢٢ يناير ١٩٦٩ إلى ٣ سبتمبر ١٩٧٣ عندما قام ضمن أشياء أخرى.. بالمبادرة إلى بدء مجهودات إحلال سلام دائم للصراع العربى الإسرائيلى من خلال ما سُمي مبادرة روجرز. إلا أن.. تأثيره كان يضمحل تدريجياً لصالح مستشار الأمن القومي لنيكسون.. هنري كيسنجر. وقد تلقى روجرز ميدالية الحرية الرئاسية في ١٩٧٣ هي مبادرة قدمتها الولايات المتحدة الأمريكية في أغسطس سنة ١٩٧٠. اقترحت هذه المبادرة وقف الفدائيين الفلسطينيين المتمركزين في غور الأردن.. وقف لعملياتهم المسلحة الموجهة ضد إسرائيل.. وافقت مصر بقيادة عبد الناصر على هذه المبادرة.. ومن ثم الأردن بقيادة الملك حسين. لكن منظمة التحرير الفلسطينية رفضت الالتزام بها.. كانت الولايات المتحدة الأمريكية هي التي طرحت هذه المبادرة.. لإيقاف القتال مدة ثلاثة أشهر.. نتيجة المعارك الجوية التي دارت بين القوات المسلحة المصرية والقوات الإسرائيلية المعادية.. وأسقط فيها طائرات حديثة جداً - أمريكية الصنع- تابعة لسلاح الجو الإسرائيلي. وأيضاً وقوع إسرائيل في مأزق عسكري داخلي كبير جداً.. بسبب الخسائر البشرية اليومية في صفوف قواته المسلحة.

وقال (نيكسون) لمساعده كل اليهود مولودون جواسيس ويستغرب من كل هؤلاء اليهود في الإدارة.. والغريب أن (كسينجر) كان أول تعيين في إدارة (نيكسون) الجديدة كما قال (كسينجر) في مذكراته السنوات القلاقل وفوجئ بهذا القرار وقال (نيكسون) له إن (روجرز) للخارجية وكان متفوقا في المحاماة والتفاوض ولكنه لا يعرف شيئا عن السياسة الخارجية.. وأحضره معى وأقصد ذلك لعدم معرفته عن السياسة الخارجية لأنه يريد أن تكون في البيت الأبيض وفي يد رئيسه وهو (كسينجر).. وتبدو تصرفات (نيكسون) غريبة كأنه رجل من خارج المؤسسة وتكرهه المؤسسة وكأنه كان راغبا في إرضاء مجلس العلاقات الخارجية وكأنه كان راغبا في ارضاء كل واحد في مراكز القوى في الولايات المتحدة فأحضر أحدا ليطمئن الجميع وهو يكرهه وأعطاه سلطات غير طبيعية في البيت الأبيض.. رغم أن (روجرز) وأنا كنت أعرفه لما كان محاميا للواشنطن بوست وعضو مجلس إدارة بها.. وكان على خلق ومستعدا لممارسة سياسة بشكل متوازن.

ولما أجد ما قاله فوزى وأراجع الوثائق بعد ثلاثين سنة.. ونرى لأى مدى كان الشأن جارياً في الداخل.. وكيف لمح فوزى الحقائق وكيف تطابقت مع الحقائق التى كانت تجرى أمامى ونحن نقرأ الوثائق فيما بعد.. ولما نرى اجتماعات المجلس القومى وأول اجتماع أجد أن كل ما لمح مبكراً لفوزى كان موجودا في مناقشات المجلس القومى وأجد هنا في اجتماعات المجلس القومى وما رآه فوزى هو الذي يعنينى ونجد محاضر اجتماع الأمن القومى وهى قاطعة وأول وثيقة نجدها ويخشى (كسينجر) من أن يبدأ (روجرز) في التصرف أو الخارجية فيطلب رأى وزارة الدفاع والمخابرات في خمس أسئلة يطلب ماذا يريدون من الشرق الأوسط.. وحددوا المناطق الحيوية والقوة النسبية لكل طرف الذي سنتفاوض معه ويحددون أين السوفييت والنقاط المهمة التى يجب المحافظة عليها.

وفي الوثيقة الثانية محضر اجتماع للمجلس وهو مثير لأن الرئيس الجديد يناقش كل أوضاع الشرق الأوسط والمنطقة مع الحضور ويسأل (كسينجر) هو من يوجه الأسئلة.. ويسأل عن موقف السوفييت ودخولهم وهل يوجد احتمال من الأسطول السوفييتى أمام الأسطول السادس وهل يمكن أن يقدموا على مناورة أكبر.. ويسأل كسنجر ماذا

يحدث لو ضرب الإسرائيليون السد العالى ونسفوه.. وطلب بالمحافظة على القواعد الأمريكية في ليبيا والقواعد الأمريكية في الخليج وحافظ على الأسطول السادس في البحر الأبيض وقد نحتاج إليه في وقت لاحق.. ومعنى هذا كله اننا أمام رجل يحاول أن يحاصر ولا يحل وتحدث عن لبنان وعلاقة مصر بالجزائر وما هو الممكن قيام به في الجزائر وهناك عدد من الخبراء موجودون في القاعدة البحرية.. والاتجاه في القرارات أنه لابد أن ننتظر.. وطلب (كسينجر) التمهل ليروا بعض التغييرات في مواقف الدول العربية كما جاء (الملك حسين) وطلب الصبر والانتظار لبعض التفاعلات.

وهنا الإدارة مختلفة والصراع السوفييتى مؤثر عليها أكثر من أى اعتبار آخر.. وُجد في الادراة الأمريكية مسئول عن توجيه الأمور ويلمحه فوزى وأجده في الوثائق وهو (كسينجر) ويقوم بأشياء ملفتة للنظر.

أى رئيس جديد لا يأتى فارضا سياسة فالسياسة موجودة ترسمها مصالح وجغرافيا وتاريخ وأمن إلى آخره.. وهذه المصالح ثابتة.. وأى رئيس جديد يأتى يلقن دروسا وليس ليعلم لكنه يتعلم في مجلس الأمن القومى وهذا يعلمنا شيئا عن أوباما.. بعد تصورنا لأشياء فالرئيس الجديد لا يستطيع أن يفرض على الإدارة شيئاً ولا على السياسة أو الاستراتيجية الموجودة كما يشاء ويهوى وهو يتعلم.. وأكثر ما يمكن تقديمه نظرته في التعبير عن هذه السياسات المستمرة والدائمة.. ونجد هنا برقية من السفير برجرز.. والسفراء الأمريكان في العادة أربع أنواع: هناك الدبلوماسيون الطبيعيون.. وهناك السفراء المتصلون والذين قاموا بأدوار مع المخابرات.. وهناك نوع مخابرات وهناك التعيينات السياسية.. وكان النموذج للسياسى الدبلوماسى المحترف السفير رجوييف باتر والنموذج المتصل بالمخابرات (برجس).

وهنا برقية من (برجس) أجد أن مطلوبا من (برجس) وهو قائم بالأعمال مقيم في القاهرة وكان موجوداً أيام (جونسون) وبعده (نيكسون) فقال لهم من القاهرة أننى اعتقد أنه سوف يكون هناك وقت طويل لنستعيد مع (عبد الناصر) الثقة وربما لا نستطيع تحقيق ذلك مع نظام ناصر وربما علينا انتظار خليفته.. أظن أن الصورة تبدو واضحة لإدارة تبدو في أول عهدها بها واضح تماماً عوامل الاستمرار والتغيير.



# ١٨

## طوفان التاريخ!!

في قراءة التاريخ هناك ٣ مناهج.. منهج يرى أن حركة التاريخ طوفان يتدفق ومصادفات تلتقى أو تفترق ومن ثم يحدث ما نسميه تيار التاريخ.

مدرسة ثانية ترى أن التاريخ هو الرجال العظام الذين ظهروا في بعض اللحظات.. عباقرة.. ملوك.. أو ديكتاتوريين.. هؤلاء هم صناع التاريخ.. والمدرسة الثالثة ترى أن التاريخ له عقل.

المدرسة الأولى التى ترى أن طوفان التاريخ يجرى كمصادفات أظن أنهم يحكمون على قصة البشرية كلها أنها مسألة عبثية.. والمدرسة الثانية التى ترى أن مجموعة أبطال ومشاهير ورجال أقوياء هم من يحركوا التاريخ أظن أيضاً أنها تحكم على البشرية أن تظل بلا فعل.. كسولة حتى يجيء من ينقذها وأنا أظن أن هذا تجنٍ على البشرية.

المنهج الثالث منهج أن التاريخ له عقل.. وأنا واحد من الذين يؤمنون بالمنهج الأخير.. لكن المناهج الثلاثة مفتوحة.

فيما يتعلق بأن التاريخ له عقل.. أنا أعتقد أنه إذا كنا نعلم أو نوافق أن حركة التاريخ هو سعى الشعوب إلى أمنها ومصالحها وحريتها وإلى التعاون أو الصدام مع غيره أو أنه في سعيها يتظمها بما أن مطالبها محددة واضحة.. المصالح والأمن والحرية إذن في مسالك لهذه الحركة التاريخية تجعل الحكم عليها وفهمها مقبولاً.. ولكن القضية تنشئ مرات من أنه إذا كنا نقول إن التاريخ له عقل فذلك مسألةٌ مهمةٌ جداً.. إن عقل التاريخ لا يمكن أن يعطى فعله إلا إذا كان هناك بشر يواكبون هذا الفعل ويفهمون ويترجمون إشاراته ويحسنون لغته ويحسنون التصرف وفق قواعد ومنطق.. لكن المشكلة عندنا في مصر في مرات كثيرة جداً التاريخ أعطانا فرصا بلا حدود لكن مع الأسف الشديد في مرات كثيرة.. الأهواء غلبت التاريخ.

في هذه الفترة التى أتكلم عليها وحرب الاستنزاف مستمرة بقسوة على الجبهة.. وغارات العمق في الداخل.. أنا أتحدث على سنة القلق (١٩٦٩).. والعمل السياسى في الداخل والخارج على أشده وشعوب الأمة مستنفرة.. أظن أننا واجهنا موقفا كان يقتضى تفكيرا وهو ما حدث.

عندما رجع د.(محمود فوزى) من واشنطن التى سافر لها لاستكشاف رأى وموقف وسياسة جديدة بعدما جاء (نيكسون) لإدارة جديدة بعد (جونسون) وهو رئيس كان لأسباب كثيرة يناصبنا العداء.

لكن أيضاً كان يوجد عنصر الدخول اليهودى المؤثر جداً على الرئيس (نيكسون).. وهذه هى النقطة التى نريد أن ندرسها في زيارة د.(محمود فوزى).. أو على الأقل ضمن عملية الاستكشاف الواسعة التى قام بها د. فوزى من الفترة من أواخر مارس إلى أوائل أبريل (١٩٦٩).. وهى كانت سنة صعبة جداً.

لكنه رجع من واشنطن وهو قلق جداً.. ويقول إنه واضح أمامه فيما هو مقبل في إدارة (نيكسون) وجود تناقضات وصراع بادئ أمامه وهو لمحه وأنا أشرت إليه والوثائق أشارت إليه.. يوجد صراع قادم بين البيت الأبيض ومجلس الأمن القومى.. فالبيت الأبيض بالتحديد وفيه (هينرى كسينجر)وهو يهودى وهذا مش عيب.. لكن المشكلة

ـ في هذا الهوى والميل وهذا التحيز الفادح لبعض اليهود إلى إسرائيل.. وخطأ أنهم يوفقون ويتوأمون بين إسرائيل وتاريخ اليهود.. لكن هذا حدث والغريب أن الرئيس (نيكسون) متنبه إلى ذلك التأثير المدمر على إدارة سلفه.. وجهز في وثيقة.. عرضتها في تسجيل بصوته يتكلم عن عدد اليهود في كل مكان.. ليس فقط في إدارة (جونسون) السابقة على إدارته لكن أيضاً في الإدارة الأمريكية.. ويقول لمساعده إنه مستغرب أن اليهود في كل مكان.. لكن ما لم يتنبأ له (نيكسون).. أو ما لم يستطع التحدث بدرجة كافية أنه هو الذي أتى بـ(كسينجر).

وأنا أريد أن نفرق بين (كسينجر) في قيمته العلمية وولائه لبلده أمريكا وبين (كسينجر) في تحيزاته الظاهرة.

وشئ غريب جداً أنه أرسل لى رسالة أنه يعرف أنى أهاجمه.. والحقيقة أنى لا أهاجمه لكنه هو لايزال يحتفظ لى بذات الود الذي كان بيننا ذات يوم عندما كنا نتعامل وجها لوجه أثناء حرب أكتوبر.. وكنا نتعاون ولكن نتعاون بالخلاف.. لأنه في التفاوض أو الاتصالات السياسية فيها تعاون لكن تعاونا من مواقف متعارضة.

لكن أنا أعتقد أنه حقيقى ليس مسألة كراهية أنه انتصر وأنا لم أستطع أن أحقق ما تمنيت أن أحققه.. لكن هذا لا يدعونى إلى كراهية وهجوم.. فالسياسة ليس فيها هذا الكلام.. السياسة فيها معارك من يفوز يفوز ومن ينتصر ينتصر لكنها لا تستوجب عداوات.

على أى حال (نيكسون) أتى إلى البيت الأبيض برجل هو يعلم تحيزه إلى إسرائيل لكنه وأنا أظن هو أراد بمجيئه أن يرضى أطراف داخل أمريكا يسمونها القوة ذات الشأن المؤسسة في أمريكا.

رجع د. فوزى متخوفاً من هنرى (كسينجر).. مع أنه لا أحد كان يدرك في ذلك الوقت أن هذا الرجل في يوم من الأيام الذي كان في الظل في هذا الوقت سوف يمسك في يده ٩٩٪ من أوراق حل أزمة الشرق الأوسط.

لكن كل هذا في ذلك الوقت كان بعيدا في الغيب.. لكن فوزى رجع وهو يرى أن هناك إدارة أمريكية جديدة وأن الإدارة الجديدة لا داعى أن يعلق عليها أمل بأكثر مما هو ممكن أو ضروى.. لأن حقائق الأحوال بالنسبة للسياسة الأمريكية لا تدعونا

إلى أمل كبير.. وأنه في رأيه أن العمل هنا في الداخل وعلى الجبهات.. والعمل على الجبهات كان في واقع الأمر عملية متشعبة ومرهقة وكبيرة جداً .. وواضح من الكلام الموجود والوثائق التى عرضتها من قبل.. العمليات في هذا الوقت قد تكثفت إلى حد كبير لأنه في هذا الوقت الذي ذهبت فرق من الضفادع البشرية إلى ميناء إيلات وأغرقت ٣ قطع بحرية في ليلة واحدة.

غارات العمق بدأ بعضها ينجح والآخر لا ينجح لأنه يوجد مقاومة ويوجد مواقع حصينة والجبهة كل يوم في عملية عبور بشكل أو بآخر.. وكل يوم يوجد دوريات والنار مشتعلة على الجبهة.. رغم العمل السياسى والعمل العربى لكن المعركة صعبة جداً.

أمامى ٤ وثائق أمريكية وأنا أريد أن أعرضها لأنها تظهر كثير جداً مما كان جاريا ذلك الوقت.. الوثائق كلها تقريباً أو ثلاثة منها بتوقيع توماس شوز رئيس إدارة التحليل والمخابرات والمعلومات بالخارجية الأمريكية.. يقول فيها إن إسرائيل بدأت تشعر بازدياد الضغط العسكرى المصرى وتصاعده وإنها الآن تفكر في عملية واسعة ضد مصر قد تتضمن هجوما شاملا على الجبهة بعبور قناة السويس في حماية صواريخ من ناحيتها.. لكنها تفكر في عملية تدخل بها إلى العمق وتحتل مواقع الضفة الغربية من قناة السويس ولكى تضرب قوات الجيش الرئيسة المتركزة في الضفة فتنهى الموضوع.

والتقرير يقول إن الحكومة الإسرائيلية ووزير الدفاع الإسرائيلى موشيه ديان في ذلك الوقت.. طلب من كبير مراقبى الهدنة الجنرال هوت بور أن يبلغ الحكومة المصرية إذا لم توقف هذا النشاط فالحكومة الإسرائيلية لن تقبل عملية الاستنزاف وإنما سوف تقوم بضربة مؤثرة قد تندم عليها الحكومة المصرية إذا لم تراجع موقفها.. وأن استمرار هذا الاستنزاف إسرائيل لن تستطع أن تحتمله.

لكن الجنرال هوت بور.. كبير مراقبى الهدنة لا يستطيع أن ينقل للحكومة المصرية إنذارا.. لكن ديان طلب منه قائلاً: أرجوك تبلغهم حالتنا الفكرية.. وحالة إسرائيل النفسية والعقلية.. وقابل الجنرال هوت بور محمود رياض وزير الخارجية في ذلك الوقت ولم يسمع منه أحد.. ولم يهتم أحد لرسالته.. لأنها كانت معركة مصير ونحن مصرون على حرب الاستنزاف والإعداد فيها لمعركة عبور والفرق الجاهزة للعبور والأمور واضحة.. وإسرائيل تستعد بعبور مضاد.. هنا نحن أمام موقف شديد الحرج.

أطلق ديان تصريحا أن إسرائيل ليس أمامها خيارات لأنها لا تستطيع أن تقبل الاستنزاف الذي يؤثر عليها ويستهلك وقتا وموارد وأرواحا وهو مستمر وإن كانت مصر متحملة لوحدها فإسرائيل لا تستطيع.

رئيس المخابرات في وزارة الخارجية الأمريكية توماس شوز كان يخشى أن تأخذ المصريين النشوة بما حققوه في حرب الاستنزاف.. وهذه هي الوثيقة الأولى. الوثيقة الثانية تقول أيضاً بتوقيع توماس هيوز في يونيو (١٩٦٩) إن مصر تشجع عمليات الفدائيين.. والفدائيون بدأوا يعملون داخل إسرائيل أو بالقرب منها لأنه في ذلك الوقت بدأت عمليات خطف الطائرات.

يقول رئيس المخابرات في وزارة الخارجية: أن المنطقة تندفع إلى موقف الاستقطاب الحاد لآخر مدى.. وأنه يخشى أن يؤدى ذلك إلى عواقب وخيمة.

هذه الوثيقة الثالثة تقول: إن مصر تحاول عمل نشاط سياسى كبير في العالم العربى.. وأنها تحشد وراءها قوى.. مصر وقتها كانت دعت لمؤتمر لدول المواجهة التي تضم مصر والأردن وسوريا والعراق وأن مصر ـ في ذهن القيادة المصرية ـ تحشد لأنها تريد أن تبدأ في عملية عبور كبيرة قبل أن تدخل الطائرة الفانتوم الأمريكية الجديدة في الخدمة.. لأن في ذلك الوقت (جونسون) أعطى إسرائيل (٣٦) طائرة فانتوم وأعطاها (٧٠) طائرة سكاى هوك التى كانت قد دخلت الخدمة والفانتوم على وشك أن تدخل الخدمة هي الأخرى.. ويقول أن مصر تفكر جدياً في أن تسبق عملية الفانتوم بعملية عبور موجهة إلى الجبهة الإسرائيلية وأن هذا خطر.. كما يقول إن مصر قلقة جداً لأنه في ذلك الوقت تنحى الجنرال ديجول في فرنسا الذي حظر تصدير الأسلحة إلى إسرائيل.

كاتب التقرير يقول إن القيادة المصرية لا تريد فقط أن تسبق الفانتوم.. ولكن تريد أن تسبق ابتعاد ديجول.. لأن أى حكومة تأتى من بعده قد ترفع حظر تصدير الأسلحة إلى إسرائيل.

الوثيقة الرابعة هذه المرة من السفير الأمريكى بالقاهرة (برجس).. يقول لوزارة الخارجية الأمريكية إن الإسرائيليين يفكرون خطأ.. حيث إن تكثيف غارات العمق يتصورون أن يكسروا معنويات الشعب المصرى بها وإنهم يفرقوا بين القيادة المصرية والشعب المصرى.

لأن الشعب المصرى منذ أيام الهكسوس ـ وهو كاتب هذا الكلام ـ أثبت أنه في موضوع المقاومة.. وموضوع الاحتمال هذا يقال إن الشعوب العظيمة هى القادرة على الاحتمال بس أكيد الاحتمال له نهاية.. ويقول (برجس) مع إننا لا نشجع أى خرق لوقف إطلاق النار لكن أخبروا إسرائيل أن تقلل من غارات العمق لأنها تدفع الشعب للمقاومة مع القيادة في وقت واحد لأن الشعب سيقاوم مع القيادة.. ويزود عناده ضد الإسرائيليين.. لكن دعمهم يزودون العمليات العسكرية ويركزون على الجبهة وليس غارات العمق.

هنا يبدو أنه في تصاعد كبير جداً في الموقف مع قرب انعقاد مؤتمر قمة دول المواجهة في القاهرة تقرر له ١ سبتمبر (١٩٦٩).. الموقف العسكرى على الجبهة.. موقف العمق.. الموقف حساس مثل عملية ضرب قطع بحرية في إيلات في يوم واحد.

هنا في هذه الفترة يوجد شباب عملوا معجزات مثل إبر هيم الرفاعى ود.على نصر الذي كان في الضفادع البشرية.. وهؤلاء الشباب تحملوا مخاطر في قوات الكوماندوز وكلهم أبطال لم يغن لهم أحد.

لكن في هذه العمليات كان واضحاً أن كل حرب الاستنزاف تقلق إسرائيل إلى درجة تدفع إلى التفكير في ضربة كبيرة كما أن حرب الاستنزاف ترفع الروح المعنوية للشعب المصرى.

عندما جاءت الدعوة لقمة عربية أعلن المشاركة فيها (الملك حسين) ملك الأردن والرئيس نور الدين أتاسى رئيس الجمهورية السورية والمفروض كان يأتى أحمد حسن بكر رئيس العراق لكنه كان مريضا فأرسل السيد مهدى صالح عماش وزير الدفاع..

وواضح هنا أن مصر لديها ما تقدمه .. وما تطلبه من دول المواجهة.. ولديها طلبات محددة من العراق فيما يتعلق بتدعيم الجبهة السورية.. وعنده طلبات موجهة من سوريا في الجبهة السورية وعندها خطط وما تقدمه فعلا تعرضه على الدول المشاركة.

صباح يوم المؤتمر فجأة ظهر عنصر جديد.. حيث أعلن في راديو بنغازى عن قيام انقلاب في ليبيا.. وانقلاب في هذا الوقت في ليبيا واستيلاء شباب على السلطة بهذه الطريقة المفاجأة.. أحدث في مصر آثار.. وأحدث دوى في العالم لعدة أسباب.. وفي هذا التوقيت بالتحديد موضوع الثورة الليبية كان أكبر جداً مما يتخيله أحد.. وأتذكر أن كل الوفود المشاركة في مؤتمر القمة الرباعية تابعت ما حدث في ليبيا.

والتقطنا نص البيان وقرأه أحد أعضاء مجلس إدارة الثورة في ذلك الوقت وكان يقول: أيها الشعب الليبى العظيم.. تنفيذا لإرادتك الحرة وتحقيقا لأمانيك الغالية واستجابة صادقة لندائك المتكرر الذي يطالب بالتغيير والتطهير ويحث على العمل والمبادرة.. قامت قواتك المسلحة بالإطاحة بالنظام الرجعي..... إلى آخره.

كان يوجد تصور في هذا الوقت والعرب كلهم منشغلون بهذا الصراع وحدث وفاق في السودان.. أن عهد هذا النوع من الانقلابات قد فات.. وأنا كنت كتبت قبلها بسنة وقلت إن العمل العربى لابد أن يعتمد على الجامعة العربية.. لأن العالم العربى كان ينتقل من لحظة ثورية قبل (١٩٦٧).

إلى لحظة أخرى تستوجب وحدة العمل القومى.. وهذا لابد أن تُستبعد حدوث انقلابات وثورات لأن الظروف غير مواتية.

ولابد أن ننظر لواقع لليبيا.. فأنا أمام بلد على البحر المتوسط.. وليبيا مساحتها أكبر من مصر بـ٣ مرات على الأقل.. وبها خليج سرت وهو أهم خليج موجود.. وبلد منتج للبترول تنتج نحو ما بين ٦٠ و٦٥ مليون برميل في السنة.. بإيراد قدره ١١ بليون دولار.. وعدد سكانها محدود.. وبترولها من النوع الخفيف يصلح للطائرات ويصل إلى أوروبا مباشرة.. ولا يحتاج إلى رأس الرجاء الصالح.. فالبترول الليبى في هذا الوقت كان مهما جداً.. فليبيا كانت جزءاً مهماً جداً على لعبة شطرنج.. وكانت في هذا الوقت قلعة مهمة من القلاع ولم يفكر فيها أبداً.. ولم يخطر على بال أحد أبداً أن هذا البلد يحدث به تغيير.

الساعة ٩ عند بدء اجتماع الوفود أول يوم في مؤتمر المواجهة الكل كان يتحدث عما جرى في ليبيا.. وكلمنى الرئيس (جمال عبد الناصر) في صباح اليوم ده.. وهو كان قرأ بيان الثورة وقال إيه ده.

وسألنى (عبد الناصر) "هذا معقول. ما حدث في ليبيا؟.. وهويتهم إيه؟".. واضح من الاتجاه أن هويتهم عربية.. وكان في ذلك الوقت يوجد تياران متصارعان هم التيار القومى ويوجد به تياران هما البعث.. ودخل البعث في مشاكل كبيرة.. ويوجد حركة القومية العربية التى تمثلها مصر في ذلك الوقت.

كان السؤال هنا في أى اتجاه هؤلاء الثوار يتجهون.. هل هم أقرب إلينا أم البعث أو الإخوان المسلمون.. ومن الواضح أنهم ليسوا أقرب إلى الشيوعيين.. لأنه بجوار التيار القومى الموجود في دمشق والقاهرة والعراق.. أين هما هؤلاء الثوار؟.

ليبيا بالأوضاع التى شرحتها جائزة فى منتهى الأهمية ولو أمكن ما لديها يوظف في المعركة لأصبح كسبا بلا حدود.. خاصةً في مجال العمق الاستراتيجى والتأثير السياسى طبعا.. لان في هذه اللحظة المحتدمة.. وعندنا الإدارة الأمريكية لا نثق فيها ولكن خطواتها الأولى.

لا أستطيع أن أفسر حقيقة كيف كان وقع ما حدث في ليبيا في تلك اللحظة في هذا المناخ.. اليوم ننظر لليبيا بأن العقيد القذافي فعل كذا وكذا.. وبليبيا تغيير مهم وقع في الخريطة الاستراتيجية للصراع العربى الإسرائيلى الواصل إلى لحظة احتمال تفجير أكبر مما كان مسبوقا.

الاجتماع الأول لدول المواجهة لم ينعقد حتى العاشرة صباحا.. فدخل فقط القاعة مساعدى الوفود ولكن لم يدخل الرؤساء.. الرؤساء ووزراء الخارجية كلهم يجرون اتصالات جانبية.. وهذا واضح في التسجيل لأن الجلسة كانت مسجلة.

الرئيس (جمال عبد الناصر) كلمنى وقال لى أنت شايف الثوار الليبيين تبع أى اتجاه؟ فقلت له أنا أشعر أنهم مثل تيارنا القومى.. لأن البعثين عادة يرتبوا الشعارات بـ"الوحدة والاشتراكية والحرية".. ولكنا كنا نقول الحرية أولا.. لأنه لا يستطيع أن يتخذ قراراً وحدوياً أو قرارا اجتماعياً إلا بلد حر.. وقلت له إنى أرى في الترتيب ـ قد يكون له معنى وقد لا يكون ـ أن هؤلاء الثوار الليبيين استخدموا شعار الحرية والوحدة ولم يستخدموا الاشتراكية ولكنهم استخدموا العدالة الاجتماعية.. لكن هذا لم يقنع الرئيس (عبد الناصر).. ولكن هذا كان لدى نوع من التمنى أكثر من التحليل.

الساعة ١١ ظهرا كلمنى (عبد الناصر).. وقال لى الواضح إن رأيك قد يكون فيه بعض الصواب.. لأنه وصلت برقية من السفارة المصرية ببنى غازى تقول إن أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة ويدعى آدم حواس طلب أن يجىء مندوب مصرى ممثل لـ (عبد الناصر) ليلتقى مجلس قيادة الثورة الليبية.

الساعة ٤ مساءا كلمنى وقال لى هنرد عليهم.. لا أعرف نرسل لهم من؟ لو أرسلت محمود رياض قد يكون ملفتا كوزير خارجية.. فطلب (عبد الناصر) من وزارة

الخارجية أن تستفسر من القنصلية المصرية أن يستفسروا من مجلس قيادة الثورة الليبية أن يوضحوا عايزين من بالضبط؟

كلمنى (عبد الناصر) الساعة ٨ وهو يضحك وقال الظاهر إنهم عايزينك أنت.. فسألته أنا؟.. قال: البرقية أمامي.. ولازم تسافر الليلة إلى بنى غازى.. وللأسف طائرة عسكرية هتأخدك.

فأنا سألت ليه أنا؟؟ فقال لى الظاهر بيسمعوا مقالاتك في صوت العرب.. وممكن سمعوا عن صداقة بينك وبينى.. وأنا أفضل أن نجعل الاتصالات غير رسمية.. لأنه لا نريد أن نضغط عليهم الآن أمام العالم.. بأى موفد رسمى يذهب في هذه اللحظة.

الساعة ١٠ مساء ذهبت إلى منزلى لأجهز حقيبتى.. وطلب منى أن أخذ مصور معى.. قلتله أنا فعلا معى الأستاذ (محمد يوسف).. لأنه عايز يشوف الشباب دول وعايز صورهم.. وكيف يبدو هؤلاء الشباب؟

الساعة ١٠ مساء ركبت السيارة وكان الرئيس (عبد الناصر) قال لى هيسافر معى شخص من جهة أظنها المخابرات.. وفعلا وجدت الأستاذ فتحى الديب موجود في الطائرة وكنت أول مرة أراه.. والطائرة لم يكن بها غير محمد يوسف المصور وفتحى الديب وأنا.. وبدأت رحلة غريبة جداً .. لأنى مش عارف رايح ليه.

عبرنا الحدود المصرية بعد ساعة ونصف الساعة.. وجاء الطيار إلى وقال لى إن هذه هى قاعدة العظم وكان بها أضواء قوية جداً.. وناداه مساعده قاله له ورد إلينا إشارة من قاعدة العظم يسألون من أنت؟

قلنا طائرة مصرية تهبط في مطار بنى غازى.. ولم يردوا علينا لكن بعد فترة قليلة أرسلوا إشارة قالوا فيها إن مطار بنغازى معطل.. وفعلاً مطار بنى غازى والمدينة أضواؤها خافتة.. ولا يوجد آثار لمطار.. وفجأة أنيرت مصابيح سيارة على مهبط الطائرة.

وعند النزول.. لم يكن يوجد خدمة مدنية.. فأحضروا سلم خشب جنب الطائرة وأخبرونا أنه لا توجد خدمة مدنية بالمطار.. ونزلنا.

وجاءت السيارة التى كانت توجه ضوءها إلى المطار ونزل منها ضابط عرف نفسه أنه آدم حواس عضو مجلس قيادة الثورة.. واعتذر عن وضع المطار.

قال لى سنذهب لمقابلة الجماعة في القنصلية المصرية في بنغازى.. وركبنا السيارة وحاولت أن أتحدث معه.. وهو لم يتكلم لكن قال سنذهب للقنصلية المصرية.

وصلنا ووجدت شخصا عرف نفسه بالرائد مصطفي الخروبى الرجل الثانى في الثورة.. وأنه (عبدالحكيم عامر) بتاع الثورة دى.. قلتله بلاش فـ(عبدالحكيم عامر) راجل كويس جداً.. لكن انتهى نهاية مآسوية للأسف.. وطلبت منه يقول لى أكثر عن الثورة فقال لى لما "هو" ييجى.

بعد وقت قليل سمعنا صوت سيارات.. ودخل علينا شاب مع اثنين من الضباط.. وكان نحيفاً وصغير السن جداً.. ورحب بى.. وعرفت أنه "هو".. ولأول مرة يقول لى ليه اختارونى أنا لأنهم قرأوا مقالاً لى قلت فيه إننا لا نريد القومية العربية أن تعتمد على مغامرات الليل وبيان الفجر.. وتأملنا فيه وسألنا أنفسنا هل ما نفعله صح أم خطأ في ضوء ما كتبته في المقال.. ولكننا قررنا المضى في طريقنا وما عزمنا القيام به.

قلت له انتوا عملتوا أكتر جداً من اللى الكل يتصوره.. ولا أحد كان يتوقع أن الجيش الليبى به ضباط أحرار في الظروف دى.. وقالى أرجوك احنا اسمنا الضباط الوحدويين الأحرار.

أنا الحقيقة أنظر له ولمن حوله أتذكر وضع ليبيا.. أتذكر أن أى تصور عن ثورة مستحيل فيوجد قاعدة بريطانية هنا بجانب بنى غازى.. وقاعدة أمريكية بجانب طرابلس.. والجيش الليبى في ذلك الوقت ٩ آلاف جندى.. وقوة حرس البوليس ١٢ ألف.. وقوة حرس البوليس العادى ١٨ ألف.. إذن كيف حدث انقلاب.. وبدأت أسأله وأنا غير مصدق.

لكن القذافي فيما بعد لقب نفسه ملك ملوك أفريقيا.. وممكن ينطبق عليه لقب صاحب الجلالة الإمبراطورية.. وقلت له إن الذي فعلتوه كان أملا مرجوا في هذا الوضع الاستراتيجى للمنطقة.. لكنه أمل مستحيل وأن يتحقق بهذا الطريقة أنا مش متأكد.

وسألته القواعد العسكرية بتعمل إيه.. قاعدة العضم وهى قريبة من بنى غازى.. وقاعدة ويلاس وهى داخلة في العاصمة طرابلس.. والبحر الأبيض مكشوف من للأسطول الأمريكى السادس.. وأبديت قلقى مما يمكن أن يجرى.. فقال لى إن كل حاجة مؤمنة.. طلبت منه احتمالات التدخل وطلب منى أن أقول احتمالاتى للتدخل.. وجلست أسمعه إلى الفجر تقريبا.. وقررت أغادر بعد ٣ ساعات معه.

وعندما رجعت وجدت في انتظاري بالمطار السيد سامي شرف.. وأبلغني أن أذهب للرئيس (عبد الناصر) قبل الذهاب لمنزلي.. فدخلت مكتب (عبد الناصر).. وقال لي إيه؟ قلتله أنا حقيقي شديد الأسف.. لكن أظن أن عندك مشكلة بلا حدود.. قال لي إيه هما بعثيين؟ قلت له لأ أسوأ.. المشكلة أنه عندك قدر من البراءة.. حيث بدا الشباب الليبيين أمامي وكأنهم موجة عذراء طلعت من وسط البحر في موقف غير معقول.. هم شباب في منتهى البراءة يواجهون موقف في منتهى الصعوبة في أجواء في منتهى الخطر.



## ١٩

## ليبيا.. وعام الثورة !!

كل حدث في التاريخ وكل فعل في السياسة لا تظهر أهميته إلا إذا وضع في إطاره بمعنى أنه لا يتبين كل الحدث في كل ما يجرى إلا إذا وضع في موقعه الجغرافي وفي زمنه وظرفه وملابساته وبدون ذلك تضيع الحقيقة وأهمية اللحظات الفارقة في تاريخ الأمم والشعوب.

وإذا نظر أحد إلى الدولة الليبية الموجودة بعد ٤٠ سنة من حدود ما جرى سنة (١٩٦٩) دولة عادية مثل أى دول حدث فيها انقلاب عسكرى.

وبالنسبة لليبيا فإذا لم توضع الأحداث والأفعال في إطارها الزمنى وظروفها وملابساتها نخطئ كثيراً.

وفي ١ و٢ سبتمبر (١٩٦٩) وهى سنة القلق فما حدث في ليبيا إذا وضع في إطاره تبين درجة أهميته بشدة لأنه متصل بدرجة المعركة لأن مساحة ثلاثة آلاف كيلو على البحر الأبيض وخمسين ستين مليون برميل في السنة.

وهو دخل يصل إلى ١٢ بليون دولار.. وهناك أسطول سادس يسند إسرائيل والاحتياطى الاستراتيجى لها وقواعد أمريكية موجودة في ميلاس بجوار طرابلس.. وهو موقع في منتهى الأهمية.. وإجراء تغيير رئيسى في هذا الوقت أكثر مما نتصوره ونحن عندما نطل بأعصاب هادئة بعد أربعين سنة وطبائع بشر وبلدان وحقائق مختلفة ومستجدة.

وما نراه الآن لا يمكن أن يدل على ما يواجهنا في ذلك الوقت.. وذهبت بعدها بأسبوع لأن ليبيا طلبتنى بالاسم من مصر وتحدثت كيف أننى ذهبت في طائرة عسكرية والتقيت بمعمر القذافي وعدد من قائدى الثورة وبعد منتصف ليلة ٢ سبتمبر عدت إلى القاهرة وطلبت مقابلة (عبد الناصر) لأروى الذي رأيته.

وكتبت في الطائرة ما رأيته كما أقوم بهذا عادة وجهزتِ أيضاً لمقابلاتى.. وأنا لا أحب أن تكون الفترات متباعدة بين ما سجلت وما سمعت وبين كل حدث.. وبعد أى مشاهدة لأى شيء أنتهز أقرب وقت لأكتب ما أريده وما رأيته لكى لا أعتمد على الذاكرة.

وكتبت من أول الطرق التى لم يكن بها أى أيضاًح والحركة الموجودة ولم نكن لنراها والذاهبة في ذلك الليل بعد منتصف الليل إلى بنى غازى.

وقال لى معمر القذافي "نحن لا نريد أن نكون شعبا لا يعمل وأن عوائد البترول تكفيه ولا نريد أن نبقى بعيدين عن أمتنا العربية ولا نستطيع أن نشاهد معركة ولا نشارك فيها.. وقال القذافي لى إن يوم (٦٧) رأينا الطائرات المقلعة من قاعدة ويلس الأمريكية وهى ذاهبة تشارك وكدنا نجن.. وأنهم ذهبوا - هو ورفاقه - للانضمام لأى قوات مصرية يقابلونها وهى على الجبهة.

ولكن منعوا وهم على خط الحدود.. ثم تحدث القذافي عن مصير الأمة الواحدة وكيف أثرت فيهم سنة ١٩٥٦ وحلم الوحدة العربية والأمة العربية وطلب وحدة في نفس اليوم التى قامت فيه الثورة.

وقال القذافي إن ليبيا - أرضا ومساحة - كلها معكم لأننا نريد أن نكون في هذه المعركة المصيرية التى تخوضها الأمة العربية.. ونحن نواجه معارك ضارية وهناك غارات عمق ووصل التوتر وشدة المعارك إلى تفكير ووضع الخطط المصرية للعبور للشرق وأصبحت هذه الخطط موجودة وتناقش.

وهناك تهديد بخطط إسرائيلية مضادة وخطط علنية وعبور مضاد.. وكان يتساءل الناس في ذلك الوقت عن حقيقة وصحة حركة المقاومة العربية وصدقها.. وجاهزة وما تستطيع أن تقوم به.. وهذا وقت لا يمكن أن يطلب أحد فيه إجابة عن أسئلة معقدة من هذا النوع.

وبعد الثورة الليبية كان الخطاب رائعاً ومذهلاً.. وجلست مع (عبد الناصر) وقلت له ما رأيته وكان محمد يوسف كبير مصورى الأهرام في ذلك الوقت.. أخذوا الصور التى كانت معه ليجهزها في الأهرام وعاد بها مطبوعة وذهب من المطار للأهرام مباشرةً وذهبت لمنزل (عبد الناصر).

وطلبت ليبيا طلبات كبيرة وهم محاصرون بالمخاطر ويكفيهم الأسطول السادس الموجود أمامه على الشواطئ.. وعندما كنت عائدا بالطائرة العسكرية لفت نظرى قائد الطائرة إلى قطع أسطول مرئية أمريكية ولكن خارج المياه الإقليمية الليبية.

ويتحدثون بكلام خطير وهناك قواعد أمريكية بجوار بنى غازى وطرابلس.. وكان الملك (السنوسى) موجودا في إسطنبول لأنه كان في إجازة.. في ذلك الوقت وكان معروفا وجود قبائل موالية للملك في ذلك الوقت.. وما يقولونه في ذلك الفجر في القنصلية في بنى غازى ورغم ما حققوه بسرعة في الاستيلاء على السلطة وكانت عملية صعبة نظرا لاتساع مسافة البلد لأن إدارة عملية من هذا النوع من طبرق إلى طرابلس بستين أو سبعين ضابطاً وكان الجيش الليبى كله ٣٥٠ ضابطاً فقط.. وكان نجاح هذه العملية تقريباً شبه مستحيل.

وكانت مفاجأة للجميع.. وكتبت أن كل الناس مذهولون بالمفاجأة وكل ما دون الثلاثين سنة مأخوذون بالحماسة إلى درجة غير معقولة.. ونحن عائدون إلى مصر ولم يقس أحد الرأى العام لكن ظاهرا أن هناك شيئا حدث ولكن المخاطر التى تتربص به كبيرة جداً .

وتحدثت مع (عبد الناصر) حول احتمالات التدخل العسكرى في ليبيا لأن هذا لم يكن خافياً وكانت هناك خطط للتدخل العسكرى في ليبيا وقد كتبت عنها في الأهرام سنة ١٩٦٥.وحدث شيء غريب سنة ١٩٦٤ وكتبت عنها سنة ١٩٦٥.

وهى أن هناك جاويش بريطانى يدعى برسى سيدنى ألان قدم نفسه للملحق العسكرى في سفارتنا في لندن وقال له إن الرجل كان في ضيق لسبب أو لآخر وكان هذا الجاويش موجود في دار المحفوظات في وزارة الدفاع البريطانية ولديه كل خطط الطوارئ وأنه يريد نقودا ويمر بأزمة.. وذهب للملحق العسكرى ولم يرد مقابلته وقابله نائب الملحق العسكرى وقال له إنه يعمل في وزارة الدفاع في مركز حفظ وثائق الخطط.

وإنه مستعد أن يعطينا ما نريده من الخطط مقابل ثلاثة آلاف جنيه استرلينى.. وأعطى بعض الأوراق ليثبت جدية عرضه لمساعد الملحق العسكرى المصرى.. وتصور مساعد الملحق أن هذه الوثائق مهمة لدرجة أنها لا يمكن أن تكون صحيحة وأن هذا فخا بقصد الايقاع به أو مزيفا.. وقال للجاويش البريطانى: إننا لا نهتم.

وذهب هذا الرجل لدار الملحق العسكرى العراقى.. فأعطاه الثلاثة آلاف جنيه وأعطاه الوثائق وفيها كل خطط التدخل البريطانية الموجودة والمحتملة في حالات الطوارئ خاصةً في ليبيا.

وأخذ العراقيون هذه الخطط وبتبادل المعلومات معهم أعطونا المجموعة الكاملة وهذه الوثائق وهى أمامى في هذه اللحظة وهى تقارير ومشروعات خطط عمليات وما إذا جرى شيء ما في ليبيا.. وهناك تقرير مرفوع من هيئة التخطيط إلى رئيس أركان حرب وهو في ذلك الوقت أدمون باتن والتقرير المرفوع من الهيئة البريطانية يقول: إن كل خطة في الدنيا تضع فرضا سياسيا لخطر محتمل يمكن أن يؤثر في خطر ما.

وبالنسبة لليبيا نستبعد أى عمل سياسى.. وأن في ليبيا هناك احتمال وجود قلاقل داخلية في شتى المدن الشمالية في طرابلس وبنى غازى ودرنة واحتمال قلاقل بسبب التحريض الآتى من القاهرة.. أو ثورة تطلب حقها أكثر في النفط أو عملية تمرد.

ومن الممكن أن يقوم الجيش بعمليات لكنه صغير للغاية ومن الصعب القيام بهذه العمليات ولن يقوم بها إلا إذا ضمن نجدة سريعة تجيئه من داخل مصر.. وعلى هذا الأساس فنحن نضع خططا جديدة للتدخل ونسقنا فيها مع الأمريكان بطبيعة الحال وهى قائمة على القوات الموجودة في القواعد وتدعيم هذه القوات بلواءى مشاه من قبرص عند اللزوم.

لكننا لا نتوقع وقوع قلاقل في ذلك الوقت.. ونتوقع حدوث قلاقل في حالة ما إذا جرى شيء للملك (إدريس السنوسى[1] ) لأن ملك ليبيا بالطريقة السنوسية وطريقة استقلال ليبيا بشكل أو بآخر كان يُنظر له باحترام ولم يكن لديه أولاد إطلاقا لكن اختار ابن أخيه الأمير الرضا ولى عهده.

وبالتالى فافتراضات الخطة تتوقع أن الاحتمال القائم بالتدخل هو في حالة وفاة الملك يبقى هناك تسابق لمراكز القوة دون ولى عهد مقبول لأنه لم يكن مقبولا.. وأنه في حالة وفاة الملك من الممكن أن تحدث قلاقل ومن الممكن أن يحاول الجيش القائم بليبيا.. لكنه امام قوة دفاع أكبر منه.. لكن هناك احتمالات تمرد في قوة دفاع برقة.

لكن على أى حال الوقت الذي يمكن أن ننتظر فيه هو وقت وفاة الملك.. وخطط إنجلترا موجودة مرتكزة على قاعدة العدو وفيها قوات وكل هذا يمكن نجدته ويمكن نجدتها بتدخل لواءى مشاة ومن الممكن أن تتدخل القوات الأمريكية من قاعدة ويلس ووراءها الأسطول الأمريكى السادس.

وتمضى الخطة في تحركات القوات وهو الجزء الخاص بليبيا ولا يترك تفصيلا في أى شيء حتى في حالة الاستغناء عن البترول الليبى.. لأن القوات جاهزة بأى شيء للتدخل.. وكل هذا كان موجودا وهذا كله نشرته في الأهرام سنة ١٩٦٥.

وأخذنا في البحث حول صحة هذه الخطط وهل يبنى عليه تصور أم لا؟ وتنبه الإنجليز إلى أن هذا الجاويش قام بجريمة وتم القبض عليه وحكم عليه بعشر سنوات سجن.. وبالتالى لم يعد في الأمر سر وجاءت.خطط وعثرنا على سر بها ونشرناها باتفاق مع العراقيين بعد إرسالهم لنا وقررنا نشرها لنظهر أمام الناس والعالم العربى كيف يفكر الإنجليز.. وهناك مخاطر محتملة ولكن هذا الذي حدث سنة ١٩٦٤ ونشرته سنة ١٩٦٥.

وحدثت الثورة الليبية ولم يكن يتوقع أحد.. وأنا رأيت هذا الحدث بعد وقوعه في ١ سبتمبر وفي فجر ٢ سبتمبر إذن نحن أمام احتمال تفعيل هذه الخطط وكل شيء جاهز

---

(١) الملك إدريس الأول (١٢ مارس ١٨٩٠ - ٢٥ مايو ١٩٨٣)هو أول حاكم لليبيا بعد الاستقلال عن إيطاليا في ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ وحتى ١٩٦٩ وهو من العائلة السنوسية.. من سلالة محمد بن علي السنوسي.. مؤسس الطريقة السنوسية.. وورث موقع جده.. ظل ملكًا على ليبيا حتى قامت ثورة الفاتح من سبتمبر في ١ سبتمبر ١٩٦٩ بقيادة معمر القذافي فأطاحت بحكمه.. وكان وقتها في تركيا وتوجه لاحقًا إلى اليونان حيث أقام لفترة ثم انتقل إلى مصر برفقته زوجته الملكة فاطمة.. وظل مقيماً بها حتى توفي في ١٢ شعبان ١٤٠٤ هـ الموافق ٢٥ مايو ١٩٨٣ ودفن بالبقيع حسب وصيته.

لها وموقع ليبيا لا يمكن بسهولة تركه بهذا الشكل في حركة القومية العربية ولا يمكن تركه في وسط معركة مع إسرائيل وموارد البترول.. خاصةً هذه المواجهة العريضة على البحر الأبيض.

وتحت مواقع البترول هناك موضوع لا يمكن أن يُترك وأنا أجلس مع (جمال عبد الناصر) لديه مأزق شديد جداً.. وسألني هل طلبوا مساعدة؟ فقلت له إنهم لم يطلبوا أى شيء.. وهم عارضون كل شيء ولكن الصورة الاستراتيجية العامة لهؤلاء الشباب والمخاطر المحدقة بليبيا أكثر بكثير جداً من كل هذا.. وكان همّ (جمال عبد الناصر) أن هناك خططٌ موجودة.. وهذه جائزة لا يمكن تركها لا ليبيا بالتحديد ولا في هذا الظرف أيضاً.

وقال (عبد الناصر) إنهم لو طلبوا مساعدة لا أستطيع أن ألبى والقوات المصرية موجودة على الجبهة ولديهم قوات احتياطية تحت تصرف القيادة العامة ولكن هذه القوات هناك تقريباً فرقتان موجودتان في الاحتياطى وموجودتان لتدعيم الجبهة ولصد أى احتمال عبور إسرائيلى مضاد للعبور الذي كنا نخطط له في ذلك الوقت.. إذا اكتمل حائط الصواريخ.

لكنه حمل هم التدخل لكن الأقدار الآتية هناك أسطول أمريكى يقوم بالتحركات والطائرات التى على الأسطول السادس تقوم بتحركات وكانت تقترب من خليج سرت وتقترب بمسافة على الحدود الليبية وعلى خط المياه الإقليمية لأن هناك قاعدة موجودة في طرابلس وقاعدة موجودة في قبرص وإذا طلبوا نجدة أمام هذا التهديد.. سيكون من الصعب جداً علينا أن نلبى.. لأنه لا يمكن أن تترك الثورة لمذبحة.

وأنا أقول على أهم المواقف التى أخذها (جمال عبد الناصر).. حيث وجدته يقول لى إنهم إذا طلبوا مساعدة فنحن في مأزق وأنا لا أعرف ماذا سأفعل.. وقال لى إنه سيجرب شيئا.. وهو أن يتصل بالملك (السنوسى) وبيننا علاقات طويلة وأن أى عمل حتى في الخطط التى كنا نتذكرها والتى نشرناها.. وقد استعددنا لهذه الخطط في ذلك الوقت وكنا نجلس في مكتبه.

وقال إن الخطط كلها في حالة وفاة الملك (السنوسى) حيث يمكن أن تحدث قلاقل.. ولكن غير ذلك فإن شرعية الملك سوف تسمح وتغطى على أى عمل إنجليزى أو

أمريكانى إذا حدثت قلاقل.. وهذا كان مستبعدا.. ولكن الكلام على شرعية الملك.. وإذا كان الكلام عن التدخل فهو قد فارق الحياة.

وبدأت المناورات من البحر الأبيض وبدأ تهديد بإرسال القوات من قبرص ومن مالطة وبدأت القواعد تتحرك وتتحفز.. وكان رأى (عبد الناصر) أنه أى عمل عسكرى لا يمكن أن يحدث من فراغ.. ولا بد أن تغطيه شرعية من نوع ما وفي الحالة الليبية وفي هذا الوقت الشرعية جاهزة.. والملك موجود وبعيد عن أيدى الثوار ولا يستطيعون القبض عليه لأنه كان موجودا في إجازة بأسطنبول.

ولأن الملك خارج ليبيا والإنجليز والأمريكان يستطيعون الاتصال به جاءت الاخبار بأن الاتصالات مع الملك بدأت لكن (جمال عبد الناصر).. خطر له أن يتصل بالملك ويقول إنه يعرف الملك سنوسى ويعرف أنه رجل زاهد.. وأنه غير حريص على ملك.

وأنه قال له إنه كان لاجئا في الإسكندرية قبل استقلال ليبيا سنة ١٩٥٢ وساعدنا في الاستقلال سواء قبل الثورة أو بعدها وساعدنا في ترتيب معاهدات الاستقلال.. وقال إنه يعرف (عبد الناصر) ويتطلع إلى العودة مرة أخرى للإسكندرية.

وقد اختار (عبد الناصر) حسن صبري الخولى ليذهب إلى هناك بعد الاستقرار على اختياره لتلك المهمة.. نظراً لوجود علاقات طيبة تجمعهما.. وطلب الملف الخاص به وأنا معه. ولما أطل على هذا الملف أجد فيه شخصية الملك ونوع تفكيره.. ووضوح الزهد في طباعه.

وعندما أطلع على هذا الملف أجد مجموعة مراسلات مرتبطة بذلك الوقت.. وهناك علاقات ومراسلات بين الإثنين.. وأجد أن في هذه السنة بالتحديد وهى سنة القلق أن الملك (السنوسى) قد أرسل لـ (عبد الناصر) وقال له كما يهمكم المضى في رسالة الخير وحرصاً منا على أن تكون فخامتكم على بينة من الأمر فإنه نما إلى علمنا العثور على مصحف أثرى قديم.. في رواق المغاربة في الأزهر الشريف.. يعود لسيدى أحمد الزروق العالم الفاضل الليبى الذي تركه في الأزهر.. ولديه سُبحة ألفية[1] في مدينة مصراته التى وافته المنيةُ بها.. وهى من المتروكات الموجودة كما أشرت إليه آنفاً..

---

(١) السبحة الألفية هي سبحة عدد حباتها الف حبة.. والمسبحة المذكورة كانت تتكون من الف حبة من خرز الزيتون ويرجع تاريخها إلى نحو ٦٠٠ سنة.

ورغبة منا لرؤية المصحف الشريف فقد قدم علينا الشيخ أحمد الكبيشى رئيس رواق المغاربة في زيارة خاصة للتبرك وللإطلاع عليه.. فطلبنا منه ترك المصحف آملين أن ترى رغبتنا هذه تجاوباً من فخامتكم.

ورد (جمال عبد الناصر) على الملك (السنوسى) وقال له إنه أسعده أن يستقبل مبعوث جلالتكم وهو (عبدالعزيز الشلحى).. الذي حمل إلينا رسالتكم التى تفيض بمشاعر الود الصادق وتفصح عن أمانينا المشتركة.

وأنه ليسرنى أن أؤكد لجلالتكم أن رغبتكم النابعة بإيمانكم العميق بالحق سبحانه وتعالى كانت موضع اهتمام وتقدير وتفهم كامل.. وسوف نرسل الشيخ أحمد الكنيشى.. شيخ رواق المغاربة في الأزهر الشريف حاملاً لجلالتكم المسبحة الألفية مهداة إلى جلالتكم من شعب الجمهورية العربية المتحدة.. موقنين أن وجود الأثرين المسبحة والمصحف في ليبيا الشقيقة كوجودهم.. في الجمهورية العربية.. ووجدت بعد ذلك الملحق بهم..

وتم عمل كيس وصندوق فاخر تمهيداً لإهدائها بالشكل اللائق من وزارة الأوقاف باسم الملك (السنوسى) في المملكة الليبية.. ووضعت في طائرة خاصة توجهت إلى طرابلس تحمل الشيخ الكنيشى بالمسبحة للملك (السنوسى) وكان الأخير سعيداً جداً بذلك.

ولكن كان كل ما يهم الرئيس (عبد الناصر) هو إزاحة أية مخاطر متوقعة قد تحيط بليبيا.. فخطر له وقتها الاتصال بملك ليبيا الذى كان معروفٌ عنه كونه رجل زاهد.. حتى يقطع الطريق على الأمريكان والإنجليز لمحاولة استخدامهم إياه على رأس قوات غزو خارجية من إحدى القواعد أو من الأسطول السادس.. وحتى لا يسبب ذلك مشكلة حدودية لمصر.

وحُمِلَ المصحف والمسبحة فوراً إلى أسطنبول.. مع رسالة خاصة من (عبد الناصر) تحمل هذا المعنى للملك السنوسي.. واضعاً تحت تصرفه تلك الحقائق.. وكان من بين سطور الرسالة التى حُملت إلى الملك تقدير (عبد الناصر) لسيطرته كملك على القبائل الموالية له.. وأخذ الرسالة حسن صبرى الخولى.. وذهب للملك وتحدث معه في كل شيء.. وقال له أن مصر لم تكن تعلم بأى شيء مما حدث.. ونحن نعلم بأنك تقدر شباب

وطنك.. وليبيا حالياً معرضة للخطر من جانب الإنجليز.. والأمريكان موجودون على بعد خطوة من الساحل الليبي.. وأى شيء سوف يحدث من شأنه أن يحول الأمر لمذبحة.. وإذا أُستعملت أنت كملك في هذا.. فسوف تكون مسألة خطيرة بالنسبة لتاريخك.. ونحن ندرك حرصك على شعبك.. ولن نسمح بإعطاء الأمريكان حق التصرف.

وجد الملك نفسه في حيرة شديدة بسبب الضغوط الموجودة حوله من الأمريكان والإنجليز الذين حاولوا الاتصال به.. ولا يعرف ما يجب عليه القيام به.. فإذا به يفاجئ الجميع.. ويترك إسطنبول.. ويذهب لبلدةٍ في اليونان لديه منزل صغير بها هناك.

وأرسل حسن صبرى الخولى رسالة يقول فيها أن الملك أبدى تفهماً كاملاً لرسالة (عبد الناصر) .

وعلمت في المساء أن هناك برقية وصلت.. وأن الملك أبدى تفهمه للموقف بالفعل كما رآه.. وقدره (عبد الناصر).. ولكن هذا غير كاف..

وأُرسِلَتْ تعليمات.. ولكن دون إلحاح على الملك بأن يجعل موقفه علنياً..

وأثناء وجودى في الأهرام كان أى خبر عاجل يكون هناك إنذار عام به لتنبيه العاملين بالجريدة إلى أن هناك أنباء غير عادية قدمت.. وتناقلت وكالات الأنباء الخبر بأن الملك (السنوسى) مستعد للتنازل عن العرش.

ولم أكن أصدق وعند تكملة بقية الوثائق التى جاءت بعد ذلك أجد أن الملك (السنوسى) قام بشيء هائل.. وأن المسبحة والمصحف وما حدث في الاسكندرية حافظ على الشرعية وأن تنزع أى تدخل أمريكى أو بريطانى ضد الثورة الليبية.. لأنه سيكون مأسويا ولا قبل لأحد أن يتقبله.. وكان (عبد الناصر) يعتقد وهو صحيح سياسيا وهو بالمنطق السياسى أنه لا يمكن أن يكون هناك منطق عسكرى بدون غطاء.

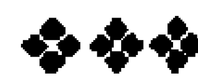
وجاءت برقيات والوكالات في ذلك الوقت لا تستطيع أن تتبين من صدق النبأ ونحن لدينا ما يشير بصحته.. وإذا بالملك (السنوسى) يرسل يوم ٤ سبتمبر برقية يؤكد فيها كل شيء ولكن ليس بشكل مباشر.. وقال أرجو التوسط لدى رئيس الثورة بليبيا.

ليطلق صراح ابنتنا سليمة وسكرتيرة زوجتنا المدعوة سحر اللتين في المعتقل بطرابلس وارسالهما لليونان ونؤكد أن كل ما أشيع عنا بأننا عازمون على العودة إلى ليبيا لا نصيب له من الصحة.. وأنه اعترف برئيس الثورة الليبية.

فيرسل (عبد الناصر) لكل من الملك والملكة ويقول نحن مقدرون ما قمت به وكلفت سفير الجمهورية العربية لكى يحمل لكم هذا الخطاب وأن يكون تحت أمرك في كل ما تشاء.. وأن ما يتعلق بابنتكم سليمة والسكرتيرة سحر رفاعى فقد عاودت الاتصال بالأخوة في ليبيا وكانوا عند كلمتهم فهل تقبلوا هذا.. فهذه هى برقية الملك (السنوسى) وما أشيع.

وقال (عبد الناصر) للملكة إن ابنتكم موجودة وفي انتظاركم والسكرتيرة موجودة وفي انتظاركم لما تأتوا في قصر سموحة وهو على البحر يخص الملك سنوسى ويجلس فيه.. وطمأن الملكة وقال إنهم سيجدونهم في قصر الضيافة في مصر.

وهنا كل ما هو إنسانى قام بدوره ولعبه في ذلك الوقت وأبسط حاجة فيها هو نزع الشرعية عن أى تدخل.. وعلينا الانتظار وما يمكن أن يصنعه قانون القوة في هذا البلد بالتحديد في هذه اللحظة بالتحديد في هذا الظرف بالتحديد.



**توابع ثورة الفاتح من سبتمبر!!**

لا أظن أن أحداً في الأجيال المعاصرة يستطيع أن يتصور تأثير الثورة الليبية (١٩٦٩) في سبتمبر. لأنه لا يمكن إدراك صعوبة وخطورة ما حدث وتعقيباته أيضاً.. إلا من عاشوا التجربة عن قرب أو من أتيح لهم الاطلاع على الوثائق والأوراق الداخلية المهتمة بما جرى وهى الآن متاحة.

وما جرى في ذلك الوقت كان تغييرا كبيرا وهائلا وقع على ساحة الصراع المباشر وجبهة الصراع في قناة السويس.. لأنه غيّر موازين استراتيجية واضحة ثم إن له أثرا كبيرا في الأوضاع الداخلية في الأقليم.. والأوضاع الدولية المحيطة بالبحر الأبيض والذي كان في ذلك الوقت بؤرة الصراعات في العالم.

وهذا التغيير الكبير أظن أنه جاء مفاجأة بالكامل ولم يكن هناك أى طرف مستعد للتعامل مع احتمالاته ولا تداعياته.. لا العالم ولا الإقليم كان مستعدا.. وأكاد أقول إنه حتى القائمين على العمل لم يكونوا مهيأين ولا جاهزين للتعامل مع شيء قاموا به وذلك بحسب ما أتذكر في ذلك الوقت.

وأتذكر أيضاً الرئيس معمر القذافي حينما جاء في زيارة إلى القاهرة بعد شهور وجاء إلى مكتبى في الأهرام وهو يقول لى إنه عندما أطل على الصورة شعر أن نسبة النجاح (١) في المليون وأن هذا الواحد في المليون تحقق.

وإذا كان صحيحا وجود قرار اتخذ لاغتيال (عبد الناصر) بالسم.. أظن أن البذور الجنينة الأولى بدأت بعد الثورة الليبية لأنه في أعقاب الثورة الليبية بدأ إحساس عام بالقلق وحسابات أكثر من أن تحسب.. وأن المشكلة تكمن في الحركة القومية العربية.

وأن المشكلة هنا في القاهرة وأن هذا الوضع مازال قائماً في القاهرة ولا يزال يقاوم في العدوان.. وما جرى في (٦٧) وكان فيه صامدا وواقفا "(جمال عبد الناصر)".. والذي كان يحارب ويقاتل هو مصدر الخطر خاصةً كل هذا التأييد الذي يجده من كل الأمة العربية المستعدة بأن تقاتل.

ومن يقرأ الورقة التى كتبها (عبد الناصر) بخط يده والتى سمع فيها من التسجيلات التى أجريت في السفارة الأمريكية في ذلك الوقت والتى كان فيها وزير مفوض إسرائيلى حاضراً ومعه سكرتيرة السفير أو مديرة مكتبه وهى تقول إن الكبار في إسرائيل وجولدا مائير وديان كلهم متوصلون إلى أنه لا يمكن أن تنتهى مشكلة الشرق الأوسط وتطمئن إسرائيل إلا بانتهاء (جمال عبد الناصر) بالسم أو بالمرض.

وقد سجلها (جمال عبد الناصر).. ولو أن أحدا يعيد هذه الورقة مرة أخرى لوجد أنها مكتوبة بخط (جمال عبد الناصر) يوم ٦ ديسمبر بعد أسابيع من قيام الثورة في ليبيا نتيجة التأثر بما جرى.

وهنا يطرأ سؤال في منتهى الأهمية.. فبعد أن كتبنا للملك (السنوسى) واستجاب الأخير وأعطى طمأنينة ونزع الشرعية الدولية عن إمكانية أى تدخل عسكرى.. فالقوة قادرة باستمرار على تدبير وسائلها وأمورها وتكون معنية بالأمر الواقع.

صحيح أن الملك أعطى شيئا واستجاب بقدر كبير من الزهد وأرسل لليبيا للاطمئنان وأرسلوا من ليبيا بعد ذلك لـ (جمال عبد الناصر) يقولون في برقية لافتة.. يقولون "يسعدنا طمأنتنا وهو لم يكن أمرا مستغربا أو مستبعدا ولكنه الأمر المألوف واسمح لنا يا سيادة الرئيس بسرعة واختصار لضيق وقتنا..".. والسؤال هنا أنه إذا كان أمر ما

طرأ في ليبيا إلى هذه الدرجة من الخطورة وهو صحيح إذن كيف تتدخل قوى والإنجليز موجودون في قاعدة عضم وويلز.. والأسطول الأمريكى موجود.. فكيف يمكن أن يقبل التغيير الاستراتيجى بهذه الأهمية وهذه الدرجة ثم يحدث تدخل ضده.. وأنه من المفترض وجود استعداد وخطط طوارئ.

وبالعودة للوثائق والرجوع إليها مهم جداً ونطرح تساؤلا: "لماذا لم تتدخل بريطانيا؟ فإنجلترا وقتها هى الطرف المسئول مباشرة عن ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية وبعد انتهاء السيطرة الايطالية التى كانت موجودة من أول غزو ليبيا سنة ١٩١٠ ـ ١٩١١ ـ ١٩١٢.. إلى ما بعد الحرب.. وبعد الحرب عادت إنجلترا إلى ليبيا بالوصاية ثم بعد اتفاقية احتلال دون تفاصيل كثيرة ودن تقارير كثيرة.

وبالتالى إنجلترا هنا موجودة ولها مصالح كبيرة ووجودها في البحر الأبيض كبير.. وقد قالت إنها ستنسحب من شرق السويس قبل (٦٧) لكن غرب السويس لم تنسحب منه.. وهى موجودة في مالطا وفي جبل طارق.. وكل التجارة البريطانية موجودة في البحر الأبيض.. قبل أى شيء آخر والأسطول هو مصدر القوى ولم يكن لديهم ذلك التفوق الخارق في الجيش.. ولكن حرصوا باستمرار تعويض النقص في الجيش في هذه الجُزر البريطانية الصغيرة جداً والمحدودة من السكان.

نجد أن أول شيء هناك شعور بالدهشة والمفاجأة شديدة جداً في بريطانيا.. حيث إنهم اكتشفوا أنهم أخطأوا في الحسابات جداً لأن القوات التى يجب أن تكون بمقتضى الخطة الموجودة في قاعدة العضم وكانت مقدرة بذلك الوقت بلواءين ويعززهما فرقة موجودة في مالطا لم تعد موجودة.

وبعد (٦٧) كانت هناك احتمالات وجود قوات مصرية تساعد في ليبيا بشكل. وما كان موجودا في التقديرات البريطانية أن قوة دفاع برقة التى كانوا يعتمدون عليها حدث لها شيء غريب..

وقد كان يقودها بجاديب برجاسون.. وحدث خلاف على من يحل محله في قيادة قوة دفاع برقة بعد وفاته.. وشعر بعض الضباط الليبيين بعد الترقية أن هذه القوة يجب أن يرأسها ليبى.. وكانت هناك ثقة كبيرة في القائد البريطانى الذي مات ثم حدثت مشكلة على من يخلفه.. بين الضباط الإنجليز والضباط الليبيين ثم من يخلفهم.

وما يتعلق بالموقف البريطانى فقد فاجأ الملك (السنوسى) الجميع حينما نزع غطاء الشرعية وبالتالى بدا هناك ضرورة ليس فقط قوات جاهزة أيضاً لم يعد هناك عذر يغطى به شرعية ولو مؤقتا تدخلا يمكن أن يحدث لاحقا وهناك شيء آخر.. فبشكل ما وقع الخلل التقليدى بين حليفين كبيرين كل منهما يعتقد أن الآخر جاهز. وقد تصور الإنجليز أن الأمريكان مسيطرون على المصالح البترولية وأنهم موجودون في ويرس.. وأن الأسطول الأمريكى جاهز وعليه بحارة الأسطول.

ولكن ما حدث هو أنه حتى الأمريكان لم يكونوا جاهزين والأمريكان كان عندهم موقف.. فلما نرى الاجتماعات وأمامى محاضر اجتماعات لمجلس الأمن القومى.. وهى أول أصداء للثورة الليبية بعد المفاجأة وبدا الذهول من ما جرى.والرئيس الأمريكى في أول إشارات وأول جلسة يتساءل ما العمل؟.

وكان مشغولاً في فيتنام ولم يكن مستعداً في الدخول في مغامرة عسكرية أخرى خاصةً أنهم يدركون أنهم لو قاموا بمغامرة غير محسوبة ووجدوا مقاومة في الداخل.. سنجد في مصر متطوعين إذا كان النظام العام قائما في ليبيا ولكن يمكن استمرار القلاقل ثم الجزائريين من الجنوب.. وهم يستطيعون إلى أبعد مدى.. ووجدوا هنا التحسب وأن الإنجليز لم يكونوا جاهزين للتدخل.

الشيء الآخر أن قاعدة ويلز معتمدة على الطيران وإذا لم تؤمن حدود الطيران ولم تعمل في محيط آمن لن تستطيع العمل لأن الطيران بمفرده لن يصلح.. ولم يكن أحد يتصور نزول الأسطول الأمريكى على شواطئ ليبيا في هذا الموقف المشتعل.

وأبسط الأشياء أن كل الناس ملتفتة وأن الأسطول السوفييتى موجود ويزيد قواته في البحر الأبيض.. ثم إن الأسطول السوفييتى في ذلك الوقت تحت قيادة قائد مشهور جداً وهو القائد جورشيكوف.. وكان بالفعل نوعا من الكابوس لدى المخططين البحريين الأمريكان لأن هذا الرجل كان دارسا لتاريخ روسيا العسكرى ويعلم ماذا حدث للروس في معركة بورت آرثر لليابانيين وكيف أن الروس فقدوا أسطولهم.

وكان جورشيكوف من الناس الذين لديهم أحلام في التواجد الروسى البحرى المؤثر في البحار وأهمها البحر الأبيض. وكان قد بدا صراع في الموقف الأمريكى في الإدارة

وكان يبدو من المناقشات من أول لحظة.. وكان الصراع موجودا وأنا أشرت إليه بين وزارة الخارجية ومستشار الأمن القومى.

وكانت وزارة الخارجية في ذلك الوقت ووزيرها (وليام روجرز) لما وقعت الثورة الليبية قال إن هذا الوضع جديد وقد كنا بدأنا في بذل جهود من أجل تسوية سلمية في الشرق الأوسط وأن هذه البؤرة باستمرار قابلة للتفجير والانفجار وهذا لابد من حله وأسلوب سياسى.

وفي مقابل هذا كان هناك مستشار الأمن القومى وهو هنرى كسنجر والطامح إلى العودة بإمساك أزمة في الشرق الأوسط وإدارتها وكان يحلم بها.. وحتى في مذكرات هنرى كسنجر كلها على بعضها.. وشعر أن هذا الصبى اليهودى المهاجر من ألمانيا والذي ذهب لأمريكا وكبر وتعلم وتولى مناصب وأصبح في مقدوره أن يؤثر على القرار الأمريكى.

وكان في وعيه الباطن باستمرار وعقله الباطن أن هذا الذي حدث في ألمانيا في صباه لن يتكرر لليهود مرة أخرى.. على الرغم من أنه كان ينكر باستمرار ويردد أن الدين غير مؤثر عليه.. وينكر أى ولاء لإسرائيل على أساس تاريخى وعقائدى.

وفي أعماقه كان يتصور أنه إذا استطاع أن يخلص إسرائيل من مشكلاتها وكل ما يحيط بها فسيكون قد أدى دوره وأرضى ضميره في تاريخ الشعب اليهودى.. وعلى فرض أن هناك شعبا يهوديا فهو موضوع يحتاج لمناقشة ولكن هناك ما يسمى بالدين اليهودى.

وأخذ هنرى كسنجر الرأى المعارض لوزارة الخارجية وكان عنده دوافعه الخاصة والرغبة في الإمساك بالشرق الأوسط.. وقال إن ما حدث في ليبيا هى حركة.. مثل حركات أخرى تقاوم وجودنا ودخولنا في المنطقة وتقاوم إسرائيل أيضاً وهى ما يجرى في القاهرة.. ولما تقول الخارجية أنها تتوجه لحل سلمى فهذا الموضوع يحتاج لمراجعة.

واعتقد هنرى كسنجر أن وكالة المخابرات المركزية فوجئت وهو يريد أن يحاسب كيف فوجئت.. ولكنه في واقع الأمر كان مسئولا عنها لأن سلطتها بالبيت الأبيض.. وتحت مجلس الأمن فأى شيء يقع عليها إنما يقع على سلطة مستشار الأمن القومى.

وطلب بعد ذلك دراسات عن علاقة الاتحاد السوفييتى بما حدث في ليبيا.. ولم يكن هناك دورا للاتحاد السوفييتى وهذه كانت مشكلة ولم يكن هناك دور لأى أحد..

وعندما تكون المصادفة واحدا في المليون فهناك مقادير أكثر مما هناك أدوار.. وإذا كان لهم دور فلماذا لم يتدخلوا.. وهى نفس الأسباب التى دعت إنجلترا لعدم التدخل وهى أن شركات البترول الأمريكية العاملة في ليبيا.. وهى أهم الآن لأن الشركات البترولية الأمريكية هى الأهم للمصالح الأمريكية في ليبيا.

وقال أناس من مجلس الثورة أو مندوبين عن مجلس الثورة وأنه لكم أن تطمئنوا لأنه في طموحاتنا ليبيا ومستقبل ليبيا لن نعتمد على البترول ولن نقترب من موارد البترول.. وطمأنوهم ولكن من الممكن أن يغيروا رأيهم.. لكننا نريد أن نقول لكم شيئا لأن هناك مشكلة كبيرة أنتم لا تتنبهون لها.

فمناطق الآبار كلها واقعة في العمق الليبى على بعد ألف كيلو متر من الشاطئ.. فإذا حدث وأرسلوا أسطولاً.. أو مراكب لأخذ هؤلاء الناس فنحن أمام مشكلة.. ففي الجنوب في مواقع إنتاج البترول ١٢٠٠ خبير معهم أكثر من ٥٠٠٠ من أولادهم وأسرهم.. والملحقين بهم.

وهناك سؤال غريب لهنرى كسنجر عن المكاسب التى يتم تحقيقها؟.. وكانت الإجابة ٥٠٠ مليون دولار سنويا وهذا صعب جداً .. هذا وكانت (٦٩) وبحساب اليوم يعنى ٣ أو ٤ بلايين وبالتالى الشركات لها ما تتحفظ عليه.

بالنسبة للموقف الإسرائيلى فكانت تتصور ان حركة القومية العربية محاصرة في جبهة القتال والاحتمال الأرجح أنها تطبق على الحركة بشكل أو بآخر وأن العملية التى بدأت ٥ يونيو (٦٧) تصل لمداها المنطقى في رأيهم وأن يتم القضاء على هذه الحركة حتى إذا انتهت الحرب بشكل أو بآخر بتسوية معقولة وهم لن يتفاوضوا مع العرب مرة واحدة وكان كسنجر يطلب ذلك.

وفكرة حدوث هذه الحركة دون خطوة محسوبة فهى مفاجأة بما حدث وهى لا تستطيع التصور "إسرائيل" لماذا لم يتدخل الأمريكان أو الإنجليز؟.. ومن يمسك بالورقة والقلم أو يحسب عائد البترول في ليبيا وأضيفت سواء صح أو خطأ سواء ممكن أم لا فهى أضيفت لحساب قوة معينة وحساب معسكر معين.

لدرجة أنه عندما حدثت مناقشات مجلس الأمن القومى طرأت الفكرة التقليدية والتى تطرأ في كل وقت وهى العقوبات.. وهو مسئول التنسيق الأمنى ما بين وزارة الدفاع الأمريكى والمخابرات والبيت الأبيض.

فقال أنه من الممكن أن نقترح عليه موضوع العقوبات فأرد عليه ببساطة أن ليبيا لديها فوائد داخلها تستطيع التصرف بمدى طويل ولا يؤثر عليها أى عقوبات.. فإسرائيل لم تجد فقط عجزا أمريكيا بريطانيا عن القيام بأى شيء لكن تجد أنه لا توجد إجراءات ولم يحدث شيء.

ولما ننظر للموقف الإسرائيلى في ذلك الوقت أكثر شيء يقلقهم هو الطيران المصرى في حالة إذا كان قويا وفي حالة المعركة يستطيع من خلال العمق الليبى بحريا أو جويا وأن يجد مأمن لا تطوله ضربات إسرائيل وهذا كله كان غريبا للغاية والغريب أنه مضى ولم يتدخل أحد.

طبيعة التطور في العالم العربى خلق وجهتى نظر وصل إلى حد الاحتكاك في حرب اليمن وإلى درجة هددت الأمة لإمكانية حرب أهلية فيه. وبعد (٦٧) وعندما رأى العالم العربى أن هناك خطرا أكبر من كل هذه الخلافات الاجتماعية السياسية بين معسكرين في العالم العربى وجاء اجتماع الخرطوم الذي حدث فيه المصالحة العربية.

هنا بشكل ما بعد هذه المصالحة معسكر الأمراء والملوك بدأ يطمئن.. ففكرة أن يثار أحد كان دائما مستبعدا وهناك تفكير أن كل حركة لا بد لها من محرك وفي الغالب خارجى.. وفي الغالب القاهرة ولكن بعد الخرطوم حدث الذي حدث في ليبيا واكتشف أن هناك قضية لا يتصورون حدودها ولا يتصورون أن هذا انتهى عهده ولكن فوجئوا بأن هناك شيئا حدث.

وأنه حدث في ملكية دينية قائمة على اساس دينى.. وهو المذهب (السنوسى).. وذلك مثل فكرة الوهابية الموجودة في السعودية وفكرة المهدية الموجودة في السودان.. وقال أحد الأمراء السعوديين أن أول شيء قاله الملك فيصل لما وصلته أخبار ما جرى في ليبيا هى رجعت ريما لعادتها القديمة كما يقولها إخواننا المصريون.

لكن كانت حالة في منتهى الصعوبة أن يتصور أحد أو يخلع من ذهن الملك فيصل أن ما حدث في ليبيا ليس لمصر ولا لـ (جمال عبد الناصر) أى دخل.. والمشكلة أنه ظهر أمامهم أننا تدخلنا مع الملك (السنوسى) وأنه لزهده ولعوامل كثيرة دعته للتنازل.

أو أنه لا يذهب وأُعتبر من جانب بعض الأطراف ليس عودة ربما لعادتها القديمة ولكن هناك ما هو أسوأ وواحد من هؤلاء الناس بعد وعرضهم للمخاطر وقد ترك سابقة تجرى ويمكن أن تؤثر عليها وهذا ليس من حقه.. وفي واقع الأمر أكثر شخص كان مستثارا ومستفزا.

كان الملك فيصل مُستفزاً سياسيا لكن الملك حسن كان مُستفزاً بكل الأوضاع لأن هذا اقتراب من المغرب وحتى هذه اللحظة.. كانت الانقلابات والمظاهرات تحدث في المشرق.. في سوريا وفي العراق تحدث انقلابات وفي اليمن تحدث انقلابات وفي السودان تحدث انقلابات لكن بشكل أو بآخر كانت تظهر هناك منطقة هادئة في المغرب كان من الممكن أن يكون فيها قلاقل ومتاعب اجتماعية ولكن هذا النوع لم يحدث من قبل.

وفي ذلك الوقت.. الملك حسن وأنا سمعت هذا الكلام فيما بعد وكان الملك (السنوسى) موجودا في الاسكندرية.. ولم أسمع هذا الكلام من الملك مباشرة لأكون أمينا ولكن من أحد المقربين له.. وقال لى إن الملك أخطر أن الملك حسن يريد أن يرسل أحمد الدليمى وهو مدير المخابرات في ذلك الوقت وكان قريبا من الملك على الرغم من إصدار الملك أمرا باغتياله فيما بعد في ظروف أخرى مختلفة.

كتاب لوليام كوانت والذي كان السكرتير العام لمجلس الأمن الأمريكى وأعطانا شهادة عن شيء مهم جرى وهى أنه بعد الثورة الليبية بحوالى أسبوعين.. ويوم ٢٥ سبتمبر بالتحديد قامت الثورة يوم ١ سبتمبر وتنازل الملك وقال إنه لن يذهب إلى ليبيا يوم أربعة وكانت كل الأطراف غاضبة ومتفاجئة في المنطقة وكل الموازين انقلبت ولكن لم يكن هناك يعرف كيف يعمل في غيبة قوات وشرعية للتدخل.

ومرة واحدة وجدوا أنفسهم أمام غير المتوقع وتحدث كوانت عن وصول جولدا مائير إلى واشنطن.. ووصلت يوم ٢٥ سبتمبر يعنى أقل من ثلاثة أسابيع من هذه التطورات التى حدثت وذاهبة لمحادثات مع الرئيس الأمريكى (نيكسون) وهى تطرح أن ما جرى تغيير

لا يمكن قبوله وأن الولايات لا بد ان تساعد بكل وسيلة على ضربة ساحقة لمركز الخطر الحقيقي في القاهرة.

وأجد وليام كوانت يحكي ما جرى أمامه مع جولدا مائير ووزير الخارجية (روجرز) وكسنجر.. وقد حضر هذه المقابلة اثنون ـ واحد من الخارجية مع (روجرز) وهو سيسكو.. وواحد من المجلس الأمن القومي وهو ويليام كونت ـ ويقول ويحكي وهو يسجل هذا بمنتهى الوضوح فيما كتبه ويليام كونت.. فيقول إنه ذهب للرئيس (نيكسون) بخطة عمل.. ولم يخف كونت فيما كتبه بما حدث في ليبيا وصلته بهذا الكلام.

وأن جولدا مائير ذهبت بعد ذلك لتقول إن هذا الموقف لم يعد يُمكن احتماله وأن هذه التغييرات التي جرت لا بد من مواجهتها وهي تطلب على الفور ٢٥ طائرة فانتوم و١٠٠ طائرة سكاي هوك و٢٠٠ مليون دولار زيادة سنوية في المعونة الأمريكية.. وحاول (نيكسون) أن يقول لها إنه لابد من أن نحاول الربط بين الهاردوير السوفييتي والعمل العسكري الذي تطلبونه بعمل سياسي وقالت له إنها أتت والشعب اليهودي ينتظر (نيكسون) وأنه كان يحتضن الشعب اليهودي.

وأود القول إنه لم يكن (نيكسون) يحتضن الشعب اليهودي على الإطلاق وكانت مواقفه سيئة معهم لكنه بشكل ما أسعدته شهادة أنه صديق اليهود في ذلك الوقت.. وعقب هذه الجلسة جلسة أخرى حضرها كسنجر و(نيكسون) وجولدا مائير وتقرر فيها أنه لا بد من تعاون مع إسرائيل.

وكان سفير إسرائيل في واشنطن وقتها (اسحاق رابين) بعد أن كان وزيرا للدفاع سنة (١٩٦٧) واتفق مع الإدارة الأمريكية على إنشاء قناة اتصال خلفية مباشرة بين المكتب البيضاوي والسفارة الإسرائيلية يقوم عليها هنري كسنجر وأمر الرئيس بأن يتم وضع خط تليفون سري بين مكتب (كيسنجر) و(رابين) في السفارة الإسرائيلية لكي يستطيعوا الاتصال في أي وقت.

وتبدأ نقلة في أزمة الشرق الأوسط وهنا أرى كل الأطراف الخارجية والعسكرية في الخارج.. والأطراف السياسية في المنطقة وكل القوة الحائرة.. والثائرة يريدون معرفة ما يمكن عمله إزاء شيء مفاجئ لم يكونوا يتوقعونه.

وهناك أيضاً شيء آخر أن هناك من الناس من يجد كنزا ثم يتسابقوا فيما بينهم وهذا حصل في أشياء كثيرة آخرها الانتفاع في التاريخ الأمريكي.. ونجد في ذلك الوقت وهى في حالة الحيرة المحيطة بها وفي الداخل لا تعرف الناس كيف تعالج الموقف لأنه وجد الناس أنفسهم وقد تحقق احتمال واحد في المليون وكأن هناك كنزٌ استراتيجيٌ (مالياً.. واقتصادياً.. وبترولياً.. وعسكرياً) بسبب موقعه على البحر الأبيض.. فهذا الموقع ثلاثة آلاف كيلو على البحر الأبيض خيال لشخص مثل كورشكوف.

وبالتالى بدأ الكنز يتفتح هناك وهناك شيء ثمين كان خفياً في الأرض ونائمة لا يشعر بها أحد وفجأة بدا كل الناس وكل الحكومات والأحزاب العربية بتياراتها مرة واحدة مندفعة إلى ليبيا وتنقل معها ليس فقط أفكارها وثقافتها ولكن كراهيتها.

وتناقضتها.. فكل الناس ذهبت هناك وكان هذا من الممكن أن يسبب حالة من التلبك الفكرى والسياسى إلى درجة أن تخلق حالة من الثورة.

وقد ذهبت إلى ليبيا بعد ثلاثة أسابيع من قيام الثورة وكتبت مقالة بعنوان صباح اليوم التالى.. ومن موقف أنا رأيته حورية تخرج من البحر لم يمسسها بشر ولا تعرف كيف تواجهه وفجأة وجدت.. كل الأحزاب والتيارات العالمية موجودة والمشكلات العربية وكلها تصب في ذلك الوقت.. لأن الكل اكتشف أن هناك جائزة كبيرة جداً في ليبيا وكتبت مقالا صباح اليوم التالى.. وحذرت من وجود خلافات خاصة في المجلس.

وشعرت بقلق على الوضع الموجود في طرابلس.. ولكن الوضع تفاقم لدرجة أننى ذات يوم بالنسبة لهذه الجائزة أننا نضرب ليبيا بالطيران والدبابات بعد سبع سنين فقط مما جرى.. وبسبب تعقيدات كبيرة وانا لا أقول من المسئول ومن غير المسئول لما أتصور أنه في أحلامى وحتى في كوابيسى كلها أنه بعد سبع سنين يبقى الطيران المصرى يضرب الطيران في بنى غازى.

وأن السادات قال إنه على القذافي أن يلزم مكانه فمصر ليست كما يتوهم الرجل المريض.. وقيل العديد من الكلام.. ولكن الغريب في هذا الوضع وجدت الدكتور ابراهيم الشربينى وهو أستاذ أُعيرَ إلى ليبيا وكان يعمل هناك.

وأخذوا هذا الذي جرى وجاء لى في مكتبى وكنت قد تركت الأهرام في ذلك الوقت.. وقال إنه كان يجرى عمليات في مستشفي بنى غازى لعساكر وضباط ليبيين.

أصابتهم قنابل مصرية وكنت أبكي وأنا أقوم بهذه العمليات ولا يخطر ببالي أن تكون هناك غارات مصرية على قاعدة اسمها العضم لكنها الآن قاعدة (جمال عبد الناصر) وتضربها طائرات مصرية وأنه لم يتصور هذا.. ولم يكن أحد يستطيع أن يتعامل مع هذه الظروف حتى لو كان ذلك قفزةً إلى الأمام.



٢٠

## جسر الانتقال!!

كان جسر الانتقال الزمنى ما بين سنة (١٩٦٩) إلى ١٩٧٠ لحظة انتقال ظاهرة ومؤثرة في مسار الأزمة.. وقد بدأنا في الانتقال من سنة (١٩٦٩) والتى أسميتها سنة القلق إلى سنة ١٩٧٠ ظهر لنا جميعاً أن نسميها سنة الخطر.. حيث أنها كانت لحظة دقيقة جداً.. وبدأت تنتقل الأزمة من منطقة لأخرى كأنها حالة انتقال جغرافي.. حتى في الزمن والطبيعة.. ومن منطقة إلى منطقة بمناخ مختلف وتضاريس مختلفة.

وفي نهاية السنة بدأت الأمور تتخذ منحنى تريده كل الأطراف.. وبدأت إدارة (نيكسون) في تغيير استراتيجيتها في شهرى نوفمبر وديسمبر (١٩٦٩) وبالتحديد بعد الثورة الليبية.

وفي هذا الوقت جرت مناقشات في مجلس الأمن القومي الأمريكي للإدارة التي مضى عليها في ذلك الوقت سنة تقريباً.. لأنها بدأت في يناير سنة (١٩٦٩) وكان موجوداً في هذه المناقشات وزير الخارجية (روجرز) .. ومستشار الأمن القومي (هنري كيسنجر).. وكان هناك خلاف واضح بينهما.. وكلاهما يرى أن المعركة الرئيسية في العالم كله هي المعركة الباردة مع الاتحاد السوفييتي.. وهم يرون أن أزمة الشرق الأوسط قد تحولت إلى بؤرة يجري فيها هذا الصدام ويحتدم.. وكلاهما له رأيه الخاص.. حيث يرى (وليام روجرز) أن العرب في هذه الأزمة طرفٌ له استقلاله.. وأنه ينبغي التوجه إليه مباشرة.. ومحاولة أخذه من الاتحاد السوفييتي.. وهذا يكفي ليكون انتصاراً واضحاً جداً في الحرب الباردة.. لأن الشرق الأوسط هو بؤرة الصراع.

لكن كان لـ(هنري كيسنجر) رأيٌ آخر.. وقال إن العرب إذا أخذوا من الاتحاد السوفييتي سيطلبون ثمناً غالياً جداً وعلى حساب إسرائيل.. وأنه إذا أردنا أن نسترضيهم يقتضي ذلك أن تدفع إسرائيل ثمناً أبسطه الانسحاب من الأراضي المحتلة كلها.. وقبول تسوية قد تكون غير مرضية لتصورات إسرائيل ورؤيته لما يريدون تحقيقه.. واحتدم الخلاف بوضوح.

وبادر (ويليام روجرز) بمشروعه الشهير الذي سمي فيما بعد بمشروع (روجرز) ولم يكن مشروعاً.. ولكن كان (روجرز) سيتحدث في احتفال تعليمي كبير وهذا كان غريباً.. أن يتحدث فيه عن الشرق الأوسط وكان هذا غريباً أن يطرح المشروع متصوراً أنه بذلك يسبق الاختلاف الموجود في الإدارة.

وأود أن أقول إن الوزراء والأجهزة في الولايات المتحدة الأمريكية لها حركة مستقلة.. فإذا كان الرئيس هو من يختار وزير الخارجية فلكي يثبت الأخير في موقعه عليه أن يوافق عليه الكونجرس.. فالوزير يدخل إلى مكانه وهو يعلم أن جهازه مستقل.. وهناك أطراف مستقلة تستطيع أن تتكلم.. وهو ما يؤدي لحراك في السياسة الأمريكية.. وفي نهاية المطاف الرئيس هو الرجل المنتخب.. وإذا توافق مع الكونجرس فإن الموضوع انتهى بالنسبة لأي أحد ولأي وزير.. ولا يستطيع وزير ممارسة سلطته خارج نفوذ الرئيس ورأي الكونجرس.

ورأى (روجرز) في ذلك الوقت أن يبادر على الرغم من أنه يقدم مشروعاً محدداً ولكن تحدث عن تصورات عامة لما يراه في التسوية.. وبالنسبة لنا أول ما لفت الأنظار أن كلام (روجرز) في ذلك اليوم حوى ١٢ أو ١٣ نقطة بيّن فيها تفصيلياً كلمة الانسحاب الكامل.. وتحدث عن خطوط عمل التسوية.. ولم يقدم مشروعاً محدداً به بنود.. ولكن بدا واضحاً أن وزير الخارجية يشرح على أقل تقدير تصور حل مشكلة الشرق الأوسط.

وبالنسبة لنا فإذا كانت كلمة الانسحاب الكامل لفتت نظرنا فقد كانت هناك أنغام أخرى أيضاً.. ومعنى الاختلاف أنه لم يأت من عندنا.. أو منحازاً ضد إسرائيل لكنه ظاهر من التصرفات أن (روجرز) يتقدم بمشروع هدفه الانسحاب لكنه يتصور أو يلمح أو يقول تقريباً بشبه صراحة أن الأطراف لا بد أن يبحثوا قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ومسائل الحدود واللاجئين والأراضى المحتلة إلى آخره.

## بين الرفض.. والقبول

وعندما تم دراسة مشروع (روجرز) في القاهرة لم نرفض ولم نوافق.. ولكننا لزمنا الصمت لننظر موقف إسرائيل وكانت في إسرائيل كلمة الانسحاب مؤشراً نتيجة لتصوراتهم المختلفة في موضوع الانسحاب.. ولديهم تصورات أخرى في المناطق المنزوعة السلاح.. ولديهم تصورات أخرى في مسألة الحدود إلى آخره.

وتسربت معلومات عن مجلس الوزراء الإسرائيلى تقرر فيها رفض مشروع (روجرز).. وتم إبلاغ (اسحاق رابين) الذي كان رئيس أركان حرب سنة (١٩٦٧) وسفيراً لإسرائيل في واشنطن بعد ذلك.. وكانت مسألة التزود بالأسلحة شديدة الحيوية وكان (رابين) صديقا لكيسنجر.. ودرسا معا علوم السلاح قبل أن يكون (رابين) رئيس أركان حرب.. وذهب ليكون سفيراً في واشنطن ليسهل أموراً كثيرة.

وعندما تسربت الأنباء أن إسرائيل رفضت مشروع (روجرز) تلقى (رابين) رسالة من (هنرى كيسنجر) قال له من فضلك لا تبلغ الادارة الأمريكية الرفض رسمياً.. ولكن لا تقدم أى رفض رسمى بعد المعلومات التى تسربت من تل أبيب.. ولم يوافق كيسنجر على موقف وزير الخارجية.. ولم تقبل مصر أو ترفض لكنها كانت تعلم أن هذا المشروع غير مقبول بالنسبة لها.. فعلى الرغم من أنه أفضل من مشروعات أخرى كثيرة

سبقته لكنه يحتاج للمناقشة والتحدث حوله.. ولا داعى للمبادرة بالرفض لأننا نشعر بالموقف الأمريكى العصبى ونشعر بالصراع.

وفي هذا الوقت عقد اجتماع للأمن القومى الأمريكى به الرئيس (نيكسون) وظهرت في هذا الاجتماع رؤية (هنرى كيسنجر) لأزمة الشرق الأوسط.. والدليل على أن السوفييت هم المفتاح وليس نحن.. وهذه هى فحوى الأسئلة التى سألها (هنرى كيسنجر) في الاجتماع.. وطلب من كل الجهات ال ـ(C.I.A) ووزارة الدفاع.. والسفارات الدراسة والبحث للإجابة عن هذه الأسئلة الأربعة:

- ما هو دور الشرق الأوسط في الاستراتيجية العالمية للولايات المتحدة؟..
- وماهى مصالح الولايات المتحدة الحقيقية هناك وما مقدار أهميتها؟
- ما هى طبيعة التهديد السوفييتى في الشرق الأوسط؟ وما هى احتمالات الهيمنة والسيطرة السوفييتية؟
- وما هى القوى التى ترغب في تقليص النفوذ السوفييتى؟
- ما هى طبيعة التهديد السوفييتى للحلف الأطلسى من خلال الشرق الأوسط؟
- ما هو الموقف الحالى لمركز الولايات المتحدة في الشرق الأوسط؟.. هل يتآكل بشكل عنيف؟ أم أن هناك مستوى من المصالح المشتركة مع دول المنطقة من شأنها أن تمنعه من التدهور عند نقطة معينة؟ وهل إيجاد تسوية بين العرب وإسرائيل أمر حيوى للحفاظ على مركز الولايات المتحدة الأمريكية؟

وبعد ذلك طلب من المعنيين في الأمن القومى الإجابة عن كل هذه الأسئلة.. وكان من الواضح أنه يرغب من خلال أسئلته أن تكون المناقشة هى موضوع التهديد السوفيتى.. وخطره.. ونفوذه.. وكان واضحاً أن هاجسه الأساسى ليس الشرق الأوسط ولكن السوفييت.

وكان هذا الاجتماع قرب آخر سنة (٦٩) وبعد الثورة الليبية.. وتلفت المناقشة نظرى لأنه يتحدث عن السوفييت والعرب.. ويقترح أن يخرجوا السوفييت أولاً أو إبعاد العرب عن السوفييت.. وهنا نجد وزير الخارجية متمسكاً برأيه وكان قبلها بيوم قد أعلن

مشروع (روجرز).. ومن المناقشات كان واضحاً الضيق على كيسنجر بسبب إعلان (روجرز) مشروعه قبل جلسة مقررة لمجلس الأمن القومى وكأنه يريد أن يؤثر على مسار المناقشات.

وتحدث (روجرز) أنه تقدم بالمشروع.. ويعتقد أن لديه فرصة.. وأنه يعلم أن العرب لديهم استعداد لأن السوفييت ليسوا أوصياء عليهم إذا وجدوا ما يسمح لهم بالتحدث.. وتدخل كيسنجر في المناقشة موضحاً أنه كان لديه مبعوث يدعى مكلوى.. وهو صديقه.. وشخصية كانت تتحرك كثيراً في مجال الشرق الأوسط.. وكان سفيراً ولديه تجربة كبيرة وبعض رؤساء الأمريكان كانوا يستخدمونه كرسول.. وكان مهتماً وملماً بأحوال المنطقة.. وقريباً من المصالح البترولية بشكل ما.. وقال (نيكسون) أن مكلوى نقل عن (عبد الناصر) أن العلاقة مع السوفييت ليست واضحة.. وأننا أطراف مستقلون ونتحدث دون أى ضغوط.. سواء تصور الأمريكان ذلك.. أم لا.

وهنا قال هلمز مدير المخابرات اعتقد أنهم يريدون إبقاء الموقف على ما هو عليه.. بينما قال (روجرز) إنه ليس واثقاً من ذلك.. وأنه مقتنع أنهم قلقون من عواقب أى انفجار في الموقف يمكن أن تديره إسرائيل.. وهنا رد كيسنجر: إنه كلما طالت الفترة التى تسيطر فيها إسرائيل على الأراضى العربية.. كلما عجز السوفييت عن إعطاء العرب ما يريدون.. وبمرور الوقت فإن العرب حتماً سوف يستنتجون أن ثقافتهم للاتحاد السوفييتى ليست نافعة وأنها أدت إلى هزائم.. وهنا قال (روجرز) أن للسوفييت مشاكل مع الجمهورية العربية المتحدة وتبادل مشاكلها مع إسرائيل وهم لا يستطيعون ببساطة أن يدخلوا إلى مكتب (جمال عبد الناصر) ويحصلوا على موافقته لأى عرض يقدمونه لهم.. ويجب أن يضعوا في اعتبارهم حقيقة أن العناصر العربية الأكثر ثورية سوف تلوم السوفييت.. على عدم تحقيق ما يريده العرب.. وهنا قال الرئيس (نيكسون) إذن فإنه ممكن من هذا الجدل إذا أردنا من الاتحاد السوفييتى أن يساعد.. فإن تلك النتيجة قد تتحقق بتخويفهم.. فلماذا لا تكون سياستنا أن نترك إسرائيل تخوف العرب قليلاً؟

وقال (روجرز) أن موقفه الذي طرحه قد يساعد على تغيير الموقف وعلى تحسين الصورة خاصةً أنه يتفق تماماً مع قرار مجلس الأمن.. وفي نفس الوقت الذي جرت فيه هذه المناقشات الأمريكية كان العالم العربى فيه مناقشات وكان هناك شيئان موجودان أمام صانع القرار المصرى.

وهنا نجد الخطة العربية تسير على ثلاثة مستويات:

المستوى الأول يدرك أن الذي معه حقيقة في المعركة هى سوريا وأجد في ذلك الوقت (جمال عبد الناصر) يقابل الوفد السورى برئاسة الأتاسى رئيس الجمهورية لكنه يهتم في ذلك الوقت بوزير الدفاع حافظ الأسد.. ويرى أن هذا الرجل شخصية بارزة بشكل ما إذا كانت هناك معركة.. وهنا كان يرتب (عبد الناصر) ويتحاور مع الأسد وكان الأخير وزيراً في الوزارة لكنه كان واضحاً أنه الأقوى كونه وزيراً للدفاع.

وكان أول خط هو هل الجبهة الشرقية مهمة بشكل ما هو قادم.. فسوريا هى المفتاح في الشمال.. ونجد أن (جمال عبد الناصر) ومراسلاته مع الأداسى واضحة في أنه إذا أقتاد الأمر نحن وسوريا فقط.. فسوف ندخل المعركة المقبلة.

الخط الثانى العمل العربى المشترك بأوسع نطاق بقصد توفيرَ الحشد.. وفي ذلك الوقت كان هناك مؤتمر القمة العربي سيجتمع في الرباط في المغرب.. وفي الطريق اختار (عبد الناصر) أن يكون السادات نائباً له تحسباً لمحاولة اغتيال كما رأى في العملية عصفور.

وكان هذا المؤتمر أغرب ما يمكن وكان الملوك العرب في ذلك الوقت مُستفزين بسبب ما حدث في الثورة الليبية.. وكان هناك صيغة للتعايش بين ما يسمى تقدمى ورجعى ومحافظ إلى آخره وبدا أن هناك صيغة استقرت عليها الأمور بقلق في العالم العربى.. وقد صُورت الثورة الليبية لمعسكر كامل من الملوك في ذلك الوقت أن هذا الاتفاق قد جرى وصيغة التوافق قد حدث فيها خلل.. وتعبير **"رجعت ريما لعادتها القديمة"** ينطبق على السياسيين والأمراء بالسعودية بتصورهم أن مصر كانت من حرّك الثورة الليبية.. وهذا لم يكن صحيحاً على الاطلاق.. ونتيجة لأجواء الشك ورواسب ما كان موجوداً أود القول إن هذا كان وارداً.. وقد اتفق على مؤتمر القمة في الرباط أن يمر الملك فيصل على القاهرة قبلها.. وكان هذا اقتراح الملك حسن.. لجلاء الجو وليؤكد (جمال عبد الناصر) للملك فيصل أنه لا علاقة لنا بتدبير الثورة الليبية.. ولكن وقد وقعت فوجدنا أنفسنا بالطبع نساندها.

وكان محضر الاجتماع لهم موجوداً معى ولكن اختفى من مكتبى في لحظة من اللحظات وفي هذا اللقاء.. وأنا أتذكر تفاصيله وهى مكتوبة لدى في أكثر من ملف حاول (جمال عبد الناصر) تليين الموقف مع الملك فيصل.. وقال له إنه كان سيطلب منه

١٠ ملايين جنيه استرلينى لأننا نحتاج لقوارب مطاطية للعبور ستأتى من إيطاليا.. وكل الاعتمادات استنفدت في شراء أشياء أخرى أو في تكاليف أخرى.. وإذا بالملك فيصل يقول إنه لا يستطيع لأنهم يمرون بأزمة سيولة.. وأن هناك مسألة مهمة وهى أن الشعب السعودى غاضب وغير متحمس لأى شىء لأننا قبلنا قرار مجلس الأمن ٢٤٢ وأن قبولكم بهذا القرار يُعد اعترافاً بوجود إسرائيل.. والشعب السعودى يؤثر على أن يستشهد أى أحد فيه على أن يعترف بوجود إسرائيل.

وعندما قرأت ذلك كانت لدى بعض التحفظات ومسألة السيولة وغضب الشعب السعودى أمر مبالغٌ فيه.. وسأل الملك فيصل عن ما الذي يقوم به (هيكل)؟.. فقال (عبد الناصر) إن (هيكل) صحفي يحاول الحفاظ على قلمه واستقلاله.. وهو صديقى.. ولكنه لا يعبر عنى.. ومرات نتفق.. وأخرى نختلف.. فسأل فيصل عن سبب أن (هيكل) كان الرسول لليبيا؟ فقال (عبد الناصر) إنهم هم من طلبوا رؤيته.. لأنهم ربما يقرأون مقالاته.. ولا يعرفون غيره كثيرين في مصر.. وعندما سألناهم من تريدون من الثورة فقالوا (هيكل) ولكن هذا لا يعنى أى شىء.. وانتهت المقابلة في القاهرة وذهب الملك فيصل للرباط.

وعندما ذهبنا للرباط وأعتقد أن هذا المؤتمر كان من أغرب مؤتمرات القمة التى عُقِدَت في التاريخ.. وكتبت فيه مقالتين مباشرة قلت فيهما بعض الجوانب.. والغريب أنه بعد بداية المناقشات بدا جو الشكوك ما بين معسكرين في العالم العربى التقليدى أو غير التقليدى وبدا أنه معبأ غير ما هو ظاهر على السطح وكل الناس تتحدث عن كونه جاء وقت المعركة.. ويقول لهم (عبد الناصر) أنا لست قادماً بالطلبات ولا بأى شىء.. وهناك تقرير من محمد فوزى سيقدمه ونحن الآن نطلب حشد كل القوى ونحن الآن على وشك البدء في مرحلة التجهيز لميدان القتال ونحن نعرف ماذا نصنع.. وبكل الوسائل نحن نعرف ماذا نفعل.. وأن القضية هنا هى الحشد.. وما الذي تستطيع أن تساهم به كل دولة في معركة قادمة؟.. فنحن لا نطلب مساعدة نحن نسأل فقط عن وجودكم.. ونحن نعلم السوريين على الجبهة السورية والأردنيين على الجبهة.. ولكن نود معرفة أين سيكون العراقيون.. والسعوديون.. والجزائريون.. والمغرب أيضاً.. بمعنى أن هذا اجتماع للحشد وليس لطلب معونات.

والمشكلة أن الجو قد توتر بشدة قبل جلسات المؤتمر بسبب الثورة الليبية.. وكون معمر القذافي حضر المؤتمر لأول مرة.. حيث كانت الثورة في سبتمبر وفي ثلاثة شهور.. وأن هذا الرجل يأتى من مجهول ذاهباً لمؤتمر قمة عربى.. وأن هذا أول انتصار له في العالم الخارجى.. وأول إطلالة له في السياسة العربية وأول وجود له في مؤتمر قمة.. ومن أول لحظة أعتقد أن الجو كان مكهرباً.. وكانت الثورة الليبية سبباً كافياً إلى جانب تصرفات العقيد القذافي التى أضافت توتراً شديداً إلى أجواء المؤتمر التى كانت مشحونة بالطبيعة.

وأول شيء عرضه القذافي كان مشكلة الدعوة للمؤتمر والذي كُتب طبقاً للبروتوكول المغربى.. وكُتب فيه حضرة صاحب الفخامة رئيس مجلس قيادة الثورة الليبية.. فذهب لمدير البروتوكول وشطب كلمة الفخامة وقال له عقيد فقط.. وفي أول جلسة افتتاحية.. وقف الملوك والرؤساء في انتظار من يقول لهم إن القاعة جاهزة.. والوفود ووزراء الخارجية دخلوا ليأخذوا أماكنهم ثم سيدخل الملوك والرؤساء القاعة بعدهم.. فالملوك والرؤساء في الانتظار.. وعبدالحفيظ الملكى رئيس الديوان المغربى والبروتوكول في المغرب لقب الملك حسن وقتها بأمير المؤمنين.. وهناك أجواء متوترة في البروتوكول.. وعبدالحفيظ وأنا كنت أعرفه رجلاً صعباً جداً في تشدده وهو قريب جداً من الملك وقد طلب من الملك التفضل بافتتاح القاعة مع الملوك والأمراء.. وعندما جاء ليقول هذا الكلام للملك أخذ يده وقبلها.. فوقف القذافي في وسط القاعة قائلاً: هل مازال هناك تقبيل الأيادى.. نحن مازلنا في زمن الأسياد والعبيد.. وأنا لا أجلس مع هذا المجلس.. وأنا كنت أتابع ذهول (الملك حسين) والملك فيصل وغيرهم من تصرفات معمر القذافي.

وعند دخولنا للقاعة دخلنا بأعجوبة.. واستقر الملوك والوفود في أماكنهم.. وأعلن الملك حسن افتتاح الجلسة.. اعترض معمر القذافي على موضوع الخطاب.. وطلب معرفة ما الذي سيحدث في موضوع الحشد.. وأننا نأتي من أجل معركة.. لا من أجل التحدث في كلام مرسل.. وعندما جاء ليطلب الكلمة نادى الملك الحسن يا حسن.. ولم يتصور الملك أن أحداً يناديه يا حسن.. وعندما حاول الملك فيصل التحدث.. قال القذافي اسكت يا فيصل.. وأخذ يتحدث مع الملوك دون ألقاب.

فأرسل الملك حسن ورقة لـ (جمال عبد الناصر) يرجوه بالتصرف مع رئيس الثورة الليبية وأن هذا الموضوع جعل الجو مشحوناً.. لدرجة أنه في الاستراحة خرج معمر القذافي وطرد الجنرال أوفقير بعدما سألني عن هوية هذا الرجل العسكري وعلى صدره كل هذه النياشين.. فقلت له أوفقير قال لي إنه مجرم فهذا الذي خطف وقتل الزعيم المغربي بن بركة.. ثم اختفي في باريس.. ومشى معمر القذافي وراء هذا الرجل محاولاً مطاردته في الاستراحة وبسبب الأجواء المشحونة نتيجة الموضوعات أو التي تسبب فيها وجود القذافي.

ونجد أغرب شيء في هذا المؤتمر أنه لا داعي أن يروا الوفود ما يحدث ويتم اقتصاره على رؤساء الوفود فقط.. ويتم تنظيم جلستين أو ثلاثة سرية تكون قاصرة على رؤساء الوفود لتكون محدودة على نطاقها.

وأنا لا أعلم أن هناك رئيس دولة كتب بخط يده محضر كل الجلسات إلا (جمال عبد الناصر).. وقد كتب (عبد الناصر) والجلسة دائرة محضراً وصل لأربعين صفحة.

وما يهمني فيه هو الجلسة الختامية.. لأنه قد بدأ المؤتمر بالجلسة الأولى وما أثاره القذافي عن قضية الحشد وما الذي سيقومون به فلم يرد أحد.. وقال القذافي لـ (عبد الناصر): لن يتحدث فيهم أحد.. ولا تضيع وقتك.. فلا أحد مستعد لذلك.

وفي الجلسة التي كتبها (جمال عبد الناصر) أجد أن القذافي قد كتب أنه لن نخرج بنتيجة.. وسنلف حول أنفسنا.. سواء كانت هناك جلسة.. أو اثنان.. وما فاضل إلا وداعكُم ويذهب كل واحد إلى بلده ويتخذ ما يمليه عليه ضميره.. ويجوز أن تُتخذ خطوات أخرى ثنائية ثلاثية رباعية تدور في نفس الحلقة.. وكل من يجيء عليه الدور يقول ما قاله في الصباح.. ومفيش فايدة في القمة العربية.. ومواقف الدول تتخذ بصورة بدائية.. وليبيا تدخل في وحدة ثلاثية من أجل المعركة وتوزع الواجبات.. واليمن مهدد لأنه كان وقتها النظام الجمهوري مهدداً.. ونحن مستعدون لوحدة فورية مع الأردن أو ملكية زي ما (الملك حسين) ما هو عايز مع الأردن.. ويكمل القذافي: مشاكل ليبيا تشترك مع (الملك حسين).. وما فيش فايدة غير أن يروح كل واحد ينشر مواقفه.. ويواجه الجماهير العربية.. ولن تكون القنابل إلا على الحكام.. والذي يخدم الشعب العربي هم الحكام والأرض العربية هي التي تُحتل.. وأنا أول من يواجه الجماهير

بالحقيقة.. وحتكلم مع الصحفيين في اجتماع في العلن لأن الشعب لا بد أن يعرف الحقيقة.

وخلينا نروّح أحسن والله.. لأنه ليس ممكناً التقدم ونحن العرب نقاتل بعضنا.. ودول عاوزة دول المواجهة تسقط.. وآسف لحضوري المؤتمر.. والشيء الوحيد الذي استفدته أني تعرفت على بعض الأخوة الحقيقيين.. وبعدها عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم.. ثم قال: أنا سأعلن هذا الشيء بكل وسيلة عشان أمريكا ما تعطى قوتها لإسرائيل.. وقال إنه يجب أن يعرف الشعب العربي الحقيقة.. واسمحوا قبل أن تذهبوا أن يألمكُم ضميركم.

**وعن فلسطين قال القذافي:**

إن فلسطين مسكينة.. فرد (عبد الناصر): والله أنا مش خايف على سيناء بقدر ما أخاف على الضفة الغربية والمليون ونصف نسمة.. وأنه كان لا يريد حضور الاجتماع.. ولكن حضر رفعاً من معنويات شعب المنطقة المحتلة.. وعندما ذكر الرئيس العراقي عن الحشد قال القذافي "ماكو حشد".

وطلب الملك حسن تنظيم المناقشات وسؤال كل دولة عربية على ما تستطيع تقديمه.. وهناك بعض الدول لم تجب.. وهناك كثير من رؤساء الدول ونحن ندخل في موضوع الصراع.. لا يريدون ربط أنفسهم بالأمر.. السعودية قالت لا نستطيع تقديم أى شيء أكثر.. والكويت سكوت.. والأردن نقول ما يقوله العسكريون.. العراق سندعم ياسر عرفات.

ثم قال الملك حسن بهذه الطريقة القذافي وضعنا في مأزق.. وقال الرئيس السوداني: معنى ذلك أنه لا بيان.. وعندما طلب ملك المغرب الذهاب للجلسة الختامية رد القذافي: هذه هي الختامية.

ولكن من الواضح أن المؤتمر انتهى.. والنتيجة أن مواقف الدول العربية كانت من أتعس اللحظات في تاريخ العمل العربي المشترك كله.. والمشكلة أنها جاءت في وقت دخول المعركة الطور النهائي.

وأثناء عودتنا للقاهرة حدث شيء غريب.. وكنا سنذهب من الرباط مروراً لليبيا لتوصيل القذافي.. ولينظر (جمال عبد الناصر) نظرةً على ليبيا.. ولكن حدث في الطائرة وكان قائدها اللواء سعد الشريف توتر.. وقال الشريف لـ (عبد الناصر) إن هناك

مشكلة في الطائرة.. لأن العجلات ترفض النزول واتصلنا بمطار بني غازى نطلب سيارات إطفاء وسيارات إسعاف.. والطائرة بها (عبد الناصر).. و(النميرى).. والقذافي.. ووقتها نظر لى (عبد الناصر) ونحن وقتها عرفنا سبب عصفور ونعلم لماذا أصبح السادات نائباً للرئيس.. ولمدة ٤٠ دقيقة تدور الطائرة حول مطار بنى غازى.. ولا تستطيع النزول.. ونرى سيارات الإسعاف والمطافئ.. وحدثت المعجزة وخرج العجل وهبطنا وبعد الانتهاء من الزيارة ألح الرئيس (النميرى) على (جمال عبد الناصر) زيارة الخرطوم.. وأن العالم العربي اهتم بالثورة الليبية.. وهناك ثورة في السودان لم يهتم بها أحد.. وذهب (عبد الناصر) للسودان بعد أن وعده بالزيارة في ليلة رأس السنة للانتقال من (٦٩) إلى ٧٠.



# ٢١

## بين سنة القلق.. وسنة الخطر!!

على جسر الانتقال الزمنى ما بين سنة القلق (١٩٦٩) وسنة الخطر (١٩٧٠) وجدت نفسى في طائرة إلى موسكو في زيارة سرية يقوم بها (جمال عبد الناصر) للاتحاد السوفييتى.

في يوم ٢٠ يناير كنا بالفعل على هذه الطائرة وكنا ٢٥ راكباً.. وكانت طائرة سوفييتية من باب السرية والحماية.

وكان هناك ٢٥ راكباً منهم (عبد الناصر) والفريق (فوزى) وزير الحربية في ذلك الوقت.. ومحمود رياض وزير الخارجية والسفير السوفييتى في ذلك الوقت سيرجى ديمجرادوف.. وكان في الجزء الثانى من الطائرة عدد من القواد المصريين وعدد من القواد السوفييت الذين جاءوا لدراسة بعض الموضوعات التى طلبها (جمال عبد الناصر)..

وكان منهم بالتحديد الجنرال كولبيون.. وهو خبير في الدفاع الجوى.. وأيضاً كان معنا خبير في العمليات البحرية وهو برتبة أدميرال وهو أريكسى شيكوسكى.. ومجموع من الخبراء السوفييت الذين يعملون في مصر وأربعة من سكرتارية الرئيس.. وهناك ٢ من الأطباء.

وعند صعود الطائرة فوق الدلتا تقريباً جاءت معلومات من الفريق صادق للفريق (فوزى) بأن الإسرائيليين بدأوا في الإنزال على جزيرة شدوان.. وذهب الفريق (فوزى) إلى مكان استقبال الرسائل المشفرة.. والسوفييت لا يعرفون عنها شيئا.. وكان أحد الملاحيين أعطاه للفريق (فوزى) وتم حل الرسالة بسرعة بواسطة أحد الضباط الموجودين مع الفريق فوزى.

وعرفنا وقتها بعملية الإنزال وبدا القلق على الفريق فوزى.. الذي جاء وجلس معنا وقال لـ (عبد الناصر) إنه يخشى أن تكون عملية الإنزال على شدوان هى مقدمة لعبور إلى الشاطئ الآخر .. أى إلى الغردقة.. ثم من الغردقة إلى وادى النيل.. واستبعد (جمال عبد الناصر) هذا الاحتمال وقال إنه لا يتصور أنه من الممكن أن يقوموا بعملية إنزال من هذه الجزيرة.

واقترح الفريق (فوزى) أن يعود ويقود المعركة.. لكن رأى (عبد الناصر) أن يسند قيادة المعركة للفريق صادق.. وأنه مطمئن إلى قائد جبهة البحر الأحمر في ذلك الوقت وهو اللواء الشاذلى.. وقال لفوزى أن يترك الموضوع للعسكريين يديرون معركتهم.. وأوضح (عبد الناصر) أن العودة قد تثير ربكة شديدة سواء فيما ما نقصد إليه من رحلة موسكو أو إلى القيادة الموجودة وأنه سوف نشعرهم أنهم لا يستطيعون التصرف بمفردهم.

كانت معركة هائلة واضطر الإسرائيليون إلى الانسحاب بعد محاولتهم احتلال الجزيرة المقابلة لشاطئ الغردقة والبحر الأحمر ويتصورون أنها ممكن أن تكون مصدر إزعاج دائم.. تلقينا في موسكو بعد ذلك خبر انتهاء العملية.

وطلب (عبد الناصر) سكرتيره محمد أحمد.. وأخذ منه تقريراً كتبه (عبد الناصر) بخط يده عن سلسلة مقابلات أجراها مع الخبراء السوفييت استعداداً للسفر لموسكو.. وفي هذا التقرير الذي كتبه في ٢٦ ورقة كل الملاحظات التى سمعها.. سواء على كلام

المصريين الذين أتوا مع الخبراء السوفييت.. أو من الخبراء السوفييت أنفسهم.. وهو كان يعد نفسه لمناقشة عسكرية.

وطلب (عبد الناصر) بعد قراءة التقرير أن يأتى له الجنرال والأدميرال مع القادة المصريين.

وظلت المباحثات العسكرية مستمرة وكنت أنا ورياض نتحدث عن بعض الموضوعات السياسية وما الممكن أن يثار وما هى الاحتمالات إلى آخره.

وبعد ذلك وصلت الطائرة لموسكو الساعة ١٠ صباحاً.. وظلت الطائرة في السير ووجدنا أربعة سيارات كبيرة.. ووجدنا الرئيس وزير الدولة و(كوسيجين) رئيس الوزراء في انتظار (عبد الناصر).. ثم مر موكب السيارات بنا في طريق دائرى فيما يبدو.. لتجنب دخول موسكو.. وكان المقصود سواء منا أو من السوفييت إبقاء هذه الزيارة سراً.. وكان كل الناس يتحسبون أن هذه الزيارة لها معنى خاص في هذا الوقت.. بعد كل ما جرى من تصعيد على الجبهة وغارات العمق والثورة الليبية.

ووصلنا لتلال لينين على نهر مسكوفا على الناحية الأخرى من موسكو إلى الفيللا رقم ١والتى كنا فيها في زيارة قبل ذلك.. وعلى الباب كان موجوداً (بريجنيف) زعيم الاتحاد السوفييتى في ذلك الوقت.. ومعه الجنرال دمتشكو وزير الدفاع.. وشعر (بريجنيف) أن (جمال عبد الناصر) متعب فطلب أن تكون الجلسة غداً فرفض (عبد الناصر).. وطلب أن تبدأ الجلسة الساعة الثالثة بعد الظهر في نفس اليوم.. وأنه ليس هناك وقت.. وإذا أردنا المحافظة على سرية المحادثات فأهم شيء ألا تطول مدتها.. وكان يتصور أنها لا تطول أكثر من يومين.. وأنه من الممكن أن يذاع سر الزيارة في ذلك الوقت.

ونظمت ثلاثة جلسات مسائية.. وشرح (عبد الناصر) في الجلسة الأولى الوضع على الجبهة وفي المنطقة.. واهتموا بموضوعين أولهما موضوع ما جرى في ليبيا وهل كنا على علاقة به وما هى اتجاهات النظام في ليبيا وهو يأتى في موقع استراتيجى مهم جداً على البحر الأبيض وبموارد بترول لها أهمية.

والموضوع الثانى وهو مؤتمر القمة وحرب الاستنزاف.. وكان (عبد الناصر) قد أكد أن الأمور على الجبهة لم تصل لحد المعجزة ولكنها مرضية.. وأن السوفييت لديهم تقارير كل الخبراء.

**وقال الرئيس بريجينف لى إن مقولة "ما يؤخذ بالقوة لا يسترد بدونها" إنها تجربة الاتحاد السوفييتى في الحرب أمام هتلر.. وقال إنه مهما كان العمل السياسى مهما لتغطية فترة كان ضرورياً أن نعيد الاستعداد.**

وكان ضرورياً جداً إقناع العالم بنوايانا السلمية.. ونحن مستعدون.. والآن نحن وصلنا لموقف نعتقد أنه سوف يتصعد.. ونحن سمعنا منكم وتحدثنا في هذا كله.. والخبراء السوفييت موجودون.. لكن المشكلة في غارات العمق.. فعندنا مشكلة دفاع جوى في غارات العمق لأنها ممكن أن تهدد أهدافاً حيوية.. ورفعنا كفاءة القوات المقاتلة على الجبهة إلى درجة أرغمت الإسرائيليين على إعادة التفكير في مواجهة من نوع آخر ونحن أمامنا كل التقارير.. وكان لديهم هذه المعلومات ولم تكن سراً.. والمعلومات كانت تأتى أن الشباب الإسرائيلى يهرب من الجبهة وأن هناك تغييراً في المجتمع الإسرائيلى بعد (٦٧) ولا بد للناس أن تدركه.. فمجتمع (٦٧) أصابته نوبة غرور واعتقد أن الحرب انتهت.. وحققوا النصر الذي ينهى كل الحروب.. وظهر الشباب غير المستعد للموت.. والشيء الآخر أن تكاليف الدفاع بدأت ترتفع من تكاليف سنوية قدرها سنة ٦٥ من ٢٦٠ مليون دولار وهى الآن قاربت على ٧٠٠ مليون دولار.. طبقاً لأرقام موثقة من البنك المركزى الإسرائيلى.. وليس بها سر.. وهذا بسبب تصاعد العمليات.

وبالنسبة للإسرائيليين رأوا نقل المعارك للعمق وفي معركة العمق سنواجه مشاكل.. لأنه ببساطة دخول الطائرات الفانتوم للعمق وقدرتها على الطيران المنخفض صنع لنا مشكلة وصواريخ الدفاع الجوى لدينا كلها هى (سام ٢).

وكلمة سام ليست كلمة روسية وإنمه هي اختصار لعبارة (service air missile) وهى تعنى صاروخ (أرض - جو ) و(سام ٢) والذي استعمل في ذلك الوقت يصلح للارتفاعات العالية فوق ٥٠٠ متر.. ولكن الإسرائيليون لن يأتوا للأهداف التى أتينا إليها في العمق في هذا الارتفاع وينزلون للطيران المنخفض ويضربون على مواقع حيوية مثل ما حدث في نجع حمادى أو أهداف مدنية مثل ما حدث في المدارس.

وفي بعض المنشئات مثل المستشفيات بهدف ترويع المدنيين إلى جانب الأهداف الحيوية.. وطلبنا نوعاً آخر من الصوريخ وهو (سام ٣) وهو صالح طبقاً لمعلوماتنا فهو متحرك وقادر على تغطية فجوة ٥٠٠ متر فوق سطح الأرض لتغطية هذه المسافة من الارتفاعات المنخفضة وهذا ما نريده ونحن نعلم أن السوفييت لديهم.

وقال (كوسيجين) وقتها أنه مستحيل لكونه ما زال تحت التطوير ولم يدخل بعد في الخدمة.. وقاطع بيرجنيف رئيس وزرائه وقال له انتظر لما يفرغ الرئيس (عبد الناصر) من كل حديثه.

وملخص كلام (عبد الناصر) أننا نحتاج لنقلة جديدة في الصواريخ وبدا في أول الأمر أنهم قلقون من أن يعطونا هذه الصواريخ وقال (كوسيجين).. إن (سام ٢) ما زال في استخداماته ولكن كيف أنتم تستخدمونه لأن كل سلاح في واقع الأمر صالح إذا عرفت الطرق المثلى لاستخدامه وهو يخشى أن تكون هناك طرق خاطئة في استخدام (سام ٢).

وكان ظاهراً أن (عبد الناصر) لديه معلومات واضحة عن (سام ٣) وهو مصمم على الحصول عليه.. وفي نهاية هذه الجلسة قال (بريجنيف): إن صديقنا ناصر يريد أن يحصل على كل ما يريد ونحن نريد أن نقدم له كل ما يحتاجه وهنا فرق بين ما يريد وما يحتاجه.

العسكريون المصريون كانوا قاطعين في أن (سام ٢) لا يصلح لمواجهة الطيران المنخفض خاصةً على الأهداف الحيوية وحرب العمق تدخل في مرحلة كبيرة.

واستشهد (عبد الناصر) أنه حتى في نوايا الإسرائيليين للنزول في شدوان قد تعطى إشارة واضحة لتهديد أهداف حيوية في الصعيد وبالتحديد السد العالى.

وبعد أن انفض الاجتماع السياسى جلس العسكريون مع بعضهم.. وفي صباح اليوم التالى نظم العسكريون اجتماعاً آخر ودخلوا الجلسة الأولى من هذا اليوم من الزيارة وهذه جلسة من أغرب الجلسات التى رأيتها في كل التجربة السياسية التى أتيح لى أن أعيشها.. ودخل العسكريون وقد وضع العسكريون مشكلة كبيرة جداً.. هذه المشكلة أن (سام ٣) لم يخرج إطلاقاً من الاتحاد السوفييتى وحتى لم يذهب لدول

حلف وارسو.. وقال الفريق (فوزى) لـ (دويتشكو) في الاجتماع المسائى إن دول الحلف لا تحارب ونحن من يحارب.

وبصرف النظر عن كل المناقشات بين العسكريين كان من الواضح أن العسكريين السوفييت على طول الخط يعطونه حججاً.. وكان في تصوراتهم أن الحزب يضيع الاتحاد السوفييتى وهم الأمناء على قوة الدولة السوفييتية ولكن حينما أتوا لنا في اليوم التالى أثاروا مشكلة بدت بلا حل.. وهذه المشكلة أن طواقم الصواريخ التى تعمل على (سام ٢) لا تستطيع الانتقال من ذلك الطراز إلى هذا الطراز.. لأنهم مختلفون تماماً.. إلا بتدريب خاص يستغرق ٦ شهور وهذا التدريب ومعدات هذا التدريب كبيرة جداً لدرجة أنه لا بد أن يجرى التدريب في الاتحاد السوفييتى.

وقال (كوسيجين) إذا كان ليس سهلاً أن تنتقل طواقمكم المصرية من العمل بسام٢ إلى العمل على (سام ٣).. إلا بـ ٦ شهور من التدريب فكيف يمكن أن تغطى هذه الفترة.. ويتم ترك مواقع الدفاع في العمق كلها على طواقمكم للتعلم على (سام ٣) ثم تعود.. وهل ستستدعى أناساً جدداً.. وبدا أن الموقف وصل إلى عقدة.

واقترح (عبد الناصر) أنه على الجبهة نحن مستعدون لتحمل جميع المخاطر وسوف نظل نستعمل صواريخ (سام ٢) وسنتحمل مسئولية الجبهة كاملة.. وفي العمق نحن مستعدون لسحب كل طواقم صواريخ (سام ٢) تذهب للاتحاد السوفييتى تتدرب لمدة ٦ شهور وأنه في هذه الفجوة الزمنية يقوم الخبراء السوفييت بتشغيله حتى عودة الطواقم الأصلية تعود وتستلم موقعها ويرح السوفييت.

ودخل مدجورنى رئيس الدولة هذا ما معناه أننا سنشترك في الحرب وهذا وضع خطير جداً ونحن قلقون أن يتسبب في أزمة من الدرجة الأولى.. وبدا (بريجنيف) يسايره.

وتحدث (عبد الناصر) أن السوفييت يتعرض للهجوم الفعلى وأنه ما رأيناه في تشيكوسلوفاكيا في العام الماضى.. وما نراه في أوروبا الشرقية والولايات المتحدة الأمريكية سياسة عليا وأنتم تخرجون بيانات وتكتفون بتسجيل مواقف.. وهذا يضر بكم.. ونحن رأينا سبب تجرؤ الأمريكان وسبب تجاسر أجهزتهم العلنية أو الخفية.. إذا لم نكسب هذه المعركة في هذه المرة وبكل الوسائل.. فإذا لم نستطع أن نصحح موازين ما جرى يوم ٥ يونيو فنحن نعتقد أنه سوف نقاسى والاتحاد السوفييتى سوف

يقاسى وسوف يكون الهجوم عليه في هذه المرة مباشرة وليس عن طريق أصدقاء له في آسيا وفي أفريقيا والشرق الأوسط.

وأكمل (عبد الناصر).: أن الأمريكان وقفوا بالصواريخ الكوبية وعملوا حصاراً وأنتم بهذه الطريقة المبالغة في الحذر.. فنحن لا نريد مغامرات ولا نريد أى حرب نووية نحن نحاول عمل تصاعد محسوب.. وأنا لا أعتقد وحتى لو اضطررتم إلى الدفاع عن مواقع عمق مدنية ولمدة ٦ أشهر وأنا لا أريد أكثر من ذلك.. وهى مناقشات حامية وكان من الواضح أن القيادة السوفييتية أصبحت أمام موقف غريب وزاد الكلام أن (جمال عبد الناصر) انتهى بكلامه أنه إذا أراد السوفييت أن يصبح مستقبل العالم مستقبلاً أمريكياً فأنا أوافق.. وأترك مكانى لأحد يستطيع التعامل مع الوضع الجديد.

وقال (بريجنيف) صديقنا ناصر من فضلك اعطنا فرصة لأنك بهذا الشكل تضعنا في مأزق شديد وهذه عملية ينبغى حسمها.. وما قلته من موضوع الانتقال من (سام ٢)إلى (سام ٣) فالخبراء موجودون وسيكونون في العمق .. وسينطوى ذلك على مخاطرات شديدة.. والغريب أنهم طلبوا من فترة الظهيرة وحتى المساء إعطاءهم فرصة حتى يستطيعوا البحث.. وقالوا إنهم بالفعل سيحضروُن المكتب السياسى كله لكى يناقش مسألة خطيرة.

وفي حوالى الساعة ٣ ظهراً كان هناك كم طائرات هليكوبتر يهبط.. وقال مراد غالب إن مارشالات كثيرين يأتون وإنه من الواضح أن هناك اجتماعات على أعلى مستوى.

وآخر من جاء في الجلسة الثالثة المنعقدة أدميرال جورشيكوف قائد الأساطيل الروسية والرجل المجنون بالبحر الأبيض.. وقابلته بعد الاجتماع وسأل سؤالاً عن أن ليبيا لديها شاطئ ٣٤٠٠ كيلو متر.. وإذا وضع مع الشواطئ المصرية والعربية المطلة فسيكون البحر الأبيض بحيرة عربية.

ودخلنا في الجلسة الأخرى وهى غريبة جداً فقد قال (بريجنيف) إنه يقول إن الاتحاد السوفييتى اتخذ قراراً.. على أعلى مستوى من أخطر القرارات التى اتخذها في عمره بعد الحرب العالمية الثانية.. لأنه نحن نعلم أهمية الشرق الأوسط ونحن ندرك كل ما

قلتموه ولا نريد لموقع التحرر العربى أن يوضع في مأزق وأن صديقنا ناصر هو نوع من الدفاع عن الاتحاد السوفييتى.. ونحن سوف ندخل.. وهناك مجموعة قضايا لا بد من الاتفاق عليها.

أولها أنه تم الاتفاق على الكلام وأن تغطية هذه الفترة بالدفاع عن العمق والتى تقتضيها تعليم طواقمكم العاملة على (سام ٢) على الصاروخ الجديد (سام ٣) وكله سيذهب للاتحاد السوفييتى.. وكلهم سيتدربون لمدة ٦ أشهر ونحن لدينا خبراء.

ويجب أن يكون الموضوع واضحاً ونحن نتدخل فقط في الأهداف الحيوية والمدنية وغارات عليها ولم نهرب منها ونحن متفقون أنه لدينا مجموعة أهداف حيوية موجودة في المحلة الكبرى وميناء الاسكندرية.. وكفر الدوار وموجودة في منطقة حلوان وأسيوط وما حولها والسد العالى.. وهى جميعها ١١ منطقة.. ونريد الدفاع سلبياً عنها حتى أتأكد أن إسرائيل سيضربونهم من العمق.

وقال (بريجنيف) ملاحظة تستحق التسجيل "يا سيادة الرئيس إذا بقيت قواتنا في وقت تقودون فيه معركة العبور فمعنى هذا سينشأ موقف لا نستطيع احتماله".. وتعهد (عبد الناصر) أن هذا لن يحدث وأنه لا يريد أن تكون هناك مواجهة بينكم وبين الأمريكان.. ولا أريد أن يقول لنا أحدٌ إننا حاربنا بجنود سوفييت.. ولا أريد أفرادا سوفييتين وقت المعركة الكبرى على جبهة القتال موجودين ضمن قواتنا.. وأريد المعركة أن تكون مصرية وعربية بطريقة واضحة وكاملة.

الشيء الثالث وهو كيف يمكن أن يكون رد فعل الجماهير المصرية؟ فقال له (عبد الناصر): إنه يعرف الجماهير المصرية ولا مشكلة في ذلك.. وحدث اتفاق يبدو أنه لا يكاد يصدق نتيجة التطور الواقع.

أثناء العشاء وجدت برجنيف يربت على كتفي ويقول لى إن كل الكلاب ستعوى ابتداءاً من الغد.. عندما يتسرب هذا الخبر ستعوى كل الكلاب في الصحافة العالمية.. وقال لى إننى أعرف الصحافة الغربية والإعلام الغربى أكثر منكم.. وطلب منى التفكير في خطة حول كيف التعامل يمكُن حينما يتسرب هذا الخبر.. ونحن سوف نفعل كل ما في وسعنا للحفاظ عليه سراً.. فإذا تسرب كيف تكون خطة مواجهته

إعلامياً.. وطلب منى برجنيف أن افكر في هذه المواجهة جدياً وكيف يمكن أن تكون المواجهة الإعلامية في الصحافة العالمية.

وأبلغنا السوفييت في اليوم الثانى بعدة أشياء أولها أنه اختير لقيادة العملية القادمة للدفاع الجوى جنرال سمنهوف وهو أحد خبراء الدفاع الجوى المشهود لهم.. وأكثر واحد كان موجوداً في تصميم (سام ٣) الصاروخ الجديد المتطور والمتحرك والقادر على مواجهة الارتفاعات المنخفضة وهو من سيكون مسئولاً عن العملية وظل العسكريون حتى الفجر وأبلغونا بها وعلمنا أنهم أسمو العملية اسم رمزى وهو قوقاز.

وكنا نتصور.. وهم أيضاً.. إبقاء هذا الموضوع سراً لأطول مدى ممكن وحتى جروميكو[1] مازحنى وقال لى بألا أنشر عن هذا الموضوع.. في مقالى الأسبوعى.. وطلبت منه الاطمئنان وأننى أعرف ومدرك لأهمية الموضوع.. ومارشيلات الاتحاد السوفييتى كنت أراهم على الإفطار هم وأعضاء المكتب السياسى والقيادة السوفييتية وأدميرالاته وعدد كبير جداً من المارشالات وأنا شخصياً لم أر هذا العدد مثل ما رأيته في هذا الصباح.

وحدث شيء في منتهى الأهمية في هذا الصباح أيضاً.. وقال لجروميكو أنه هناك مشكلة فالأمريكان فور معرفتهم سيغيرون من سياساتهم التفاوضية للوصول لمشروع (روجرز) وأن اللجنة الرباعية في نيويورك تعمل الآن.

---

(١) اندريه اندرييفيتش جُروميكو (١٩٠٩ - ١٩٨٩م) كان مسؤولاً مهمًا في الاتحاد السوفييتي السابق لفترة طويلة.. فقد عمل وزيرًا للخارجية بين عامي ١٩٥٧م و١٩٨٥ وفي عام ١٩٨٥ أُعفي من منصبه كوزير للخارجية وتم تعيينه رئيسًا للجنة التنفيذية الدائمة لمجلس السوفييت الأعلى.. وكان منصبًا شرفيًا إلى حد كبير.. وأصبح في عام ١٩٧٣ عضوًا في المكتب السياسي.. وهو الهيئة الصانعة لسياسة الحزب الشيوعي.. واعتزل جروميكو منصبه عام ١٩٨٨ والتحق بالخدمة الدبلوماسية السوفييتية عام ١٩٣٩ حيث عمل سفيرًا سوفييتيًا لدى الولايات المتحدة بين عامي ١٩٤٣م و١٩٤٦ وفي عام ١٩٤٤م كان رئيسًا للوفد السوفييتي إلى مؤتمر دومبارتون أوكس في واشنطن العاصمة.. والذي ساهم في تأسيس أنظمة الأمم المتحدة.. وابتداء من عام ١٩٤٦م كان جُروميكو رئيسًا للوفد السوفييتي إلى الأمم المتحدة.. وكثير من المؤتمرات الدولية.. وأصبح جُروميكو يشتهر بمعارضته المتشددة للقوى الغربية.. ومن يونيو ١٩٥٢م إلى مايو ١٩٥٣ عمل جُروميكو سفيراً لدى بريطانيا.. وكان نائبًا لوزير الخارجية بين عامي ١٩٤٧م و١٩٥٢م.. ثم من عام ١٩٥٣م إلى عام ١٩٥٧ سافر جُروميكو بوصفه وزيرًا للخارجية مع رئيس الوزراء نيكيتا خوروشوف إلى الولايات المتحدة عام ١٩٥٩م. وفي عام ١٩٦١م شارك في الاجتماع بين خروتشوف والرئيس جون كنيدي في فيينا بالنمسا.. وقاد فريق المفاوضات السوفييتي الذي رتّب لمعاهدة الحظر الجزئي للتجارب النووية مع بريطانيا والولايات المتحدة في موسكو عام ١٩٦٣م.

وقال (عبد الناصر) لجروميكو لا تقلق من المحطة السياسية سنأخذها مرة أخرى وأنه في حالة البدء في محادثات مرة أخرى فهذا معناه أن الأمريكان سيتحدثون عن مشروع (روجرز) ولم نرفض أو نقبل فاتركوا لنا الموقف معلقاً كما هو.. وأنه في حالة تسرب موضوع الأسلحة ستجدون أنفسكم في حيرة مما تقولونه.

وعلى أى حال نحن نستطيع أن نقول في حالة سؤالنا على مشروع (روجرز) سنتناقش معهم وفي موضوع الأسلحة فحجتنا جاهزة فنحن لنا حق في الدفاع عن أنفسنا بكل الوسائل إزاء أى تدخل.. وهذه الطائرات الفانتوم تغير علينا في العمق وموقفي في هذا أقوى وبالتالى التفويض الذي أعطيناه لكم والذي وصل لمشروع (روجرز) انتهى.

وسنأخذ المفاوضات مرة أخرى ويكفي عليكم ما قمتم به والموضوع السياسى سنأخذه.. وبدا على الزعماء السوفييت الفرح.. وبينما نحن خارجون جاء لوداعنا الجنرال وكان قبله كبير الخبراء بلاشنكو وكان رجلاً رائعاً خاصةً في تعاونه مع (عبدالمنعم رياض) في حرب الصواريخ.

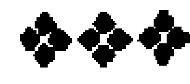
وحل محله الجنرال (كتشكين).. يقول (عبد الناصر) عن طريق المترجم أن سيادة الرئيس لديه مشكلة.. خبراؤنا الموجودون وضباطنا من الاتحاد السوفييتى والذين سيكونون في مصر كما اتفقتم يشعرون أنهم مثل جنود العصابات لأنكم ستمنعونهم من الاحتفاظ بالزى السوفييتى الرسمى ودون رتب فالجنرال مثل الجاويش ولا يظهر.. فكرامة البدلة السوفييتية والجيش السوفييتى.. وأنهم مضطرون لارتداء الأفرول.. ويسأل إذا كان ممكناً السماح لهم بارتداء الزى العسكرى.

وقلقت عندما سمعت هذا الكلام وقال له (عبد الناصر) إنه مستعد تلبية أى طلب إلا هذا.. وهذا من مصلحتكم لأنه في حالة ارتداء بدلة عسكرية وهو موجود في مصر ويباشر عمله في العمق فلا مانع للشعب المصرى أن يقارن بين وجودكم لدينا وما بين وجود البعثة العسكرية البريطانية في مصر قبل الثورة.. ونادى (عبد الناصر) برجنيف وقال له عن طلب جنرال (كتشكين) واعتذر له عن قبول الطلب.. وكان الفريق (فوزى) واقفاً ولم يكن يتصور هذا الطلب يمكن رفضه في هذا الوقت بالتحديد.

وجاء الجنرال سمينبوف بعد عودتنا إلى القاهرة بثلاثة أيام لاستكشاف المواقع المطلوب حمايتها دفاعاً سلبياً.. وجاءت الشحنات والغريب أنها جاءت في ميناء

الإسكندرية أول فبراير ودخلت في طابور مفتوح في شوارع الإسكندرية.. وبعد ذلك قال (عبد الناصر) أنهم طلبوا السرية واليوم هم يعلنون وكان تفسيراً واضحاً أمامنا.. وأنها إشارة واضحة من إشارات الحرب الباردة.

وانه هناك لغة في الحرب الباردة وهى أن الإنذارات توجه بشفرات تكون واضحة في القوى الأعظم.. وعلى أى حال ما أثاروه أن مواقع الصواريخ لا بد أن تعمل معها طائرات ولا بد من وجود طائرات.. وأقلعت الطائرات السوفييتية ودخلت في اشتباك مع القوات الإسرائيلية لكن ابتداء من يوم ١٨ مارس ومع وجود الخبراء توقفت غارات العمق ودخلت الحرب في مرحلة انتقل خلالها التركيز كله على الجبهة.



## ٢٢

## والتاريخ أيضاً له عقل!!

أحاول أن أذكر نفسي باستمرار أن التاريخ له عقل.. وإذا تصورنا أن التاريخ مصادفات تتدفق هكذا بلا وعي.. فسنقع في خطأ كبير.. وإذا كان التاريخ بلا عقل وتحكمه مصادفات فإن كل شيء وارد والتعداد والتفكير والتأهب والترقب وكل هذا لا داعي له لأنه مجهول ينقض علينا من حيث لا ندري ويحدث أثره ويغير حياتنا جميعاً كما يشاء كأنه عاصفة منقطعة.

وفي واقع الأمر التاريخ له عقل وببساطة لأن التاريخ في النهاية هو صراع وسباق الأمم والمجتمعات إلى ما تتصوره مصالحها وأمنها وحريتها وتفوقها وهذا ما يصنع التاريخ.. وإذا كان هذا مجال صنع التاريخ فإن الذي يحركه القدرة والإرادة المحركة لتفاعل هذه العناصر الأربعة التي عرضتها.

ولا ترتبط بالضرورة القدرة بالقوة.. فالقوة عنصر من عناصرها والقدرة تتأتى في بعض المرات حتى بالتنبه لحرب التاريخ.. وأتذكر أننا والهند والصين في مدة لا تقل عن ٧ أو ٨ سنوات كنا نقود برنامج الأمم المتحدة بأكمله وكانت الدول الكبرى تنتظر حركة هذه الدول الثلاث.

ليس الموضوع مجرد القوة فالقدرة بها عناصر كثيرة أخرى غير القوة المسلحة.. والخطأ هنا يقع مرات ويخلط بين عقل التاريخ وعدل التاريخ.. فالقدرة تفعل فعلها وتحرك التاريخ ولكن ليست بالضرورة أن تكون القدرة عادلة.

ولا أحد يستطيع أن يطلب منها العدل إلا بضمانات فالعدل قضية أخرى ويتعلق بشيئين.. إما باستعداد طالبي العدل أن يكونوا قادرين وإما بمجتمع دولي يعطي دورا للأخلاق وهو ضروري في اعتقادي لكني لا أظن أن أوله قد جاء وبالتالي ستظل القدرات فاعل أساسي في حركة التاريخ.. وعلينا أن ننظر للعدل ولا نربطه بالقدرة.

وعندما أقول عقل التاريخ وفي ذهني أن الحوادث المتدافعة تدور وكأنها حوار ولما أطل على الحوادث التي تدور في هذه الفترة وحرب الاستنزاف دائرة ونحن نستعد لتحرير أرض وتحركات واسعة جداً من بداية العمليات للنشاط السياسي إلى التصعيد ثم إلى التفوق على الجبهة أو ذات مقدرة للعمل على الجبهة.

وإسرائيل ترد عليها بغارات العمق والأمريكان يعطيهم فانتوم.. ويفاجئ الجميع بأن هناك تغييراً في موازين القوة الاستراتيجية في الشرق الأوسط حدث في ليبيا وحيث لا يتوقع أحد.

وتستمر حركة التاريخ وكأنها حوار وكأنها سؤال وجواب وكأنها لعبة شطرنج بالفعل.. وهناك شيء ما وضرورات ما وقوى فاعلة تتحرك باتجاه ليس عشوائيا.. ودائماً ما يلفت نظرنا الصوت العالي للحوار ولا نتابع ما يجري.

وأريد التوقف عند لحظة الحوار وكانت همسة لم يشعر بها أحد إلى حد كبير فما جرى في ليبيا وقدرته على تغيير الموازين خاصةً في البحر الأبيض.. والشرق الأوسط وخاصةً في العمق وفي الاتساع وفي الموارد التي أتاحتها المعركة وكل هذا لفت الأنظار لأنه صوت عال في التاريخ.

والغريب بعد ذلك جاء صوت آخر ولكن لم يلتفت إليه وهذا الصوت وقع في السودان في واقع الأمر.. وفي هذا الوقت بعد ليبيا والتصعيد وبعد المواقف الأمريكية.. فأرادت قوى أن ترد بشكل ما في الخرطوم وبشكل ما حدث شيء في الخرطوم كبير.

التفتنا إليه وقت حدوثه ثم ضاع عن السياق المسموع لحوار التاريخ في ذلك الوقت وأود التوقف عنده لعدة أسباب لأنه كان نبرة مهمة جداً في حوار التاريخ والشيء الآخر أنه تصادف أننى كان لى دور فيه وكانت تقريباً طريقة مباشرة أو غير مباشرة.. ولأننى لى دور كان أمامى مسودات الوثائق.. بقدر ما يتاح لى مثل الوثائق الأمريكية الإسرائيلية وحتى المصرية.

ولكن في هذا الحادث لم أجد فقط الوثيقة الخاصة بحركة التاريخ ولكن اهتممت فيما بعد بوجود مسودات.. ولولا هذه المسودات لم أكن لأسمح لنفسى بالتحدث في هذا الموضوع لأن دورى غير موجود في الوثائق.. لكن عملية صنع التاريخ أو صنع القرار كان لى دور بشكل أو بآخر.

نحن لا نتذكر كيف تسير حركة صنع القرار.. فحركة صنع القرار في اعتقادى من أصعب القرارات في الدنيا.. والذي يطل على حركة صنع القرار من الداخل لا يستطيع أن يتخيل كيف وصلنا لهذا القرار يبدو في النهاية مواد منتظمة بأوامر منتظمة.. بموازين منتظمة بقوانين منتظمة وبمعاهدات وبمواثيق دولية.

ولكن كيف صار هذا المنتج النهائى الذي وصل للناس بصورة مقبولة منظمة جاهزة يستغرب جداً.. وأتذكر مثل للسياسى الألمانى الكبير بسمارك.. وهو من أكبر الأسماء في السياسة الدولية لأنه مؤسس لهذا النظام العالمى الموجودين فيه وغير شكل أوروبا كلها وكان له كلمة أو وصف يستعمله فهو يقول إن عملية صنع القرار تشبه مصنع من مصانع "السجق".. وقال إنه عند دخول المصنع ستجد أشياء مثل اللحوم وأشياء مختلفة ودماء.. وفي النهاية ممكن بعد جهود يدخل في وعاء يقدم للناس ويأكلوه ويجدونه شهياً.

وبالفعل من يطل على صنع القرار سيجد التشبيه الذي قاله بسمارك صحيحاً للغاية لأنه يدخل على عملية صنع القرار أشياء مشوشة وفوضوية ولا أحد يتصور كيف تتجمع كل هذه الفوضى غير الخلاقة لتصنع نظام له شكل.

وأنا أذكر بهذه الواقعة المنسية لأنها جملة في سياق الحوار التاريخي وكان لي دور فيها.. وعندي لها مسودات القرار والسبب الرابع أنه لأول مرة يظهر الرئيس حسني مبارك على شاشة الرادار.. بالنسبة لاهتماماتي شخصياً على مسرح الأحداث.. واهتممت بهذه الواقعة جداً.

وهذه الواقعة أريد بها أن ترد على بني غازي والذي لم يستطع أحد مواجهته في بني غازي أريد أن يواجه بنوع من العنف في الخرطوم.. وبدت الأحداث فقد سبق الثورة الليبية شيء وقع في السودان وهو تغيير كبير حدث أطلقوا عليه اسم ثورة مايو.

وأظن أن وقتها أنه كان لها علامة وتأثير ولكن لم يكن يضاهي بما حدث في ليبيا.. بسبب البحر الأبيض والبترول والقواعد الأمريكية الموجودة.. والموضوع أخذ صوته في حوار الحوادث وكان صوتاً مسموعاً وقوياً ومدوياً.. وما حدث في الخرطوم ولأنه بعيد جرى تسجيله بشكل ما لكن لم يقع الالتفات إليه لأنه لم يكن حدث مهما جداً.. وفي سياق الحوادث بعد ذلك أريد توجيه الضربة في حوار التاريخ الجاري وقبلها في موسكو كانت هناك خطط وبعد انتهاء زيارات موسكو والانتهاء من مشكلة غارات العمق تقريباً كان هذا هو التوقيت الذي وقع فيه (عبد الناصر) المشروع الأول لخطة جرانيت واحد التي فيها عبور.

وكانت السودان في ذلك الوقت عمقاً استراتيجياً مهماً جداً وهناك طيران كثير موجود.. وكانت أي ضربة للخرطوم في ذلك الوقت ردا على ما يجري في حوار التاريخ.

وبدأ ما يجري في السودان عملية انقضاض على ثورة السودان أو تمرد أو معارضة بالسلاح وبالعنف وبدت في وقتها وفي زمنها أنها بالفعل حركة في مجرى وفي حوار التاريخ.. وبدا (الإمام الهادي) المهدي وريث الحركة المهدية في السودان يدخل في مواجهة مع النظام ويتمركز في جزيرة أبا وهي معقل المهدية في ذلك الوقت ثم يوجه طلبات للرئيس السوداني في ذلك الوقت وكان صديقا لمصر وما قام به من ثورة مايو اعتبرت إضافة لحركة المقاومة العربية..

ووجه المهدي له الأنظار بتصفية ما قام به ويفرج عن المعتقلين من المهدية والإفراج عن السياسيين وهي عملية تقليدية للانقضاض على نظام انقلابي أو ثوري أو مشروع ثوري

وهذا هو السياق التقليدى.. وبعضه مشروع والبعض الآخر يبدو وكأنه مسنود من جماعات مسلحة.

وفي ذلك الوقت أتت أخبار أن (الإمام المهدى) يحشد من أنصاره (جزيرة أبا) ويحشد في المناطق التى له فيها نفوذ خاصةً في كردفان ودارفور قوات مقاتلين وأنهم على استعداد للزحف على الخرطوم وقيل إنه في جزيرة أبا ٣٥ ألف مقاتل محتشد.. وأنه هناك عدد يماثلهم تقريباً موجودون يقتربون من منطقة مجرى النيل في (أبا) وأنهم يستعدون للزحف على الخرطوم.

وفي ذلك الوقت كان الرئيس (نميرى) يقوم بجولة عند النيل وهو يعرف أن هناك مشكلات في هذه المنطقة.. فأرسل لمقابلة الهادى.. ويستدعيه الأخير لمقابلته في كوستى.. فقال له (النميرى) إنه على استعداد أن يجيئ له في جزيرة أبا فرد المهدى ليضمن سلامته في هذه الحالة واقترح عليه موعداً في كوستى على مرجى النيل شرط أن تستجيب لكل المطالب التى نتحدث عنها.

وبدأت حشود الأنصار تخرج وتتدفق على مجرى النيل وتعبر النهر وتبدأ في التقرب للخرطوم وتبدأ بالفعل بالقيام باشتباكات ويكون هناك خطر.. ويبدأ جعفر (النميرى) ومن معه من ضباط من مجلس قيادة الثورة يحولون المواجهة.. لكن المعارك بدأت وكان هناك قتلى وجرحى ثم يقترح (النميرى) أن تساعده مصر بأى طريقة وأن طريقة المساعدة تكون بترتيب الطائرات الموجودة في الخرطوم أو من مصر وتضرب جزيرة أبا بالطيران وهو الحل الوحيد.. وأنه في حالة عدم حدوث ذلك خلال أيام سيسقط النظام في السودان.

وهنا وثيقة من وثائقه الرسمية وهنا برقية أرسلها السفير كمال خليل(١) من الخرطوم.. وقال السفير في برقيته أن (النميرى) اتصل به الساعة الثامنة والنصف صباحا وطلب مقابلتى على وجه السرعة وأبلغنى أن أبلغ الرئيس فوراً بالآتى:

- أن الموقف في الجزيرة أبا أصبح سيئاً.. وأن قوات الإمام المسلحة والتى تربو على( ٣٥) ألف مقاتل استطاعت الخروج من (جزيرة أبا) والنفاذ في قوات الجيش وقتل أعداد من الجنود.

---

(١) هو شقيق الدكتور مصطفى خليل الذي أصبح رئيساً للوزراء فيما بعد.

- أنه يريد إرسال قوات قاذفة للمعاونة على وجه السرعة وأن مجلس الثورة لا يستطيع السكوت على هذا الوضع الآن.
- أنه أبلغ ملحقنا العسكرى قبل حضورى بالوضع العسكرى الذي تم حتى الآن.

وكانت ملاحظات السفير أن (النميرى) كان في حالة إعياء وكان يركز على أهمية إرسال الطائرات.. والموقف بعد اختراق قوات الإمام لقوات الجيش خارج الجزيرة بالاضافة لعددها الكبيرة والأسلحة التى معها.. وقلة القوات المكلفة بمواجهتها يجعل الموقف خطرا حيث وجهة قوات الإمام هى الخرطوم.

كُلفت ثلاث طائرات ميج (٢١) يقودها طيارين سوفييت بضرب قصر الإمام بالجزيرة واختراق حاجز الصوت فوق قوات الإمام.

وعندما جاءت هذه البرقية أحدثت حالة استنفار شديدة جداً في القاهرة وكان هذا مهماً.. ولكن ليس بأهمية ما جرى في ليبيا وكأن ما حدث رد على الثورة الليبية وأن حركة التاريخ تحركها القدرة بصرف النظر عن الأخلاق.. وتعمل عملها وتحاول أن تلغى مكاسب قد تحققت في مرحلة.. وفي مكان تلغيها في مرحلة أخرى وفي مكان آخر ضمن حوار التاريخ المستمر وبالعقل بصرف النظر عن العدل.

وكانت ردة الفعل الطبيعية القلق على الخرطوم.. وكانت التعليمات بالقاهرة وأبلغها السفير في الوثيقة.. وطلب مقابلة (النميرى) لإبلاغه رسالة (عبد الناصر).. ونص الرسالة كالآتى:

**الأخ العزيز (النميرى).**

تلقيت رسالتكم وإنى على أتم استعداد لإرسال كل ما تطلبونه بدون تحفظ وأصدرت تعليمات بأن تتواجد الطائرات وهيئة عمليات مصغرة فجر اليوم بالخرطوم لتكون تحت تصرفكم ولديهم تعليمات صرحية لتنفيذ أوامركم بالكامل.

قائد المأمورية المصرية – وهو الرئيس محمد حسنى مبارك فيما بعد - يحمل تعليمات منى سيعرضها عليكم فور وصوله للخرطوم.. وأطيب تمنياتى راجياً من الله أن يوفقنا وإياكم في جميع معاركنا التى نخوضها من أجل الحرية والاشتراكية والوحدة.

والذي عرفته فيما بعد أن (جمال عبد الناصر) كان يحركه في ذلك عدة أشياء..هي كالتالي:

- كان قلقاً للغاية على موقع الخرطوم.. ألا يضيع..
- وقلقاً من أن يقود الروس طائرات قد لا تضرب.. ولكنها قد يكون لها صوت في الظرف الدولى الذي كنا فيه ونتذكر قبلها الزيارة السرية لموسكو..
- وهناك خبراء سوفييت يأتون لنا وخبراء في الداخل وهم تولوا مسئولية الدفاع عن العمق وتوقفت غارات العمق أو كانت على وشك التوقف في ذلك الوقت.
- وأن يظهر طيارون سوفييت في ذلك الوقت يقودون طائرات عربية بصرف النظر عن اتجاهها سواء بضرب الجزيرة أبا أو أنصار مهدى..

كل هذا كان بالنسبة له وضع يؤدى إلى تصاعد خطير جداً ويؤدى إلى نكسة.. وظهور الروس لم يكن صحيحاً وقد ناقشت الوضع.. واعتقد أنه بالغ فيه.

وحدث وتحرك الموقف.. وقرر (جمال عبد الناصر) فعلاً إرسال بعثة عسكرية للتدخل في اليوم التالى.. وفي ذلك الوقت رأى (عبد الناصر) أن يدعم مهمة البعثة العسكرية التى ذهبت كمجموعة مقدمة ترتب العمليات وتستعد للعمليات وفيها قاعدة يقودها طيران واضح.. والرسائل تأتى في مسودات بعد ذلك واضحة أن الاستعداد لعملية ضرب جماهير بصرف النظر عن القيادات وكان موضوعا كبيرا.

وكان (عبد الناصر) يرى إرسال المجموعة العسكرية.. ومعه نائب الرئيس وهو أنور السادات والسيد أمين هويدى مدير المخابرات العامة.. واتصل بمعمر القذافي لتكون المهمة مشتركة للدفاع عن الثورة السودانية المهددة في الجنوب.. ويكون الدفاع مشتركاً بين الدول الموجودة والتى كانت تسمى نفسها دول طرابلس والتى اجتمعت كثيراً وهى مصر والسودان وليبيا.

وكان القذافي متحمساً للدفاع عن الثورة السودانية.. وأنه على أى حال مع نائب الرئيس المصرى سيرسل نائبه (عبدالسلام جلود) بحيث يكون الجميع بعثةً عسكرية لتباشر تنفيذ العمليات صباح اليوم التالى.. وتكون هناك بعثة سياسية فوقها تحاول أن تدير وجهتها سياسياً.

**اللقاء الأول بين السادات ومبارك**

وأظن أنها كانت أول مرة يتلاقى أنور السادات وحسنى مبارك في مهمة من نوعٍ ما.. ولولا أننى معى المسودات لم أكن لأجرئ وأتحدث عن ما جرى ولكنى أعرف وأستند لأشياء تسند ما أقوله.

وفي ذلك الوقت مساء كنت عند (عبد الناصر) لأمرٍ ما آخر.. وكنت أتابع ما حدث في السودان.. وكانت عناوين صحفنا في اليوم التالى تتحدث عن هذا الموضوع.. ولم تكن لديَّ أدنى فكرة.. وتحدث معى (عبد الناصر) عن التطورات التى جرت في السودان.. وتحدث مع الرئيس نميري هاتفياً وأنا لديَّ نص مكالمة الرئيس لأن كل مكالمات الرئيس الخارجية تسجل.

وكانت مكالمته مع (النميرى) صريحة للغاية في الهاتف.. وقال له نحن وراءك.. وأعطيت أمراً لكى يضرب الطيران ضربته غداً.. وتأتى التقارير.. وكان محرز مدير المخابرات السودانية على اتصال مع حسنى مبارك.. وتلقى منه التقارير خطوةً بخطوة.

وعندما سمعت من (عبد الناصر) تهولت الموقف.. بأن يتأثر في قراره بما يسمعه من آراء مخالفة له.. وأن يعاند مع التاريخ ويسد أذنه لأى نصيحة.. وليس معناه أنه يعاندنى أنا ولكن مع حوار التاريخ.

وقلت لـ (عبد الناصر): لدى عدة تحفظات.. بعدها أجد أن (عبد الناصر) يبلغ سامى شرف بإلغاء تعليمات الضرب.. ويبلغه ويقول له إن (هيكل) له رأى مختلف.. ورأى هذا الذي قلته من حسن حظى أن يستمع إليه.. وأن يجد من يتقبله بقدرة رجل دولة.. ووجد من يتصرف ويضعه في اعتباره وهو يتصرف.

وقلت له وقتها أنا لا أتصور ذلك.. ولديَّ مليون ملاحظة.. أولها أنه إذا ضربت الطائرات المصرية أى جماهير سودانية في أى موقع فإن هذا (دماء) بين الشعبين المصرى والسودانى وأخشى أنه سوف يؤثر على العلاقات بين الشعبين إلى أبعد مدى يمكن تصوره.

ومنطقة منابع النيل ومنطقة مجرى النيل.. ومنابع النيل سواء الأفريقية أو مجرى النيل في السودان أو الهضبات الإثيوبية.. هذه مناطق لنا فيها مصالح حيوية وأنت تعرفها ولست في حاجة لأن أقول ذلك لك.. ثم إن هذه المنطقة يستحيل القيام فيها بعمل

عسكرى فمنابع النيل.. وممرات النيل تمر وتتقاطع في سبع دول وهذه مناطق وعرة جداً وبعيدة جداً ونائية جداً وواسعة جداً ومصالحنا فيها حيوية وقوتنا فيها محدودة.

فإذا أدخلنا القوى العسكرية في هذه اللحظة ونزلت على أبا أو غير أبا فأنا أعتقد أننا نقوم بعمل خطير جداً.

والشيء الآخر أننا وفي موقف الأمم المتحدة ونحن لنا قضية تعسف في استعمال القوة وإسرائيل معززة بالقوة الأمريكية.. وإذا لجأنا في موضوع متعلق بحركة القومية العربية والشعوب العربية ومطالب داخلية سواء كانت لها حق أم لا واستعملنا قوة عسكرية فنحن نقدم للآخرين موقفاً معادياً لنا على صينية من ذهب.

ورأى بعض قادة الأنصار أن (الإمام الهادى) قد يخرج من مناطق نفوذه ويذهب قرب كردفان ودارفور لكن يذهب على مناطق مثل مناطق الشرق في كسلا وبالفعل خرج الإمام وذهب في اتجاه كسلا ولما خرج الإمام وعرف أنه خرج وبدأ الجيش السودانى يضرب أنصار المهدى بالمدافع ويتصرف بأى طريقة ولكن بعيدة عن الجيش المصرى.. وهناك فرق بين أن يتدخل الجيش السودانى ولو حتى خطأ أو تعسف لكن أن يتدخل سلاح مصرى قضية أخرى والحمد لله أنه تم استبعادها.

وما حدث بعد ذلك أن (الإمام الهادى) اتجه ناحية كسلا وهناك حدث شيء غريب.. وهو أن (الإمام الهادى) قدمت له سلة فاكهة وأعتقد أنها كانت مانجو.. وكانت ملغمة.. وقُتِلَ.. وأظن حتى هذه اللحظة لم يُعرف من هو قاتله.. وإن كان بعض الإخوان في السودان شطح بهم الجموح لكنهم كلهم يعرفون أنه ليس هناك مصريون مشتركون في هذا وبقية جريمة غامضة أضيفت لجرائم غامضة أخرى.

واستطاع الجيش السودانى بعد ذلك اقتحام أبا لكن هذا موضوعاً آخر.

وأرسل (النميرى) بعد ذلك جواب شكر لـ (عبد الناصر) وكان هناك جدل عن وجود شيوعيين.. وعندما قرأت الجواب أقريت أن هناك شيوعيين بالفعل وذلك من خصائص الخطاب العقائدى عندما تُقالُ كلمة (أيها الرئيس).



# ٢٣

## جذور التاريخ..!!

في ربيع سنة (١٩٧٠) وبالتحديد في شهور مارس وأبريل ومايو من تلك السنة بدا أن الحركة المتدفقة على كل الطرق ومن مختلف الاتجاهات أصبحت تؤدى إلى موضع بالذات أو إلى مهمة وهو موضوع لم يعد ممكناً أن ينتظر أو يؤجل وهو موضوع العملية العسكرية الكبرى التى تستهدف العبور بالدرجة الأولى.. أى تنفيذ خطة إزالة آثار العدوان.. أو البدء في تنفيذ خطة آثار العدوان مع العلم أن هذه المهمة سوف تأخذ وقتاً كبيراً لأن هذه معركة ليست سهلة في ظروفها.. لكن كان هناك إحساس أنه هنا ومن كل هذه الحركة المتدفقة ومن كل هذه الاتجاهات هناك موعد ومهمة ومكان لا بد من لقاء عنده ولا بد من حركة عنده.. وهى ليست حرب الاستنزاف لكن نقلة أخرى في الحرب نحو بداية تحرير الأرض.

وكان هناك تصور عند العرب والعالم ساد طويلاً هو أن العرب يستطيعون تحمل هزائم لأنهم ثابتون في الأرض ولأن جذورهم ممتدة ضاربة في أعماق التاريخ ولأنهم في أرضهم وفي أوطانهم فالتاريخ معهم والثقافة معهم والحضارة معهم والموقع ملكهم وعددهم كبير جداً.. حيث كان بإسرائيل من ٣ ملايين إلى ٣ ملايين ونصف المليون مهاجر والعرب من ١٨٠ إلى ٢٠٠ مليون عربي.

وأظن أن صانع القرار المصرى كان يدرك أننا أمام تحد في ميدان القتال لا نستطيع أن نخسره.. وأنا أتذكر المنطق الذي كان يقوله (جمال عبد الناصر) بعد ما خسرناه من سنة (٦٧) والطريقة التى خسرنا بها.. نحن لا نستطيع الآن ولا نملك أن نضيع هذه الفرصة في المرات القادمة وهذه الفرصة القادمة لا بد أن ننجح فيها ولا يمكن أن تحتمل فكرة أى فشل فيها.. لأنه ببساطة بعد (٦٧) هناك جرح غائر وبعد (٦٧) هناك جهد ضخم جداً بذله الشعب المصرى.. الشيء الآخر أن الذي يسيطر أننا لا نتوقع تغيير الموقف الدولى.

وفي ذلك الوقت كنت أحاول أن أعرض ما الطرق التى كانت الحركة تجرى عليها.. وقد بدا أن الاستعداد العسكرى قد وصل إلى درجة اعتبرت كافية وزيادة.. طبقاً للتقرير الذي كتبه الفريق محمد فوزى في ذلك الوقت.. وقال فيه إن قواتنا المسلحة جاهزة للعمليات وعلى خط القتال وتقف هناك خمس فرق مشاه و٣ فرق ميكانيكية وفرقتان مدرعتان و٣ لواءات مدرعة مستقلة و٣ كتائب استطلاع برى ولواء إنزال بحرى.

لم تكن المهمة في ذلك الوقت فهم نظرية الأمن الإسرائيلى لأنه إذا تم كسر نظرية الأمن الإسرائيلى فقد تم فتح الطريق بلا حدود.. لأن نظرية الأمن الإسرائيلى تعنى ما هو أكثر بكثير من نظرية القتال.

وفي ذلك الوقت نظرية الأمن الإسرائيلى قادرة على الردع وبقسوة منذ الوهلة الأولى.. وهنا قال الفريق فوزى إن أول ما يبدو على أول موعد على الطرق المؤدية إلى هذا اللقاء وهذه المهمة على هذا الطريق هى القوة المسلحة وهنا قالت القوات المسلحة إنها قادرة على تنفيذ الخطة الموجودة في ذلك الوقت وهى خطة في منتهى البساطة وتحدثت عنها في ذلك الوقت وهى جرانيت (١) وهناك جرانيت (٢) وجرانيت (٣) ولكن هذه الخطط كانت خارج الحساب في ذلك الوقت.

كانت قواتنا المسلحة المصرية تحتاج باستمرار إلى قاذفة مقاتلة ولم يكن لدينا وقال لنا الاتحاد السوفييتى إنه ليس لديه قاذفات تؤدى ما نريده.. ولديهم قاذفات ثقيلة مجهزة للردع النووى والحرب النووية وهذه لا تصلح لهذه المهام التى نريدها.. وكان هناك اعتقاد في القوات المسلحة أنها ليس بها قاذفة وظهرت فرصة هائلة مع الثورة الليبية وحاول كل الناس استرضاءها فحاول الأمريكان أن يجددوا مع الليبيين قاعدة ويليس ويلوحوا لهم بأنه من الممكن أن يبيعوا لهم طائرات فانتوم وفي ذلك الوقت حاولت فرنسا الاقتراب.. وأنها من الممكن أن تبيع لهم طائرات من طراز ميراج وكل الأطراف الأوروبية والغربية كانت تعرف الحركات المسماة ثورية في العالم العربى بها ضباط وقضية السلاح.

وفي ذلك الوقت طُلب منى أن أقابل العقيد (القذافي) خاصةً وأنا في ذلك الوقت الوحيد الذي أعرف (القذافي) من المجموعة القريبة من (جمال عبد الناصر) وبالفعل ذهبت له ومعى جواب من (عبد الناصر) رسالة مكتوبة.. وقابلت العقيد (القذافي) وأعضاء من مكتب قيادة الثورة وقلت لهم: لدى رسالة من الرئيس ومقتضاها أن الأمريكان لن يعطوكم طائرة فانتوم والروس لديهم طائرة ميج المعدلة M.S وأى صفقة ستقومون بها مع الروس ستكون صفقة مكررة.. وطلبنا منهم شراء الطائرة ميراج التى بها كل المواصفات وقلت لهم إنه مجال للشطارة وأن الأمريكان سيعرفون بالصفقة وأن الحلفاء سيتبادلون المعلومات.

ولكن هناك منطقة معينة لمنافسة أمريكية فرنسية سواء على المنطقة أو على بيع السلاح أو بالنفوذ السياسى أو بالبحر الأبيض هناك مساحة نزاع نستطيع استغلالها وبالتالى إذا استطعتم شراء الميراج فاعقدوا صفقة بها ونحن طلبنا أن يحاولوا شراء ما بين ٥٠ و١٠٠ طائرة ميراج.. وهم سيدفعون النقود.. ونحن جاهزون للمساعدة على عقد الصفقة وتدريب الليبيين مع مصريين بجوازات ليبية وتسير الصفقة.. وعلى ما بدا لى فإن الرسالة توافقت مع الليبيين في ذلك الوقت.

والليبيون استطاعوا أن يعقدوا صفقة ١٠٠ طائرة ميراج وخمسة طائرات تدريب.. وفي ذلك الوقت الذي كنت أتحدث فيه عن الطريق لمقاربة موعدها ومهمتها أصبح موجودا نحو ما بين ٣٨ و٤٠ طائرة ميراج.. وأقول إن الفرنسيين لم يضعوا آخر ما هو موجود في هذه الطائرات لكن هذه الطائرات كانت كافية للمهمة.. وهذا هو الطريق الثانى..

أما الشيء الثالث فهو أمر موجود أمام صانع القرار المصرى هو رفع درجة الصراع بيننا وبين إسرائيل في لحظة القتال من المستوى المحلى "جبهة مصرية واحدة".. إلى مستوى معركة عربية إسرائيلية ثم إلى مستوى توتر دولى خطير تتحرك في ظله موازين أكبر من الصراع العربى الإسرائيلى.

لكننا كنا نريد لحظة القتال أن يكون فيها تأهب دولى على الأقل وألا تكون المسائل متروكة في ذلك الوقت من المعركة لموازين محلية على الأرض في هذا الشريط وراء قناة السويس وهذا الشريط المقسم إلى ١٥ كيلو على كل جبهة والذي ستدور فيه المعركة سوف يؤثر في مصائر العالم.

أما الطريق الرابع فهو وجود سوفييتى كثيف مع أسلحة سوفييتية كثيرة حتى مع دخول أسلحة فرنسية بدا أن الوضع في الأقليم يهدد بخطر.. والطريق الرابع هنا هو أن السوفييت وعندهم أناس وضحايا في مصر بدأوا بتعبئة الرأى العام للاتحاد السوفييتى فيأتى جنرال سوفييتى ويقرأ رسالة يقول إن الرئيس برجينف يود إخطارك أنه في هذه اللحظة بدأ تعبئة كاملة في المصانع والجامعات والنقابات والجيش وكل مكان للوقوف معنا.. وهنا الطريق الخامس من خطة جرانيت وهو الوجود السوفييتى في البحر الأبيض بدأ يزيد خاصةً عند مخارج البحر الأسود.

الشيء السادس قلق الرئيس (نيكسون) نفسه وفي ذلك الوقت أجد محادثة بينه وبين رابين.. ورابين في ذلك الوقت كان سفير إسرائيل في واشنطن وكانوا يضغطون ويريدون ردا من الأمريكان عما يحدث ويعطونهم سلاحا. وأجد (نيكسون) جالسا يشرح للسفير الإسرائيلى في واشنطن وهو الجنرال رابين وقال له لا تعتقد أن المسألة مسألة بترول بالنسبة للعرب.. أنا في كل مرة تضربون فيها العرب أكون سعيدا وعند التهديد أيضاً أكون راضياً.. ويقول رابين في الوثيقة والتى كتبها في مذكراته بعد ذلك إن هذه الصواريخ لم نتوصل للدفاع ضدها وتحتاج للدفاع عنها والولايات المتحدة لم تتوصل بعد لصاروخ مضاد.

والطريق السابع من جرانيت العبور وهو عنصر مهم فقد أدرك (عبد الناصر) في اجتماع قمة عقد في طرابلس لدول المواجهه في ذلك الوقت أواخر يونيو سنة (٧٠) أنه سيخوض المعركة بمفرده.. وكان (عبد الناصر) حريصا وخرج من طرابلس وتعليماته

تنفيذ جرانيت (١) فقط وليس جرانيت (٢) والوصول للمضايق وليس جرانيت (٣) وهى الوصول للحدود ولم ترسم بعد وكانت في إطار التخطيط.

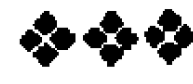
وهنا كان (عبد الناصر) محدداً لهدف معركته وما الذي يمكن أن يترتب عليها وأنه مستعد لمخاطرة البدء.. ومعتقداً أنه عندما يبدأ ويتم العبور سوف يحرك آخرين وبالأمل جماهير عربية بلا حدود وهذا كان الطريق السابع الذي كان يسير إليه كل طرق الحركة.

ووَقّعَ (عبد الناصر) خطتين والتى بها جرانيت (١) عبور بحماية حائط صواريخ ووقع أيضاً خطة في منتهى الأهمية وهى خطة (٢٠٠) ولها قصة وبداية ففي يوم من الأيام أواخر سنة (٦٧) كتبت مقالة عن شخص في القوات المسلحة.. لم أذكر اسمه وهو كان موجوداً في أحد أهم فروع القوات المسلحة يطلب مقابلتى في مكتبى في الأهرام.. ولا أريد أن أذكر اسمه.. وقال لى إنه لم يعد ممكناً أن نُفاجأ مرة أخرى وأريد أن أقول لك بأمانة المسئولية وأريدك أن تنقل هذا لـ(عبد الناصر).. وأن المفاجأة ما زالت ممكنة وأنا موجود وأعرف بحرب الصواريخ ونتصور أننا لا نستطيع أن نفاجئ وقال إن الإسرائيليين من الممكن أن يقوموا بعبور مضاد من الشرق إلى الغرب لدينا لتدمير حائط الصواريخ عند بنائه.

واستمعت للضابط جيداً وقدرته وقدرت اهتمامه.. وبعدها بثلاثة أيام التقيت (عبد الناصر) وقلت له ما حدث وذكرت اسم الضابط ورتبته.. فقال لى (عبد الناصر) إنهم يجهزون أيضاً خطة العبور المضاد لمنع الإسرائيليين من غلق الجسور.. فقال لى احضر لى هذا الضابط.. وكان (عبد الناصر) حريصا على مقابلة الناس من خارج المحيط.. وقد سجلت هذه المقابلة ومعى محضر الجلسة بخط (سامى شرف) والمحضر مكتوب فيه اجتماع بين (عبد الناصر) وضابط كبير.

والرئيس قال: أهلاً وسهلاً.. (هيكل) قال لى إنك قابلته مقابلة طويلة ووجدت فرصة أسمع منك مباشرة.. وقال الضابط إنه يشكرنى على إتاحة فرصة لمقابلتك وأن هناك حقائق لا أعرف إذا كانت وصلت لحضرتك أم لا.. وبدا هذا الضابط يتحدث وكأنه يتحدث عن الثغرة.. وقال إنه يعرف استعداد القوات المسلحة لاحتمال عبور إسرائيلى مضاد لكننى أخشى أن الإسرائيليين أمامهم فرصة للقيام بما هو أكثر وأرجو يا سيادة الرئيس التنبه لها.. لأن الإسرائيليين من الممكن أن يعبروا بدبابات لا يكون

هدفها منع القوات من التدفق على الكبارى ولكن لتكون ثغرة دخول وتطويق مواقع الصواريخ وتدميرها وهو الغطاء الذي يحمى القوات للتقدم.. ويحكى الضابط مخاوفه و(عبد الناصر) يسمعه.. وقال الضابط إنهم من الممكن أن يفكروا في "تقشير" حائط الصواريخ لحرمان القوات حتى إذا تمكنت وتمركزت هناك من حائط الصواريخ التى وراءها.. وقد تم وضع الخطة ٢٠٠ لمواجهة هذا الاحتمال والذي قد تحقق في حرب أكتوبر.. فالتاريخ مرات والوقائع مرات عندما تضيع الذاكرة تضيع معها أشياء كثيرة جداً.. وخطة ٢٠٠ هى الطريق الثامن لصد العبور المضاد وحماية الصواريخ من تدميرها.



٢٤

## إدارة الأزمات..!!

تغرينى بعض المواقع في هذه الأحاديث أن أحول بعضها من سرد ورواية وبناء مواقف ووقائع إلى محاولة جعل هذه الوقائع عملية دراسة وتأمل.. لأن العبرة في الوقائع قد لا تقل في أهميتها عن الوقائع نفسها.. وقد يكون موضوع الحلقة هو درس في إدارة الأزمات.. وهى دراسة مشتركة لأننا في حاجة.. في هذه الظروف.. إلى دراسة بعض الأزمات بنظرة تحليلية وربما تشريحية لأننا أظن أننا نواجه بعض الأزمات في بعض الظروف ولا أقول إننا لا نحسن التعامل معها ولكن أقول إننا أحيانا نخطئ في مقارنة الأزمات.

الأزمات في حياة الشعوب يكون الموقف إزاءها أحد موقفين: إما أن نترك الأزمة تدور بأصحابها وتأخذهم إلى حيث تشاء وتصيبهم بالإعياء.. وإما أن أصحاب هذه الأزمة يديرون وقائعها ويأخذونها.. بقدر ما تسمح بها موازين القوى أمامهم.. إلى ما يريدون أو قريبا مما يريدون.

الأزمة التى أريد التحدث عنها هذه الليلة هى في السياق الطبيعى لما كنت أتحدث عنه وما زلت.. هى الأزمة المتعلقة بما سمى بمبادرة (روجرز) التى جاءت لنا في أواخر مايو سنة (١٩٧٠)وأثارت ولا تزال تثير كثيراً جداً من الحيرة لدى بعض المتابعين الذين قد نطلب منهم أكثر أن يطلوا بعض الشيء على داخل الوقائع.. فكثيراً ما تأخذنا ظواهر الأمور ونتصور أن السياسة هى حركة وهى صوت وهى ضوء.. وفي واقع الأمر السياسة أكثر جداً من مجرد حركة ومن مجرد صوت ومن مجرد ضوء.

في أزمة مبادرة (روجرز) هناك شيئان اختلطا ببعضهما.. فهناك "مشروع (روجرز)" الذي قُدم في ديسمبر (١٩٦٩) وهناك "مبادرة (روجرز)" التى جاءت بعد سبعة أو ثمانية أشهر.. والمشروع شيء والمبادرة شيء آخر.. فالمشروع الذي قدم.. قدم إلينا بعد محادثات الأمريكان والروس في شأن حل مشكلة الشرق الأوسط.. وفي ذلك الوقت كنا قد فوضنا الروس أن يتحدثوا سياسيا في نيويورك باسمنا لأننا كنا نريدهم أن يروا بأنفسهم استحالة ما كانوا يسمونه الحل السلمى.. وكنا نريد أن يدركوا أن هذا الحل السلمى ما لم يصاحبه عمل عسكرى حقيقى وكبير فلا فائدة منه.. لأنه لابد بعد (٦٧) من تعديل جذرى في موازين القوى على الأرض حتى يمكن أن يقول أحد إن في استطاعته البحث أو النظر فيما يمكن أن يسمى بحل دبلوماسى.

فلا تستطيع الدبلوماسية ببساطة أن تُبنى إلا على موقف حقيقى.. ومن ثم تترجم هذا الموقف.. وكنا نريد في فترة من الفترات أن يرى الروس الموقف السياسى ويجريوا الكلام مع الأمريكان وعن طريق الأمريكان مع الإسرائيليين إذا أرادوا وكنا نريد أن يعرفوا ماذا حدث.

وفي سبتمبر سنة (١٩٦٩) كان هناك مفاوضات مكثفة فيما يسمى باللجنة الرباعية في نيويورك، وتقدم الأمريكان.. نتيجة لاستخلاصاتهم لمناقشاتهم مع الروس.. بما سمى بمشروع (روجرز).. وهو مشروع متكامل لحل الأزمة على أساس قرار مجلس الأمن (٢٤٢ ) ويتحدث عن الانسحاب.. وهى المرة الاولى التى يرد فيها ذلك في وثيقة

أمريكية.. كما يتحدث المشروع عن التزامات السلام وهى ما يطلبه الإسرائيليون.. وفي هذا الوقت رفضت إسرائيل مشروع (روجرز) في ديسمبر (١٩٦٩) لأن كلامه عن الانسحاب كان واضحاً.

كان في مصر رفض لمشروع (روجرز) أو على الأقل تحفظ عليه.. مع اهتمامنا بكل ما جاء فيه من ترتيبات الانسحاب أو ذكر مسألة الانسحاب لأول مرة في وثيقة أمريكية رسمية.. رفض الإسرائيليون المشروع ونصح (كيسنجر) إسحاق رابين وزير خارجية إسرائيل في ذلك الوقت أثناء وجوده في واشنطن ألا يبلغ الحكومة الأمريكية بالرفض الإسرائيلى لأنه لا لزوم لرفض إسرائيل.. ويمكنها الانتظار حتى ترفض مصر.. لأنه تصور أن مصر سترفضه أيضاً.

وفي نفس الوقت رفضت مصر المشروع لكنها لم تعلن أيضاً عن موقفها.. وتركت التسريبات تقول إن ما ورد في شأن الانسحاب في المشروع هو أمر مرض لها أو على الأقل مقبول أو قابل للمناقشة.. وأصبحنا أمام موقف ملتبس.. حيث إن المشروع جاء نتيجة لمحادثات سوفييتية أمريكية.. وجاء بتصور أنه يقوم بتوازن بين عملية الانسحاب وترتيبات السلام.. وكان موقف الطرفين.. إسرائيل ومصر.. هو الرفض لكنهما تركا المسائل لتعبر عن نفسها.

وعندما قُدم مشروع (روجرز) كانت هناك غارات في العمق وتصاعد في الجبهة حدث أثناء الاشتباكات مما غير شكل القتال.. وعندما جاءت غارات العمق خلقت وضعا مختلفا وما تصوره الأمريكان من توازن وهنا قرروا تقديم المشروع.. ولم يُقبل المشروع.. وبعد ٨ أشهر من تقديم المشروع حدثت تطورات بلا حدود غيرت الموقف.. حيث قامت الثورة الليبية.. والتى غيرت الوضع الاستراتيجى.. وحدثت الزيارة السرية لموسكو وحدث دخول لصواريخ من نوع مختلف ومن طرز مختلفة وحدثت مشاركة سوفييتية للدفاع عن العمق حتى يتم التدريب.. وكانت تغطية الفجوة بالوجود السوفييتى في العمق وليس في الجبهة.. وأصبح هناك تطورات رفعت من حدة الصراع إلى موقف آخر وفق ما كنا نطلبه بالضبط.. وهو أنه إذا كنا نسير في معركة كبرى فهذه الحرب ينبغى أن تدور في ظل موازين دولية.. وأنه لا بد من وجود جو أزمة بين الدولتين الكبريين في مرحلة معينة إذا كنا نريد المعركة أن تنتقل من مجرد صراع محلى مأمون العواقب إلى صراع إقليمى قد يلفت الأنظار إلى وضع دولى.

وقد وصلت الأزمة في ذلك الوقت إلى الوضع الدولى المهدد لعدة أسباب.. ومع الوجود السوفييتى ومشاركة السوفييت في الدفاع عن العمق "المصرى" ووصل الحد إلى الدفاع الفعلى.. خلق هذا وضعا دوليا بالغ الخطورة.. وفي هذا الوضع الدولى كانت المسائل بين الدولتين الأمريكية والسوفييتية يمكن أن تلامس الموازين وتؤثر عليها ولو بالتهديد.. وبدا أن الموقف على وجه اليقين يتغير.. وهناك عناصر أخرى أكثر مواءمة.

أى مشروع أو أى اتفاق دولى عادة ما يضعه أصحابه في موقف ملائم لهم.. يتم تثبيته كما يتم تثبيت الكاميرا في لحظة معينة. فإذا كان لا بد أن يعبر عن واقع فكل طرف يحاول في لحظة التعبير أو لحظة التقاط صورة.. أن يعبر في أحسن ظروف ملائمة له.. وإما يأتى في ظرف هو فيه متوفق أو ظرف هناك توازن يرغب في المحافظة عليه.. أو ظرف يتوقع خطر يود درئه.. ومثال ذلك حينما نظم الحلفاء اتفاقية فرساى كانوا في تفوق كامل وجرت المعاهدة بعد الحرب العالمية الثانية واستسلام ألمانيا.

وما أود أن أشير إليه أن كل طرف لا يرضى أن يصل لوضع التسوية أو الاتفاق أو إطار تصور لحل أزمة إلا إذا كانت له مصلحة في هذه اللحظة للوصول لتثبيت موقف معين هو راض عنه وإلا لا يقبل هذا الاتفاق ولا يسعى إليه والكلام الذي قالوه حول المصالحة غير مرضٍ لأننا صعدنا على الجبهة وإسرائيل صعدت بغاراتها على العمق المصرى.. وتصور الأمريكان أن هناك توازنا.. لكن الطرف الذي له حقوق يريد أن يستعيدها ولا بد أن يصل لنقطة مناقشة أو نقطة حديث عن تسوية في وضع أكثر ملاءمة له.

وكان مشروع (روجرز) قد جاء في ظروف متغيرة من أول الثورة الليبية ودخول الصواريخ ووجود القوات السوفييتية في العمق المصرى.

وقد لاحظ (روجرز) أنه بما أن السوفييت وصلوا إلى هذا الحد في مساعدتنا.. خاصةً في المجال العسكرى.. فإنه لم يعد مقبولاً أن يتحدثوا عنا في الموقف السياسى.. وأنهم لا بد أن يستردوا الموقف السياسى.. وتوصل الأمريكان مع السوفييت لمشروع (روجرز).. وهذا رفضناه.. وإذن فنحن أصحاب القضية والموضوع موجود للمناقشة وقد انتقل من المجال الدولى مباشرة.. وإذا كانت واشنطن تريد أن تتحدث فيه تتحدث مع مصر.

وعقد في ذلك الوقت اجتماع للسفراء الأمريكان في الشرق الأوسط في طهران.. وفي هذا المؤتمر بدا السفراء الأمريكان في كل دول الشرق الأوسطية يتحدثون عن خطورة

الموقف في الشرق الأوسط.. وأن هذا الموقف يستدعى مبادرة أمريكية لأن الايرانيين قلقون مما يجرى وكذلك الأتراك والدول الأوروبية في الحلف الأطلسى.. للنشاط الزائد للأسطول السوفييتى.. والروس يعبئون شعبهم لأن هناك موقفا في الشرق الأوسط قد يواجههم بما لم يتسعدوا له أو لم يتأهبوا له.. ويحاولون أن يظهروا أن هذا صراع ضد الاستعمار إلى آخره.

في ذلك المؤتمر اقترح (روجرز) إرسال مساعده وكيل وزارة الخارجية جوزيف (سيسكو) )للقاهرة لمقابلة الرئيس (عبد الناصر).. وجاء (سيسكو) )للقاهرة وقابل (عبد الناصر) في أبريل (١٩٧٠)وبدا يسأله عما إذا كانت مصر مفتوحة للكلام مع الأمريكان.. وفي أغلب الوقت يخرج لنا الأمريكان بألاعيب صغيرة في السياسة.. فحينما قدموا مشروع (روجرز) وشعرنا برضا عن الانسحاب وعدم الرضا عما فيه خاص بضمانات السلام.. فقام الأمريكان بشيء غريب.. فقد كان موجوداً في ذلك الوقت دونال برجز القائم بأعمال السفير الأمريكى بمصر.. وقام بمقابلة بعض الناس وأنا منهم.. وقابل (عبد المنعم رياض).. وصلاح جوهر وكيل الخارجية.. و(حسن صبرى الخولى).. وهو الممثل الشخصى للرئيس وقال لهم لماذا تأخذون موقفاً سلبياً". مصر دائماً ما تضيع الفرص.. ودائماً ما نسمع أننا نضيع الفرص وأننا تخصصنا وأصبحنا متخصصين في تضييع كل الفرص.. وتساءل برجز عن مشروع (روجرز) وعن الكلام الذي أرضانا والكلام الذي لم نرضى عنه.. وتساءل أيضاً عن سر سكوتنا وعدم الرد بالموافقة أو الرفض.. وأنهم يعرفون أننا نرفض.. مع أن هناك كلاما يرضينا وهو المتعلق بموضوع الانسحاب.. وقال خذوا الكلام المتعلق بالانسحاب على أن نتناقش في الباقى .

وأخرج ورقة وقال أنا أعمل ذلك لأننى صديق لمصر وليس لأننى دبلوماسى أمريكى ومن فضلكم انسوا أننى قدمت لكم هذه الورقة وأنا أقدمها كصديق ولكم أن تعتبروها غير موجودة.. والتى سماها بعد ذلك (كيسنجر) الورقة الشبح.. وقال:

"أنا لو مكانكم أقدم هذه الورقة لكى أمسك بزمام المبادرة"

وطلب دراسة هذه الورقة وقال إنه يعتقد أن هناك أفكارا قد تلائمنا وهو لا يقدمها كدبلوماسى أمريكى وأنه "لو عرف أحد أننى قدمت هذه الورقة سيكون مركزى حرجا جداً".

ثم جاء لى برجز بعد ذلك وكان يحاول اقناع الكل بأفكاره.. وقال لى ناقش الورقة ولا تضيعوا الفرصة.. وهو نفس الكلام الذي قاله لـ(محمود رياض) و(حسن صبرى الخولى) وصلاح جوهر.. وجاء يقول لى نفس الكلام.. وقال إن هناك كلامٌ يقدمه كصديق.. فقلت له إننى أعرف بعض الشيء عن حقائق العالم فلا تقدم لى ورقة وتقول إنها سرية وورقة شبح.. فهى ورقة غريبة في الدبلوماسية.. وقلت له أنت تعلم وأنا أعلم أنه لا يمكن أن يقدم دبلوماسى امريكى ورقة هكذا.. ويقول إنه يقدمها كصديق.. ولا يمكن أن يقوم بهذا دون معرفة الحكومة الأمريكية وهو ما أسميه بالتلاعب الأمريكى.. وهذا لا يليق.. وقلت له: كيف تطلب منى أن أعلق على (اللاورق) الذي قدمته وأن أناقش أو أتبنى ذلك.. فلماذا لا تحولها لمذكرة إيضاحية عن طريق وزارة الخارجية؟ وقلت له قدمها لى كمذكرة شفهية إيضاحية. لما تتصور أنك تريد أن تقنعنى به فيما لم أقتنع به.. وأدركوا سواء منى أو من غيرى أن هذه الألاعيب لن تصلح.

وقابل سسكو (جمال عبد الناصر) في أبريل.. وقال له (عبد الناصر) إن الاتحاد السوفييتى صديق لنا.. ونحن متمسكون بصداقتنا مع السوفييت.. ونرجوكم ألا تعتبروا صداقتنا جزءاً في صراعكم مع الاتحاد السوفييتى.. وقد تكون جزءاً من حركة عالمية تطلب التحرر والاستقلال.. لكن الاتحاد السوفييتى معكم في قضايا أخرى لا دخل لنا بها.. وسباق السلاح بينكم وبينهم لسنا طرفا فيه.. لأننا لسنا قوة نووية.. وإذا أردتم التحدث عن الشرق الأوسط فنطلب ألا تنظروا باعتبار أنكم أصدقاء لإسرائيل والسوفييت أصدقاء لنا ومن الممكن أن نكون أصدقاء معكم ونحن أصدقاء لدول كبرى أوروبية حلفاء لكم.. لكن الصراع في الشرق الأوسط صراع محدد له أصول وقواعد مختلفة.. وله مجال.. وعلاقتكم بالاتحاد السوفييتى صراع يتخطانا فلا تخطأوا في هذا.. وهذا الصراع (العربى ـ الإسرائيلى) القرار فيه عربى.. وليس شيئاً آخر.

والشيء الآخر أننا التزمنا بقرار (٢٤٢ ) ولكننا نعتقد أن هذا القرار مليء بالتباسات كبيرة نود توضيحها ومن يريد أن يحل مشكلة الشرق الأوسط لا بد أن يتحدث عن هذه الالتباسات الموجودة في قرار مجلس الأمن.. ونحن قابلون للمناقشة فيها.. وقال له بعد ذلك أن أكثر شيء نريده أننا نريد اهتماماً أمريكيا بمشكلة الشرق الأوسط..

ونرى أن أمريكا لها مصالح كثيرة ونحن لسنا طرفا للإضرار بمصالح أمريكا.. وأنا لا أريد ان أخوض فيما فعلته أمريكا من تاريخ طويل.

وجاء في خطابه (عبد الناصر) في أول مايو ووجهه للرئيس (نيكسون) يقول فيه.. أننا نتقبل كل المساعى التى تحاولون القيام بها معنا لأنها كانت مما طلبناه.. ونحن نطلب اهتماماً قائماً على مصالح مشتركة.. والآن قائم على احترام مشترك.. ووصلنا إلى موقف أنتم تقولون إنكم مهتمون ونحن نقبل هذا الاهتمام ولكن لإثبات هذا الاهتمام فإما أن تطلبوا من إسرائيل أن تخرج من الأراضى المحتلة سنة (٦٧) بما لكم من نفوذ عليها.. وأنتم تملكون سلطة عليها.. أو تقولون إنه لا نفوذ لكم.. وإننا مخدوعون.. ونحن في هذه الحالة على استعداد لتصديقكم.. ولكن هناك شرطا أساسيا هو أن توقفوا مساعدات السلاح لها.. وأنتم على وشك أن تعطوهم طائرات فانتوم جديدة.. وإلا سنكون معذورين وأن هجومنا عليكم ليس تعدياً.. وأنتم أطراف باستمرار في احتلال أراضينا بما تقدمونه من دعم متواصل لإسرائيل.

سافر سسكو ووجه (عبد الناصر) نداءه لـ(نيكسون).. وبعد ذلك بدا أن هناك مبادرة مختلفة ستأتى.. والأمور متصاعدة بشدة.. ومن الممكن أن تحدث مشكلة كبيرة بسبب دخول سلاح جديد أو السوفييت أو الثورة الليبية أو تغير في الموازين بسبب قلق الحلفاء. كنا نريد وقف إطلاق نار مؤقت لمدة ٣ أشهر.. وأثناء هذه المدة يتقدم السفير لاينج.. مندوب الأمم المتحدة لتنفيذ قرار (٢٤٢ ) بتفسيرات.

هناك شيء في السياسة هو أنك لا تستطيع أن ترفض على الإطلاق كل ما تسمعه ولا تستطيع أن تصدق كل ما تسمعه.. ولكن التصديق ورفض التصديق يكون متعلقا دائماً بما تعده أنت من وسائل لكل الاحتمالات.. وفي هذا الوقت بدا أن هناك نوعا من الميل لقبول مبادرة (روجرز).. وكنا نحتاجها لأسباب كثيرة.. وكان هناك اعتقاد أن حرب الاستنزاف أدت أغراضها وأن الاستمرار فيها هو نسق أصبح معروفا والآن ونحن مقبلون على مرحلة أخرى.. يتم فيها اختبار النوايا.. ويجب أن نكون جاهزين بعد اختبار النوايا إلى مرحلة جديدة في الحرب.. ونحن نحتاج إلى هذه المرحلة.. سواء لاختبار النوايا أم لا.. وفي هذه الفترة قد يكون اختبار النوايا بالنسبة لى فرصة بصرف النظر عن كل الفوائد.

أتذكر أن آخر اجتماع بين (عبد الناصر) و(معمر (القذافي) بعد مؤتمر طرابلس قيل إن هذا هو الوقت المناسب لتدمير إسرائيل.. وأنا أقول لكم إن هذا الوقت لا أقبله.. وأعتبر هذا تغطية للعجز عن الفعل لأن أقصى المواقف تشددا هي طريقة لإعفاء النفس من عمل ما ــ ممكن.. وقال (عبد الناصر): إن هناك باستمرار في السياسة ثلاث درجات للفعل.. أن تأخذ ما هو متاح لك.. وهذا أرفضه.. وأن تحقق أقصى ما هو ممكن.. وهذه مدرسة أعتقد أنها موجودة أمامنا.. وهناك مدرسة ترى أن السماء هي الحدود وأن نقوم بأقصى شيء والآن.. وقال (عبد الناصر) لـ(القذافي) إنه والعراقيين يتحدثون عن نسف "عمارة إسرائيل" وقال لهم إن هذا الأمر لم يأتِ وقته وربما ليس في جيلنا.. وأنا مستعد أن أكتفي في هذه اللحظة بنسف عمود خرساني أساسي من مبنى هذه العمارة.. وإذا استطعنا نسف عمود خرسانة فسوف نخل بتوازن العمارة وهذا هو الهدف.. بالنسبة للوضع العالمي وبالنسبة للسند الإسرائيلي لأشياء كثيرة ولكن لا يمكن أن يتحقق هذا الهدف الذي تحلمون به.. لكنه عمل دءوب ومخطط على مراحل طويلة وأنا هدفي نسف عمود خرسانة ليس أكثر.

وبدا أننا في مصر نقبل الحديث عن مبادرة (روجرز) والشيء الغريب أن أول نص جاء لنا وكنا في وزارة الخارجية في طرابلس.. ونصت المبادرة على بندين اثنين: وقف إطلاق النار لفترة مؤقتة ٣ أشهر.. إعطاء السفير (لاينج) فرصة يسعى خلالها إلى دعم دولي وتفسيرات تساعده عليها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي.. أو جهود تساعده عليها.. وثلاثة أشهر فقط لنرى النتيجة.. وكان مشروع المبادرة في نصف ورقة وتسلمها السفير (محمود رياض) في القاهرة وأُرسلت لنا في طرابلس وجاء في طرابلس واستقر الرأي على أن نقبلها بعد دراسات واستطلاعات .

وجاء لنا ونحن في طرابلس أن (أنور السادات) نائب الرئيس وهو موجود في الاتحاد الاشتراكي سألوه عن المشروع وقال سوف نرفضه.. وبدا أن يكون هناك تركيز حول كيف تجاسر (أنور السادات) ورفض في القاهرة.. وحدث كلام كثير وشاهدت في طرابلس عملية تحريض لا لزوم لها.. وأنا أتذكر أن (عبد الناصر) لم يستفز.. وهذه المبادرة جاءت بالضبط كما نريد أن تجيء.. وهذه استراتيجية نحن سعينا إليها في الفترة السابقة والزيارة السرية لموسكو.. ولم يكن يعرف (أنور السادات) بأمر المشروع وهذه مشكلة كبيرة.. وعلى أي حال عندما عدنا إلى مصر كان (السادات) قد ذهب

لمنزل الموجى في الهرم يبحث عن منزل وكان منزله سيئاً في الهرم.. وحاول (السادات) أن يأخذ منزل أحد الأشخاص في الهرم وتسرع في رفض المشروع.. وحينما سألته في ميت أبو الكوم.. قال كنت أتصور أن المعلم حيرفض.

وكنت وزيراً للإرشاد القومى في ذلك الوقت.. وكان مطلوباً أن نعرض على الناس.. وأظن أننى قمت بتجربة لم يكتب لها البقاء في الادارة المصرية أو في الطريقة التى تدار بها الأمور في مصر.. ووضعت بالضبط (٣٩) سؤالاً من حق الناس أن يعرفوا شيئاً عن بعضها.. يجب على (عبد الناصر) أن يجيب عنها بنفسه.. وبعضها يجب أن تجيب عنه القوات المسلحة ووزارة الداخلية والمخابرات.. وتم توزيع الـ٣٩ سؤالاً على كل الجهات وجاءت لى كل الاجابات عن هذه الأسئلة التى تم توزيعها على كل الصحف.. وتصورت أنه في هذا الوقت أن نقوم بعمل تقليد في شأن كل موقف طارئ وموقف سياسى قد يبدو غريبا على الناس.. فاذا كان نائب الرئيس يعتقد أننا سنرفض.. المبادرة فما بال الرأى العام العادى.. والحل الوحيد أن نرسل الاجابة على (٣٩) سؤالاً لكل الجهات المعنية.. وكنت أتمنى أن يستمر هذا التقليد وأن نخرج ما نسميه ورقة موقف في الأزمات.. تحتوى على كل التصورات.. ولكن لم يحدث.

وأرسل رياض أننا قبلنا المبادرة بشروط.. تفسيرات واضحة لقرارات مجلس الأمن.. وهنا موقف سياسى لإدارة سياسية وأزمة اختلط فيها الرضا والممانعة والحل والمقاومة والسياسة.. ولكن سعت السياسة بكل ما تقدر عليه ودخل السلاح بعدها لأنه لا فائدة لسلاح بلا سياسة.



## ٢٥

## لقاء القمة..!!

أظن أن هذا اللقاء على مستوى القمة بين مصر والاتحاد السوفييتى والذي جرى في ٣٠ يونيو سنة (١٩٧٠)هو واحد من أهم اللقاءات في تاريخ العلاقات العربية السوفييتية لأن هذا الاجتماع جاء في لحظة شديدة التوتر وشديدة الحرج ومفعمة ومثقلة بالاحتمالات في ذلك الوقت. وكانت الأزمة في الشرق الأوسط وصلت إلى الذروة بمعنى أنها وصلت لمرحلة أصبحت تؤثر على الموازين بين القوتين العظمتين.. وتأثرت أيضاً موازين القوى في البحر الأبيض بعد قيام الثورة الليبية وما ترتب عليها وما تداعى منها.. الشيء الآخر أنه تم طرح مبادرة (روجرز) في هذه الفترة أيضاً ورفضت مصر ما قدم في ديسمبر (١٩٦٩) لكنها أبدت اتجاهاً لقبول المبادرة التى جاءت في ذلك الوقت..

وكانت المشكلة أنها مبادرة أمريكية في حين أن مشروع (روجرز) الأول كان نتيجة لاتصالات سوفييتية أمريكية في فترة كنا تركنا فيها الاتصالات للاتحاد السوفييتى لكى يتأكد أنه ليس هناك شيء يسمى الحل السلمى.. وجاءت بعد ذلك مبادرة (روجرز) وبدا أننا يمكن أن نقبلها أو على وشك القبول.

والأهم في اعتقادى أن عملية التصعيد على الجبهة قد بلغت درجة نطمئن عليها بمعنى أنه في مساء اليوم السابق بالضبط قد دخلت صواريخ (سام ٣) إلى الجبهة واحتلت أجزاء من حائط الصواريخ وبدأت تمارس عملها وحين جاء الإسرائيليون للاستكشاف أُسقطت عدد من طائرات الفانتوم.. ما بين ٦ و٨ طائرات.

وكان الذهاب إلى موسكو في تلك الليلة وبدء الاجتماعات في مناخ يعطى للزيارة أهمية مختلفة.. وكان هناك إحساس لكل الأطراف أن هذا هو اللقاء الأخير بين القيادة المصرية والقيادة السوفييتية قبل شيء كبير سيجرى على جبهة القتال وكل الأشياء تشير إليه.. وأنه سيمر وقت طويل للالتقاء مرة أخرى.. لأنه سيكون كل شخص في مشاغله.

وكان الاستعداد للاجتماع.. وضعنا تصورنا لما ستجرى عليه المحادثات والتصور جرى بعد مناقشات وكتبت التصور بخط يدى.. ولكن كان هناك - خارج ما تقتضيه المفاوضات- نوعان من المسائل. فنحن نعرف أن هناك مشاكل عالقة تؤثر على تصرفات القادة السوفييت حتى وإن لم يفصحوا عنها بوضوح.. فالمشاكل عالقة وهناك أسباب للالتباس ولسوء الفهم.

الشيء الآخر أنه نتيجة لعمليات الاستعداد على الجبهة والإدراك بعد مؤتمر طرابلس أن مصر ستدخل المعركة وحدها في البداية وأنها سوف تكون على الجبهة المصرية.. وقد تكون لهذا تداعيات على جبهات أخرى.. ولكن التخطيط يقتضى أن تكون مصر مستعدة لمعركة كبرى.. وحتى لو أدى الأمر أنها فيها وحدها وعليها إدراك ذلك منذ اللحظة الأولى.

فإذا لم تكن هناك عمليات في سوريا أو في غيرها على الجبهة الشرقية فمعنى هذا أن كامل قوة الطيران الإسرائيلى سوف تكون فاعلة فوق الجسور.. وفي ذلك الوقت كنا جاهزين تقريباً بتسعة جسور وهناك خمسة تصنع في المصانع الحربية.. لكن

هناك رغبة في الحصول على جسور جاهزة التصنيع لكى تستطيع أن تكون في الخدمة.. لأن التركيز على الجسور سيكون كبيراً.

وأصبح هناك نوعان من القضايا.. مشاكل عالقة وطلبات ملحة.. وهناك ثلاثة موضوعات في جدول الأعمال.. وهناك موضوعات سياسية أصلية وهى موضوعات المحادثات وموضوعات عالقة لأسباب سوء الفهم وموضوعات بها طلبات.

أول لما دخلنا للغرفة المجاورة لقاعة الاجتماعات قال الرئيس (عبد الناصر) - قبل أن يقدم الوفد المصرى حينما رأى (برجنيف) إن هناك أخبارٌ مهمة على الجبهة المصرية.. وهناك طائرات كثيرة تقع وقال (برجنيف) زعيم الحزب الشيوعى يبدو أن الحرب الحقيقية لم تبدأ إلا بعد سفر الفريق فوزى من مصر.. فقال الرئيس (عبد الناصر) أبقيه هنا لكى تستمر الحرب.. وبعد ذلك قدم الرئيس (عبد الناصر) الوفد وجاء بعد ذلك دورى وقال (جروميكو ) وزير الخارجية السوفييتى جيد أن يكون (هيكل) موجوداً معنا على مائدة الاجتماع كوزير مسئول بحيث لا يستطيع الكتابة كما يريد.. ويقول إنه صحفي حر فيما يكتبه.. ونحن سوف نراقبه وأى شيء سيكتبه سنحاسبه عليه.. وكان (على صبرى) موجودا وقال إن الحزب الاشتراكى سيراقبه.. فقلت لـ(عبد الناصر) هذا ما أخذته من الوزراة أن أراقب من جهتين.

ودخلنا لقاعة الاجتماعات وبدأت المناقشة وكان ما يضايق (عبد الناصر) أن ينتظر ليسأله الطرف الآخر لما يريد أن يسأل فيه.. وكان دائماً يبدأ الكلام ويطرح ما قد يسأل فيه ويتصور أن هذا يحرره من وضع سائل ومسئول.

وقال (برجنيف) بعد ترحيب أن أمامه جدول أعمال مهم وأمامنا قضايا قد ترغب الوفود في إثارتها ونريد التحدث في هذه المرة بصراحة.. وقال (عبد الناصر) له إنه سبقه لما يريد أن يقوله.. إننا هذه المرة نريد التحدث بصراحة لأننا مقبلون على أوقات وظروف.. وعلى قرارات لا يجدى فيها إلا أن يكون كل طرف على علم وبينة كاملة بما يفكر فيه الطرف الآخر.

وأنا هنا أعتمد على ما كتبته.. وأسجل كل دخول وخروج في القاعة وكل ورقة إلى درجة أننى أخذت من المارشيال جريتشكوف ورقة كان يرسم فيها.. لأننى كنت حريصاً بشكل أو بآخر ولازلت أنه لا بد أن تكون السجلات كاملة.

وبدأ (جمال عبد الناصر) في هذه الجلسة بالتحدث وقال إننا نعلم أن لكم عتابا علينا لأننا نصحنا ليبيا بأن تشترى طائرة ميراج فرنسية ولا تشترى الطائرات الميج.. لذلك أريد التحدث في ذلك مباشرة لأوضح لماذا اتصلنا بالليبيين.. وجعلت (هيكل) يذهب لـ(القذافي) وكان رأينا أن يشتروا ميراج بدلا من الميج وأنا أقولها بوضوح إننا نريد الليبيين أن يشتروا الميج.. ولكن بوضوح ما يقودنا هو الكفاءة العسكرية فوق ميدان القتال.. وطائراتكم مهمة للغاية ونحن نعتمد عليها بكل أنواعها ولكن نحن نلح باستمرار لقاذفة وأنتم لا تملكون قاذفة.. فضلا عن ذلك كنا نحتاج مدى للطائرات.. وقمنا بتجربة وكان معنا فيها خبراؤكم ومساعدو الجنرال كتشتكن كبير الخبراء.. لمعرفة كم طائرة ستبقى بعد عبور قناة السويس في الشرق.. فأقلعت طائرة من الجبهة وعبرت فوق قناة السويس وعبرت سيناء في اتجاه قناة السويس.. فكم تستطيع أن تبقى فوق الأهداف واكتشفنا ووجدنا وتنبهنا أن الميج تستطيع أن تبقى في الشرق ٢٥ دقيقة وأن الميراج تستطيع أن تبقى في الشرق ساعة كاملة.. وأن الفانتوم طبقاً لحساباتنا تستطيع أن تبقى ما هو أكثر من ساعة ولذلك فنحن سواء بسبب قدرة الميراج كقاذفة.

وسواء بالنسبة للمدى الذي نريده خاصة ونحن ندخل في معركة.. جزء منها هجومي.. ولهذه الأسباب ولأنه موضوع عسكرى بحت.. قررنا نصح الليبيين وطلبوا رأينا وقلنا إن يذهبوا للميراج.. وأنا أقولها بصراحة إن هذا لا يعنى عرقلة صفقاتكم ولا يعنى أننا نسيئ لسمعة سلاحكم فنحن نزكى سلاحكم حينما نربط أبناءنا للقتال به.

وأنا أعرف أنكم تضايقتم بسبب ما جرى في السودان.. وهنا نظر (عبد الناصر) لبنيماريوف لأننا لما دخلنا قاعة الاجتماعات بدت وجوه أخرى جديدة ولم يكن فقط (برجنيف) قائد الدولة.. و(كسيجين) رئيس الوزراء.. و(جروميكو) وزير الخارجية.. و(جرتشكو) وزير الدفاع.

لكن لاحظنا أيضاً أن (برمنيوف) موجود وهو المسئول العقائدى في لجنة الرئاسة.. وقال (عبد الناصر) إنه يعلم أنكم تضايقتم.. بعد ما حدث في السودان أحداث جزيرة آبا.. تصور الشيوعيون وهو حزب قوى وشرعى في السودان برئاسة عبدالخالق محجوب.. وتصور بعضهم أن ما جرى في (جزيرة أبا) من تصفية للمهدية أنها فرصة لهدم الشيوعية.. ونصحنا (النميرى) أنها ليست فرصة لاستقطاب السودان.. وأن هذا وقت

وحدة وطنية في السودان وعلى كل راغبي الاستقطاب.. أن يبتعدوا وكان (النميرى) يشتكى نشاطاً كبيراً قوياً لديه ونحن طلبنا منه أن يرسل لنا الطرفين في القاهرة.. (عبدالخالق محجوب) والصادق المهدى).. للقاهرة ونحن نتفاهم معهما.

وحينما ذهب (عبدالخالق محجوب) لمكتب (سامى شرف) قالوا له أنت في القاهرة لتخفيف التوتر في السودان ولست معتقلاً ولا مُبعداً وأنت في أى وقت تريد السفر لأوروبا الشرقية نحن سنرتب ذلك لكن لا داعى في السودان في هذا الوقت.. وقلنا لـ (الصادق المهدى) إن القاهرة ليست منفي لأحد وإنما هى مضيفة وإذا أردت أن تظل بعيداً عن السودان في اللحظة الحالية.. وإذا أردت أن تذهب لأوروبا فاختر أى مكان لك ولأسرتك.. لكن رأينا أن هذا هو الوضع الأسلم لتهيئة الظروف في السودان بعد ما جرى في جزيرة أبا.. وهذا ليس وقت استقطاب في السودان ونحن نعرف أنه أغضبكم أن أرسلنا لعبدالخالق محجوب ثم تركناه ليسافر لأوروبا الشرقية إذا أراد والموقف السودانى لا يحتمل حرباً أهلية والأجواء متوترة.. وأعرف بتأثركم.

وأنا أعلم بشكل أو بآخر أن هناك من غضب حينما سألنى جنرال كتشجن في آخر مرة كنت فيها هنا عما إذا كان الخبراء السوفييت يرتدون بدلا عسكرية في أثناء وجودهم في مصر وأنا رفضت وأنا أعرف أن الضباط الموجودين في الخدمة ونقدر خدماتهم يشعرون كما لو كانوا مرتزقة لأنهم يضطرون أن يرتدوا مثل العمال ويشعرون مع غياب زيهم ورتبهم العسكرية أنهم ليسوا جنودا.. وأن هذا يقلقهم ويجرح كبرياء العسكرى الروسى.. وأريد أن أقول بوضوح أننا من أكثر الناس الحريصين على كبرياء أى عسكرى روسى.. والعسكرية الروسية بالنسبة لنا نحترمها جداً.. وإذا نحن لا نستطيع أن نقبله لأسباب نفسية.. وهناك مسألة أخرى هى لو ارتدى هؤلاء الخبراء ملابس عسكرية وهم يؤدون مهاما كأن هذا قتال رسمى للقوات السوفييتية ونحن لا نريد أن نعرضكم لهذا ونريد أن يكون الضباط خبراء أكثر للمقاتلين.. ولا أريد خبيرا يرتدى زيه العسكرى لكن خبيرا عقله جاهز.

الشيء الآخر أننى أعلم أنكم متضايقون من بعض ما يجرى في ليبيا ومن كلام قاله (القذافي) لأنه نقل إليهم تصريحات لـ(القذافي) وتصريحاته عادة بعضها جامح وبعضها أصبحت جزءا من شخصيته يقوم بهذا الدور ولا أتحمس لهذا الجزء وليس لدى اعتراض في نفس الوقت.. ولكن وقتها قال (القذافي) إنه لا فرق بين (كيسنجر) و(كوسيجن)..

والإثنان مثل بعضهما.. والتصرفات مثل بعض.. وحاول (كوسجين) أن يحسب دخل الليبيين لأن كم البترول الموجود بهذه الثروة على البحر الأبيض مستولى على خيال (كوسيجين) وغيره.. وقال إن هناك برجوازية تعمل.. فقال (عبد الناصر) أرجوك ألا تُطبق على ليبيا.. ولا (القذافي).. ولا تقول طبقة برجوازية فالمجتمع هناك مازال قبلياً.. وأنت تتحدث عن بلد به مليونا نسمة.. وهو بلد يخرج للعصر الحديث لأول مرة.. وروابطه القبلية موجودة.. ولا تضعوه ولا تصنفوه طبقياً بهذه الطريقة.. وأرجوك أن تعرف أن هؤلاء الشباب سنهم ما بين ٢٥ : ٣٥ تقريباً.. وهم القادمون.. وقاموا بثورة قد تكون مستحيلة نظرياً.. وهم أنفسهم كانوا يقولون إن نسبة النجاح فيها واحد في المليون ونجحت.. وأدى هذا النجاح لتغييرات كبيرة لكن أرجوك أن تعرف أن الشباب القائمين بها يحتاجون لوقت كبير للتعلم وأظنهم سيتعلمون ولا بد أن نعطيهم الوقت.

وكانت قاذفتنا وجزء منها موجودة في المطارات الليبية في مأمن لأنه جزء مهم جداً ونحن حريصون عليه.. ونحن متصورون أنكم لا تأخذون ما على السطح بهذه الطريقة.. أما عن من يهاجمونكم في مصر فهم أيضاً يهاجموننا والمجتمع المصرى مجتمع مختلف فالترابط العائلى فيه لايزال الجزء المؤثر والفاعل ولكن هناك طبقات انطبقت عليها قوانين الاشتراكية ولا نستطيع إلا أن نفهم موقفها ولا بد أن نفهم موقفها.. فلما يجلسون معنا أو يهاجموننا هذا طبيعى وهذا حقهم.. ولا أستطيع أن أخذ كل شخص يهاجم النظام أو يهاجمكم لأننا أخذنا شيئاً من أملاكه فلا أستطيع أن أضعه في السجن ولا بد أن نقبل قدرا كبيرا جداً من النقد وأن هذا النقد ممكن أن يكون موجها لكم.. لكن أرجوكم أن تفهموا أن هذا النقد موجه بالدرجة الأولى للنظام وعلينا أن نقبله.

وحدث في هذه اللحظة شيء يمستى مباشرة.. فأثناء حديث (عبد الناصر) كنت مستغرقا في الكتابه بحيث لا يفوتنى شيء.. وفجأة وجدت (برجنيف) يذكر اسمى وكان بجوارى السفير مراد غالب وكان يكتب المحضر الرسمى للجلسة وأنا كنت أكتب الملاحظات وأرى ما الذي يجرى وما الذي يحدث.. بما فيها واقعة أعتقد أنها مهمة.. منها ورقة من (برجنيف) أعطاها لمدجرنى وبعدما قرأها أعطاها لجراشكوف.. وبعد ذلك يأتي شخص من الخارج لـ(برجنيف) وطلب (برجنيف) قلما أحمر ووقع على هذه الورقة.. وكل هذا أوقف الجلسة لثوان.. فشعروا أننا نحتاج لإيضاح.. فقالوا إنه

جاءت لهم معلومات أن هناك محاولة انقلاب في الصومال وأننا اتفقنا على إرسال رسالة تحذير للرئيس الصومالي.

وبعد ذلك ذكر (برجنيف) اسمي فسألت مراد غالب عما يقوله.. فرد مترجم سرجيه أننا نطلب منهم أن يتغاضوا عن بعض ما يحدث للخبراء وألا يرتدوا زيهم الرسمي.. وأن الشعب المصري لا يبدو أنه يريد خبراء من عندنا.. فقال (جمال عبد الناصر) من أين تقول إن الشعب المصري لا يريد خبراء من عندكم.. فقال له إننا سمعنا أن الخبراء يتدخلون في شئونكم.. فرد (عبد الناصر) أنهم إذا تدخلوا من خارج الوظيفة فسأكون أول واحد يطلب وضعهم على مركب في إسكندرية ويأتون لكم على ميناء أوديسا.

ولم يعجب (برجنيف) رد (عبد الناصر).. وقال إن (هيكل) يعرف ولديه معلومات لدى وزارته أن الخبراء السوفييت مكروهون في مصر.. والمصريون لا يريدونهم.. فتدخلت في الكلام وقلت له السيد الرئيس يقول هذا الكلام على أي أساس.. فقال: أنت في وزارتك قمت باستقصاء لكي تعرف مدى قبول الشعب المصري للخبراء السوفييت وتوصلتم إلى تقرير رسمي كتبتوه أن الشعب المصري يرفض وجودهم.. فنظر لي الرئيس (عبد الناصر) وسألني عن حقيقة هذا الكلام فقلت له لا أساس له من الصحة وقلت لـ(برجنيف) ذلك وقلت له ليس هناك فيما أعلم أي شيء ومع ذلك فبعد الجلسة سوف أتقصى ما إذا كان هذا الكلام له أساس.. وأنا أؤكد لك أن هذا الكلام صعب جداً.

واستمرت الجلسة وجدول الأعمال بعد ذلك والكلام الذي به حساسيات تقريباً قد انتهى وأعطى الرئيس الكلمة لـ(محمود رياض) وزير الخارجية.. بعد جزء المصارحة والذي كانوا يستمعون إليه باهتمام وربما أدهشهم أن كل المسائل التي ربما تجول في أذهانهم وتخلق بعض الشكوك أنها طرحت بهذه الطريقة في نفس اللحظة والكلام كان فيها.. وكانت معظم الأسئلة التي سألوها غريبة نتيجة اهتمامهم بليبيا في ذلك الوقت.. وتحدث (عبد الناصر) عن المزايدات التي حدثت في مؤتمر طرابلس وقال إنه لا يوجد ما يسمى بإزالة آثار العدوان ولكن هناك ما يسمى بتحرير الأرض كاملة سواء في (٦٧) أو (٤٨) وتدمير إسرائيل.. وكان يرى (عبد الناصر) أن هذا الكلام صعب وأنه يريد فقط كسر عمود خرسانة رئيس في هذا البناء الإسرائيلي وسوف يقع.. وأن

المواجهه الكاملة إذا كان الهدف منها إزالة إسرائيل فنحن نتحدث عما ليس لنا قبل به في هذه المرحلة.

وقال (عبد الناصر) إنه يقبل مبادرة (روجرز) لأن عليها بالتحديد علم أمريكى.. لأن العلاقات بين أمريكا وإسرائيل في هذه اللحظة وفي هذا التوتر العالمى تعطى فرصة لعمل.. والدليل على هذا أن الوزارة الائتلافية في إسرائيل على وشك أن تتكسر وهنا مناخ يدعونا إلى قبول مخاطرة من أى نوع وعلى أى حال فهى جزء مما يمكن أن نتصرف في إطاره وتحته.. إلى ما هو أبعد منه وأوسع.. وكان في ذهنه العمل العسكرى القادم بعد أن صدق على عملية الجرانيت قبل سفره لموسكو.

وانتهى (عبد الناصر) من الموقف السياسى.. وكان السوفييت مذهولين أنه على الجبهة المصرية سقطت ٨ طائرات فانتوم في نفس يوم حضورنا لموسكو.. وأنه وقت وصولنا أرسل الفريق صادق للفريق فوزى يقول له فيها إن الطيارين تم أسرهم جميعاً فيما عدا واحد قتل.

وكان ظاهرٌ أن الموقف العسكرى به قدرات جديدة وأن الصواريخ الجديدة توحى بأن هناك شيئاً جاريا.. أما موضوع جسور العبور فقد استغرق وقتا طويلا وهو الأمر الذي دعا إلى كلام على الجبهة الشرقية.. وقال (برجنيف) إنه أولى بدلاً من أن تطلبوا جسور عبور أكثر لأنكم تتوقعون تركيزاً في الطيران الإسرائيلى أكثر عندكم إذا كنتم منفردين بالعمل.. فيبقى العمل من سوريا.

وكانت وجهة نظر (عبد الناصر) أنه من سوء الحظ أنه يوجد خلافات سياسية بين الأحزاب والخلافات في العالم العربى لم تعد بين تقليدى وجديد.. لكن هناك تقليديا مرتكزا على أفكار تقليدية لكن هناك إسلاميا مرتكزا على فكرة الدين.. لكن في الجديد.. هناك بعثيون وشيوعيون وقوميون ومستقلون.

وكان (عبد الناصر) يقول إن الظرف السياسى قد لا يسمح باتفاق مسبق على خطط محددة لكنه يعتقد أنه إذا بدأت الجبهة المصرية تزيد ضغوطا شديدة جداً على الأنظمة بما يجعلها قادرة على الانخراط بشكل ما في مرحلة من مراحل الصراع المسلح القادم.. لكن هو على أى حال جرب بقدر ما يستطيع أن تكون هناك خطط كاملة متسقة ومتناسقة.. وكان لسوء الحظ لكى يتفق على خطة أن ينتظر شيئين أن (جمال عبد الناصر) بكل الجو الأسطورى الذي حوله أن يبتعد ويختفي وأن يأتى أحد آخر يمكن

أسهل أن يطمئن أطراف وحلفاء آخرين من العالم العربى لأنهم يتعاملون مع بشر عاديين وليس مع أساطير يخافون أن يبتلعهم أضواؤها ومجدها إلى آخره.

وكان الذي فتح الموضوع مع السوفييت هو جسور العبور. وبدأ الفريق فوزى يحاول يشرح وكان الفريق فوزى لديه مشكلة لأنه كان يريد التخلص من كبير المستشارين الذي كان عنده وهو (كتشكن).. وجاء لى جواب بعد أن غادرت لأننى لم أكمل المحادثات وظلوا ١٥ يوماً وكان (عبد الناصر) يكمل الاستشفاء.. ووجدت فوزى يتحدث عن أنه يريد أن يتخلص من (كتشكن) "البايخ".. وبدت لى هذه الكلمة غريبة من القائد العام للقوات المسلحة.. وتحدث فوزى عن الطلبات وكان في ذلك الوقت تأتى لنا تقارير كثيرة جداً من الضباط من موسكو الذين يدرسوا وجاءت تقارير عن صاروخ (سام ٦) فبعضهم قرأ عنه وبعضهم سمع عنه وكانوا مبهورين بـ (سام ٦) فهو قادر على الطيران المنخفض وميزته أنه متحرك ومركب على مدرعات وهو قادر على أن يطلق نيرانه وهو يتحرك.

وكان رأى العسكريين المصريين أن حائط الصواريخ سيكون ثابتا سواء (سام ٢)الذي كان موجودا في الأول أو (سام ٣).. وكانوا يتصورون أن حائط الصواريخ الثابت يخدمه جداً أن يكون أمامه مدد أو طلائع من سام (٦) المتحرك خاصةً حينما تعبر القوات من الناحية الأخرى وتواجه طيرانا قريبا منها قد لا يطوله الطيران المنخفض الموجود في الخلف.. والاعتماد على الصورايخ المحمولة باليد وشباب المؤهلات الذين كانوا رائعين.

وانتهت الجلسة الأولى ولكن كانت هناك مسألة معلقة علىّ أنا بالذات أول لما انتهت الجلسة اجتمع الرئيس و(على صبرى) و(محمود رياض) وأنا.. وكان الفريق فوزى مشغولاً مع جرتشكوف وبعد ذلك قال لى الرئيس: ما موضوع الخبراء.. فقلت له: أنا سأخرج حالاً لأتصل بمكتبى وفي الفترة اتصلت بالدكتور (عبدالملك عودة) ) وكان مدير مكتبى في الأهرام وكان معى في وزارة الإرشاد القومى في ذلك الوقت.. وقلت له أريد تحقيقا عن هذا الموضوع.. وقال لى عبدالملك إنه ليس لديه أى علم بأى شيء من هذا النوع.. وقال لى إنه سيتحقق ويتصل بى.

وأنا داخل في الجلسة وجدت (جريتشكوف) يقول لى إنه يريد أخذ الورقة التى كان يرسم فيها.. فقال لى يبدو أنك لديك مشكلة فقلت له إن مشكلتى سأحلها لكن

مشكلتك تحتاج لطبيب نفسى لأننى أريد الخبراء النفسيين أن يعرفوا فيمَ كنت تفكر؟.. فقال له (برجنيف): إن (هيكل) لا يريد أن ينسى أنه صحفي فسألنى (برجنيف) الا تريد أن تنسى أنك صحفي فقلت له لا أريد أن أتذكر إلا أننى صحفي.



## طلبات موسكو

كانت اجتماعات القمة التى عقدت في موسكو ٣٠ يونيو سنة (١٩٧٠)بين (عبد الناصر) والسوفييت واحدة من أهم الاجتماعات في تاريخ العلاقات المصرية السوفييتية ذلك لأنها جاءت في مرحلة يتوجب فيها تدعيم علاقات كانت على وشك أن تدخل اختبارات بالنيران.. في ظروف حرب لا أحد يعلم متى ستبدأ.بالتحديد. لكن (عبد الناصر) كان قد وقع خطة العمليات "جرانيت واحد" قبل سفره إلى موسكو.

وكانت الطلبات في موسكو كثيرة.. وذات طبيعة خاصة لأنها كلها كانت تتصل بالطيران وبالدفاع الجوى والحرب الإلكترونية وبالتشويش وبكسر الشفرات.. ويكفي أن أقول إنه مع نهاية هذه الاجتماعات كان حجم ما تم الاتفاق عليه يساوى ٦٦٠ مليون روبيل أى ٦٦٠ مليون دولار وبأسعار اليوم تقريباً كانت تصل هذه الصفقة في حدود ٣ بلايين دولار كلها دفعناها ببضائع مصرية ليس بينها القطن وجزء كبير جداً لم ندفعه وأعفينا منه في ظروف لاحقة.

وكان التوقيت الذي تجرى فيه الاجتماعات منتهى الأهمية والظروف في منتهى الحساسية والنتائج.. التى ترتبت عليها عمليا وسياسيا كان لابد من التأكد باستمرار أنها في طريق محدد ومتفق عليه وواضح لأنه في ظروف معركة قادمة يعد لها لا تحتمل أى خلافات.

في الجلسة الأولى أثار (برجنيف) المشكلة.. التى أشرت إليها في الحلقة السابقة.. والتى تعلقت بوزارة الإرشاد.. وكنتُ وزيراً لها في ذلك الوقت.. وكنا اتفقنا في البداية على أن يكون العمل ليوم واحد في جلستين: صباحية مسائية.. على أن يذهب (عبد الناصر) اليوم التالى ليجرى فحوصات طبية في مصحة دال بيقة.. وكان الرئيس (برجنيف) نفسه في إجازة صحية.. وهم عادة يقضون إجازاتهم في مصحات.. وجاء

لمباحثات موسكو واتفق على أن يكون يوم ٣٠ يونيو يوم عمل مكثفا.. على أن يذهب كل شخص في اليوم التالى للمصحة التى سيذهب لها.

أهمية الموضوعات المطروحة جعلت العمل في ذلك اليوم متعبا للغاية.. وكانت المشكلة الأكبر بالنسبة لـ(برجنيف) حينما أثار موضوع وزارة الإرشاد.. وقال لـ(عبد الناصر): كيف تطلبون خبراء ونحن نعلم أن الشعب المصرى قد لا يكون مؤيداً لهذا؟ ثم أشار باتجاهى وهو يقول: إن السيد (هيكل) يعرف ذلك .

ولما استوضحنى الرئيس (عبد الناصر) حول الموضوع قال (برجنيف) إن وزارة الإرشاد القومى أجرت استفتاء على شريحة كبيرة من الرأى العام المصرى.. أظهر أن ٧٥٪ من المثقفين لا يريدون الخبراء الروس. وسألنى (عبد الناصر) حول حقيقة هذا الموضوع.. فاستأذنت لأتصل بمكتبى في القاهرة وأفهم منهم.

كنت أشعر بحساسية المفاوضات في هذه اللحظة.. فنحن نطلب خبراء ونطلب زيادة التسليح.. ونحن مقبلون على معركة أنا أعلم أن قرار بشأن عملية جرانيت واحد تم توقيعه.خرجت من قاعة الاجتماعات لمكتب ملاصق.. واتصلت بصديقى.. والقائم على أعمال مكتبى في نفس الوقت.. الدكتور (عبدالملك عودة) ) وسألته عن الموضوع.. كان يبدو مندهشا.. وقال لى إنه سيتقصى ويعاود الاتصال.. ونظراً لسخونة الموضوع لم نتفق كيف سيحدثنى مرة أخرى.

بعد الانتهاء من الجلسة جاءت لى ورقة من السفارة المصرية في موسكو بأن مكتبى في القاهرة سأل عنى.. وأنهم سيعاودون الاتصال في الثانية والنصف.. فقلت لـ(عبد الناصر) إننى سأذهب للسفارة وأتصل بمكتبى وإنهم سيبلغونى بنتيجة شيء ما.. وبالفعل دخلت السفارة قبل الموعد ووجدت الدكتور (عبدالملك عودة) ) يحدثنى.

الموضوع كان غريباً للغاية.. لأننى كنت أحاول أعيد تنظيم وزارة الإرشاد القومى وكان رأيى يتجه لحلها.. لأنها بلا معنى.. وأن تتحول الإذاعة والتليفزيون لمؤسسة مستقلة مثل نظام الـ (B.B.C) وتكون تابعة لمجلس الأمة.. وتقدم تقريرها السنوى إليه.. واخترت الدكتور مصطفي خليل ليكون مسئولاً عنها.

وكنت أرى أن مصلحة الاستعلامات لا لزوم لها.. فيكفي أن أقول إنه كانت هناك مكاتب لمصلحة الاستعلامات في الخارج ومكاتب أخرى لوكالة أنباء الشرق الأوسط ومكاتب صحفية ثالثة في السفارات. ومعنى ذلك أنه كانت هناك ثلاثة تقارير يومية

تستقى أخبارها من مصدر واحد: هو الصحف.. أى أنها تكرر نفسها.. وكنت أعتقد أن هذا إهدار للموارد.. بالإضافة إلى أن مكاتب الاستعلامات في الداخل مشغولة بتقديم تقارير للوزارة عن اتجاهات الرأى العام يومياً.. وأعتقد أنه ليس منطقيا ولا معقولا أن تقاس اتجاهات الرأى العام بشكل يومى.. ولذلك طلبت إنشاء لجنة لتقييم عمل مكاتب الاستعلامات في الداخل.

وحكى لى (عبدالملك عودة) ) أصل ما تحدث فيه بريجنيف في الكرملين. فما حدث أن اثنين من هيئة المستشارين في مكتبى.. وهما الأستاذ تحسين بشر.. والذي اشتهر فيما بعد كمتحدث رسمى باسم (السادات).. والدكتور عبدالوهاب المسيرى.. ذهبا لكفر الزيات.. والتقوا هناك بمدير مكتب الاستعلامات.. وسألوه عن طريقة إعداد تقارير الرأى العام.. فأخبرهم الرجل أن موظفي المكتب يذهبون للمقاهى أو مواقع العمل بشكل عشوائى.. ويتحدثون مع الناس في القضايا المثارة على سطح الأحداث.

وسأله الدكتور المسيرى عن طريقة تحديد الموضوعات.. التى يناقشون فيها الناس.. فقال له مدير مكتب الاستعلامات في كفر الزيات أنه يسمع الدعايات المضادة على راديو لندن أو صوت أمريكا.. ومن خلالها يحددون القضايا المثارة.. ويسألون فيها الرأى العام.. إلى جانب بعض المشاكل أو القضايا الداخلية أو توافر الخدمات.

وتدخل تحسين بشير في المناقشة - طبقاً لما رواه لى (عبدالملك عودة) - وسأله عن الموضوعات.. التى يستقصون آراء الناس فيها.. فقال إنهم سألوا في موضوع الخبراء السوفييت بعد أن سمعوا نقاشاً طويلاً على راديو لندن حول الموضوع.. وقال الرجل إنهم وجدوا الناس منقسمين بين الموافقة والرفض.

أنهيت مكالمتى مع (عبدالملك عودة) .. وطلبت أن أتحدث للدكتور (أسامة الباز) .. ثم تحدثت معه هيئة المستشارين جميعاً.. وأثناء عودتى من السفارة المصرية إلى الكرملين.. وطوال ثلث الساعة كنت أفكر: كيف انتقل هذا الموضوع بهذه السرعة من كفر الزيات إلى الكريملين؟.. لأجده بعد ١٥ يوماً فقط يتفجر كلغم في جلسة محادثات على هذا المستوى.. وعندما عدت وجدت الرئيس (عبد الناصر) يتمشى بين ثلاثة أجراس من الحديد في فناء الكرملن.. صنعها بطرس الأكبر الامبراطور الروسى الشهير.. من مدافع خصومه في معارك مختلفة.. وسألنى عن الموضوع فقلت له كل شيء.

فيما بعد عرفنا أن مدير مكتب الاستعلامات تحدث مع إحدى وحدات الاتحاد الاشتراكى في ذلك الوقت ثم إذا بالموضوع يصل لأحد أعضاء التنظيم وعضو في إحدى النقابات.. ثم وصل إلى مندوب لوكالة أنباء تاس.

جاء ميعاد الاجتماع الثانى الساعة الثالثة والنصف وطلب منى (عبد الناصر) أن أشرح الحكاية.. وحينها تدخل (برجنيف) قبل أن أتحدث وقال إنه اطلع على هذه المعلومة في تقرير ليس للنشر من وكالة تاس.. فشرحت ما حدث في منتهى الهدوء.. فقد بدا لى أن وقت قمة بهذا المستوى لا يمكن أن يضيع في مناقشة أمر بهذا الحجم.. لكن أحيانا تتولد بذور جنينية لقضايا وخلافات قد تكون موجودة بالفعل محليا لكن يتجاوز البعض في طريقة عرضها.. وعلى أى حال شرحت الموضوع.

وقال (برجنيف) إنه يريد لهذه المهمة تنتهى بكل وسيلة.. وأن نحقق ما نريده لأنه يريد أن يخرج رجاله ويبعد عن هذا الموضوع.. ولا يريد أحد أن يتهمهم بـ"الاستعمار الروسى". ورد (عبد الناصر) بأنه يعتز بوطنيته.. وقال: أنا لو وجدت شبهة استعمار فيما تقومون به لكنت أول من يتصدى لهذا.. ولا كنت طلبته أو تناقشت فيه".. فقال (برمانيوف) إن المسائل بها التباس لأن الوزير (هيكل) يحب الأمريكان.. فسأله (عبد الناصر): كيف يحب (هيكل) الأمريكان.. فقال المترجم الذي يرد عن (برمانيوف) هو يريد صداقة الأمريكان.. فقال (عبد الناصر) وأنتم تريدون صداقة الأمريكان.

وقال (عبد الناصر): أريد أن أكون واضحاً فأنا لست عدواً للأمريكان ولا (هيكل) عدو للأمريكان ولا أنتم أيضاً.. فيما يتعلق بنا فنحن نقاوم شيئين عند الأمريكان: انحيازهم لإسرائيل.. ورغبتهم في السيطرة.. وهاتان النقطتان هما مبعث الخلاف.. وقال (عبد الناصر) إن حكاية مصادقتى للأمريكان كلام غير معقول .

وحينها بدأ الروس في الاعتذار.. وقال (عبد الناصر): أنكم لا تعرفون المجتمع المصرى.. ولابد أن تفهموا أولاً أن الغرب موجود في المنطقة مبكراً جداً.. فنحن لما بدأنا التعلم في المدارس كانت اللغة الانجليزية هى اللغة الثانية بعد العربية.. وهناك مواد كانت تدرس بالإنجليزية.. ونحن مصادرنا للمعرفة مفتوحة على الغرب أكثر من انفتاحها على أحد آخر.. وأنا حين كنت أدرس أركان حرب كانت تدرس لنا الاستراتيجى باللغة الانجليزية.. وهناك بعض الكليات تدرس موادها بالإنجليزية.. مثل كلية الطب.

وأكمل (عبد الناصر): أرجوكم أن تعرفوا وضع العالم العربي باستمرار لأن العالم العربي هو دائرتنا الكبرى وهو مفتوح ولا ولاية للدولة المصرية عليه ولا تستطيع أن تصله.. ولكن نستطيع أن نصل إليه بالنموذج.. ونصل إليه بالاتصال والخطاب.. ولابد أن نعطى لكم أهمية كبيرة لأن هذا سيؤدى إلى قدر كبير من الانفتاح مع الزمن.

وأظن أن الأمور وقتها اتضحت وقال (برجنيف) أظن أننا نتفهم هذا الأمر.. ووجهوا لى كلمة رقيقة.. ثم ودخلنا في عرض الطلبات.. وكان أصعبها طلب الفريق فوزى نقل كبير الخبراء.. الذي كان يطلق عليه "البايخ".. وقد حاولوا بالتطبيق العملى بالاستجابة للطلبات.. ورتبوا تدريبات عملية للدفاع الجوى.. وطلبوا من الفريق (محمد على فهمى) قائد الدفاع الجوى أن يحضر بعض هذه التدريبات فقد كانوا يعتقدون أننا قد نستفيد منها.. وطلبوا أن يحضر القادة المصريين.. وبالفعل كان هناك قدر من التعاون.

وفي اليوم التالى وقبل رحيلى من موسكو ذهبت لـ(عبد الناصر).. وكان سيذهب إلى برييخا.. وكان (برجنيف) سيذهب لمكان الاستشفاء.. على أن يعودوا للمقابلة بعد عشرة أيام.. وقرر (على صبرى) أن يذهب مع (عبد الناصر) لبرييخا لأنه كان لديه مشاكل في القلب ويريد أن يقوم بعملية فحص طبى والفريق فوزى سيظل ليقوم ببعض المحادثات مع القادة السوفييت حول الجانب العسكرى.. ولديه اجتماعات محددة مع جرتيشكوف.. وكان (محمود رياض) لديه ظرف يقتضيه ليعود للقاهرة.. فذهبت لـ(عبد الناصر) في جناحه وتناولت الإفطار معه وقال: لى أرجو ألا تكون متضايقا وقلت له طبيعى إن صحفيا في الوزارة سيقوم بمشكلات.. استأذنته أن أعود للقاهرة.. وهنا جاء الفريق فوزى وطلب منى أن آخذ معى مجموعة ورق أسلمها للفريق صادق.. وكانت عبارة عن مراسلات رأيتها فيما بعد.

**وكتب الفريق فوزى رسالة للفريق صادق قال فيها:**

"عزيزى الأخ صادق أهديك سلامى وأبعث تحياتى لكل أفراد القوات المسلحة بداية الرحلة والمفاوضات مشجعة للغاية.. وقد أنهى الرئيس جمال كلامه عن كل الناحية السياسية والأوضاع في مصر والعالم العربى بصفة خاصة في ليبيا وكان الاهتمام باديا من الجانب السوفييتى والقيادة جميعاً.. وكانت ليبيا في ذلك الوقت ونتيجة للتغير.. الذي حدث في الإستراتيجية نتيجة الثورة الليبية.. وكان لها عامل كبير جداً في ذلك الوقت وبدا يتحدث عن الطيران.. وقال أننى أنهيت مقابلتى مع (جرشكو وزخاروف

وباتسـكى) وقائـد الطـيران ود(جـايف) وقـد أحـاول في هـذه الجلسـة تقـديم الطلبـات بأسـلوب أحـرج (كتشـكن) كـثيراً.. والطلبـات كلـها مقبولـة في الغالـب.. ويقـول إن الفريق فوزى كان له أسلوب في عرض الموضوعات.. وفتحنا موضوع الذخيرة واستعجب (برجنيف).. وقال جريتشكو بالروسى وقال مراد غالب إنها شتيمة وتريقة وعشان كده أقول إن القرار سوف يجيئ لصالحنا".. وهى استنتاجات سياسية للفريق فوزى وهى في بعض الأحيان تكون غريبة.

وهنـا برقيـة أرسـلها فـوزى لصـادق يرجـو فيهـا الأسـتاذ (سـامى شـرف) أن يطلـع علـى الخطابات بصفة مستمرة.. وهنا جواب تحدث فيه فوزى عن عدم ظهور خبر نقل البايخ (كتشـكن) خاصـةً بعـد أن شـرح السيد الـرئيس لسـكرتير اللجنـة المركزيـة موقفـه المخـادع في مصـر وتقـاريره الخاطئـة.. وكـان (كتشـكن) دائمـاً لديـه ملاحظـات علـى التدريب.. وكان يتصور أن عمليات التدريب لا بد أن تتم ليلاً ونهاراً.. ودائماً نحن نضيق من خبراء الخارج وقد تكون خبرة مغرضة.. وعلى أى حال عدنا إلى القـاهرة.. وتقصيت موضوع مكاتب الاستعلامات وثبت أن كل ما قلته صحيح.

انتهت زيارة موسكو بعد الجلسـة الثانيـة التـى لم أحضـرها ولم يحضـرها (برجنيف) نظرا لحالته الصحية وجاء (كوسيجين) .. وكانت جلسة تقريباً غير رسمية ولم يكن هناك داعٍ لأذهب وعلى أى حال لم يكن حضورى مهما.. لأنهـا كانـت جلسـة مخصصـة للنـواحى العسـكرية.. وأنهـم سيردوا علـى طلباتنـا وقـد ردوا.. وأظـن أنهـم ردوا بطريقـة كانت مرضية جداً.. فقد استجابوا تقريباً لـ٨٠٪ من الطلبات.. ووصلت قيمة الصفقة إلى ٦٦٠ مليون روبيل وهذا رقم مهول.

ولما عدنا للقـاهرة قابلت الرئيس (عبد الناصـر).. وكـان ينـوى قبـول مبـادرة (روجـرز).. وكـان سـيلقى كلمـة الاحتفـال بـ٢٣ يوليـو.. وسـيتحدث عـن قبولنـا للمبـادرة.. ويعـرض أسباب ذلك.

وحاولت مقابلته لمعرفة هل أثاروا موضوع مكتب الاستعلامات مرة أخرى لأننى كنت أعتقد طول الوقت أن الموضوع انتهى.. وأستغرب كيف ذلك.. وكان ما يقلقنا أن دلالاته في الخلل الداخلى الموجود لدينا.. كما أنـه كـان هنـاك موضـوع إضـافي.. وهـو مـا الـذي سيقوله (عبد النـاصر) في ٢٣ يوليو لأنه أن يعلن موضوع قبـول مبـادرة (روجـرز) قـد يبـدو لأول مـرة أنـه مخـالف مـع الاتجـاه العـام للسياسـات بمعنـى أن كـل سياسـة لهـا مواقفهـا

والمجرى العام التى تندفع فيه.. وهو ما أوقع (السادات) في مشكلة رفضه لمبادرة (روجرز) دون أن يعرف التفاصيل ولا يعرف ما هو الاتجاه وما هى القضية لكن قاس على اتجاه المجرى العام.. ولكن هناك فرقا بين المجرى العام والحركة في المجرى العام لأنه في بعض المرات تأتى رياح أخرى تأخذ تيارا إلى اتجاه يبدو عكسياً لاتجاه المجرى العام.. وهنا قضية كبيرة جداً ستعرض على الرأى العام و(جمال عبد الناصر).

وعندما ذهبت له كنت أود معرفة آخر ما حدث في موسكو ولكى أقول له إننى تأكدت من صحة المعلومات.. التى تحدثت فيها في الكرملين.. ذهبت للرئيس (جمال عبد الناصر) لكنه فاجأنى بشيء آخر.

بدأت بالتحدث.. لكنى وجدته يقول لى إنه يعاتبنى أنه أثناء سفره جاءت لى ورقة تعليمات وعادة لما تأتى تعليمات من مكتب الرئيس يرسلون تعليمات من السيد (سامى شرف) .. من المكتب الرئيسى.. وقالت تعليمات سيادة الرئيس في موسكو إنه يكلف (محمد حسنين هيكل) للسفر لطرابلس لمقابلة الرئيس (القذافي).. ويبلغه رساله من السيد الرئيس.. وأننا لا نريد أى مشاكل معهم بسبب الوحدة.. وقام السيد (محمد حسنين هيكل) بإبلاغ العقيد (القذافي) البرقية الملتقطة وإطلاع باقى مجلس قيادة الثورة في الجمهورية العربية الليبية عند عودته للقاهرة.. ويمر على (مصطفي الخروبى) في بنى غازى ليطلعه على البرقية.. ويتم هذا قبل وصول البعثة العراقية في طرابلس.

وما حدث أن أجهزة الالتقاط التقطت برقية من وزارة الخارجية العراقية آتية لها من السفارة العراقية لطرابلس.. وتقول السيد رئيس الجمهورية العراقية من قطرى قدورى وزير الاقتصاد العراقى.. يقول: (أعلمنى عمر المحيشى) وكان رائداً وعضوا في مجلس قيادة الثورة" إن اجتماعات (القذافي) و(عبد الناصر) والأتاسى أسفرت عن لجنة لهذه الدول الثلاث تجتمع خلال أسبوعين لبحث صيغة وكيفية إقامة وحدة بين الدول الثلاث.. وطلب منى (عمر المحيشى) إعلام الحكومة العراقية والنظر بتحديد مشروع الوحدة هذا وفهمت أن (عمر المحيشى) ينادى بعرض الموضوع على العراق والجزائر لتحديد موقفهما رسمياً من هذه القضية ولأن (عبد الناصر) و(الأتاسى) أبدوا ممانعتهم لدعوة العراق إلى هذه الوحدة.. إن السودان امتنع عن المشاركة في هذه الوحدة لأسباب داخلية.. وللعلم فقد يكون من التصرف إرسال وفد عراقى لليبيا لعرض موقف العراق رسميا في هذه الوحدة والسعى للجزائر لاتخاذ موقف مماثل.

وجاءت التعليمات لى أن أسافر لليبيا كوزير إعلام وأقابل (القذافي) كمبعوث خاص.. لكنى اعتذرت.. وقلت إنى لا أعتقد أنها مهمة ضرورية.. وطلبت إبلاغ الرئيس أن رأيي أن هذه المهمة ليست ضرورية وأنا ضد القيام بها.. لأسباب شرحتها ولكنى كنت خائفا أن يكون الشرح غير مفهوم فكتبت جوابا ل(جمال عبد الناصر) شرحت له فيه أسبابى وطلبت من مكتبه أن يبعثه.

وملخص الجواب أننى تلقيت توجيهكم بشأن الجواب والسفر لليبيا.. وإذا أذنتم لى فإننى أريد أعرض النقاط التالية على أن أناقشها لحين عودتكم من السفر.. وكانت وجهت نظرى أن هناك مسألة مهمة في علاقتنا لكل الناس خاصةً الليبيين في ذلك الوقت.. وأنا رأى أن أفضلية التعامل عن بعد بمنتهى المودة.. وبمنتهى التعارف لابد أن نكون مهتمين ومن على مسافة بمعنى أنه ليس لنا أن نتصرف بناء على برقية ملتقطة باللاسلكى.. والشيء الآخر أنه يبدو أن ثمة مشكلات بدأت تظهر بين مجلس قيادة الثورة في ليبيا.. ربما بحكم الطبيعة البشرية.. وأنا لا أريد الدخول في هذه المشكلات.

وقال لى الرئيس: لقد قرأت جوابك وأنا أعتب عليك لأن القاعدة في الجيش نفذ ثم تظلم.. بينما كنت أرى أنه لا فائدة من التنفيذ ثم التظلم بعد ذلك. وأنا أحكى هذه الواقعة لكى أبين إلى أى مدى كان هذا الرجل - على عكس ما يقال- كان مستعدا للنقاش والخلاف معه.. ولم يكن عصبيا كما يقال ويأمر ويطاع ويشير ويهرع كل البشر لتنفيذ إشارته.

وقال (عبد الناصر): أنا أعرف أنك لا تستطيع أن تنفذ وبعدها تتظلم.. لكن هناك قضية أن تبدى كل الحجج.. وتترك لى القرار لكنك قررت أنك لن تسافر. فقلت له: إنك معك حق ولكن بالنسبة للزمن وجدت أن الثقة المتبادلة دفعتنى لهذا.. ولكن من ناحية المبدأ أعترف بأنك على حق.

وسألنى: هل غيرت رأيك في الليبيين.. قلت له إطلاقاً ولكن لى رأى في التعامل معهم.. فقال لى أنه أرسل لى أن هناك مؤتمرا لوزراء الإعلام وقلت لك أن تذهب للمطار تقابل وزير الإعلام الرائد الخولد الحميدى ولم تذهب.. فقلت له إننى اتفقت مع وزراء الإعلام أننا سنحذف من برنامجنا حكاية استقبال المطارات وقلت له إننى حينما قبلت أمرك بأن أكون وزيراً طلبت إعفائى من الحفلات والاستقبالات في المطارات لأنها مضيعة للوقت ولا لزوم لها.

وقال لى إنه لم يرد مناقشتى حول موضوع حدثنى فيه.. وهو موضوع بعثة الشرف المرافقة لـ(القذافي).. وكان (القذافي) سيأتى في زيارة رسمية للقاهرة.. ووجدت يومها السيد صلاح الشاهد رئيس التشريفات في الرئاسة يحدثنى أنه أصدر توجيهه بأن "معاليك والهانم" تكونان ضمن بعثة شرف مرافقة لـ(القذافي) والسيدة حرمه وقلت له إن هذه مهمة من المهام التى يمكن أن أقوم بها.

فقال لى إن هناك تعليمات فقلت له سأحدث (عبد الناصر) فقلت له يعنى أنا أقبل بعثة الشرف.. وأنا في الحقيقة سأجدها بشكل ما بالنسبة لصحفي صعبة.. وقلت له إنك حدثتنى وقتها بعدها بربع ساعة.. وقلت لى إننى لم أرض وتحدث مع حسين الشافعى.. والذي انزعج جداً.. ولما وجدت التصرفات متلاحقة ولم ترد استقبال وزير وبعثة الشرف.. و(القذافي) وموضوع المحيشى.. فقال لى إنه تصور أننى غيرت رأيى فقلت له إطلاقاً لكننى أقلق من أسلوب المجاملة الزائدة عن الحد.. وأتصور بمنطقٍ ما أن هؤلاء الشباب الثوار في ليبيا اكتشفوا أن بلدهم غنية جداً.. وأن العالم العربى كله يجرى نحوهم متصوراً أنه أصبح لها حكومة محصنة.. وأنها وحدها كافية أن تتكلم.. وأن تفرض.. وأن تملى بعض القرارات. وهذا وضع يقلقنى جداً.

وقلت له إننى أرى الصراع العالمى وأرى التسابق نحو ليبيا.. وأظن أننا تحت أى ظرف من الظروف لا بد أن يكون لنا موقف واضح وموقف صريح لأنها بلد مجاورة لنا.. وعلى عمق طبيعى واستراتيجى موجود معنا.. وأن ثورة هذه البلد ومقدراته بدت بدرجة واضحة.. ولابد أن نعطيها فرصة أن تجرب لكى تكتشف أخطاءها بالخبرة.. أننا لا نستطيع أن نجرى نحو الآخرين.. ولا نستطيع أن ندخل في سباق نحوهم.. وأن التاريخ معنا.. والحقائق الجغرافية معنا.. وعلى هذا الأساس كنت أخاف من هذه الأشياء.. وبعد ذلك زادت المخاوف على العالم العربى في مواقع الثورة.. وأصبحت مراكز قوة لدرجة أن أول وفد مصرى ذهب في القدس.. باع الإسرائيليون لنا زجاجات فارغة مختومة على أنها هواء معبأ من الأرض المقدسة.. فقلت لبعض إخواننا إننى أخاف من زيادة الحكمة عندنا.. ومنابعه تنهمر في كل مكان.. أننا قد نجد مناسباً أن نصدر ونبيع للآخرين حكمة معبأة في زجاجات مثل زجاجات الهواء المقدس التى باعها الإسرائيليون.



## ٢٦

# أزمة تحريك الصواريخ.!!

على نحو ما وربما لطريقة لافتة للنظر تذكرني أزمة تحريك الصواريخ في مصر على منطقة القتال من النطاق الخلفي للمعركة إلى الخط الإمامي لميدان القتال في ٧ أغسطس سنة (١٩٧٠)بمعركة شهيرة مماثلة لها تقريباً هي معركة الصواريخ الكوبية بين الاتحاد السوفييتي وبين الولايات المتحدة الأمريكية في أواخر أكتوبر وأوائل نوفمبر سنة (١٩٦٢) والغريب هنا أوجه الشبه لأنه لا تنطبق الأزمات.. لكنها في بعض المرات تتشابه إلى درجة ملفتة للنظر.

ففي أزمة الصواريخ الكوبية كان هناك موقف دولي خطير نشأ بسبب قيام الاتحاد السوفييتي بتركيب صواريخ حاملة لرءوس نووية في كوبا قريبة من الشواطئ الأمريكية بحيث تستطيع أن تصل لها وكان هذا يمكن أن يكون انقلابا ضخما في خطط البلدين الكبيرين في الدفاع عن عالمها وعن نفسهما.

واكتشف الرئيس كنيدى في ذلك الوقت من خلال طائرات الاستطلاع الأمريكية (U.2) أن هذا حدث فإذا به يقدم على خطوة مهمة.. وهى أن يجعل خطاً في منتصف المحيط.. وأعلن أن هناك منطقة حظر لا تستطيع البواخر السوفييتية الحاملة للصواريخ أو القادمة بأى معدات عسكرية أن تتجاوزها إلا عندما تخضع للتفتيش.

لفت النظر لمعركة كتب عنها كثيراً وروى عنها ولها مشاهدات كثيرة.. وأنا شخصيا سمعت عن هذه الأزمة عن قرب.. ومرات في أزمة تحريك الصواريخ على الجبهة المصرية سنة(١٩٧٠)أى بعد حوالى ٧ أو ٨ سنين كانت تعود بى الذاكرة مرات كثيرة لأنى سمعت ماك جورج باكدى.. يحكى عليها وكان المستشار الرئيسى لكنيدى للأمن القومى.. سمعت أيضاً آرثر شرازنجر.. وهو المفكر الذي كان موجودا بجوار الرئيس.. وسمعت برا شارنزر وهو المستشار الصحفي لكندى في هذه الأزمة..

وفي أثناء أزمة تحريك حائط الصواريخ التى تمت بطريقة شبه معجزة.. لأنى شخصيا لم أكن أتصور أن الفريق (محمد على فهمى).. الذي رأيته في مكتب الفريق فوزى.. وكنت وقتها وزيراً للإعلام كنت مسئولاً عن التغطية السياسية والإعلامية للمعركة.. التى كان يديرها (جمال عبد الناصر).. ولم أكن أتصور أن (محمد على فهمى) أن يكون قادرا في ثلاث ساعات أو أربع ساعات على تحريك ٤٢ بطارية صواريخ على حد ما وصف لى المجتمعين لأنه كان موجود الفريق فوزى والفريق صادق.. واللواء عبدالغنى الجمسى والفريق (محمد على فهمى) حينما أخطرناه بأن هناك وقفا لإطلاق النار في المواقع.. وأن المدة المتاحة له مدة محددة جداً لأنه لا يريد أن يتحرك إلا بعد حلول الظلام.. وأن وقف إطلاق النار سيسرى حتى منتصف الليل في القاهرة ويتحرك فيها ٤٢ بطارية صواريخ من طراز (سام ٢) و(٣) وسينقلها كما قال كثيراً وقاله أيضاً في مجلس الشعب.. أن ينشروا حائط الصواريخ مرة واحدة على الجبهة أو يستخدموا "قفزة الضفدعة".. وأن ينتهى من النطاق الأول البعيد عن الجبهة.. ويضع صواريخه.. بعد المنشآت الهندسية ثم يستكمله بصواريخه.. وبعد ذلك ينقل النطاق الثانى المحيط القريب من الجبهة ويحميه من النطاق الخلفي وبعد ذلك يقفز القفزة الثالثة ويدخل ميدان القتال.

ولكن في التحسب بألا يتعرض حائط الصواريخ والبطاريات أثناء الحركة إلى مواقعها وقبل تشغيلها إلى الضرب.. فمسألة أن يتم هذا كله في وقف إطلاق النار.. وأن

يتم في فسحة معينة من الوقت.. وأن يكون هناك تجاوز ما يمكن الدفاع عنه أو تغطيته دبلوماسياً وإعلامياً.

ولم يستطع العسكريون بقيادة الفريق (محمد على فهمى) الانتهاء من نقل الصواريخ على الساعة ١٢ ليلا وطالب تغطية لمدة ساعة ثم امتدت لساعة ونصف الساعة ثم لساعتين.. وكل الناس تحاول أن تغطى دبلوماسياً وإعلامياً بجهد خارق للعادة.. فأنا رأيت خير ما في الدولة المصرية كان يتحرك بكفاءة.

وكان هناك هدف واضح وإدارة واضحة وكانت هناك مهمة يشعر الناس جميعاً أنها ستصنع فارقا كبيرا.. وأكد كل من الفريق محمد فوزى والفريق (محمد على فهمى) أنه إذا استقر حائط الصواريخ في مكانه.. فهذا أمر سوف يغير موازين القوى على الجبهة كلها وفي المعركة كلها.

بدأ الإسرائيليون يشعرون.. وبدأت الاتصالات على الفجر.. كان (محمد على فهمى) قد انتهى والصواريخ استقرت.. وكان الموقف مُؤَمناً عسكرياً.. إلا إذا تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية.

القوى الإسرائيلية وحدها لم تكن قادرة على إزالة حائط الصواريخ لكن القوى الأمريكية تستطيع بالتأكيد لأن الأسطول السادس إذا ما تدخل لإزالة هذه المواقع فقد ينجح من بعيد لكن الطيران الإسرائيلى لم يكن يستطيع.

وفي الصباح كانت المعركة بالفعل محتدمة.. وكان الإسرائيليون قد شعروا أن شيئاً حدث ولكنهم لا يستطيعون أن يقدروا أين هو.. فقاموا باستطلاع فوق الأرض المحتلة وحاولوا أن يلتقطوا إشارات الصواريخ.. وقد أدركوا على وجه اليقين أن هناك مواقع كثيرة جداً حدث بها تغيير.. وأن هناك مواقع لم تكن موجودة شغلت وكانت منشآتها الهندسية موجودة.. لكنها لم تكن عاملة والآن كان واضحا أنها أصبحت عاملة.

كانت هناك مواقع أخرى بها بطاريات هيكلية وأقصد مصنوعة من الخشب.. لكنها الآن بطاريات حقيقية وعاملة.. كما أن هناك أشياء كثيرة تغيرت وطرأت على الخط وغيرت حائط الصواريخ المصرى.. والإسرائيليون يحاولون بطريقة غريبة معرفة ما يحدث.. حيث جاء (برجس) السفير الأمريكى بمصر بعد أن أجرت إسرائيل اتصالاتها بالولايات المتحدة.. أعطته الإحداثيات والتى هى مواقع نسبية لكل مكان على الأرض تتحدد بخطوط الطول والعرض والارتفاع عن البحر.

فقدم الإسرائيليون إحداثيات في المواقع التى يشعروا أنها حدث فيها تغيير. وجاء لنا الأمريكان في الصباح التالى بالإحداثيات.. التى يعتقد الإسرائيليون أنه حدث بها تغيير.. وأنا هنا أريد أن أكسب الوقت في أى جدل سياسى أو عسكرى أنا أرى أن الإسرائيليين يشعرون بما جرى.. لكنهم لا يستطيعون معرفة متى جرى وكيف جرى وماذا يمكن عمله؟.. لكنهم لم يستطيعوا فعل شيء.. لأن هناك حائط صواريخ امتلأ ودخلت إليه بطاريته وهو جاهز.

فإذا دخلوا الأمريكان فهذه قضية أخرى ولكن إذا بقيت المواجهه بيننا وبين إسرائيل فنحن لم يكن لدينا شك في أن هذه المعركة نستطيع أن نكسبها إذا عبئت كل جهدنا ووعينا وكل التنبه الممكن لكى نواجه.

وأرسلنا الإحداثيات التى أعطاها لنا (برجس) وقلت لهم إنه عندما تحدث (برجس) لـ(محمود رياض) وقال له إن هناك مخالفات في المواقع التالية فأنا قلت لهم هل معقول.. وأنا سأرسلها لوزارة الدفاع لكى أحقق فيها.. فذهبت الإحداثيات لوزارة الدفاع.. وسنعطى وقتا للفريق محمد فوزى لكى يتأكد عماذا جرى.. وما الذي يتحدث عنه الإسرائيليون.. والفريق فوزى كتب لنا موقعا غير محتل وهو احتل قبل ذلك بموقع (سام٣) ونفي فوزى أن يكون هناك موقع في الإحداثية التى أشار إليها الإسرائيليون.. وقال إن هناك موقعا جارٍ إنشاؤه.. وهذا موقع غير موجود وهذا موقع محصن.. وعمل مذكرة بكل هذا.. واستغللنا هذا كله ودخلنا في مناقشة.

وكان إسحاق رابين وقتها قد ذهب لسسكو وقال له إن الجيش الإسرائيلى وهيئة الأركان هناك تقول له بوضوح إن المصريين قاموا بمخالفات.. فقال له سسكو لم نستطع رصد مخالفات.. والمصريون يحققون في الإحداثيات التى أشرتم إليها وهم في النهاية عرفوا أنه في الغالب حدثت مخالفات.. لأن المخابرات العسكرية الإسرائيلية.. عرفت من المخابرات العسكرية الأمريكية في البنتاجون أن هناك أشياء رصدت بها شبهة حركة.

لكن يجب أن أسلم أن قوات الدفاع الجوى قامت بمهمتها وأحسنت القيام بها وقامت بهذه الحركة على هذا النطاق الواسع.. ولم يستطع أحد أن يضبطها متلبسة لأنه مهما كان كيف ساروا في الظلام.. ووصلت التجهيزات للمواقع الهندسية لتجهيزات الصواريخ ودخلت وركبت.. وأنا هنا أريد أن أوضح للناس قيمة ما جرى وأن أشبهها

بالصواريخ الكوبية.. وهى في اعتقادى قد تكون أكثر دراما من الصواريخ الكوبية لأنه هنا بلد صغير في ظروف مرهقة جداً.

وقد طلبت شيئاً فخورا به من السيد محمود رياض.. طلبت منه يوميات تفاصيل ما جرى وبالفعل قام (محمود رياض) بكتابة تفاصيل ما جرى.. وهنا مجموعة تفاصيل ما جرى من ١٢ نسخة لأنى أردت أن تحفظ في كل مكان له علاقة بالموضوع في الدولة وأن تكون شاملة كاملة للعسكرى والدبلوماسى والسياسى والإعلامى يكونون في ملف واحد.. ويكون مرتبا زمنيا لأنه قد يكون له فائدة لمن سيأتى بعدنا.

ألقى نظرة على هذا الجهد قبل أن أنتقل للمعنى والقيمة.. التى تحققت فيما أمكن تنفيذه في تلك الليلة. فلما بدا (محمود رياض) ومعهم مجموعة الدبلوماسيين الممتازة.. الذين عملوا معه يومها وكان وقتها مسئولاً لمكتب الوزير ووكيل وزارة.. واعتبر (محمود رياض) أن الأزمة بدأت في ٤ أغسطس وتحريك الصواريخ كان يوم ٧ يوم وقف النار.. وبدأ (محمود رياض) التسجيل يوم(٤) ويقول أن (برجس) حضر له بعد أن كان الأخير في إجازة لقبرص وأمر أن يقطع الإجازة.. وقال له إنه يريد التحدث عن موضوع وقف إطلاق النار.. وقال إن هذا موضوع حساس للغاية ولابد للتوازن في تنفيذه.. وقال إنه لا يريد أن يغير الأوضاع على ناحيتين وأن الولايات المتحدة الأمريكية تعتقد أن هناك توازنا في الجبهة من الناحيتين.. وينبغى الاحتفاظ به في فترة وقف إطلاق النار حتى تستطيع أن تنتج محادثات على أساس وضع تتطمئن فيه الأطراف وتستطيع أن تنتج نتائج سياسية لها قيمة.

وقال رياض في الملف الذي سجله إن سفيرهم في إسرائيل يعتقد أن وقف إطلاق النار سيكون ناجحاً لأن الجنرال (ديان) قال للسفير الأمريكى إنهم مرهقون جداً من حرب الاستنزاف ولابد أن يكون (عبد الناصر) مرهقا أيضاً لأن الطرفين مرهقان لأول مرة في تقدير (ديان) فهو يعتقد أن كليهما عاوز يصل لوقف إطلاق النار لأنه يريد أن يريح كل الأطراف إذا كان ممكناً أن تنتج عنه أو تجرى في ظله مفاوضات ممكن أن تودى إلى حل.

الغريب أن ما توقعه (ديان) هو عكس ما حدث فالبفعل كانت حرب الاستنزاف مكلفة لكن عندما جاءت هذه اللحظة.. وتبدت فيها هذه الفرصة النادرة وأن نتصرف في يوم وقف إطلاق النار وندخل حائط الصواريخ إلى النطاق الأول حدثت معجزة.. لم

يحدث أن قوات الدفاع الجوى وقيادة القوات المسلحة والجهاز الإعلامى فى البلد لم يكن يحدث أن الجهاز الدبلوماسى فى البلد كان متنبه أن هذه هى اللحظة لجهد إضافى مهما كان كل الناس مثقلة بالأعباء ومشغولة.

ويحكى (محمود رياض) كل تفاصيل ما جرى لأننى شخصيا أعتقد أنها مسألة من الأشياء السعيد بها كنت أريد السجل يكون موجودا وبالتالى السفير (محمود رياض) كتب كل تفاصيل لقاءه بـ(برجس) وكتبوا شيئاً لم أكن أريده وهو الوزير (محمد حسنين هيكل).. وكتب أن الوزير (محمد حسنين هيكل) قد أبلغنى بالنقاط الخمس.. التى يجب أن أبلغها لـ(برجس) والتى حاولت أن أقنعه فيها أننا سنوقف إطلاق النار فى الغالب.. وانصرف (برجس) بعدها ليبلغ سيسكو وبعد ذلك أعطانى الوزير (هيكل) تعليمات لكى أصيغها.. وقال رياض إن الوزير (هيكل) طلب منى عدم الرد على (برجس) وأننا أصبحنا فى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل.. وكل الأزمة موجودة بتفاصيلها حتى الفجر حينما أبلغنا جميعاً بأن حائط الصواريخ تم.

أريد أن أنتقل للنقطة المركزية وهى ما هو معنى ما جرى فى تلك الليلة.. الحاجة الغريبة وأنا هنا أمامى صور للأمريكان قد صوروا مواقعنا ولكن كان من الصعب أن يستنتجوا ما فيها.. وأعطوا لنا صوراً للمواقع التى قالوا إنها حدث فيها تغييرات وتبديلات إلى آخره.. لكن ما هو أهم بالنسبة لى كتاب كتبه جنرال (إيلى زعيرا) مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية.. وخطاب لـ(جولدا مائير ) رئيس وزراء إسرائيل للرئيس الأمريكى (نيكسون).. ولديَّ مذكرات (ديان) لأنى أريدُ أن يكون واضحاً ما هو معنى ما قامت به قوات الدفاع الجوى من الدرجة الأولى.

وأنا هنا أقصد التغطية عن شيء ما حدث له قيمة ويستحق أن نحافظ عليه وأن نحميه بكل ما هو ممكن ولولا أنه تم بكفاءة.. وخلق أمرا واقعا صباح اليوم التالى لاختلفت الصورة.

وفى كتاب (إيلى زعيرا) مدير مخابرات إسرائيل وقت حرب أكتوبر كان فى وقت هذه الواقعة كان ملحقاً عسكريا أو رئيس البعثة العسكرية الموجودة فى واشنطن ويعمل بالتنسيق مع الجنرال (رابين).. فالأخير هو السفير.. و(زاعيرا) هو رئيس قسم الملحقين العسكريين الإسرائيليين فى السفارة الأمريكية وهذا منصب فى منتهى الحساسية.

وكتب (زاعيرا) هذا الكتاب بعد حرب (٧٣) ليدافع عن نفسه إزاء المفاجأة التى تلقتها القوات الإسرائيلية يوم ٦ أكتوبر سنة (١٩٧٣) وهنا كان هناك تداخل في الزمن ويجب أن أضع الخط الفاصل فيه لكى تبدو الصورة واضحة.. وزاعيرا هو مدير المخابرات الذي يحاول أن يبرر لماذا لم يستطيعوا أن يتنبأوا بمفاجأة حرب (٧٣) فهو بادئ بأزمة حركة الصواريخ.. ويعتبرها سنة (٧٠) أنها بداية المشكلة.. ويعتبر ما قامت به قوات الدفاع الجوى وما لم يستطيعوا تغييره بالقوة بعدها.. وما لم يتنبهوا إلى خطورته مع استمرار الوقت لأنه يكاد يكونوا لا يرتبون نتائجه أنه سيستعمل في حرب والمفاجأة غيرت الأوضاع على جبهة القتال.. وهم رصدوها وعرفوها لكن جد طارئ السياسة جعلهم لا يتوقعوا الحرب لكن عندما جاءت مفاجأة الحرب كان المفاجأة الكبرى هى حائط الصواريخ.

وقال(زاعيرا).. وهو يكتب مذكراته لماذا فوجئنا وكيف فوجئنا سنة (٧٣)؟ وعاد وقال إن نقطة البداية حائط الصواريخ الذي استكمل سنة (٧٠) ولم يصدر هذا الكتاب بأى لغة سوى اللغة العبرية.. ومن قام على ترجمته المخابرات العسكرية المصرية لكى يكون لدى القوات.. وهذه النسخة أعطانى إياها اللواء ابراهيم شكيب وهو واحد من المؤرخين العسكريين في القوات المسلحة المصرية.. وترجم هذا الكتاب في أواخر السبعينيات أثناء التحقيقات عما جرى في سنة (٧٣).

وهنا قال زاعيرا في مذكراته إن الكارثة التى لم نتنبه لها في كل (٧٣) هو ما فاتنا أن نتوقف عنده بالقدر الكافي سنة (٧٠).وقال: أبلغنى قائد سلاح الطيران إنه يحتاج لـ(٤٨) ساعة للقضاء على شبكة الصواريخ المصرية عندما فوجئوا بها في حرب (٧٣) وتساءل هو كيف (٤٨) ساعة؟ فالمصريون وقتها يستطيعون العبور فقال له إنه لا يستطيع قبل ذلك التعامل مع حائط الصواريخ المصرى الذي بنى والذي تم سنة (٧٠).. ويقول إن بناء هذا الحائط يعنى انهيار دعامة من دعامات نظرية الأمن الإسرائيلى لأن شبكة الصواريخ المصرية إذا لم تكن قضى عليها في أول (٤٨) ساعة.. فهذا معناه أى ضربة وقائية نستطيع أن نضربها أو أى ردة فعل سريعة لا نستطيع القيام بها.

وقال إن التنبه لهذا الموضوع كان من سنة (٧٠) ورئيس الأركان في ذلك الوقت حاييم برليف طلب منا وضع خطة لمواجهة حائط الصواريخ وجلسنا ننبه لخطورة هذا الحائط لأنه عندما أسقطت طائرات الفانتوم بالمعدل وبالكم الذي تم سنة (٧٠) بطريقة لم

نكن نتوقعها وأدى لهز أفضل الطيارين والملاحين الجويين وهيئة الأركان العامة وأدى هذا لانخفاض الروح المعنوية.. فهذه الهزيمة التى منى بها سلاح الطيران جعلت قادته يدرسون بإمعان مشكلة الطائرة والصاروخ.

وفي شهر أغسطس تم إعلان وقف إطلاق النار على طول قناة السويس.. وكان أحد شروطه التى تمسكت بها إسرائيل بشدة هو حظر تحريك بطاريات أرض جو باتجاه قناة السويس.. وكان هذا الحظر مقبولا من الولايات المتحدة.. والتى قامت بالوساطة من أجله ولكن فور دخول اتفاق وقف إطلاق النار إلى حيز التنفيذ اكتشف جيش الدفاع الإسرائيلى أن المصريين يقومون بتقريب بطاريات صواريخ أرض جو للقناة.. وقد نفذوا هذه العملية بفهم وذكاء.

وهنا نجح المصريون في خداع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية فبعد دخول اتفاق وقف إطلاق النار إلى حيز التنفيذ مباشرة قاموا بإدخال منصات إطلاق صواريخ وشبكات رادار حقيقية في مبانٍ وخنادق بطاريات (هيكل)ية.. وبهذه الطريقة تم استبدال بطارياتها الهيكلية ببطاريات حقيقية بنفس العدد.. وفي نهاية هذه العملية وجد سلاح الطيران الإسرائيلى ممنوعا من الاقتراب من القناة نظرا لأنها كانت مغطاة ومحمية بواسطة بطاريات صواريخ أرض جو.

وبعد أن تحدث إسحاق رابين مع الأمريكان عن الموضوع بدأت الـ(C.I.A) تحقق والبنتاجون يحقق.. وبعد ذلك أنكروا الفصل الذي يربط فيه جنرال (زعيرا) مدير المخابرات بما جرى سنة (٧٠) بآثاره.. التى وقعت بالفعل سنة (٧٣) والشيء الغريب.. والذي لابد أن يذكر الفضل فيه لصاحبه أن حائط الصواريخ تم بناؤه و(محمد على فهمى) الذي قام بتحريك هذه الصواريخ وأشرف عليها من حسن حظ (أنور السادات) أن ظل هذا الرجل هو نفسه الذي قام بقيادة الدفاع الجوى وكانت تسمى القوة الرابعة سنة (٧٣).

ويكفينى أن ما جرى بعدها كتبت (جولدا مائير) للرئيس (نيكسون) تقول له في هذا الجواب إن صداقتكم وتفهمكم يشجعنى أن أشارككم بعض من شواغلنا الملحة فإن كلينا يعلم يا سيدى الرئيس كيف قامت الجمهورية العربية المتحدة بتشجيع وإشتراك الاتحاد السوفييتى بخرق اتفاق وقف إطلاق النار بل وأكثر من ذلك نجاحها في الإفلات من ذلك أننا الآن نواجه معضلة استئناف المحادثات.. حيث يوجد ١٦١ موقع

صواريخ تتضمن ٤٠ إلى ٥٠ بطارية عاملة ثلثها (سام ٣).. وقالت بعدها في نفس الجواب أنت ونحن نعلم أن الجمهورية العربية المتحدة خالفت وقف إطلاق النار بتأييد وتشجيع الاتحاد السوفييتى - وللأمانة الاتحاد السوفييتى لم يكن لديه أى يد في هذا الموضوع إطلاقاً - وقالت واستطاعوا أن ينفذوا بما صعنوه.

وعندما قرأت هذه العبارة كنت أتمنى أن أعمم هذه العبارة على الشباب سواء في الخارجية أو في الإعلام أو في الدفاع الجوى.. الذي شارك في هذه العملية.. لأنه عندما قالت (جولدا مائير) للرئيس (نيكسون) أنت تعرف أن المصريين خالفوا مخالفة جسيمة وضعتهم أمام أمر واقع لا يستطيعون تغييره ولن يستطيعوا تغييره حتى وقعت الواقعة (٧٣) ثم تقول واستطاعوا أن ينفذوا بها.

وبعد الانتهاء من هذه المهمة بأسبوع نجد مجلة وزارة الدفاع الأمريكية تحكى كيف جرت هذه الحكاية.. وهنا قال رابين إن (ديان) حدثه عما حدث وأنه من الصعب أن يطير الإسرائيليون فوق مصر وكسر حائط الصواريخ.

وأنا كمسئول عن وزارة الخارجية قمت بشيئين.. أولهما طلبت سيناريو لكيف سوف نتصرف مع يارنج مع أنى أعلم أن الإسرائيليين لن يدخلوا في مفاوضات جدية معه لأنه ببساطة كان موضوع حائط الصواريخ يطغى على كل شيء في تفكيرهم.. وانتهى الموضوع واعتبرت أن كل ما ترتب على الموضوع مبادرة.. وكل الناس اعتبرت أنه انتهى.. لأن الإسرائيليين شعروا بالتغيير ولا يستطيعون القيام بشيء.

كتبنا تصورنا في الورقة الخاصة بنا للتعاهدات السلمية للحل والورقة للإسرائيليين فيما يتعلق بموضوع الانسحاب والخطوة.. التى تليها وأنا فخور بها جداً ترجيت الرئيس (جمال عبد الناصر) مقابلة المجموعة الإعلامية والدبلوماسية.. واكتشف أنه لم يقابل الإدارة الدائمة لوزارة الخارجية.. ولم ير الإدارة الدائمة في وزارة الإعلام ولذلك ترجيت أن يقابلهم لأن هناك مسألة مهمة.. وهى أن هؤلاء الذين ينفذون السياسة لابد أن يكونوا عالمين وموجودين.. في بعض المرات وفي كل المرات أثناء صنع القرار.. إذا كانت هناك جهة ستقوم بتنفيذ قرار السياسة إذن فإن هذه الجهة والجهاز التنفيذى لابد أن تكون لديهم الفرصة لكى يجلسوا مع صناع القرار وليس فقط رئيس الدولة وهى من القضايا الموجودة ولدىّ فكرة عنها ورأيتها بوضوح وأنا في الوزارة.

وعندما ترجيت من (عبد الناصر) مقابلة الإدارتين كانوا يشعرون بالخوف وشجعتهم وكان من أنجح اللقاءات وحتى (أسامة الباز) قال أول مرة تحدث أن هذه الأطقم تجلس مع رئيس دولة.. ولكن ذهبوا له في المعمورة وجلس معهم ساعتين ونصف الساعة وتحدث معهم وخرجوا من عنده سعيدين.

وقال لى الرئيس بعد أن ذهبوا أننى بعد أن فعلت ذلك كنت متحمسا فقال لى ما رأيك أن تظل في وزارة الخارجية.. وقال لى إن الخارجية وجدت شيئاً عندى.. فقلت له يا سيادة الرئيس بصراحة المهمة أعجبتنى لكن الوزارة لا وليست الوظيفة.. لأننى شعرت هنا أننا نشارك في مصير .. وتاريخ.. وقصة كبرى في يوم من الأيام ستقال وتروى تفاصيلها وتسجل لأجيال كثيرة فعجبتنى المهمة أما المنصب فلا.

ووقتها جاءت لنا برقيات عن وقف اطلاق النار وأنها حلول استسلامية خاصةً حزب البعث بالعراق في ذلك الوقت.. وعرضت هذه البرقيات علىَّ وقلت للرئيس ولا يهمك وقلت له شيئاً كلمتين اقتبستهم من الدكتور (طه حسين).. فطلب منى أن أكتبهم وكتبتهم وهما "**عجبت لهؤلاء الذين لا يعملون ويسيئون إليهم أن يعمل غيرهم**".. والثانية "**ويل للذين يعلمون من هؤلاء الذين لا يعلمون**".

ومع الأسف الشديد الجهل بالحقائق في كثير من المرات والمعلومات يدفع البعض لمواقف ولكن أبسط شيء تبذل الناس مجهوداً لكى تعلم.. وكل الناس مطالبة أن تبذل كل الجهد ليس لتعرف كل شيء ولكن بعض الأشياء.



## ٢٧

# حائر بين الكتمان.. والجهر!!

كنت مسئولاً عن الإعلام وهو ما يتطلب الشرح.. وعن مهام خارجية صعبة.. وحساسة..[1] وهو ما يتطلب الكتمان وتلك التجربة من أصعب التجارب في العمل السياسى وممارستهامرهقة للغاية.. وكنتُ مكلفاً بمسئولية من نوع ما في لحظةٍ ما.. في مواجهة متناقضات لا يستطيع التغلب عليها أو الإمساك بكل خيوطها.

وأظن أن هذا هو الموقف الذي وجدت نفسى فيه ومعى هذه المجموعة من الدبلوماسيين.. ومن الصحفيين طوال شهر أغسطس سنة (١٩٧٠)وكان مطلوباً منا عمل سياسى دقيق.. وهذا العمل هو أن نغطى سياسياً.. وإعلامياً قضية تحريك الصواريخ.. ثم أن نغطى سياسياً وإعلامياً قضية وقف إطلاق النار في حرب الاستنزاف.. ثم نغطى هذا مع طرفين متناقضين كل منهما له رأى مختلف.. فالأمريكان من ناحية آخذون موقف المشرف والموجه أو المقترح لوقف إطلاق النار وراء الأمم المتحدة.

(١) هنا يشير هيكل صراحة لموضوع جمعه بين وزارتي الإرشاد.. والخارجية.. وهو ما سبق واشرنا إلى كونه امراً غير موثق تاريخياً على الإطلاق.. وتتود فيه الحقيقة.. والأقرب أن هذا لم يحدث فعلياً.

وخلافاً لمشروع (روجرز) وهذا موضوع شديد الدقة.. ونحن كنا نريده لأسباب سياسية.. ولكن بالدرجة الأولى كان ذلك لأسباب عسكرية.. وهى إتمام بعض التحركات الضرورية لاستكمال حائط الصواريخ في ظرف يسمح لذلك.. وألا تكون العملية مفتوحة.. أومكشوفة للطرف الإسرائيلى.. وأن يكون لها غطاء سياسى.. وكان أسلم غطاء في ذلك الوقت هو الموقف.. الذي نشأ نتيجة تنفيذ وقف إطلاق النار في منتصف الليل.

وتجاوزنا بمنطق معين بعد تغطية الموقف ولم يكن يمكن تغطيته بالطريقة اللازمة لأنه لابد أن يأتى في وقت بشكل ما يكون فيه قيود على وقف إطلاق النار وقيود على العمل فوق الجبهة.. وهناك نتيجة سياسية لا يريد أحد إفسادها وهذا موقف مع الأمريكان لا بد أن يعالج بشكل أو بآخر وفي نفس الوقت وقف إطلاق النار كان بمثابة مشكلة للدول العربية.. لكن ما هو أهم هو المقاومة الفلسطينية الموجودة في ذلك الوقت والمتمركزة في الأردن.. وهى على شكل جماعات متفرقة وموزعة من أقصى يمين إلى أقصى يسار.. وكلها على أى حال تتصور أن وقف إطلاق النار في هذه المرحلة لا يناسبها.

ونتذكر أن كل منظمات المقاومة على اختلاف أنواعها وعلى اختلاف اتجاهاتها كانت ترغب في دخول الدول العربية الرئيسية في المعركة.. ليس فقط تدخل ولكن تكون طرفا فاعلا فيها على أراضيها.. وهو ما يسمى بـ"حرب التوريط".. وما كاد ذلك يتحقق لها إلا وهى تجد سنة (٧٠) عملية وقف إطلاق النار على الجبهة المصرية.. وبالطبع على الجبهة الأردنية حتى لو كانت لمدة ٣ شهور.

ولم يكن يصح أن نشرح لجماعات المقاومة أن الهدف الرئيسى والأساسى مما فعلناه هو استكمال حائط الصواريخ لأن الجبهة بهذا الحائط وراءها وحاميا لها ستكون في وضع شديد الاختلاف.. وإذا شرحنا هذا الكلام سنجده في اليوم التالى مشاعاً في عمان.. وفي بيروت وفي كل منطقة في العالم العربى.

وهنا جزء من التناقض.. الذي كنت موجوداً فيه مع جماعة من خيرة الدبلوماسيين.. ومن خيرة الإعلاميين.. وقضت الظروف في ذلك الوقت أن أكون مسئولاً عن الإعلام ومكلفاً بأعمال تتبع وزارة الخارجية.. والمهمتان متناقضتان.. فطبيعة الإعلام أن يشرح

ويتحدث ويفيض في الشرح.. وطبيعة الخارجية لابد أن تتكتم وتوجه وتتحدث بحذر وبلغة هادئة.

وكان موجودٌ أمامنا أولاً اقتراح المبادرة.. وثانياً أننا قبلنا وقف إطلاق النار.. وأن الأمريكان يشكون في أننا نخالف الاتفاقية.. والشيء الآخر أن الفلسطينيين غاضبون من وقف إطلاق النار وهم لا يريدون ذلك.

وهنا هدف مطلوب لكن الضرورات اللازمة لكل جانب من جوانبه مختلفة.. وهنا تكمن صعوبة هذا الموقف. كنت أحاول مع (روجرز) وكنت أنفذ تعليمات من (عبد الناصر) أنه يجب استخدام كل الوسائل.. لأننا نعرف بوجود صراع في الولايات المتحدة حول من يمسك بأزمة الشرق الأوسط.. بين (روجرز) و(كيسنجر) مستشار الأمن القومي.

وطلب الرئيس (عبد الناصر) إدارة الأزمة بأى طريقة بحيث لا تشعر أمريكا بحرج لأنها المسئولة عن المبادرة في كل شيء.. بما فيه ضمان وقف إطلاق النار.. وبالتالى تدخل الإسرائيليين.. كما طلب شرح قضيتنا بحيث يبدو أمام العالم أننا لم نخالف.

وفي الوقت الذي تصورت فيه أن الأزمة هدأت وجدت (روجرز) يحدثني في الهاتف بعد ثلاثة أيام.. وقال لى سيدى الوزير الأدلة متوافرة أمامنا على أنكم خالفتم.. وأن هناك مخالفات أعتقد أنكم لابد أن تعودوا عنها. وفي هذا الجو كان واضحا أن هناك مخالفات بشاهد عملى.. لأن الإسرائيليين حاولوا أن يستكشفوا ما الذي حدث ولا يستطيعون إثبات حاجة قاطعة.. لكن واضح أمامهم أن الخطوط المصرية حدث فيها تغيير.. وحاولوا جس النبض بتجربة عملية في السويس فسقطت لهم بعض طائرات الفانتوم. أنا شخصيا حينما أخبرنى الفريق فوزى بما حدث ترددت أن أذيع النبأ لفترة طويلة.. ولم أكن متأكدا أنه صحيح إلا بعد أن وجدت شاهدا في مذكرات (كيسنجر).. يقول إن (روجرز) أراد أن يجامل المصريين ولا يضبطهم متلبسين بعملية حائط الصواريخ.. وهذا كلف إسرائيل ٥ طائرات فانتوم سقطت.

وأثناء هذا الجو المضطرب قلت لـ(روجرز) أثناء حديثي معه إننا لم نخالف وقف إطلاق النار.. وقلت له إننى أعترف أن هناك حركة أثناء اتفاقية وقف إطلاق النار ولكن معيار ما يربطنى هل حدثت هذه التجاوزات بعد أن أبلغتك رسمياً في الواحدة والنصف

صباح يوم ٨ أغسطس.. وأن قرار وقف إطلاق النار سارٍ أم لا.. وهناك بعض التحركات الضرورية.. وكان هناك جنود لبعض الوحدات عادوا لها.

وهناك وحدة احتاجت أغذية ومعدات ذهبت لها معدات.. وهناك وحدة تطلب وحدات مستشفيات.. وقائد البحر الأحمر وهو الفريق الشاذلى كان لابد له أن يرجع.. فقلت له: ماذا نفعل في مثل هذا النوع من التحركات؟ وقال لى: يبدو أننا غير قادرين على التفاهم على معنى كلمة وقف إطلاق النار على المواقع.. وهو معناه أنه لا ينبغى أن تحدث أى تغييرات على الجبهة وقت أن أبلغتكم.. فقلت له إنكم أبلغتمونا قبلها بستة أيام أن هناك أشياء ستبلغ لنا.. وهذه شروط وقف إطلاق النار.. ولكن لم نبلغ بسريانه.. ولا تقول لى إنك لما أبلغتنى قبلها بخمسة أيام عن فكرة وقف إطلاق النار سأقف.. وأنا سأقف وقت أن أبلغتنى وسوف يبدأ سريان مفعول هذا الذي عرضناه عليكم من قبل من خمسة أيام في هذه الليلة.

وقلت له إنك لا تستطيع أن تحاسبنى على أى مخالفات بعد الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف ليل صباح ٨ أغسطس.. وما قبل ذلك استأذنتك فيه ورجوتك. وحاولت مع (روجرز) بكل الوسائل.. لكنى شعرت بحجم الضغوط وقتها لأنه حادثنى يوم ٩ ويوم ١١ وكان آخر مرة حدثنى يوم ١٧ أغسطس.. ووقتها قال لى إنهم سيعلنون بيانا.. ولم أعترض على هذا البيان.

ولما قرأت مذكرات (كيسنجر) فيما بعد أدركت حجم الضغوط.. التى تعرض لها (ويليام روجرز) وهذا لم يجعله بالنسبة لى ضحية لأن صراعاته كلها للصالح الأمريكى قبل أى شيء.. وهذه الضغوط لن تجعله صديقا لى أو أرجو صداقته وأراعيها فهو يعمل لمصلحة الولايات المتحدة.. وهذا موضوع ينبغى ألا أخطئ فيه أو يخطئ فيه غيرى.

وهنا معى نصوص لمكالمات مسجلة من الرقابة والإسرائيليين سجلوا لـ(برجس) سفير أمريكا بالقاهرة.. وهو يحادث (سيسكو).. وكنت طلبت وقتها من السفير (محمود رياض) وكيل الخارجية أن يكلم (برجس).. ويبلغه أن الإسرائيليين يخالفون وقف إطلاق النار.. وكنا نضغط على هذا البلاغ.. وأنهم يخالفون ويخرجون في دوريات ويتعمدون ضرب مواقع لنا وبعدها وقعت الطائرات.. وذكر (كيسنجر) بعدها أنها خمس طائرات.. وكنت في هذه الحالة أريد تغطية موقفنا. وهنا معى كلام لـ(ديان)

يقول إن المصريين قاموا بشيء خطير أكثر مما تتصور القيادة السياسية في إسرائيل.. أولها إنهم لم يفهموا اتفاقية وقف إطلاق النار.. وهى معناها باللغة العبرية التجميد الكامل.. ولكن المصريين لم يفهموا معنى التجميد.. وفهموا أنها تقليل الحركة.. وبالتالى فإن المصريين خالفوا وهناك دليل على أنهم خالفوا.

وكنا ندرك أن الوقت تغير الآن وفات عن موقف إطلاق النار بعد مرور أسبوع تقريباً.. لكن رابين قال إن الموقف تغير.. وأنه حدثت أشياء وتجاوزات وأننا أصبنا بضرب من هذا الذي جرى على الجبهة.. وأن الأمريكان هم المسئولون.. وعليهم تصحيح هذا.. وهم لديهم الوسائل.

وأخذ رابين خرائط الجبهة وما جرى عليها وذهب لمقابلة جنرال هيج.. والأخير كان مساعد (كيسنجر) للشئون العسكرية.. وهو حلقة الوصل بين مستشار الأمن القومى وبين الرئيس (نيكسون) لحساسية الأخير باليهود.. وكان مناخا غريبا لـ(نيكسون).. وحتى بينه وبين (كيسنجر) يريد أن يكون هناك أحد بينه وبين مستشاره للأمن القومى خاصةً في الشأن العسكرى.

وذهب رابين لجنرال هيج ومعه خرائط بارليف وقال له: إننا أمامنا موقف لا نستطيع معالجته وليست لدينا الوسائل لهذا الذي جرى على الجبهة المصرية في الفترة المحددة.. وأن المصريين خالفوا فيها وقف إطلاق النار.

وأنا أقول إن هذا الشعب عندما تأتيه الوسائل وعندما تواتيه الفرصة.. وعندما يأتيه الإلهام الوطنى يقوم بالمعجزات.. فلا أحد يتصور ما فعله الدفاع الجوى.. ومهندسو القوات المسلحة في هذه الساعات على الجبهة.

وقال هيج لرابين: لكى تتدخل الولايات المتحدة لا بد أن يكون لديها الحجة القاطعة المانعة أمام الاتحاد السوفييتى.. والموضوع هنا لا يتعلق بمصر والموضوع أن هناك أسطولا أمريكيا في البحر الأبيض.. وهناك أهداف ويمكنه أن يتدخل ويزيل حائط الصواريخ المصرى.. لكن أمامه أسطول سوفييتى موجود وإن كان أقل قوة لكنه قادر على صنع شيء.

ولكى نستطيع أن نفعل ما تريدونه ثم أن نواجه الروس بلهجة حاسمة وبدليل قاطع لابد أن يكون لدينا دليل قاطع.. فأنتم لم تقدموا دليلاً قاطعاً.. وهناك شواهد فقط.. وربما تكون هذه الطائرات قد سقطت من صواريخ قديمة.. وما أريد إثباته أن شيئاً ما

حدث ﻓﻲ الجبهة ﻓﻲ هذه الساعات لأنه كانت هناك طائرات سقطت قبل ذلك ﻓﻲ يونيو أو يوليو.. وإذا كان هناك جديد فعلينا أن نقدم دليلاً ليس لمجرد سقوط طائرات.. وبالفعل كانت هناك مواقع خامدة وظاهرة موجودة على الخريطة.. لكنها لم تكن فاعلة.. ولكن كيف نتأكد أن هذا جرى بعد وقف إطلاق النار.

وأجد المناقشات وصلت إلى أن رابين قال إن هناك تغييرات كبيرة على الجبهة.. وأجد (كيسنجر) مستفيضاً ﻓﻲ مذكراته ﻓﻲ شرح ما جرى وللتنبيه لخطورة استمراره بهذا الشكل.. ونجده مخصصا ﻓﻲ مذكراته لهذه الأزمة ٢٥ صفحة.. وأجد (كيسنجر) يقول:

"على وجه اليقين هناك شيء جرى لكن وزارة الخارجية أخطأت لأنها اختارت موعد وقف إطلاق النار منتصف الليل أى بعد أن ساد الظلام.. وكان من الأفضل أن يكون صباحاً لأن التصوير الليلى وقتها لم يكن وصل لهذه الدرجة الموجودة الآن".

وقال (كيسنجر) بعدها إنه حدث خطأ ﻓﻲ توقيت وقف إطلاق النار.. وأن وزارة الخارجية أخطأت فيه.. وأنه للأسف مضطر أن يقول لرابين ولكل أصدقائه الإسرائيليين إنه لا يزال يحاول إقناع الرئيس (نيكسون) بتدخل أمريكا بضربه لإزالة حائط الصواريخ الجديد.. وأنهم يحتاجون لدليل حاسم.. وجلس رابين مع (نيكسون) ﻓﻲ حضور (كيسنجر) وقال رابين: إن (جولدا مائير) تريد الحضور لتشرح بنفسها ما حدث.

لكن (نيكسون) قال: قد يكون كلامكم صحيحاً.. لكننا لا نستطيع أن نتصرف بالطريقة.. التى تريدونها لأنه ببساطة ينقصنا ما نستطيع أن نبنى عليه موقفا لأنه من الممكن أن يؤدى إلى مواجهه مع السوفييت.. وقال له جملة غريبة: "انتظروا ثلاثين يوما أو ستين يوماً.. فقد تحدث تطورات قد لا نتوقعها الآن".. وأنا استرجع هذه الجملة وتستوقفنى.. ففي هذه الأيام حدثت بالفعل تغييرات كبيرة جداً.. وأهمها اختفاء (جمال عبد الناصر).. وهنا تساؤلات حول أن تقال هذه الجملة ﻓﻲ هذا الوقت.

وبعد هذه الجلسة أخذ (كيسنجر) رابين وذهبا لمكتب (كيسنجر) الذى قال: إذا كنتم لا تستطيعون تدمير الصواريخ لأسبابكم فنحن لن نستطيع أيضاً بسبب المواجهة مع السوفييت.

وكـان هنـاك اقـتراح للبنتـاجون هـو إمـداد الإسـرائيليين بصـواريخ مضـادة مـن طـراز شرايك ويأملون في أن تخفف بعض الخسائر.

أظن أن الطاقم الإعلامى في ذلك الوقت نجح عن طريق إصابة طائرة إسرائيلية لأحد المواقع المصرية.. وكـان هنـاك مراسلون أجانب جلبهم تحسـين بشـير في جولـة علـى الجبهة.. وأثناء وجودهم في السويس حدثت الغارة.. وكانت لدينا تغطية ملائمة جداً بناء على رؤية مباشرة لصحفيين أجانب.

وكان (روجرز) مضطراً لإصدار بيان لكنه لم يتهم الطرف المصرى بخرق الاتفاقية صراحة. وأنا شخصيا طلبت من (عبد الناصر) أن يبقى الحال كما هو لأن لا ضرورة للجدل مع (روجرز).. وكان واضح أن لدينا معركة كبيرة مع الأمريكان لكنها تدار برقة ولين ودبلوماسية وتدار بالإعلام الأمريكى.. ويرى بنفسـه مـا حـدث.. وهنـا كانـت هنـاك لغـة معينـة مطلوب استخدامها.. والحقـائق تبقـى نفس الحقـائق.. ولا نستطيع أن ننكـر أننـا خالفنـا.. لكننـا كنـا صـادقين عنـدما أبلغنـا أننـا التزمنـا.. وكنـا صـادقين قانونـاً وأخلاقـاً.. وكـان يمكـن أن يقـول (روجـرز) إنـك خالفت الـروح ولكنهـا مسـألة محتاجة لمناقشة.

كنت أتصـور أننـى قمـت بأشـياء للمقاومـة في ذلـك الوقـت فأخـذت (ياسـر عرفـات ) ليقابل (عبد الناصر).. واعتراف مصر بحركة فتح واستيلاء فتح على منظمة التحرير وأشياء كثيرة وسلاح ومساعدات قدمناهم للسوفييت.. وكنت أتصور ذلك بالتحديد.

كنت مشغولاً تماماً في مواجهة الجبهة الأمريكيـة حتـى إن الفريق فـوزى حـدثنى في الهاتف يقول لى إن لديه مشكلة أن هناك إذاعة تتبع لوزارة الإرشاد القومى فلسطينية بـدت تعـارض قبولنـا لمبـادرة (روجـرز) وقبولنـا لوقـف إطـلاق النـار وتعارضـه بطريقـة بهـا تجريح والمشكلة أن بعض العساكر المتطوعين العسكريين الموجودين قـرب الوحـدات المصرية يسمعونها ويستغربون.

وقـال الفريق فـوزى إن إدارة الشئون المعنويـة تـرى أن هـذا الـذي تقولـه إذاعـة فلسـطين مؤثر.. وكنت وقتها مشغولاً للغاية بالجبهة الأمريكية.. وقرأت تقارير لكنـى لم أكـن أعـرف أنها لافتة لهذه الدرجة.. ووجدت نفسـى أنتقل مـن الجبهـة الأمريكيـة إلى الناحيـة الفلسطينية.. وهناك فصائل وهناك هجوم ضار.. وعنـدما نظـرت إليهـا وجـدت الفصـائل الفلسـطينية تنـادى أنـه إذا كانـت الجيـوش النظاميـة لا تسـتطيع.. وأنهـا تتصـور وقـف

إطلاق النار مستدلين بتصريح قلته وقتها.. وأنا لا أستطيع الحديث عن حائط الصواريخ.. ولا أستطيع القول إن الحرب تنتقل إلى نقلة نوعية أخرى رآها (عبد المنعم رياض) مبكراً.. ووضعت في الخطط وبدأت تبقى موجودة.. وبدا حائط الصواريخ يدخل تطبيقاً.. وأن تكون هناك نقلة جديدة تدخل الحرب.. ووجدت الكلام الذي أقوله يستعمل ضدى.. وطلبت الفصائل الفلسطينية وقتها بحرب تحرير شعبية.. لأن الجيوش النظامية يبدو أن لديها اعتبارات أخرى.. وأنه لابد أن تتحول المنطقة كلها لحرب شعبية.

وكنت استمعت لهذا الموضوع من قبل ذلك وناقشته مع عدد كبير من القادة الفلسطينيين.. وناقشته مع فصائل أخرى خارج فتح.. وكنت أعتقد وقتها أن القياس على الجزائر خطأ.. وعلى فيتنام أيضاً خطأ.. وهذا موضوع آخر.

ففي سيناء مثلا كيف أحارب حرباً شعبية وسوريا والإسرائيليون على بعد خطوات من دمشق.. وفي الأردن هناك مشكلة لأن هناك دولة ذات سيادة وأريد هذه الدولة وبرضاها تقديم هذه المساعدات.. ولكن تحويل الأردن إلى الميدان الداخلى الفلسطينى معناها أننا نقبل حتى في نفس الأحوال ما قالته إسرائيل وقبول الأردن بديلا لفلسطين.

وتحتاج المقاومة أن تعرف أن القياسات مختلفة وكله كلام لا يعقل.. لدرجة أجد عشرات المقالات عندما تحدثت عن الحرب الإلكترونية.. أجد من كتب مثلاً (الهيكلية والحرب الإلكترونية).. وما أزال أسمع (الهيكلية).. وأنا أقصد أننى اعتدت ذلك ولم يقلقنى هذا الموضوع.. لكن من كتب هذا الموضوع أجده يقول إنه يكتب باسم البرجوازى.. وليس لدىّ حرج أن أتحدث باسم البرجوازية.

والطبقة المتوسطة أجد أنه ليس هناك ما يديرها وهى أكبر طبقات.. وأهم الطبقات في المجتمعات.. وأنا هنا أتحدث بدافع الوطنية وأن بها طفرة.. وصواريخ إلكترونية.. وأنا لا أتحدث عن رأي أنا لا أعرف ما فيه.. وهذا رأى خبراء معتمدين في العالم..

وقلته شرحاً لم يستقر عليه تفكير طويل ولما نادى به خبراء كثيرون.. وهنا أجد من يقول إن ما كتبته عن الحرب الإلكترونية كلام فارغ.. وكله يثبت أننا نريد الهروب من الحرب وأن القضية هى الحرب الشعبية.. وأن الهروب إلى نعيم الالكترون والإفلاس والقضية هى الهروب من المجابهة ومستلزمات الحرب الشعبية إلى التعزز بالحرب

الإلكترونية.. التى يعرف (هيكل) جيداً أنها لن تقع وأن الكلام عنها نوع من الضحك على الذقون.

والغريب أنه في حرب أكتوبر أن الحرب الإلكترونية والمتمثلة في الصواريخ كانت هي الرئيسية.

والمشكلة هنا أنى كنت صديقاً لمنظمة التحرير ولـ(ياسر عرفات ).. ولكل الفصائل في واقع الأمر.. فلا يأتى أحد اليوم يتهمنا بالتقصير.. فلا أحد يقصر بأى حال..

ولما تأتى فرصة مناقشة وقف إطلاق نار أو فرصة مناقشة سياسية لا يكون هناك اعتراض.. فهناك قضية لا يمكن أن يفهموها ويريدون فهمها.. وهى قضية لا يمكن لهذا الموقف الذي كنا فيه الزحف إلى تحرير كامل التراب الفلسطينى وإزالة إسرائيل.. فهذا كلام نوع من الشعر في هذا التوقيت خاصة من يقول أن تكون هناك حرب شعبية.. فهذا يتحدث من خارج العصر ومن خارج التاريخ.

وعندما نقول لهم إننا إذا نجحنا في إزالة آثار العدوان بالقوة إذن فقد انفتح الطريق وسيسقط المشروع الإسرائيلى.. فالمشروع الإسرائيلى لا يستطيع أن يتحمل هذا الكلام إطلاقاً.

وفي الفترة من ٦ إلى ٨ أكتوبر ذهب (ديان) لمجلس الوزراء الإسرائيلى سنة (١٩٧٣).. وقال (هيكل) إسرائيل في خطر لأنه ببساطة أى نجاح عسكرى مؤثر ومدوٍ أمام إسرائيل هذا في حد ذاته يكفي لإسقاط قدرة الكيان الإسرائيلى على البقاء بالقوة لأنه لا يستطيع أن يبقى لا بالتاريخ ولا بالجغرافيا ولا بالمواقع ولا بموازين القوى.. يستطيع أن يبقى بالصرح وإذا ضربت فكرة السلاح عنده إذن فقد دخلنا في منطق جديد.

وهناك جزء مهم فالفصائل مهمة.. ويبقى أنه في هذه اللحظة أى خلاف بينهم وبين مصر يأخذ شكلاً خطيراً قد يؤدى إلى وقوعهم في مصيدة هم لا يدركونها.. والثورية فعل صادر وتغيير حقيقى وأصيل والثورية هى التحرير.. ووسائله قضية كبيرة.. وقد تتفاوت العقلية العربية في درجات مختلفة.. لكننا لا نستطيع أن نتنصل منه فنحن لدينا هذا الجموح من العاطفة والشعور.

وكانت المقاومة في وضع خطير وإذا أصبحت في خلاف مع مصر.. فمعنى ذلك أنها أسلمت لقوة متربصة لها.. وهم كانوا موجودين في ذلك الوقت في الأردن. وسوريا

حريصة في ذلك الوقت على أنها تمنع وتدارى. ولبنان معرض لخطر.. وضمان المقاومة الموجودة في قرب فلسطين في الأردن هو أن تكون في علاقة أخذ ورد مع السلطات الأردنية.. وكان هناك تصعيد إعلامى شديد جداً.. وقيل إن هناك محاولة لاغتيال (الملك حسين).. وكانت لديه أدلة على ذلك..

وكان هناك قتلى في الشارع.. لكن هذا يدفع الفلسطينيين لمأزق.. وبدأ يكون هناك تشكيك وبدأت تستمع لإذاعات صادرة من القاهرة في مواجهة سياسات صادرة من القاهرة.. والكارثة أننى موجود في المجال السياسى وموجود مع العلاقات المصرية وأيضاً مع الاتحاد السوفييتى.. وقدمت (ياسر عرفات ) ل(كوسيجين) .. وأنا أول واحد حصلت على ورقة بيضاء بها نصف مليون روبيل من فرادوف أعطاها للفلسطينيين.

وبدأ يتدخل بعض الناس للحد من هذا الخلاف وجاء العقيد (معمر (القذافي) لمصر.. ومعى محضر الاجتماع.. وكان من أظرف المحاضر في الفترة الأولى في أغسطس سنة (٧٠) وكان الموجودون (على صبرى) ومحمد فوزى ومحمد المقريف عضو مجلس قيادة الثورة الليبى ومختار القروى العضو في قيادة الثورة.

وتحدث (القذافي) وقتها عن الفدائيين.. وظهر موضوع آخر.. هو محاولات انقلاب في ليبيا وكنا نتابعها دون تدخل ولم أكن أتصور أنه لا يوجد خطر محدد.. وأجد سؤالا من محمد المقريف أن هناك أحد الذين استجوبوا في ليبيا يقولون إنه احتمال أن يخطفوا الملك السنوسى من الإسكندرية.. ويعودوا به على رأس قوات مضادة للثورة ويقلبوا الأمور في ليبيا.. وأنا لم أتصور باستمرار أن كل المواقف الدرامية الكبرى بها مواقف إنسانية صغيرة جداً.

ورد (عبد الناصر) قائلاً: إنه أولا لا يمكن أن يخطف الملك السنوسى من مصر والمسألة هنا صعبة.. والشيء الآخر أن الملك نفسه لا يريد العودة وسعيد بوجوده في القصر الموجود فيه بالمنتزه.. وأعرف أنكم تعملون كثيراً ولا تنامون.. أما هو فجالس على البحر ويرفض من يقول له جلالة الملك ويطلب أن يقال له يا حج.. وأخبرنا بأن هناك من يريده العودة لليبيا لكنه رفض.

وقال (عبد الناصر) إن موضوع الخطف صعب كثيراً.. وقال إن هناك نكتتين في الحكومة المصرية.. أولاهما أن هناك كلما أراد التعبير عن نفسه فعبر الحدود بين مصر وليبيا.. ودخل يصيح "هوهو" ثلاث مرات وعاد مرة أخرى وسألوه: ماذا يفعل فقال:

نتيجة الكبت الموجود في مصر.. الثانية.. أن الكلب هرب في ليبيا وسألوه: لماذا هرب فقال: يقبضون على كل الجمال.. فقال: على بال ما أثبت أني مش جمل مش حخلص.. و(جمال عبد الناصر) يحكى والموضوع يأخذ اتجاها آخر يدعو للقلق.



**عقل.. أم عاطفة؟**

ولعل من المأثورات الشائعة أن السياسة فعل عقل لا دخل للعاطفة فيه أو هكذا ينبغى أن يكون لكن ما هو صحيح ليس دائماً ممكن لأنه في بعض الأحيان يجىء عمل سياسى هى سياسة بالدرجة الأولى وهى إدارة مصالح وأمن شعب أو أمة من الأمم.. وبالتالى ففي مصالح شعب وفي مصالح أمة العاطفة طبيعى ليست موجودة.بالفعل يقوم على هذه المصالح أناس لهم مشاعر لكن هنا ينبغى أن ينحوا مشاعرهم بالكامل.. وما قلته قد يكون صحيحا ولكن ليس غالباً في كل الظروف لأنه تجىء ظروف لبعض الناس المشتغلين بالعمل العام.. يجدوا أنفسم في مواقف تختلط فيها ضرورات السياسة بنوازع العاطفة حتى وإن لم يقصدوا.

وفي وقت تحريك حائط الصواريخ وقبول وقف إطلاق النار وهذا الموقف الملتبس في ضروراته وفي أحواله وفي أحكامه بدا أن هناك خلافا في العالم العربى بالتحديد بين السياسة المصرية وبين المقاومة الفلسطينية.. وكان هناك اختلاف دواعٍ لأن المقاومة الفلسطينية حقيقة كانت موجودة في ظرف له ملامح خاصة.. لأن المقاومة الفلسطينية ظهرت في وقت صدمة عربية.. وفصائل المقاومة بدأت سنة ١٩٦٥ بفتح لكنها لم تأخذ الزخم الذي أخذته ولا القوة التى أخذتها إلا بعد حرب (٦٧) وفيها اشتدت الحاجة بالضرورات المصرية البحتة لظهور مقاومة فلسطينية تعبر عن نفسها داخل الأرض المحتلة سواء في مواجهة قوى الاحتلال أو في مواجهة العالم الخارجى.

وهنا أصبحت المقاومة ضرورية جداً وأظن أن هنا لم تكن فقط قوة المقاومة الفلسطينية كما نبعت وهى ظاهرة طبيعية جداً ونبيلة.. لكن أيضاً ظهورها في هذه الظروف خلق بعضا من أسباب الالتباس التى تفاقمت فيما بعد لأنها جاءت وبدأت تقاوم ثم اعترفت بها مصر وأعطتها كل الوسائل التى وجدتها لازمة لها. واعتراف مصر ومساعدتها لها أتت لها بمزايا كثيرة جداً سواء في التعاطف الشعبى أو المساعدات

المالية أو العسكرية.. وكانت هناك قوى كثيرة في العالم العربى لا تستطيع المساعدة بسلاح أو قتال وليس لها جبهات..

وكان تعويضها الطبيعى جداً عن ذلك بالمال.. ونتيجة هذا أن الثورة الفلسطينية التى ظهرت أو التى اعترفت بها مصر سنة (٦٧) وعندما أقول اعتراف مصر بها سنة (٦٧) لا أعطى فضلاً لمصر.. وأقصد هنا أن قيمة اعتراف مصر في ذلك الوقت لأنها كانت الطرف العربى المقاوم الأكبر.. وهى التى كانت تتصدى.. ولضرورات أمنها هى ومصلحتها هى للصراع العربى الفلسطينى.

ومصر كانت الطرف القائد والفاعل في الميدان وليس لأى دعوة لا تاريخية أو حجب لأى شيء برؤاه وبمصالحه وبقوته كلها.. وهو الطرف الرئيسى في هذا الصراع واعترافه بالمقاومة هنا كان له قيمة.. التصدى للصراع وقيمة المسئولية.. وقيمة الدور عندما يمارس وليس الدور عندما يدعى به.. لأى سبب من الأسباب .واعتراف مصر بهذا أحدث نقلة نوعية للمقاومة الفلسطينية..

وعلى سبيل المثال الذي كان موجوداً في سوريا أو التى نشأت في الكويت والموجودة في سوريا والتى تقوم بعمليات محدودة.. دخلت وأصبحت قوة لديها وسائل للمقاومة سواء من السلاح أو من الأموال أو من الأفراد ثم استطاعت أن تجسد شيئاً مهم جداً في الصراع العربى أو التاريخ العربى وفي المقاومة العربية وفي كل الحركة العربية العامة للبحث عن مستقبل.

وأظن أنه حدثت التباسات في شأن المقاومة الفلسطينية.. أدت لمشاكل ظهرت في تلك اللحظة التى أتحدث عنها.. وأول هذه المشاكل أن ظهور المقاومة وقوتها في ذلك الوقت أحدثا تصورا ووهما أن المقاومة بديل.. ولم تكن كذلك لأنها قوة قادمة لكى ترتص وتقف بجوار قوة قومية موجودة في الساحة.. وهذه القوة الموجودة في الساحة وقد تلقت صدمة سنة (٦٧) بشكل ما وقع في روع بعض أطراف المقاومة وبأوهام داخلية أنها بديل وهى لم تكن بديلا لأن القضية الفلسطينية ببساطة قضية قومية عربية شاملة وإذا أصبحت قضية شعب فلسطين وحده فقد انحصرت واختلت موازين القوة فيها تماماً.

وبشكل أو بآخر في أثناء بحث الناس في أعماقهم عن قوة معنوية قد يخطئون في الحسابات أحيانا.. وأنا أتصور في ذلك الوقت بعض فصائل المقاومة الفلسطينية.. وأتحدث هنا.. حتى فتح خطر ببالها أنها قد تكون بديلا وتصورت بالوسائل الموجودة

عندها وبالتأييد الجماهيرى الموجود عندها وجزء كبير جداً منه كان موجودا هنا في مصر في واقع الأمر.. وكان يقدم لها أشياء كثيرة.. وأهمها الإذاعات التى كانت موجودة لخدمة القضايا الفلسطينية وبعضها موجود تحت تصرف.. فتح بالتحديد.

ولكن على أى حال بدا أن هناك أوهاما أن المقاومة أكبر من أى شيء آخر.. والشيء الآخر أنه بدت بعض الخلافات العربية خاصةً بعض الدول العربية المحيطة بالساحة الفلسطينية تؤثر على المقاومة وعلى فكرها.

وفي ذلك الوقت وحتى لا أظلم المقاومة كانت هناك تيارات إسلامية جانحة .. وهناك تيارات بعثية جانحة وتيارات قومية موجودة ولكن تفرقت بينها السبل.. وهناك أناس على الجبهة كحركة المقاومين العرب وهى من أحسن الحركات في فلسطين وأكثرها صلابة والتى تصورت أن الحل اختصار الطرق والتخلى عن الماركسية وتبنى الاقتراب للاتحاد السوفيتى لدرجة كاملة ويندمج معه لدرجة كاملة لأنها معركة بقاء..

ولا يجوز فيها حياد بين عدو وصديق وهذا كان كلام له أصداء لدينا وهذه الانقسامات كلها بدت تدخل في الساحة الفلسطينية بدا هناك تضارب وفي نفس الوقت.. أيضاً هناك نماذج موجودة في المقاومة طرحت نفسها وأقرب النماذج الثورة الجزائرية أو الثورة الفيتنامية وبدت بعض فصائل المقاومة الفلسطينية تتصور أشكالا للصراع مستوحاة سواء من فيتنام أو من الجزائر ناسية اختلاف الظروف.. وبدأ يتحدث الناس عن الحرب الشعبية والحرب المستمرة إلى آخره.

ولكن في الحالة الفلسطينية.. والكلام عن الحرب الشعبية.. وفلسطين معظمها محتل والتكافؤ الإنسانى معدوم.. وكذلك السلاح غير متكافئ.. والجبهات المحيطة بإسرائيل كلها موجودة في مناطق لا تصلُح معها الحرب الشعبية.. فمثلاً دمشق على بعد ثلاثين كيلو من الجبهة.. والأردن في وضع في منتهى الصعوبة.. والضفة الغربية سقطت والضفة الشرقية تقاوم لكن هناك حاجز نهر وهناك نظام له رؤى أخرى مختلفة موجودة في عمان أو في الأردن.. وحساباته مختلفة.

وفي صحراء سيناء.. حينما نتحدث عن حرب شعبية فهو وهم ومن يتحدث بذلك فكأنه يعفي نفسه من الحرب كلها.. وفي واقع الأمر لم يكن هذا الكلام مقتصرا على الجبهة المصرية وحدها ولكن كل الجبهات والكلام في ذلك الوقت في اعتقادى

وفي السياسة المصرية أن الكلام عن حرب شعبية هو إعفاء للنفس من مسئولية المواجه لأن المواجهة مع إسرائيل في هذه الظروف وفي هذه الأوقات بموازين القوى كما هى لا يمكن إلا أن تدخل فيها الجيوش كعنصر رئيسى.. وأى كلام أنه يتحدث عن مقاومة شعبية ففي سيناء على سبيل المثال نظمت السياسة المصرية نوعا من المقاومة الشعبية.. وأنشأت منظمة سيناء لكن منظمة سيناء كانت في واقع الأمر قوات متطوعين وعدد سكان سيناء في ذلك الوقت لم يزد على ١٢٠ ألفاً وكانت هناك رغبة شديدة جداً في عدم تعريضهم للاقتلاع من مواقعهم.

والغريب أننا لا ننظر إلا لما وراء الأحداث.. يعنى نحن المفروض أن الأصدقاء في نفس المواقع.. والناس الذين يواجهون نفس القضايا والتحديات عليهم أن يذهبوا للتحقق فيما وراء الظواهر.. وأن أهم ما أُنجز ليس قبول وقف إطلاق النار ولا مبادرة (روجرز) لكنه كان تحريك حائط الصواريخ وهذا جعل ما سمى في ذلك الوقت بمبادرة (روجرز).. وهى مبادرة سلام وخطوة نحو الحرب وخطوة أساسية وشديدة الأهمية وثبت فيما بعد أنها الشكل الوحيد أو الضرورى.

ووجدت فصائل المقاومة أن هذا لا يناسبها لأسباب كثيرة.. وتجمعت عناصر الأوهام والانقسامات في العالم العربى وعدم القدرة على تشخيص أنواع الحروب المطلوبة لهذا الوقت في هذه اللحظة لهذا الميدان بالتحديد.. وتجمعت حتى الخلافات الدولية.. وتجمعت أشياء كثيرة فخلقت أوهاما.. وأظن أن تصور أناس كثيرين في الثورة الفلسطينية أنها أصبحت ليس فقط البديل ولكن البديل الأقوى.. وهم بالفعل لديهم شيء هائل وعندهم تضحية.. والوجود والقتال موجودان لكن غيرهم يقاتل بطريقة أقوى وأكبر على الجبهة المصرية على سبيل المثال.. وكان الوطن العربى كله يحاول الاستعداد.. وهم موجودون في ظروف منتهى الصعوبة لأنهم خارج الأرض يحاربون من خارج أرضهم.. ودول استضافتهم.. فهم فيها ضيوف ولبنان فيما بعد وغيرها. وهذا يفرض نوعاً من الحذر لكن توافر الموارد الهائلة التى أخذتها المقاومة.

وهو يستحق وضرورى.. في ذلك الوقت أغرى المقاومة وهذا ما قاله (ياسر عرفات) لرئيس الوزراء السوفييتى (كوسيجين) وقال له إن المقاومة الفلسطينية تقول إنها أقوى طرف في العالم العربى كله.. وأن لها حزبٌ في كل بلد عربى ويأتمر بأمرنا تقريباً

بأكثر من ما يأتمر بأمر حكومته والجماهير أوسع.. ونسوا أيضاً أن هذه الجماهير والوصول لهم كان عن طريق جهات أخرى وقد واجهتهم بهذا.

ولكن الموجودين في عمان بدت تساورهم أشياء أخرى.. ففي ذلك الوقت قضت الظروف أن أكون مسئولاً أو مكلفاً.. فكنت الرجل المسئول عن اتصال قيادة مصر بقيادة فتح.. وفي ذلك الوقت كنت وزير الإعلام الذي لديه محطات الإذاعة الموضوعة لخدمة المقاومة الفلسطينية وأولها إذاعة فلسطين.. والشيء الآخر أنني كنت موجوداً وأنا المتصدى لعملية وقف إطلاق النار ولتغطية حركة حائط الصواريخ.. وقد شعروا أن هناك شيئٌ يحدث على غير ما يرغبون وبدأوا يهاجمون بشدة.

وقد بدأوا في أول الأمر على استحياء ينتقدون.. وبدأت نغمة الانتقاد ترتفع وبعد ذلك بدأ التجاوز ثم الهجوم وعرّض من هاجمني وقال: "الهيكلية الإلكترونية".. وزاد الهجوم بصراحة باستعمال وسائل مصرية في هجوم على السياسة المصرية..

وقلنا لهم بكل وضوح أن لهم الحق تماماً في رفض مبادرة (روجرز) لكنها لا تعنيكم.. وتعنى الدول المتضررة من عدوان (٦٧) وهذا الموضوع لن ينجح لأنه لا يوجد ما يسمى بالحل السلمى.. ولا مفر من استخدام القوة ولا مفر من المعركة.. وتحريك حائط الصواريخ في حد ذاته شاهد على أشياء كثيرة ويعنى أشياء كثيرة. وبدأت تزداد نغمة الهجوم وعدم مراعاة لظروف الأردن فأنا أعرف طبيعة النظام في الأردن والناس تعرف أشياء لكن هذا النظام له ضروراته وعلينا أن نحسب ماذا نريد.. لأن المضى في معارك دون أن يحسب أحد ما هو الهدف في هذه اللحظة وكيف يمكن تحقيقه بأى الوسائل وأى تكلفة يمكن أن تقع الناس في خطأ شديد جداً. وبدت المقاومة في عمان ليس فقط دولة داخل دولة ولكنها دولة في عمان.

.. وهى من هناك تريد أن تملى على السياسة المصرية ما تراه.. وهناك مسألة نحن حريصون عليها أكثر من كل الأطراف لأننا نعلم أن هذه المعركة معركتنا وأنهم شركاء في هذه المعركة وشركاء أصليون.. لكن هناك خطأ في هذا ولن نردهم عن الخطأ.. أو نحاول بقدر ما يمكن أن نبصرهم بما يجرى لكن لسنا مستعدين أن ندخل في صدام معهم.. واستخدام وسائل مصرية لعرقلة سياسة مصرية.

وعندما أنظر لبعض الوثائق أجد أن حرب البيانات زادت في عمان وإذاعة فلسطين من القاهرة.. وأجد إذاعة تصورت أنها معقولة وتقول إن مصر هى التى تقود وهى التى تقاتل

وهـى الواقفـة فى الميـدان وهـى التـى تتحمـل العـبء الأكـبر وإذا رأت أن هنـاك ضـرورات لوقف إطلاق النار فى هذه اللحظة ولمدة محددة ولأسباب تراهـا ينبغـى مناقشتها وليـس الهجوم عليها.. ومناقشتها بالوسائل الودية وليس بالهجوم.

وأجـد جريـدة فـتح.. لسـان حـال الحركـة.. تكتـب أنهـا تنشـر الـنص الأصـلى للحـل السلمى.. وهو النص الأصلى لمشروع (روجرز).. على الرغم من أنه لم يكـن هـو المطـروح والموجود فى ذلك الوقت.. وعندما طرح فى ديسمبر (١٩٦٩) لم ترد مصـر عليه.. وقررنا ألا نتحدث فيه ورفضته إسرائيل وكان واضحا أننا نرفضه.

ولأسـباب سياسـية تركنـا الموقـف يتـداعى مـن المحلـى إلى الإقليمـى إلى الـدولى وقـد تحقق ما أرادته السياسة المصرية.. وأشياء كثيرة جداً دخلت من ظهور مشروع (روجرز) وحتى مبادرة (روجرز) من ديسمبر ٦٩ وحتى أغسطس (٧٠) تغيرت الموازين بشكل فادح علـى جبهـات القتـال ولم يعـد مشـروع (روجـرز) موجوداً.. وكتـب فى جريـدة فـتح أيضـاً.. وثائق الحل الاستسـلامى.. وتخرج بيانات عربية تقول إنـه لا يجـوز أن يلغـى وجـود الشـعب الفلسـطينى وأن الشـعب المصـرى سيواصـل كفاحـه المسـلح حتـى التحريـر الشـامل ولـن يلتزم بوقف إطلاق النار.

ونحن نقبل وقف إطـلاق النـار نريـد المقاومـة الفلسـطينية أن تعمـل بكـل مـا لـديها مـن وسـائل داخـل فلسـطين وضـد أهـداف إسـرائيلية تقلـق الإسـرائيليين ولا تـترك لهـم مجـالاً لراحـة.. ودخـول حـائط الصـواريخ فى واقـع الأمـر ألغـى حتـى مبـادرة (روجـرز).. وأعلنـت (جولدا مائير) فى ذلك الوقت تقبل هذه المطالبة.. أى أن المبادرة نفسـها لم تعـد موجـودة.. وبالتالى فالكلام فى هذا الوقت عـن مشـروع أو مبادرة (روجـرز) والكـلام حـول حلـول استسـلامية كان خارج الحساب.. وأعتقد أنه شـديد الضـرر لهـم بالدرجـة الأولى.. ونجـد حتى فى إذاعة القاهرة هم يذيعون وفى التحريض والأوهام اشتدت المسائل.

كلمنـى الـرئيس (عبـد الناصـر) وقـال لى إن برنامجـاً ضـمن الإذاعـة المصـرية وضـمن الموجات العاملة يهاجم بشدة وحدثنى الفريق فـوزى أيضـاً.. وطلبـت وقتهـا الأسـتاذ هـائل عبدالحميـد وكـان معروفـاً باسمـه الحركـى"أبوالهـول" وكـان منـدوب المنظمـة المقيم للتنسيق مع مصر وكان أكثر تنسيقه معى.. فأعطيته عينة من البرامج.. وقلت له إنه لا تستطيع دولة قبول ذلك.. فأنتم بالفعل تعرضون علاقتكم بالأردن للخطـر.. وأنـا أعـرف ما هو الموجود بالأردن وهنـا المسـائل تزيـد علـى حـدها هنـاك.. ولـدينا هنـا الكـلام لـيس

معقولا والصورة واضحة أمامنا.. فقال لى أنتم عندكم حق وأنه سيرسل لفاروق قدومى أن يأتى لأن القيادة الفلسطينية في ذلك الوقت قسمت الاختصاصات بين أعضائها وأصبح (ياسر عرفات) المسئول والمتحدث باسم الثورة وأخذ عنده السلاح والإعلام والمال.. وبعده أبوجهاد مسئولاً عن العمليات.. وبعده أبوإياد مسئولاً عن الرصد وهو صلاح خلف.. وأبوالسعيد وهو خالد الحسن.. والمسئول عن الاتصالات الدولية.. و(أبواللطف) وهو فاروق قدومى الذي أصبح مسئولاً عن الإعلام.

فقال لى هائل عبدالحميد إن أبو اللطف سيتحدث معى وسيحل الموضوع.. لأن هذا الموضوع يصعب قبوله لأنه لم يصبح يتعلق بما يرفضونه.. أو يهاجمون ما يشاءون لأنه لا يمكن لأى طرف أن يستعمل وسائل طرف آخر للهجوم على سياساته.. وهنا مسألة دقيقة جداً وحساسة.. حيث جاء لى (أبواللطف) وقلت له بكل أمانة إنه بما تفعلونه تضعوننا في مشكلة كبيرة جداً.. وإن الدولة هنا لها سياسة وهذه السياسة ينبغى أن تدركوا أنها لابد أن تتحرك وفقاً لمعطيات الصراع.. وإن لم تكن لتتحرك قبلكم.. فهى ستتحرك على الأقل معكم.. لأنه الرؤيا المصرية في ذلك أن إسرائيل خطر يهدد الأمن القومى والعربى وأنها في هذا الموقع بالذات شديد الأهمية بالنسبة لنا وهذا ملتقى العالم العربى شرقه وغربه.. وملتقى البحرين الأبيض والأحمر وهذا صلة الوصل بيننا وبين المشرق كله وقد تكون صلة الوصل هى صلة الفصل.

ونحن في هذا الصراع ليس مصر الثورة.. ومصر طول التاريخ اعتبرت أن هذا معبر مهما جداً.. وأن فلسطين هى جسر وعتبة الباب المصرى.. وأن هذا الكلام من أول رمسيس الثانى والعصور الإسلامية ومحمد على.. إسرائيل باستمرار اعتبرت قضية بالنسبة لمصر في منتهى الأهمية.. وحتى النظام المصرى أول من بدأ والنظام الثورى جرب وفهم وهذه معركتنا والشعب المصرى فهم هذا كله.

فرد (أبواللطف) أنه يتفهم الموقف.. ووَعَدَ بإنهاء هذا الموضوع وأن هذه اللهجة ستتغير.. ولا يُعقل أن تعطونا إذاعات ونحن نستخدمها في الهجوم عليكم.. وتصورت أن هذا بالفعل سيحدث.. وبعد ذلك وجدت (أمين هويدى) مدير المخابرات يرسل لى برقية مُلتقَطة من قيادة فتح.. والمرسل منها بلغة الشفرة معناه أن قيادة فتح توجه الإخوة في الإذاعة وتطلب أن يقولوا كل شيء بلا تحفظ.. فنحن - أى قيادة فتح - ضد الحل السياسى ومحاولات الانحراف وكل التبريرات.

ووقف القتال مع العدو الصهيوني يعني بدء القتال للمقاومة منفردة.. ولما أرسلها لي (أمين هويدي) كان (أبواللطف) موجوداً وهو عضو ونظر إليها وقلت له إن كل شيء في هذه البرقية استفزازي وقولوا كل شيء بتحفظ ولكن عندك.. وبعد ذلك ماذا يعني أنكم ضد الحل السياسي.. فالعمل العسكري في حد ذاته عمل سياسي.. والقوى هي استخدام سلاح لتحقيق هدف سياسي.. والتصور أن السلاح خارج السياسة أعتقد أن هذا الكلام به على الأقل خطأ وخطأ فادح.

وقلت له أنني لا أقدم تبريرات.. و(أبوعمار) يقول إن البندقية هي الحل الوحيد.. وأنا لم أمنعك من هذا.. وأنا أستعد لحرب بأكبر مما تتصور وأستعد لها بكل وسائل العصر.. والنقطة المركزية هنا حينما ذكروا أن وقف القتال مع العدو الصهيوني يعني بدء القتال للمقاومة الفلسطينية منفردة. وهنا لدينا مشكلة وأنا أخذ المعاونين بالتكليف لا يمكن قبول فكرة رهن كل شيء إلى أن يتحقق كل شيء.. وإذا كان المنطق العربي الذي يقول فيه فراس الحمداني ونحن أناس لا توسط بينهم.. لدى القبر أو دون العالمين لدى الصدر.

## (هيكل) يهدد فتح

وكل هذا كلام لا يصح.. فهنا تتقاطع مصائر أمم.. والمعركة تقتضي التقسيم على مرحلتين.. وقلت ل(أبواللطف) إن هذا الكلام لا أستطيع قبوله.. وأنا بإذنك سوف أغلق إذاعة فلسطين.. والمحطات والإذاعات كلها.

ولم يصدق (أبواللطف) هذا.. ثم أرسل لي (أمين هويدي) البرقية السابق الإشارة إليها.. وأنا أرى أن الحفاظ على سلامة المعركة العربية هو الأهم.. وليست السيادة أوالسياسة المصرية.. لكن هنا أيضاً ضرورات المعركة تحتم عليّ أن أغلق الإذاعات.

فقال لي انتظر حتى يأتي (ياسر عرفات) قلت له لما يأتي (ياسر عرفات) سوف نتحدث.. والشيء المهم أن (حسن صبري الخولي) قابل (ياسر عرفات ) ومعه رسالة وترجيته وقلت ل(حسن صبري الخولي) قول لـ (ياسر عرفات) إنه يضعني شخصياً في موقف صعب لأنه سيضطرني أن آخذ قراراً صعباً وأنا عندي حالة تمزق عاطفي بين ضرورات.. وبين أوضاع لا أستطيع قبولها.. وكنت قد رأيت تقرير الخولي عند لقائه مع عرفات وكنت قد رأيت هذا التقرير قبل رؤية (أبواللطف) بربع ساعة.. هذا التقرير.. وقال له إنه سيحاول الحضور لكن صعبا أن يخرج الآن وأنه يفهم موقفنا وأنه تحت ضغوط من جبهات عديدة والدول والعراق وسوريا.

وسأحاول قدر ما أستطيع.. ومعى تقرير (أمين هويدى).. وقلت إن هذا الكلام بالنسبة لى استحالة مادية وأننى سأغلق هذه المحطة وكتبت بيانا وقلت له إننى لا أريد أن أسىء لك أو للمقاومة وحاولت بقدر ما أستطيع أن أكون مهذبا في هذا البيان وكتبته بخطى وقرأته له وقلت له إننى سأعطى هذا للإذاعة وقلت له إننى أريد أن أتأكد منك أنه ليس في هذا البيان إساءة لكم وأنتم وضعتمونى في موقف في منتهى الصعوبة.. واطلع على البيان وكان نصه:

"اتخذت السلطات المختصة بالجمهورية قراراً يقضى بوقف إرسال الإذاعات التى توجهها الإذاعات الفلسطينية وقد تقرر ذلك بعد الموقف التى اتخذته المنظمات الفلسطينية إيذاء قبول مصر لما يسمى بالمبادرة الأمريكية وأن الجمهورية العربية المتحدة شرحت وجهة نظرها لهذا الأمر بكل الوسائل وعلى جميع المستويات والرأى العام ومن هذه الوسائل إيضاحات وضمانات مباشرة قدمت للمنظمات المصرية المسئولة..

وموقف العربية المتحدة واضح.. وتمسكها به يشهد عليها تاريخها وتضحيتها ونحن نقدر العلاقات وأن هناك علاقات ملتبسة بين المنظمات وكنا نضع هذه الموجات تحت تصرف الثورة لكن ليس تحت تصرف اتجاهات معينة لها مقاصدها ولها أهدافها لأن في هدف المقاومة وفي قتال إسرائيل نحن نضع كل الوسائل أما في تصورات سواء في خلافات بينها تؤدى لمواقف تعاكس سياستنا وتقال على وسائلنا فهذا وضع لا يمكن قبوله.

وبعد أن قرأ (أبواللطف) البيان في مكتبى لم يكن يصدق وسألنى هل سينفذ فقلت له طبعا وطلبت من مدير الإذاعات وحدثت ضجة كبيرة جداً.. وكما قلت قبل ذلك بالفعل أن العاطفة لا مجال لها خاصةً في مصالح وأمن شعب ولكن ما هو صحيح قد لا يكون صالحا في كل الظروف.. وفي هذه الظروف كنت موجودا في هذا وعادة يُقبل التناقض بين العقل والعاطفة ويواجه هذا التناقض بين الأمن والمصالح للشعوب وبين الدواعى التى قد يراها إقليم ويفهم نبل مقاصدها لكن يضطر آسفا أن يتخذ إجراءات لابد أن يتخذها.. وهنا يتخذ هذه الإجراءات ومشاعره الشخصية سوف تدفع ضرائب هذا التصرف.. وأنا في هذه الليلة التى أغلقت فيها هذه الإذاعات جلست في مكتبى.. ومهما كانت ضرورات الأمن فكان هناك جزء مني يشعر بحزن شديد جداً.



# ٢٨

## بين غضب الجغرافيا..
## ونقمة التاريخ.!!

تغضب الجغرافيا أحياناً وكذلك يغضب التاريخ.. وغضب الجغرافيا نحن نعرفه حين تثور لأسباب كثيرة وعوامل طبيعية فإذا بالبراكين والعواصف والزلازل وحتى انفجار البراكين كما رأينا أخيرا على سبيل المثال في أيسلندا.. والنتيجة أن هناك حالة دمار تأكل الأقاليم وتتعدى على الأوطان.. ويحدث في التاريخ نفس الشيء.. وتفاعلات وأزمات ولا تحل أشياء وحقوق وأشياء كثيرة جداً.. وكثيراً ما تبقى أشياء مكبوتة دون حل.. وينتهز فرصة لكي ينطلق وكذلك تحدث غضبات التاريخ.

وعرفنا كثيراً من غضب التاريخ في العالم العربي في التاريخ الحديث والذي رأته أجيالنا مثل حريق القاهرة و(٦٧) وهناك غضبات تفجر فيها أشياء في كل المحيطين بها وتحدث دمارا ومشاكل كبرى.

وسنة (١٩٧٠) كان بادياً.. خاصةً بعد زيارة (جمال عبد الناصر) السرية لموسكو ومجيء قوات سوفيتية للدفاع عن العمق ودخول صواريخ.. وواضح على وجه القطع أن هناك معركة قادمة وهناك حرباً يعد لها.. وكل المعنيين بالأمور مستعدين لانفجار من نوع ما قادم بشكل أو بآخر وكل الأطراف تحاول فيما أظن أن ترتب مواقعها لكى تكون جاهزة عندما تجيء لحظة هبوب العاصفة.

وكان واضح أن مجالا أو ميداناً من أهم ميادينها في الأردن لكن أكبر شحنة غضب موجودة في المنطقة كانت الشحنة الفلسطينية.. والشحنة الفلسطينية تحولت ولأسباب واضحة من قبل وعد بيلفور لأنها لم تنجح بالقدر الذي تمنته وهى صاحبة حق وتجمعت عوامل وعناصر للغضب الفلسطينى.. ولسوء الحظ أنها تجمعت كلها في الضفة الشرقية من الأردن المطلة على الضفة الغربية.. وبالتالى بدا أن تحول الأردن لجبل غضب وأن فوهة الانفجار وهذا الجبل المملوء بالنار والدمار والحقوق الضائعة والأسى والرغبة في المقاومة والإحساس بالحق الضائع بدا أن الأردن جبل غضب وعمان فوهة البركان والكل يتحرك.

وكان (الملك حسين) وهو قائد ذكى قد بدأ يرى القادم والذي يتجمع في بلده في الأردن والذي يتحفز في عمان لأنه تقريباً كل فصائل المقاومة التى تريد أن تكون قريبة من الأرض الفلسطينية المحتلة وجدت وساعدتها الظروف على أن تجد مواقع لها في عمان وننسى مرات أن نصف الشعب الأردنى من أصول فلسطينية وحتى سكان الشرق الأصليين بالدرجة الأولى فلسطينيون وكل جنوب سوريا تاريخياً.

وأصبح الوضع في عمان يقلق (الملك حسين) وهو يرى ما يجرى حوله ويدرك أن هناك تحولات رئيسية داخلة وأن المنطقة متجهة على وجه اليقين إلى عاصفة وهو يريد أن يؤمن نفسه.

ولم يترك (الملك حسين) لأحد مجالاً أن نشك فيما يقوم به.. وكنا مرات نشك ولكننا ليس لدينا معلومات واضحة عما يجرى وأنا أذكر هنا أننى لا أحكم على (الملك حسين) حكماً قاطعاً لأنه لا يمكن أن نحكم على حكم سياسى إلا بمرجعياته وبالظروف التى تحيط به ورؤيته لهذه الظروف.

أحكام القيمة وأحكام التاريخ لها مجالها.. وإذا كان الكلام في السياسة فالفهم ما قبل الحكم في اعتقادى ضرورى جداً.. وقال (الملك حسين) وبوضوح في ذلك الوقت

ومسجلة موجودة لدى "آفي شلايم".. وهو أستاذ تاريخ معاصر في أكسفورد ويهودي يحمل الجنسية الإسرائيلية إلى جانب الجنسية البريطانية وهو صاحب موقف حييته عليه مرة في أكسفورد لأنه قال إن الغلطة الكبرى التاريخية في القرن العشرين هي إنشاء إسرائيل.

ولآفي شلايم شرائط مسجلة مع (الملك حسين) في ١٧ فبراير سنة (١٩٧٠) بعد شهر من إعلان ذهاب (عبد الناصر) في زيارة سرية لموسكو يقول فيها أن هناك وجوداً سوفيتياً سيأتي للدفاع عن العمق وأن هناك أسلحة وصواريخ جديدة وأن الحرب القادمة هي حرب صواريخ ومصر تأخذها على هذا الشكل وترتب لها.

وأرسل (الملك حسين) في ذلك الوقت - وسجله آفي شلايم بصوت الملك- في ذلك الوقت يوم ١٦ فبراير للحكومة الإسرائيلية بثلاثة أسئلة عن طريق نائب السفير الأمريكي في عمان أورن زولن وبلغه ثلاثة أسئلة.. أملاها عليه طبقاً لرواية الملك.. السؤال الأول هل توافق إسرائيل على أن تنتهز فرصة قيام الملك على تصفية المقاومة المتربصة بعرشه والمستعدة للدخول في معركة ضده وضد إسرائيل في لحظة ما من هذه السنة؟..

وهل يمكن لإسرائيل أن تتعهد بأن تقف بعيدة عن هذه العملية إذا اضطر الملك لسحب قواته الموجودة على الجبهة لكي يستعملها في الداخل في عمان مع الفدائيين؟.. وهل يستطيع الملك أن يطمئن أن إسرائيل حتى إذا واجهتها عمليات فدائية قامت بها المنظمات أنها لن ترد بغارات انتقامية حتى لا تشوش على معركة الملك مع المقاومة وتستطيع أن تعطيه هذا التعهد؟!.. والسؤال الثالث هل يستطيع الملك أن يعتمد على إسرائيل في حالة ما إذا هاجمه جيران له بدعوى نصرة الفدائيين؟!.

وكان الملك هنا يتحدث بوضوح عن سوريا المجاورة وعلى العراق لأن العراق في ذلك الوقت كان لديها ما بين ١٤ لـ١٧ ألف جندي موجودين في الخلف وراء المعسكرات الزرقاء في الأردن ودخلوا أيام الحرب وقالوا إنهم سيخرجون لكنهم كانوا موجودين وهي قوة يمكن أن تتدخل في حالة ما إذا حدث شيء في عمان.

وكان يريد الملك أن يسأل عن هل سيتم تخفيف الخطوط.. وتصفية المجموعات الفدائية وطلب منهم ألا يستغلوا فرصة تخفيف الخطوط والشيء الآخر ألا يقوموا بعمليات انتقامية في الوقت الذي يعملون فيه ضد الفدائيين والشيء الثالث أنه إذا حدث لإحدى دول الجوار غير ما تسمى سوريا أو القوات العراقية في الأردن تدخلت هل ستساعدونه؟.

وعاد أورن وأخبره بالرد.. وأن (الملك حسين) يستطيع أن يسحب قوات من الجبهة.. ولن تستغل إسرائيل سحب القوات من الجبهة لأى هدف.

وقال له إن إسرائيل لا تستطيع قبول أى عمليات انتقامية يقوم بها الفدائيون وسوف ترد عليه وأن طلبه في هذه النقطة مرفوض.. وفيما يتعلق بالموضوع الثالث إذا حدث أن أحداً منهم حاول مساعدة الفدائيين فكان الرد الإسرائيلى هو أننا سوف ننظر في ذلك في حينه لكن في هذا الوقت نحن لا نستطيع أن نعطى تعهداً.

وكانت هناك تطمينات في أجزاء من كلام إسرائيل للملك حسين لكن حكاية أنهم سوف يقومون بغارات انتقامية إذا حدثت ضدهم عمليات عسكرية.. ووقتها سيتحدثون فيما يمكن أن يفعلوه مع الجيران مما جعل (الملك حسين) يشعر بقلق وبالتالى قرر في فبراير (١٩٧٠)أن ينتظر ما سوف تسفر عنه الظروف.. وهو عنده ما لديه ولم يغير أهدافه في شيء وهو أن يصفي الموقف في عمان قبل أن ينفجر ضده بركان.. وهنا آفي شلايم قال إن قرار الملك لم يكن ينطبق على تأجيله تغيير موقفه وإنما يعنى وصفه في هذه الحالة أن الملك قرر أنه سيتراجع لأنه قرر أن يقفز للأبعد.

وكان الموقف متوتراً والنوايا واضحة مع الحاصل في الجبهة في مصر ومع التطورات الجارية وحائط الصواريخ.. ووقتها فوجئت جماعات المقاومة.. ولم تستطع أن تفهم بالضبط لماذا قبلت مصر مبادرة (روجرز) وليس مشروع (روجرز) ووقف إطلاق النار الذي قلقهم وهاجموا بعدها الموقف المصرى.. وشرحت أنا كيف أننا أغلقنا المحطات الإذاعية الفلسطينية وتصور الملك أنه خلاف فصائل المقاومة مع مصر قد يعطيه غطاء بمعنى أنه يرفع الغطاء المصرى عن المقاومة الفلسطينية.. وأظن أن هناك خطأ في الحسابات.

لقد أخطأت المنظمات والفصائل الفلسطينية بهجومها على مصر دون علم.. كما أخطأ (الملك حسين) بتصوره أن خلاف مصر مع الفلسطينيين أو منظمات المقاومة يعنى أن مصر رفعت غطاءها السياسى عن المقاومة.. وهنا سلاسل أخطاء تؤدى إلى انفجارات تحدث لما تتصادم عوامل مع بعضها.

وفي ذلك الوقت.. بدا أن (الملك حسين) على وشك أن يقوم بخطأ كبير جداً وجرى اتصال معه ودعاه (جمال عبد الناصر) لمقابلته في الإسكندرية.

وقال (الملك حسين) إنه سيفرغ من بعض المهام وسيأتى لمقابلة (جمال عبد الناصر).. وكان واضحا أنه سيأتى بعد أن ينتهى من تصفية الجزء الأكبر من المقاومة.

وأرسل له (جمال عبد الناصر) مرة أخرى يقول له إذا لم تكن مستعداً للحضور فأنا سأحضر.. لكن مجيئى في هذه اللحظة في عمان سيؤدى إلى تفاعلات لا يمكن إدراك مداها وأدرك الملك معنى الرسالة وأتى.

وصل الملك للإسكندرية يوم ٢٢ أغسطس سنة (١٩٧٠) والأزمة والموقف في إطلاق النار مقلق وحائط الصواريخ دخل للجبهة وعدم الفهم بشأن أهدافه موجود وشائع في المقاومة.

وجاء الملك وكان الموقف كله مقلقاً.. وحينما رأيت الملك وكنت وزيراً للإعلام وعضواً رسمياً في الوفد.. وطلب الملك أن يرانى صباحاً في الجناح الذي كان به في قصر رأس التين وقال لى إن الإعلام المصرى كان يضايقه لكنه تفاءل خيراً بغلق الإذاعات الفلسطينية.. وقال لى "هل رأيت ما فعلوه بك".. فقلت له إنى مدرك ومقدر.. وكنت معه في العاشرة إلا الربع صباحاً وموعد الجلسة الأولى وكنت عضواً في الوفد الرسمى الساعة الحادية عشرة..

وأنا أعلم ما سيقوله (عبد الناصر) وكان هناك اجتماع سابق وبحث لما سيقال للملك ورسالة قوية للملك وأنا ليس من حقى ولا سلطتى أن أستبق ما يقوله (جمال عبد الناصر) وأنا كنت أسمع الملك وأحاول ألا أجيب عن شيء وفي نفس الوقت لا أريد أن أجلس أمامه صنما.. فقلت له إن هناك أشياء مفهومة.. وأنا والله كنت حزينا جداً لغلقى هذه الإذاعات.. وشرح لى الملك ما حدث في عمان.

وجاء موعد المحادثات وكانت جلستين.. في الأولى قال (عبد الناصر) إن الموقف الذي يجرى في عمان لا نستطيع قبوله وأريد أن أسمع منك.. وبدأ الملك يحكى عن تجاوزات المقاومة ودولة داخل الدولة وأخرج خريطة لعمان وبدأ يشرح المواقع وكيف أنها متداخلة وأنها إنذار لحرب أهلية وقال إنه حتى على جبل حسين الموجود فيه قصر الملك هناك مخيم لاجئين وقيادة الصاعقة وفتح وجيش التحرير الفلسطينى.. وأصبح الموقف متداخلا والجيش الأردنى ينتظر أمر الملك بتصفية المقاومة مرة واحدة وبضربة واحدة وأن الملك لا يقود معركة ضد الفدائيين لكن ما يقلقه أنه يكبح جماح الجيش لعدم قبول الجيش لهذا.

ورد (عبد الناصر) أنه متفهم لموقفه ونحن ضد تجاوزات ورأينا نحن بعض هذه التجاوزات وتصدينا لها بمنطق معقول دون سلاح.. وقضية استخدام السلاح ضد الفصائل الفلسطينية مسألة خطيرة لا يمكن قبولها.

ولكى تبقى المسائل واضحة.. أرجو ضبط النفس وأن مصر لا تستطيع أن تسمح بتصفية فصائل المقاومة وبوضوح ونحن لا نريد لأحد أن يخطئ في الحساب ونرى أنه حتى في تجاوزاتها نعى بعض هذه التجاوزات لكننا نرى أن هناك أسلوبا واحدا فقط وهو الحوار معها بقصد وقف هذه التجاوزات.. لكن بدا فهمنا لموقف الملك قد يكون أغراها أو بعض المحيطين به يصورون له الموقف بشكل مختلف.. إلى جانب وجود تحريض أمريكى في عمان في هذه الفترة.. (كسينجر) و(روجرز).. تحريض كبير لينهى الموقف في عمان وتصفية الفصائل الفلسطينية.

وكان في الاعتقاد أنه إذا تمت تصفية فصائل المقاومة فقد أغلقت جبهة خطيرة في المشرق.. لأن هذه الجبهة إذا أغلقت بالقوة ستؤثر على سوريا والعراق ولن تجعل لهم قضية وكل دعاوى الواقفين على القضية الفلسطينية وراء الشعب الفلسطينى.. فإذا ضربت رموز مقاومته في عمان وخمدت الثورة الفلسطينية مع وجود الضفة الغربية محتلة ولا صوت لفلسطينى في الضفة الشرقية عليها.. إذن فقد تغيرت أشياء كثيرة.

وبعد سفر الملك.. دعونا (ياسر عرفات ) للحضور وجرت مباحثات حول التهدئة وجاء عرفات ليقابلنى في مكتبى في الأهرام وناقشته في مسألة إغلاق محطات الإذاعة الفلسطينية وقلت له إن هذا لا يجوز وقصدت أن خبر مجىء عرفات في الأهرام أن أضعه وفي الصفحة الأولى خلافاً لقواعد أنا اتبعتها ولكن ليعرفوا موقفنا وحدود ما تحدثنا عنه مع (الملك حسين).

وبعد عودة الملك بدأت المعارك واحدة بعد أخرى وأن هناك مسألة جدية في تصفية المقاومة والرسالة التى أخذها الملك إما أنه لم يفهمها أو أراد أن يأخذ الجزء الواحد منها أننا نفهم الموقف أو هناك تحريض أقوى وتصور أن مصر قد تتضايق ولكن ماذا عليها أن تفعل؟

وبدا أن هناك معارك تشتد وعناصر المقاومة الفلسطينية تستغيث وأنا هنا أمامى كل التقارير الأمريكية والإنجليزية والإسرائيلية والفرنسية تقول إن الملك قادر على تصفية المقاومة.. وجاء الملك في هذه اللحظة الخطيرة واتخذ قراراً لأن هناك بعض المدنيين في

الأردن قلقون وهناك بعض السياسيين قلقون وإذا بالملك يؤلف وزارة عسكرية وتم تكوينها بمرسوم عسكرى..

ويصدر الملك قرارا بأن الزعيم (محمد داود) رئيسا للوزراء ورئيسا للخارجية ورئيس أركان حرب القوات المسلحة الأردنية. ويريد أن يقول الملك إن جيشه الأردنى كله يقف خلفه وأن جيشه هو في هذه اللحظة متولى المسئولية السياسية والعسكرية.. وأرسل لى (أبوعمار) رسائل وأرسل للفريق صادق رئيس أركان حرب وهو على صلة به في بداية تسليحه عن طريق الاتحاد السوفيتى وبواسطتنا وكل المساعدات المصرية للفصائل الفلسطينية عن طريق الفريق فوزى.. وكنا نحاول أن نعطى سندا إعلاميا ليعوض عن فقدان الإذاعة الفلسطينية.. وأرسل (أبوعمار) رسائل بعضها رصين وبعضها فيه عاطفة ومبالغة.

وشعر (عبد الناصر) أنه سواء بوزارة عسكرية أو لا فهى مواجهة.. وأراد الملك أن يقول إنه ماضٍ في هذه المعركة لآخرها وفصائل المقاومة بدأت تبلغ أنهم سيدخلون بالقوة لعمان وسيسقطون نظام الملك.. وبدأ السوريون يكون لهم موقف سأتحدث عنه فيما بعد.

قرر (عبد الناصر) إرسال الفريق (محمد أحمد صادق) إلى عمان برسالة للملك وقابل الملك عدة مرات قال له إن ما تم الاتفاق عليه في الإسكندرية ليس الذي تنفذونه وإن الرسالة الأساسية أن هناك من يشيع أن القاهرة توافق على ما تفعلونه وهذا ينبغى تصحيحه.. وأخطر من تصحيحه في أذهان الناس هو تصحيحه في أذهانكم إذا كان هناك لبس في شأنه وهذه العمليات ضد المقاومة لا بد أن تتوقف.

والملك في موقفه وهو متصل بالإسرائيليين ويحرضه الأمريكان وقال الوطن والفداء وكان دائماً يقول في الخطاب الهاشمى بالحديث عن الشهادة دون شهادة.. وفي التاريخ العربى نعرف أن الخطابة تغلب عليها أشياء كثيرة وتأخذها الناس بالألفاظ.. وقال أحد المؤرخين.. ماكس هستينس على تشرشل في الحرب إنه بخطابته البليغة جند اللغة الانجليزية عسكرياً ثم دخل باللغة جيشاً للمعركة.. وهذا يحدث مرات عندنا.. وطنين الألفاظ العربية ووقعها تكون في مرات قوية.

ووجد الفريق صادق نفسه في موقف لا يمكن قبوله وبدا تقاريره واضحة أنه على الرغم من تحذيره هناك إصرار وهناك وزارة عسكرية تعتذر.. وذهب للملك كما قلت

مرتين أو ثلاثة وهو يتلقى الوعود أن هناك خطأ وأن هذه المعلومة ليست دقيقة.. ونتيجة لدخول الجيش الأردنى بهذه الطريقة ألقى القبض على أبو إياد مسئول الرصد وقبض على الآخرين من القادة الفلسطينيين كأبو جهاد مثلاً.

وبدا الموقف يتطور والأمريكان والإسرائيليين يعتقدون بأن الملك قادر بالجيش وولاء الجيش على تصفية المقاومة وهذا هو الاعتقاد السائد لدى الجميع.. وبدا الموقف أن الملك مشى إلى غير رجعة.

ويتقرر في هذا الوقت سحب الفريق صادق لكن قبل انسحاب الفريق صادق وصلت له رسالة من مصر وهى رسالة أعتقد بأنها من أهم الوثائق السياسية في هذا الوقت.

وهنا تقارير الفريق صادق بالقبض على قدومى وأبو إياد والملك قال إنه سيرسل تقريرا للرئيس والمعارك مستمرة إلى آخره.. وتقول الرسالة المصرية للفريق صادق أن يغادر عمان بعد تسليم هذه الرسالة.. وهى من أهم الوثائق الموجودةحتى في التاريخ العربى الحديث.

**ونص الرسالة:**

"جلالة (الملك حسين) بن طلال ملك المملكة الأردنية الهاشمية لقد طلبت إلى الفريق محمد صادق أن يبلغ جلالتكم بقرارى إليه أن يغادر عمان بعد التطورات المؤسفة والمحزنة التى مازالت مستمرة والتى لا نجد سبيلا لوقفها.. واستمرار العمليات العسكرية لا بد أن تتوقف.. وأنتم تذكرون في لقائكم بنا في ٢١ أغسطس الماضى أننى أوضحت لكم وجهة نظرى أنه ليس من المصلحة القومية العليا الآن ولا في صالح نظامنا تصفية المقاومة..

وأدرك أن هناك أخطاء للمقاومة ولكن أى أخطاء لا تبرر هذا الذي يجرى.. ولا أملك إلا مصارحتكم أن الظروف التى دفعت إلى هذا لا يمكن أن تبقى بدون علاج.. وأن الجمهورية العربية المتحدة تؤمن بأهمية دور المقاومة الفلسطينية وتؤمن بشرعيتها والنضال المستمر ضد العدو والفريق (محمد أحمد صادق) نداء أخير لوقف إطلاق النار وتقدير مواقفنا وكرجاء نهائى فإنى أرجوكم الاستجابة لهذا النداء في أسرع وقت والآن.. ونريدك أن تعرف أننا لن نسمح بتصفية المقاومة الفلسطينية ولن يكون في مقدور أحد أن يصفيها وانا أعرف لك مواقف مشرفة ولقد سمعتك أكثر من مرة

تتحدث عن شعبك وعن أمتك وهذه فرصة أخيرة متاحة لنا جميعاً لتكون تصرفاتنا على مستوى مسئوليتنا التاريخية ولكن توفيق الله معك فيما تقرر..

(جمال عبد الناصر).

وبدأت توضع خطط لحل هذا الموقف ولا بد لهذه الخطط أن نتشاور مع بعض إخواننا مع العالم العربى.. وكان في نفس الوقت اجتماع في القاهرة وحضره بعض السعوديين وسوريا والجزائر وقرر الملك أن يرسل رئيس وزرائه وقائد جيشه الزعيم محمد داود.. وجاء محمد داود والموقف متوتر على آخره..

وهذا الذي جرى في ذلك اليوم في هذه اللحظات في سبتمبر وتندفع حوادث في إعصار يندفع ولا أحد يعرف بماذا يرتطم هذا الإعصار.. وحدث أن رئيس الوزراء العسكرى وهو في القاهرة أرسل باستقالة يقول له إننى لا أستطيع أن أمارس مهام رئيس الوزراء القائمة العسكرية المتولية للجيش والقائمة على المواجهة وجاء ورأى أمامه وسمع ما يكفيه وأن يتبين مسئوليته القومية أين؟.

وفي ذلك الوقت القاهرة كانت تقود وتعرف ما تفعله بشكلٍ أو بآخر لها مكانتها في العالم العربى.. وهذا الرجل الذي استقال قد رأى ضوءاً بشكل أو بآخر وفي لقاءات مع أناس كثيرين ومحدودين ولقاءات طويلة ثم قرر رئيس الوزراء أن يكتب جواب الاستقالة وأنه سيبقى في القاهرة لاجئاً وهو تحول ليس فقط دراميا وأمامنا هذا التحول أريد أن ألفت النظر إليه فالمحاولات فيه كما جرى والفريق صادق وجه إنذاراً وغادر.

وبعد ذلك وُجهَ إنذارٌ ل(جمال عبد الناصر).. وكان هناك وقتها قوى كبيرة تتربص في انتظار ما سوف يسفر عنه الموقف ككل.. وكانت نقطة الارتكاز هى الجيش الأردنى وهذا الرجل بالتحديد.. وكل القوى المحيطة بالمنطقة أمريكا.. وإسرائيل.. و(شاه إيران).. وهذا الموقف يوضح أن الأحداث تقاس بزمن وقوعها لأنه مرات كثيرة في التاريخ حدث معين ينسى.. واعتقد بأن استقالة رئيس الوزراء في ذلك الوقت أعتقد بأنها سقطت من كتاب التاريخ لكن الحوادث تقاس دائماً بتأثيرها في اللحظة التى وقعت فيها ومدى ما فعلته في إعادة توجيه الأمور إلى حد معين.

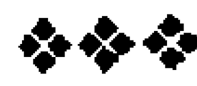
استقالة محمد داود من القاهرة وهو من هو في هذه الظروف أعتقد بأنها أشعلت نارا في عواصم أخرى وقوى أخرى وأعتقد بأن هناك قرارات كثيرة اتخذتها قوى رجحت مواقف لديها في هذه اللحظة لأنه ببساطة لم يصبح الملك قادرا على مواصلة معركته

أمام الفدائيين لأنه عندما يستقيل رئيس وزرائه إذن معناه أنه في داخل القوات المسلحة أشياء لا يدركها الملك وعندما عين الأخير وزارة عسكرية في جوانب فاتت عليه ودليلها استقالة رئيس الوزراء..

وكنت وقتها مشغولا بأشياء أخرى.. حيث وجدت صحفيين أجانب موجودين بكثرة في عمان وكانوا يغطوا مراسلين.. ووجدت رسالة لى وكنت أعقد مؤتمرا صحفيا كل أسبوع.. وفي تلك الأزمة وجدت رسالة من مراسلى عمان وسلمها لى رئيس نادى المراسلين في القاهرة ورسالة من الخارجية أيضاً.. ووثيقة عمان هذه جاءت من المراسلين المقيمين بفندق بعمان والموجهة للسيد الوزير.. وهناك أكثر من ١٠٠ صحفي في عمان يطلبون منى كوزير ومسئول أن أُرتب طريقا لخروجهم.. وانحصروا في المعارك ولا يستطيعون المغادرة ووجدت من بين الموقعين على الرسالة "أرمد ديبوراجرام" الذي أصبح رئيس تحرير النيوزويك.

ووسط هذا كله محاولة محادثة (الملك حسين) ولكن الأخير بعد استقالة داود لم يكن في استطاعته أن يُحدث أحداً لكن على أى حال وصلت رسالتى ولم يرد على المكالمة وطلبت منهم هناك إبلاغه بأننى شخصياً أترجاه أن أرسل طائرة تأخذ هؤلاء الصحفيين وتعود بهم للقاهرة.. ولم يرد أحد.

وبعد عودة الفريق صادق قال إنهم يذهبون لقاعدة المفرق لأن مطارات عمان كلها مغلقة.. ووجدت برقية من (أبوعمار) يقول لقد خدعنا العراقيون لأنهم قالوا إنهم سيتدخلون في قاعدة الزرقا بـ١٧ ألف جندى ثم لم يظهر له أثر عندما بدأت المعركة.. وفي تلك الفترة غليان وزلازل وبراكين لكن هناك شيئاً واضحا وله أثره فيما بعد هو أن هناك عاصمة معينة ممسكة بزمام موقف معين قريبة من غضب الطبيعة لكن يد قوية في القاهرة ممسكة من تحول تداعيات هذا إلى انفجار يأخذ الكل للهاوية.



## ٢٩

## إزالة آثار العدوان..!!

كثيراً ما يجرى بين الدارسين والباحثين والكُتاب ربط بين التاريخ وبين المسرح وإلى حد ما فإن هذا الربط يبدو منطقياً.. وليس هناك تجاوز أن يقال أحيانا مسرح التاريخ ومسرح السياسة ومسارح القتال.. وتعبير المسرح في التاريخ موجود وشائع في الكتابات وعلى الألسنة.. لأنه في واقع الأمر هناك صلة بين الإثنين فالتاريخ هو مجرى الحوادث والمسرح محاولة لتجسيدها.. والتاريخ في واقع الأمر حياة مكبرة موجود فيها صراعات الشعوب والأمم في سبيل محاولتها للتقدم والغلبة.

والمسرح في واقع الأمر حياة مصغرة فيها البشر ونزاعاتهم مع أنفسهم وداخل أنفسهم ومع غيرهم من الناس.. وبشكل أو بآخر هناك ربط بالإيحاء بين التاريخ وبين المسرح.. وبشكل أو بآخر حتى في البيوت المسرحية التى نشأت كالمسرح البريطانى بإنجلترا وتتعدد المسارح داخل نفس البناء مثلما تتعدد مواقع التاريخ في نفس العصر.

على سبيل المثال كنت أقول المسرح الوطنى البريطانى فيه أكثر من مسرح وهناك مسرح رئيسى تقدم عليه الأعمال الكبرى التقليدية والكلاسيكية الكبرى.. وهناك مسرح إضافي وكبير أيضاً تقدم عليه الأعمال المستجدة.. وهناك مسرح ثالث تقدم عليه الأعمال التجريبية.. وهناك مسرح تقدم عليه المحاولات العبثية كيفما تكون وحتى وإن كان العبث فيها محاولات فنية قد تبدو جريئة.. وأعمال ومؤلفات مثل بكيت الذي عمل مسرحية لا يوجد بها إلا متكلم واحد.. وهذه الأشياء كلها عندما تبدأ.. تبدأ عادة على المسارح التجريبية وفي التاريخ أيضاً.. يحدث ذلك فيكون هناك مسرح حديث للحوادث ومسرح رئيسى وثانوى ومسرح تجريبى وفي بعض المرات يكون هناك مسرح عمل.

في الوقت الذي كنت أتكلم فيه عن أن حوادث الشرق الأوسط تتعدد على مسارح مختلفة.. كان هناك مشهد مخيف موجود في عمان.. لأن جبل الغضب الفلسطينى كله إنزاح على الضفة الغربية في الأردن.. وفي عمان فوهة البركان ونحن في تلك اللحظة في سبتمبر سنة (١٩٧٠).. أمام بركان ينفجر بنار.

وكانت هناك مسارح أخرى في القاهرة وهى سياسية وأناس يبحثون عن أنفسهم وأشياء وأوضاع موجودة..

وأظن أنه كان في ذلك الوضع هناك أطراف عربية وأنا لا أريد أن أظلم أحداً.. أظن أن حزب البعث في سوريا وحزب البعث في العراق.. كلاهما يبحث عن أخذ الأزمة في يده إلى نزع الزعامة إليه في العالم العربى.. ومرات عندما يطل إنسان على ما يحدث في العالم العربى فاظن أن العالم العربى هزم نفسه أكثر مما هزم أعداءه لأنهم كانوا في وقت من الأوقات وحتى اليوم مثل حكمة قالها سقراط في أحاديثه لتلاميذه **"إن الآلهة عندما تغضب على أحد لا تنتقم منه لكن تكلفه هو أن ينتقم من نفسه ويسىء لنفسه"**.

ويتهيأ لى أنه كانت هناك آلهة موجودة كلفتنا بأن نهزم أنفسنا.. ولكن على أى حال كان هناك مسرح موجود في بغداد وفي دمشق.. وهم موجودون وفي مواجهتهم لأزمة كبيرة ولقوة رئيسية أساسية في القاهرة وفي مواجهتهم لأحداث طارئة وفي لهجة خطابهم كله بدا أن يأخذوا مواقف في هذه الأزمة.. أجدها تقريباً نوعًا من المسرح العبثى الذي يجرب.لكن مشكلة أن كبار المؤلفين المسرحيين حينما يجربون كانوا

يريدون أن يمسكوا بشعور أو بحالة نفسية أو بوهم وتصور أشياء.. لكن هنا لم تكن القوى الموجودة على ساحة التاريخ تتصوز أشياء يمكن أن تقوم بها.

خطر لى أن أسلوب المسرح أفضل طريقة لتشبيه السياسة.. وقسمت هذا الحديث لمشاهد.. ونبدأ هنا بالمشهد الأول.. أو أزمة عمان ونحن في ملابسات هذا الصراع المسلح بين جيش (الملك حسين) وفصائل المقاومة الفلسطينية.. وفي اللحظات الحرجة التى وضع فيها الملك حكومة عسكرية ولم يكن رئيس هذه الحكومة قد جاء بعد من القاهرة.. واستقال وغير معطيات الموقف كلها..

وفي ذلك الوقت كان الفريق فوزى قلقا على الجبهة الشرقية وكان يتصور أن هناك جبهة في مصر وهناك جبهة شرقية.. وأنا هنا أتكلم في ميادين القتال وهذه الاتجاهات وهذه المسافات.. فالفريق فوزى وضمن العمليات الموحدة والعمل العربى المشترك أو في المحادثات المستمرة في مؤتمرات دول القمة.. يرسل لرؤساء أركان حرب في سوريا وفي العراق يقول: إننا ندخل لمرحلة جديدة من الخطة..

وكما تحدثنا من قبل في خطة طرابلس تحدثوا مع السياسيين في جبهة واحدة.. الآن نحن نريد أن ننسق ولا بد أن تكون للعمليات قيادة واحدة بمعنى أن القيادة الشرقية وهى قيادة مستقلة تعمل تحت إمرة قيادة عامة للمعركة كلها".. وهذا ما حدث سنة (١٩٧٣) إذ كان هناك قائد عام وهو أحمد إسماعيل موجود في القاهرة وهو قائد الجبهتين.

وحين أرسل الفريق فوزى لسوريا في سبتمبر أثناء تفجر الأزمة في الأردن.. فإذا بالردود تأتى بطريقة غريبة.. أولها من الفريق حماد.. رئيس الأركان السورى.. ومعى هنا الورقة التى أرسلها الفريق فوزى وكنت وزيرا للإعلام وقتها وأرسل لى الفريق فوزى رسالة الفريق حماد التى يقول فيها: إننا نريد أن ننسق خط الاتصال بين القيادة العامة الموحدة للمعركة وبين الجبهات المختلفة".. وكان ذلك القائد موجودا قديما لجيوش وحلفاء تتحرك.. لكن ضمن قيادة واحدة لأنه لا يمكن أن تكون جبهة شرقية وحدها وجبهة غربية وحدها.. ولا بد أن يكون الاثنان تحت قيادة واحدة وهذه القيادة يجب أن تكون في القاهرة لسبب بسيط أن القاهرة بها أكبر الجيوش العربية المقاتلة في خطة العمل المقررة والمنتظرة.

وقال الفريق حماد للفريق فوزى: كيف تقول جبهة شرقية وقيادة موحدة".. وشرح له الفريق فوزى.. وأجد شيئاً غريباً أن رئيس أركان حرب يدخل في الموضوع ويشتمنى ويقول: إن قولكم في عدم إمكانكم ذكر العوامل بعين الاعتبار تحاشيا للتطرق إليها.. فإذا سمحت لنفسك أو لم تسمح فغالبا صحيفة الأهرام الرسمية الممثلة ب(هيكل)ها تكشف الكثير منها رغم الكثير من شكوانا منها ومنه بكتبه الرسمية ومن خلال محاضر الجلسات التى حضرناها معكم.

وهنا لم يرسل الفريق فوزى ليقول له إنه آن الوقت لتحديد سنة الاتصال.. ومكتوب ورقة يشرح فيها الدواعى العسكرية وهو يرد عليه بقوله: لا يوجد ما يسمى بقيادة موحدة فهناك قيادة شرقية لوحدها وقيادة غربية لوحدها ولا أحد قال إن هناك قيادة واحدة".. بينما ذلك كان قد قيل في كل مكان.. وتصور أن الكلام اليوم عن القيادة الواحدة هو عمل سياسى ولكنه ليس عملا سياسيا.. وترد على هذا العمل بالمنطق الحزبى وتقول إننا قرأنا ذلك في الصحف واشتكينا لكم من جريدة معينة ومن كاتب معين".

واندهش الفريق فوزى من هذا الرد لأنه يحدثه في مسألة عسكرية بحتة خاصة بالتنسيق العسكرى وخطوط الاتصال.. فإذا به يرد أنه كتب في الجرائد و(هيكل) قال.. فكتب الفريق فوزى يقول له: "توقعت أن يكون لك رد عسكرى.. لكن تلقيت منك رداً سياسياً تتحدث فيه عن صحفيين وموضوع لا يخصنا"..

ورد عليه مرة أخرى وأجد الرسائل غريبة وأجد وثيقة فيها مشروع رد الفريق فوزى وأجد الفريق فوزى كتب خطاباً وأرسله لى مرفقاً.. وأجد خطى موجوداً يقترح تصحيح شيء على الفريق فوزى وأجد خط (جمال عبد الناصر) موجودا على نفس الوثيقة لأنه أيضاً يصحح شيئاً أو يطلب حجب شيء بمشروع خطاب الفريق فوزى.. لأن التخاطب كان عسكريا.. وجعلها الفريق حماد سياسة..

ووجد الفريق فوزى نفسه يجهز ردا سياسيا على رد سياسى حزبى آخر.. وأجد أن لقاء (جمال عبد الناصر) مع (الملك حسين) الذي أشرت إليه قبل ذلك يبدى خلاله دهشته من أن هناك مناقشة جارية بين الفريق فوزى والفريق حماد ونحن نستغرب منها.. فهم يتحدثون عسكريا وهو يحدثهم سياسيا ودخلوا في موضوع آخر.. وأشار لى أثناء

المحادثات وقال إنهم يشتمون (هيكل) كثيراً وبعد ذلك قال إن أكثر واحد مبسوط أنه يتشتم.. ويظهر أنه تقليد في السياسة العربية.. وهذا هو المشهد الأول.

المشهد الثانى هو أن الفدائيين موجودون في مشكلة في معركة في عمان وكل الناس تحاول أن تجد مساعدة للفلسطينيين فإذا بالقيادة السورية تدفع بقوات اقتحمت منطقة الزرقا شرق الأردن بدعوة مساعدة الفلسطينيين.. وكان العراقيون يقومون بأمر مشابه.. إذ أعطوا أوامر لقواتهم في مرحلة من مراحل الأزمة.. وقالوا إنهم سيعطون أمرا لـ١٧ ألف جندى موجودين في الأردن منذ أيام حرب (٦٧) وهددوا أن هذه القوات ستأتى من وراء الزرقا لمساعدة الفدائيين.. وأمامى محضر اجتماع السفير السوفييتى في بغداد وبين سفيرنا في ذلك الوقت يقول إن العراقيين يهددون بأشياء هم انفسهم يعلمون أنهم لن يقوموا بها وعلى أى حال يشعر الفلسطينيون بخيبة أمل مما حدث.. وقام السوريون بالتقدم بضعة كيلومترات داخل الحدود الأردنية إلى منطقة الزرقا ووجدوا أن الموقف أخطر مما توقعوا فتوقفوا.

وهنا طرف قام بخطوة بالسلاح وتقدم بهذا السلاح لعدة كيلومترات في بلد عربى أيضاً.. ولكن الموضوع كان مختلفا والظرف مختلفا ودون إخطار وفيه عملية اقتحام.. ونحن مرات نتصرف ونندفع كتفكير عربى ثم نتوقف ونفكر.. فالتفكير يجب أن يكون سابقا للحركة قبل اى فعل إنسانى.

وبعد دخول السوريين توقفوا بعد أن تبينوا أن الطريق لعمان طويل وأن هناك الجيش الأردنى القادر على التصدى لهم.. وبالفعل حدثت معارك ونشأ وضع خطير للغاية لأنه قد تحقق أمام (الملك حسين) ما سأل الإسرائيليين فيه.

فمن أول زيارة (عبد الناصر) للاتحاد السوفييتى وحدث التغيير الاستراتيجى الذي تحول للمواجهة من المحلى إلى الدولى بدخول الاتحاد السوفييتى وحماية العمق المصرى.. حدث تطور خطير شعر به (الملك حسين) في ذلك الوقت وأنا اشرت إليه.

طرح (الملك حسين) على الإسرائيليين ثلاثة أسئلة أولها: هل يستطيع أن يعتمد عليهم إذا ما قرر مواجهة الفدائيين ويتعهدوا ألا يستغلوا الفراغ أو التخفيف الناشئ على الجبهة لأنه يستدعى قواته للداخل؟.. ثانيها في هذه الفرصة لا يقومون بأعمال انتقامية لكى لا يشوشوا على ما يجرى في الداخل.. وثالثها هل يستطيعون أن يساعدوه إذا ما حدث أن الدول المجاورة هددته أو اعتدت عليه؟..

وكانت إجابات إسرائيل عن هذه الأسئلة أنه يستطيع أن يخفف قواته كما يريد على الجبهة وأنهم مع دول الجوار لا يستطيعون أن يقرروا ويفضلوا أن يناقشوه.. وأن العمليات الإسرائيلية سيقومون بها لأنها متعلقة بأمن إسرائيل.

والآن نشأ الوضع الذي تَحسب منه (الملك حسين) وسأل فيه الإسرائيليين.. وأنا هنا لا أتحدث من خلال قومية أو وطنية أو شيء من هذا القبيل.. أنا أتحدث عن سياسة الواقع بكل الخشونة الموجودة.. ونشأ الموقف الذي يتحسب له (الملك حسين).. وسأل الإسرائيليين فيه أن السوريين دخلوا أرضه.. وسألهم عن مساعدته على الأقل بالطائرات وأن القوات الأردنية جاهزة للدفاع عن البلد لكنها ستحارب وقتها من جبهتين في عمان وفي الشمال إذا تقدم الإسرائيليون.

وفي المشهد الثالث على مسرح التاريخ ومسرح السياسة ومسرح الحرب.. كانت واشنطن قد طلب منها (الملك حسين) كما طلب من الإسرائيليين عن طريق الأمريكان وسأل في البداية الإسرائيليين عن طريق نائب السفير الأمريكى في عمان.. وعاد يطلب من الأمريكان أن يسألوا الإسرائيليين وأكثر من ذلك أنه طلب من الأمريكان تزكية طلبه لدى الإسرائيليين.. وفي واشنطن في هذه اللحظة اجتماع مجلس الأمن القومى وأمامى محضرها وهذا مشهد آخر لأن مشهد واشنطن غريب جداً كما يبدو في محاضر المجلس.

في ذلك الوقت كان الأمر واضحاً فالأمريكان يتابعون كل شيء لكن أمامى محضراً قبل أزمة الأردن التى تصاعدت من الإقليمى إلى الدولى.. وكان الملك يريد أن يذهب الإسرائيليون للأمريكان ليس فقط للموافقة.. ولكن يبدو أن مجلس الأمن القومى عقد اجتماعاً مبكراً ــ أمامى محضره ــ وأجد فيه مناقشات من أغرب ما يمكن.

أجد فيه الرئيس (نيكسون) وقد دار حوار بينه وبين مستشار الأمن القومى ووزير خارجيته يسألهما لو طلب منهم (الملك حسين) التدخل ومواجهة هذا الموقف وكان الإسرائيليون غير مستعدين.. ماذا نستطيع أن نفعل.. وقال مستشار الأمن القومى: هذه اللحظة لا نستطيع أن نساعد (الملك حسين).

وكان عندهم خطط طوارئ لكن السوفييت زودوا أسطولهم في البحر الأبيض وهناك موقف خطير.. قد تترتب عليه مواجهة.

وأضاف المستشار : الموضوع الآخر نحن مشتبكون في حرب في كمبوديا وفي فيتنام والقوات البرية وقيادتها الأمريكية مشغولة بحروب أخرى كثيرة ووعدك الأساسي أيها الرئيس أن تنهى حرب فيتنام وأنت سوف تنهيها بضغط أكبر يؤدى إلى شروط يقبلها الفيتناميون في ظرف أقصى مما هو الآن.. ونحن نزود قواتنا الآن وليس لدينا قوات لنعطيها للملك حسين.. وهنا لا مفر من استطلاع قوة الإسرائيليين وما الذي سيقومون به.

والرئيس (نيكسون) يسأل (كيسنجر) - ولدى وثائق تُثبت ذلك - في مشهد آخر غريب في مسرح الشرق الأوسط في هذه اللحظة وأجد الرئيس يسأل مدير المخابرات المركزية ويقول له: هل يستطيع (الملك حسين) أن يقف ويقاوم؟

فيقول له : يستطيع.. لكن الدخول السورى سيربكه.. لأنه سيضطر لاستخدام جزء من قواته لمواجهتهم.. لكن لو تُرك كما يشاء سيستطيع أن يصفي هذا الموضوع.

والرئيس (نيكسون) قال: الإسرائيليون لو قلنا لهم سيطلبون أى ثمن.. وهذا كان كلامًا سابقًا لأزمة الفدائيين ولكن لما جاءت أزمة الفدائيين وتحقق طلب (الملك حسين).. وكان موجوداً.. من الأمريكان أن يقولوا لهم ويرجوهم.. وكان يبدو أن الملك شعر بأنهم ليس لديهم قوات للمساعدة.. وأجد محادثة غريبة بين (كيسنجر) ورابين الذي كان سفيرا لإسرائيل في الولايات المتحدة وقتها والغريب أنه في هذه الفترة كانت (جولدا مائير )شخصيا في زيارة للولايات المتحدة الأمريكية فرابين ذهب ليقابل (كيسنجر) ليخبره بأن (الملك حسين) يطلب منهم التدخل وقال له: وأنت وغيرك من البيت الأبيض اتصلتم بى وطلبتم أن نساعد الأردنيين.. وقال رابين: أول مرة أجد الولايات المتحدة تقوم بدور ساعى البريد.

لا توجد غير الدول العربية التى تستجيب لطلب سخى دون أن تسأل عن مقابل.. وهنا يسأل رابين (كيسنجر) "هل تريدون أن ننفذ هذا وفي هذه الحالة سندخل في مغامرة لحسابكم ونحن لدينا طلبات.. أولها مدى الحماية في حالة تدخل الاتحاد السوفيتى.. والسيدة (جولدا مائير )أعطت إشارة للقوات بأن تكون في حالة تأهب ونحن جاهزون لكن نريد معرفة الغطاء الذي ستقدمونه في حالة دخول السوفييت وبعد أن ننفذ هذه المهمة ما هو المقابل السياسى والمادى لهذه العملية".. على الرغم من العلاقات الحميمة بينهما لكن مصالح الدول لا تعرف ذلك.

والمشهد الذي بعد ذلك في المسرحية العبثية التى تجرى في الشرق الأوسط.. أجد أن الأمريكان لديهم اجتماع في مجلس الأمن القومى والاجتماع يقرر أنه لا وسيلة لدخول الولايات المتحدة لأنها مشغولة في جهات أخرى.. لكنها تستطيع أن تغطى أمام الاتحاد السوفييتى وتستطيع أن تقنع الأطراف بالحذر.. ووافقت أمريكا على أن تقوم إسرائيل بالمهمة وأن أمريكا ستتحمل معها تكاليفها.. وقرار بتحريك ٣ حاملات طائرات موجودة في البحر الأبيض.. وتتحرك حاملات الطائرات شرق البحر الأبيض وتدخل البحر الأبيض وتكون إشارة واضحة أمام الاتحاد السوفييتى.

وهنا حينما أجد الرئيس (نيكسون) يقوم بالتحركات في البحر الأبيض لحماية إسرائيل أجده لم يكتف بذلك فرأى أن يُدعم نظريته في اعتماد الوكيل المحلى ويدعمها بأن يسافر بنفسه للمنطقة ويكون موجودا على قطع الأسطول الأمريكى السادس.. وهنا وجدوا خطوط سياسة يمكن أن تعتمد وتؤثر في هذه اللحظة.. وهو يرى التأسيس لها.. والرئيس الأمريكى مستعد ان يمارس دوره على المسرح ذاته فيذهب لحاملات طائراته في البحر الأبيض.. وهذه الأزمة كلها محتدمة بين سوريا والعراق والأردن وفوهة البركان تعمل في الأردن بهذه الطريقة وتقذف حمماً وناراً.

وذهب الرئيس الأمريكى لأسطوله في البحر الأبيض وأجد شيئاً مهماً جداً قام به (نيكسون) قبل أن يترك الولايات المتحدة أنه استدعى السفير الإسرائيلى رابين لكى يقول له إن استعداد إسرائيل للدفاع عن المصالح الأمريكية وعن أصدقائها أمر لن تنساه الولايات المتحدة.. وقد أظهر قيمة كبرى في وقت أزمة.. ورابين في مذكراته يوم ٢٥ سبتمبر يقول إن الرئيس (نيكسون) طلب منى نقل رسالة إلى (جولدا مائير )أنه لن ينسى دور إسرائيل في منع تدهور الحوادث في الأردن والتى كانت بصدد قلب نظام الحكم هناك وقال إن من حظ الولايات المتحدة الأمريكية أن يكون لها حليف مثل إسرائيل في الشرق الأوسط.. وتلك الحوادث ستؤخذ في الاعتبار في كل التطورات المستقبلية.. وعلق رابين في مذكراته أن ذلك كان أهم تصريح لرئيس أمريكى بشأن التحالف المتبادل بين البلدين.

وأظن أن ما كتبه ويليام كونت وهو أحد أبرز المستشارين في الأمن القومى الأمريكى.. وهو سكرتير مجلس الأمن الأمريكى.. واستشهدت بما كتب في هذا الموضوع كثيراً.. وفي هذا الوقت الذي كتبه في أزمة الشرق الأوسط.. وفي هذه الأزمة

بالتحديد قال إن (عبد الناصر) حاول تهدئة الموقف ووقف الأزمة وطمأنة السوريين والعراقيين ومنظمة التحرير.. إلى آخره.. لكن أهم ما حدث في ذلك الوقت وفاة (جمال عبد الناصر) وانتهاء حركة القومية العربية.. وهى عقبة من عقبات السياسة العربية.. وأن من المصادفة أن ذلك يتوافق مع بدء علاقة استراتيجية أمريكية إسرائيلية جديدة هى في الواقع بمقتضاها أصبحت إسرائيل وكيلا معتمدا للولايات المتحدة في الإقليم.

وكانت القوات الإسرائيلية تقوم بالاستكشاف ليلا وتصور المواقع السورية وكانت القاهرة.. لديها حالة قلق بسبب الحرب الأهلية في عمان وحركة قام بها العراقيون بالتشويح والتلويح.. والسوريون في هذه اللحظة دخلوا.. وكان التربص بهم واضحا و(جمال عبد الناصر) كان قلقا للغاية على القوات السورية..

وكانت هناك إشارات التقطت بواسطة شبكات الالتقاط المصرية على شركة أرامكو وهى شركة البترول الأمريكية.. وعندها تحذير بأن الإسرائيليين سيتدخلون في الأردن.. فيجب أن تحموا مواقعكم في السعودية والا يكون أحد في إجازات في ذلك الوقت لأنه قد تنشأ مخاطر عمل إسرائيلى فمن الأفضل أن ينتظروا وألا يكون هناك سبب لأى استفزاز يحدث في أى موقع سعودى..

ولما التقطت هذه الإشارة بالقاهرة حدث على الفور أن استدعى أحد الضباط وأظن أنه كان اللواء محرز مدير المخابرات العسكرية العامة وطلب إليه أن يذهب فورا بطائرة خاصة لسوريا وأن يقابل وزير الدفاع حافظ الأسد.. وأنا لست متأكدا بنسبة ١٠٠٪ أن اللواء محرز هو من ذهب لكن الإشارات التى أمامى تقول انه هو.. وفي كل الأحوال ذهب ممثل شخصى عسكرى سريع جداً إلى حافظ الأسد وزير الدفاع وقتها وأعطاه الصورة كلها وقال له أنتم معرضون لخطر ونحن لا نستطيع أن نتقبل مخاطر جديدة والموقف في عمان في منتهى الخطورة ودخولكم أيضاً هناك وسيكون هناك ضرب إسرائيلى خلال ساعات.. وقال حافظ الأسد إن هناك بالفعل عمليات استطلاع..

وبعد أن وصلت القوات السورية لأراضى الأردن عادت مرة أخرى لكن قبل ذلك نجد رسالة.. وأنا أعرف سفيرنا في دمشق في ذلك الوقت (ممدوح جُبة) أرسل له التعليمات وكان هناك مبعوث عسكرى ذهب لهم وهو اللواء محرز.. وطالبهم بالعودة واستجابوا.. والقيادة المدنية في ذلك الوقت تحركت وذهب السفير المصرى ليقابل الرئيس السورى.. وأبلغه رسالة تقول أن هناك موقفٌ خطيرٌ جداً وأنه يدعوه لمؤتمر القمة..

وقال له رئيس الدولة السورى: موقف سوريا معروف ولم يتغير خاصة بعد أحداث الأردن ولن تجمعنا صلة بالخائن الكبير (الملك حسين) الذي يتهمنا بالجاسوسية وهذا موقفنا ويرجى إبلاغ هذا الرد للسيد الرئيس"..

وقال : "أن هناك ١٥٠ دبابة دخلت الأردن.. ونحن ننوى أن نقدم للفلسطينيين كل ما يحتاجونه.. والبرقيات تنهال علينا من كل الأرض.. تطالبنا بالتدخل الفورى لمنع المقاومة حتى لا يقضى عليها (الملك حسين)"..

وأطلعه على برقية من سفارة طرابلس تقول إن ليبيا قررت التدخل عسكرياً.. والقوات التى ذهبت للـ (رمثا) شمال مدينة عمان.. مكشوفة ومعرضة للضرب في أى وقت.. لكن هنا مسرح السياسة العربية ما يجرى عليه لا يكاد يعقله أحد.. ومشهد آخر لهذه المسرحية الغريبة.. أجد اجتماعا لمجلس الأمن القومى والرئيس (نيكسون) يقول متى ستتدخل إسرائيل وتضرب.. ولكننا لا نريد أن تتدخل إسرائيل.. نريد أن يتدخل طرفٌ ثانٍ مع إسرائيل.. ويسأل الرئيس (نيكسون) هل يتصل ب(شاه إيران).. و(شاه إيران) في هذه اللحظة مهم.. لأن الأمريكان والإسرائيليين تحسبوا في مشاورتهم.. أنه إذا ضربوا السوريين من الممكن للعراقيين أن يدخلوا المعركة.

وطلب الرئيس (نيكسون) في ذلك الوقت من مستشاره للأمن القومى أن يتحدث ل(شاه إيران) ويطلب إليه أن يحشد قوات أمام العراق لكى يشعر العراق أنه مهدد من الخلف ولا يستطيع أن يتقدم لا من الأردن ولا إلى سوريا وبالفعل في هذا الوقت.. تتحرك المسارح "السياسة" و"التاريخ" و"الحرب" الكل يمشى مع بعضه. وحينما تحدث مستشار الأمن القومى مع (شاه إيران) كانت الكتابات والوثائق كلها مسجلة وأجد أن السفير الأمريكى في طهران يقابل الشاه.. والشاه مستعد.. وفوراً سوف تبدأ المواقع الموجودة في إيران بإطلاق النار.. وتتحرك شمالى كردستان لكى تشعر الحكومة العراقية أنها مهددة في عقر دارها.. ووقتها لا تستطيع أن تساعد لا فلسطينيين ولا أردنيين.. ويجرى هذا وينشأ موقف ليس خطيراً.. لأنه في ذلك الوقت إذا كان هناك تحذير سواء من الاتحاد السوفييتى مباشرة أو من القاهرة.. أو من كل الأطراف.. وجد السوريين أنهم هموا بشيء ثم لا يستطيعون تكملتهُ فقرروا أن يعودوا مع غروب الشمس.. قبل اللحظة المقررة للضرب عادت القوات لسوريا ونزل الليل.. ولم يكن هناك داعٍ لتدخل إسرائيل وعمل سياسى وكل مشهد من مشاهد التاريخ..

## الثقافة من أثر التجربة

وأخطر شيء في الحروب والسياسة وفي كل شيء.. أن نتعامل مع الحوادث بعمق.. واستفادة.. وتحليل.. وليس باعتبراها مجرد حوادث تجرى بنحوٍ أو بآخر.. ولكن ما هى الدروس التى يتعلمها الناس والعظات؟.. لأنه يقال باستمرار أن الثقافة من أثر التجربة.

كما أن تفاصيل التجارب قد تُنسى.. وتضيع من الذاكرة.. لكن يبقى في الوعى باستمرار أثر ووعى هذه التجارب.. متمثلا في الثقافة التى أنشأتها هذه التجارب.. وهذا في واقع الأمر ثروة البشرية.. وهذا هو الكنز الموجود لدى البشرية والثقافة التى هى حصيلة كل ما فعلناه وجهزته أجيال سابقة صواب أو خطأ يتركز في أشياء تبقى وأشياء تؤثر فينا إلى مدى طويل.

وأعتقد أن أخطر ما أسفرت عنه هذه المسرحية كلها وبعضها كان عبثيا لكنها أسفرت عن أشياء لا نزال نعيش فيها.. هى ظهور مجموعة أوراق هى مبدأ (نيكسون) وكان ولايزال يطبق حتى هذه اللحظة.. وكان قائما على أشياء غريبة وأنها لا تستطيع ولا تقدر ولا تلزم أن تواجه كل أزمة موجودة تنشأ في هذا العالم لكن عليها أن تعتمد على مجموعة من النظم المعتمدة كوكلاء رسميين.. وكيل رسمى لها في كل منطقة ويعطى له أهمية سياسية..

وقوة عسكرية ومساعدات اقتصادية وإمكانات إعلامية ليؤثر على الإقليم المحيط.. وإمكانية تدخل تؤدى إلى مهمة الشرطة.. وفي كل دولة القوى المركزية الموجود فيها كل وسائل السلاح لكن وكيل الأمن وللنظام في كل حى من أحياء أى بلد في الدنيا هى قسم الشرطة.. والولايات المتحدة تريد أن تنشئ إدارة أمن محلية تتولى الأمن في منطقة معينة بتوكيل محدد يعطى الوسائل ثم ينفذ المهام.. ويتلقى ما يساويه.. وفي ذلك الوقت أجد وسائل واضحة لاعتماد وإعطاء وكلاء محليين سلطة وفرصة وإمكانات لضبط الأمن لأن الولايات المتحدة لا يمكنها أن تضبط الأمن في كل مكان وعليها أن تضع سياسة جديدة.. وفي منطقة الشرق الأوسط اعتمد في المنطقة وكيلين يتوليان ضبط الأمن فيها وكيل أول إسرائيل تضبط في المشرق.. و(شاه إيران) يضبط في الخليج وأقصى الشرق.. وأصبح هناك وكيلان (شاه إيران) وإسرائيل.. والغريب أن هذا النظام المعتمد لضبط الأمن وهو الموجود في مبدأ (نيكسون) وهو العبر والدروس.. والغريب اعتماد (شاه إيران).. وأنه وقت ما اعتمد هذا الوكيل الأمريكى لم نفتح فمنا

جميعاً بأى كلمة أمامه.. لكن عندما سقط هذا الوكيل في طهران.. كلنا أصبحنا نجد عداء في النظام الجمهورى في إيران.. ولأننا ببساطة لا نحدد الصديق والعدو وتهمنا مشاهد هذه المسرحية لأنها من التجارب لكن ثقافة التجربة ضاعت منا وعدنا تقريباً مع الكلام الذي قاله سقراط أو ما نقلوه آله سقراط عنه أن الآلهة لا تنتقم من أحد لكنها لما تغضب على طرف تكلفه نفسه بأن يدمر نفسه.



و في ربيع سنة (١٩٧٠) وبالتحديد في شهور مارس وأبريل ومايو من تلك السنة بدا أن الحركة المتدفقة على كل الطرق ومن مختلف الاتجاهات أصبحت تؤدى إلى موضع ما بالذات.. أو إلى مهمة معينة.. وهو موضوع لم يعد مُمكناً أن ينتظر.. أو يؤجل وهو موضوع العملية العسكرية الكبرى التى تستهدف العبور بالدرجة الأولى.. أى تنفيذ خطة إزالة آثار العدوان.. أو البدء في تنفيذ خطة آثار العدوان مع العلم أن هذه المهمة سوف تأخذ وقتاً كبيراً لأن هذه معركة ليست سهلة في ظروفها.. لكن كان هناك إحساس أنه هنا ومن كل هذه الحركة المتدفقة ومن كل هذه الاتجاهات هناك موعد ومهمة ومكان لا بد من لقاء عنده ولا بد من حركة عنده.. وهى ليست حرب الاستنزاف لكن نقلة أخرى في الحرب نحو بداية تحرير الأرض.

وكان هناك تصور عند العرب والعالم ساد طويلا هو أن العرب يستطيعون تحمل هزائم لأنهم ثابتون في الأرض ولأن جذورهم ممتدة ضاربة في أعماق التاريخ ولأنهم في أرضهم وفي أوطانهم فالتاريخ معهم والثقافة معهم والحضارة معهم والموقع ملكهم وعددهم كبير جداً.. حيث كان بإسرائيل من ٣ ملايين إلى ٣ ملايين ونصف المليون مهاجر والعرب من ١٨٠ إلى ٢٠٠ مليون عربى.

وأظن أن صانع القرار المصرى كان يدرك أننا أمام تحد في ميدان القتال لا نستطيع أن نخسره.. وأنا أتذكر المنطق الذي كان يقوله (جمال عبد الناصر) بعد ما خسرناه من سنة (٦٧) والطريقة التى خسرنا بها.. نحن لا نستطيع الآن ولا نملك أن نضيع هذه الفرصة في المرات القادمة وهذه الفرصة القادمة لا بد أن ننجح فيها ولا يمكن أن تحتمل فكرة أى فشل فيها.. لأنه ببساطة بعد (٦٧) هناك جرح غائر وبعد (٦٧) هناك جهد ضخم جداً بذله الشعب المصرى.. الشيء الآخر أن الذي يسيطر أننا لا نتوقع تغيير الموقف الدولى.

وفي ذلك الوقت كنت أحاول أن أعرض ما الطرق التى كانت الحركة تجرى عليها.. وقد بدا أن الاستعداد العسكرى قد وصل إلى درجة اعتبرت كافية وزيادة.. طبقاً للتقرير الذي كتبه الفريق محمد فوزى في ذلك الوقت.. وقال فيه إن قواتنا المسلحة جاهزة للعمليات وعلى خط القتال وتقف هناك خمس فرق مشاه و٣ فرق ميكانيكية وفرقتان مدرعتان و٣ لواءات مدرعة مستقلة و٣ كتائب استطلاع برى ولواء إنزال بحرى.

لم تكن المهمة في ذلك الوقت فهم نظرية الأمن الإسرائيلى لأنه إذا تم كسر نظرية الأمن الإسرائيلى فقد تم فتح الطريق بلا حدود.. لأن نظرية الأمن الإسرائيلى تعنى ما هو أكثر بكثير من نظرية القتال.

وفي ذلك الوقت نظرية الأمن الإسرائيلى قادرة على الردع وبقسوة منذ الوهلة الأولى.. وهنا قال الفريق فوزى إن أول ما يبدو على أول موعد على الطرق المؤدية إلى هذا اللقاء وهذه المهمة على هذا الطريق هى القوة المسلحة وهنا قالت القوات المسلحة إنها قادرة على تنفيذ الخطة الموجودة في ذلك الوقت وهى خطة في منتهى البساطة وتحدثت عنها في ذلك الوقت وهى جرانيت واحد. وهناك جرانيت (٢) وجرانيت (٣) ولكن هذه الخطط كانت خارج الحساب في ذلك الوقت.

كانت قواتنا المسلحة المصرية تحتاج باستمرار إلى قاذفات مقاتلة ولم يكن لدينا وقال لنا الاتحاد السوفييتى إنه ليس لديه قاذفات تؤدى ما نريده.. ولديهم قاذفات ثقيلة مجهزة للردع النووى والحرب النووية وهذه لا تصلح لهذه المهام التى نريدها.. وكان هناك اعتقاد في القوات المسلحة أنها ليس بها قاذفة وظهرت فرصة هائلة مع الثورة الليبية وحاول كل الناس استرضاءها فحاول الأمريكان أن يجددوا مع الليبيين قاعدة ويليس ويلوحوا لهم بأنه من الممكن أن يبيعوا لهم طائرات فانتوم وفي ذلك الوقت حاولت فرنسا الاقتراب.. وأنها من الممكن أن تبيع لهم طائرات من طراز ميراج وكل الأطراف الأوروبية والغربية كانت تعرف الحركات المُسماة (ثورية) في العالم العربى بها ضباط .. ومدى احتياجها للسلاح.

وفي ذلك الوقت طلب منى أن أقابل العقيد (القذافي) خاصةً وأنا في ذلك الوقت الوحيد الذي أعرف (القذافي) من المجموعة القريبة من (جمال عبد الناصر).

وبالفعل ذهبت له ومعى جواب من (عبد الناصر) عبارة عن رسالة مكتوبة.. وقابلت العقيد (القذافي) وأعضاء من مكتب قيادة الثورة وقلت لهم: لدى رسالة من الرئيس ومقتضاها أن الأمريكان لن يعطوكم طائرة فانتوم والروس لديهم طائرة ميج المعدلة M.S وأى صفقة ستقومون بها مع الروس ستكون صفقة مكررة.. وطلبنا منهم شراء الطائرة ميراج التى بها كل المواصفات وقلت لهم إنه مجال للشطارة وأن الأمريكان سيعرفون بالصفقة والحلفاء سيتبادلون المعلومات.

ولكن هناك منطقة معينة لمنافسة أمريكية فرنسية سواء على المنطقة أو على بيع السلاح أو بالنفوذ السياسى أو بالبحر الأبيض هناك مساحة نزاع نستطيع استغلالها وبالتالى إذا استطعتم شراء الميراج فاعقدوا صفقة بها ونحن طلبنا أن يحاولوا شراء ما بين٥٠ و١٠٠ طائرة ميراج.. وهم سيدفعون النقود.. ونحن جاهزون للمساعدة على عقد الصفقة وتدريب الليبيين مع مصريين بجوازات ليبية وتسير الصفقة.. وعلى ما بدا لى فإن الرسالة توافقت مع الليبيين في ذلك الوقت.

والليبيون استطاعوا أن يعقدوا صفقة ١٠٠ طائرة ميراج وخمسة طائرات تدريب.. وفي ذلك الوقت الذي كنت أتحدث فيه عن الطريق لمقارية موعدها ومهمتها أصبح موجودا نحو ما بين ٣٨ و٤٠ طائرة ميراج.. وأقول إن الفرنسيين لم يضعوا آخر ما هو موجود في هذه الطائرات لكن هذه الطائرات كانت كافية للمهمة.. وهذا هو الطريق الثانى..

أما الشيء الثالث فهو أمر موجود أمام صانع القرار المصرى هو رفع درجة الصراع بيننا وبين إسرائيل في لحظة القتال من المستوى المحلى "جبهة مصرية واحدة".. إلى مستوى معركة عربية إسرائيلية ثم إلى مستوى توتر دولى خطير تتحرك في ظله موازين أكبر من الصراع العربى الإسرائيلى.

لكننا كنا نريد لحظة القتال أن يكون فيها تأهب دولى على الأقل وألا تكون المسائل متروكة في ذلك الوقت من المعركة لموازين محلية على الأرض في هذا الشريط وراء قناة السويس وهذا الشريط المقسم إلى ١٥ كيلو على كل جبهة والذي ستدور فيه المعركة سوف يؤثر في مصائر العالم.

أما الطريق الرابع فهو وجود سوفييتى كثيف مع أسلحة سوفييتية كثيرة حتى مع دخول أسلحة فرنسية بدا أن الوضع في الأقليم يهدد بخطر.. والطريق الرابع هنا هو أن السوفييت وعندهم أناس وضحايا في مصر بدأوا بتعبئة الرأى العام للاتحاد السوفييتى

فيأتى جنرال سوفييتى ويقرأ رسالة يقول إن الرئيس برجينف يود إخطارك أنه في هذه اللحظة بدأ تعبئة كاملة في المصانع والجامعات والنقابات والجيش وكل مكان للوقوف معنا.. وهنا الطريق الخامس من خطة جرانيت وهو الوجود السوفييتى في البحر الأبيض بدأ يزيد خاصةً عند مخارج البحر الأسود.

الشيء السادس قلق الرئيس (نيكسون) نفسه وفي ذلك الوقت أجد محادثة بينه وبين رابين.. ورابين في ذلك الوقت كان سفير إسرائيل في واشنطن وكانوا يضغطون ويريدون رداً من الأمريكان عما يحدث ويعطونهم سلاحاً.. ووجدت (نيكسون) جالساً يشرح الأمر للسفير الإسرائيلى في واشنطن وهو الجنرال رابين.. وقال له لا تعتقد أن المسألة مسألة بترول بالنسبة للعرب.. أنا في كل مرة تضربون فيها العرب أكون سعيداً وعند التهديد أيضاً أكون راضياً.. ويقول رابين في الوثيقة والتى كتبها في مذكراته بعد ذلك أن هذه الصواريخ لم نتوصل للدفاع ضدها وتحتاج للدفاع عنها والولايات المتحدة لم تتوصل بعد لصاروخ مضاد.

والطريق السابع من جرانيت العبور وهو عنصر مهم فقد أدرك (عبد الناصر) في اجتماع قمة عقد في طرابلس لدول المواجهه في ذلك الوقت أواخر يونيو سنة (٧٠) أنه سيخوض المعركة بمفرده.. وكان (عبد الناصر) حريصا وخرج من طرابلس وتعليماته تنفيذ جرانيت (١) فقط وليس جرانيت (٢) والوصول للمضايق وليس جرانيت) وهى الوصول للحدود ولم ترسم بعد وكانت في إطار التخطيط.

وهنا كان (عبد الناصر) محدداً لهدف معركته وما الذي يمكن أن يترتب عليها وأنه مستعد لمخاطرة البدء.. ومعتقداً أنه عندما يبدأ ويتم العبور سوف يحرك آخرين وبالأمل جماهير عربية بلا حدود وهذا كان الطريق السابع الذي كان يسير إليه كل طرق الحركة.

ووقع (عبد الناصر) خطتين والتى بها جرانيت (١) عبور بحماية حائط صواريخ ووقع أيضاً خطة في منتهى الأهمية وهى خطة ٢٠٠ ولها قصة وبداية ففي يوم من الأيام أواخر سنة (٦٧) كتبت مقالة عن شخص في القوات المسلحة.. لم أذكر اسمه وهو كان موجودا في أحد أهم فروع القوات المسلحة يطلب مقابلتى في مكتبى في الأهرام.. ولا أريد أن أذكر اسمه.. وقال لى إنه لم يعد ممكنا أن نفاجأ مرة أخرى وأريد أن أقول لك بأمانة المسئولية وأريدك أن تنقل هذا لـ(عبد الناصر).. وأن المفاجأة ما زالت ممكنة

وأنـا موجـود وأعـرف بحـرب الصـواريخ ونتصـور أنـا لا نسـتطيع أن نفـاجئ وقـال إن الإسـرائيليين مـن الممكـن أن يقوموا بعبـور مضـاد مـن الشـرق إلى الغـرب لـدينا لتـدمير حائط الصواريخ عند بنائه.

واسـتمعت للضـابط جيـداً وقدرتـهُ وقـدرت اهتمامـه.. وبعـده بثلاثـة أيـام التقيـت (عبـد الناصـر) وقلت له ما حدث وذكرت اسم الضابط ورتبتـه.. فقـال لى (عبـد الناصـر) إنهـم يجهزون أيضاً خطة العبور المضاد لمنع الإسرائيليين من غلق الجسور.. فقال لى احضر لى هذا الضابط.. وكان (عبد الناصر) حريصا على مقابلة النـاس مـن خـارج المحيط.. وقـد سـجلت هذه المقابلة ومعـى محضـر الجلسة بخـط (سـامى شـرف) والمحضـر مكتـوب فيه اجتماع بين (عبد الناصر) وضابط كبير.

والرئيس قال: أهلاً وسهلاً.. (هيكل) قال لى إنك قابلته مقابلة طويلـة ووجـدت فرصـة أسمع منك مباشرة.. وقال الضابط إنه يشـكرنى علـى إتاحـة فرصـة لمقابلتك وأن هنـاك حقائق لا أعرف إذا كانت وصلت لحضرتك أم لا.. وبدا هـذا الضـابط يتحـدث وكأنـه يتحدث عن الثغرة.. وقـال إنـه يعـرف اسـتعداد القـوات المسلحة لاحتمـال عبـور إسـرائيلى مضـاد لكننـى أخشـى أن الإسرائيليين أمـامهم فرصـة للقيـام بمـا هـو أكثـر وأرجـو يـا سـيادة الـرئيس التنبـه لهـا.. لأن الإسـرائيليين مـن الممكـن أن يعـبروا بـدبابات لا يكـون هدفها منع القوات من التدفق على الكبارى ولكن لتكون ثغرة دخول وتطويق مواقع الصواريخ وتدميرها وهو الغطاء الذي يحمى القوات للتقدم.. ويحكـى الضـابط مخاوفه و(عبد الناصر) يسمعه.. وقال الضابط إنهم من الممكـن أن يفكـروا في "تقشير" حـائط الصواريخ لحرمان القوات حتى إذا تمكنت وتمركزت هناك من حائط الصواريخ التـى وراءهـا.. وقـد تم وضـع الخطـة ٢٠٠ لمواجهـة هـذا الاحتمـال والـذي قـد تحقـق في حـرب أكتوبر.. فالتاريخ مرات والوقائع مرات عندما تضيع الذاكرة تضيع معها أشياء كثيرة جداً.. وخطة ٢٠٠ هـى الطريق الثامن لصد العبور المضـاد وحمايـة الصـواريخ من تدميرهـا.



# خاتمة

## هيكل بين يدي التاريخ.!!

كل ما قاله (هيكل) عبر شهاداته يبقى في إطار كونه مسائل يحسمها التاريخ وتحسمها وثائق عندما تظهر سوف تكشف كثيراً من الأسرار.. فما كشفه "(هيكل)" من وثائق وتسجيلات عبر جميع حلقات التجربة مودعة في أرشيف سري خاص به.. لكن تبقى دوماً شهاداته لها قيمتها بدليل ما تحدثه دوماً من كل هذه الأعاصير..

لكننا هنا لابد أن نشير لنقطة هامة.. وهي أن (هيكل) كثيراً ما يذكر في أحاديثه بأنه كان يهوى دائماً الاحتفاظ بصورة على الأقل من كل وثيقة تكون محوراً للحديث بينه وبين الزعيم الراحل (جمال عبد الناصر)..

وكان ناصر يسأل دوماً (هيكل) :

(لا أدرى سر إصرارك على ذلك)

فكان يرد عليه بقوله : سيأتي الوقت المناسب.. وسيحتاجني التاريخ لكي يقول كلمته من خلال تلك الأوراق!!..

**وعندما جاء الوقت المناسب رفض (هيكل) تسليم ما يملكه من أوراق ومستندات إلى الجهات المسئولة في مصر.. بل والأخطر.. والأدهى أنه يحتفظ بها في خزائن خاصة ببنوك سويسرا.. !!**

والحقيقة الأخرى أن (هيكل) لم يكتف بما حصل عليه من أوراق بعلم ناصر في حياته.. بل الأدهى أنه عندما رحل (عبد الناصر).. وَرِثَ (هيكل) كل أرشيف (عبد الناصر) كاملاً.. وتلك واحدة من الظواهر الغريبة والعجيبة في مصر.

فكيف يمكن للتاريخ الوطني على امتداد ثمانية عشر عاماً.. من أخطر أعوام التاريخ الحديث لهذا الوطن أن يكون ملكاً لشخص واحد.. يأخذ منه ما يشاء.. ويحذف منه ما يشاء.. ويُعدِّل فيه.. ويرسمه حسب مزاجه وأيديولوجيته.

ونحن نعلم ونعرف أن مثل هذا الأرشيف يجب أن يكون في حوزة الدول بعد رحيل الحكام والزعماء.. وليس في حوزة شخص واحد أياً كان موقعه من النظام.. إلا إذا كان (عبد الناصر) وتاريخ (عبد الناصر) ليس مُلكاً لمصر وللدولة المصرية.. ولكنه مُلكٌ لـ(هيكل) فقط؟!

ومن خلال هذا الأرشيف ـ إن صدقاً وإن كذباً ـ كتب (هيكل) معظم ما سبق.. من خلال وقائع لم يكن فيه من شاهدٍ غير (هيكل)!!.

وهنا نتوقف عن الكلام المباح.. الذي رواه لنا شهريار الصحافة.. وإمبراطور صاحبة الجلالة.. وأشهر من وطأت قدماه بلاطها..

نتوقف عند كيفية إزالة آثار العدوان عدوان (٦٧) ليسدل لنا (هيكل) الستار عن مرحلة ما قبل (٧٣) باستعراض شخوص المشهد السياسي دولياً.. وعربياً.. وبعد أن أعطى من مذكراته لكل حاكم أو رئيس أوراق دورِه الذي أداه على مسرح التاريخ.. ونَظَّرَ كيف شاء.. وأرَّخَ كما يشاء.. وجلس على كرسي المخرج ليأمر لنا بفتح الستار.. وبعد أن انتهى الفصل الأول من المسرحية.. تركنا على وعد بالفصل الثاني.. والذي سيبدأه بوفاة أعز الأشخاص له.. ولنا وهو الخالد الزعيم "(جمال عبد الناصر)".. وارتقاء عدوه وخصمه اللدود (أنور السادات) مقاليد الحكم في مصر.. حيث أعلن (هيكل) أن العلاقة بينه وبين (السادات) هي موضوع الحلقات الجديدة في "سيرة حياة" التي بدأ بثها مع بدايات عام(٢٠١١) وهي حلقات لا شك أنها سوف تحمل مفاجئات خطيرة تشرح وتفسر بالوثائق قصة ما جرى بعد رحيل (جمال عبد الناصر) المفاجىء".

لكننا الآن.. وعند ما سبق توقف بنا الأستاذ عبر شطآن تجربة حياته..

وتوقفت أيضاً قراءتنا لها..

وإن كان في العمر بقية لكاتبنا.. ولنا.. فسنحاول فيما سيلي من طبعات هذا الكتاب إضافة ما يضيفه كاتبنا من تجربة حياته..

**والآن:**

بعد أن استعرضنا من خلال الصفحات السابقة الجزء المطروح من تجربة حياة كاتبنا الكبير يبقى أن نقول (الظاهرة الهيكلية) مازالت.. وستظل لسنوات.. وسنوات مادة شديدة الخصوبة لكل الباحثين.. والدارسين.. وحتى القراء العاديين.. فالرجل "**ظاهرة استثنائية**" بكل ما تحمله الكلمة من معنى.. والظاهرة لابد لها أن تبقى دوماً رهن الدراسة.. ومحلاً للخلاف.. والاتفاق.. ولعل هذا ما قلناه.. وأكدنا عليه من خلال هذا الكتاب.. حيث بحثنا بكل موضوعية ما استطعنا من جوانب (هيكل) الظاهرة.. ورسمنا بريشة الكلمات بورتريه وصورة لـ(هيكل) الإنسان.. بقي أن نقول أننا لسنا ضده.. بل نُكن له كل احترام.. وتقدير.. وكذلك لسنا معه على طول الخط.. فلنا مآخذنا.

وقبل أن نختم نتوقف عند ما قالته صحيفة هاآرتس الإسرائيلية الشهيرة(٢) عن (هيكل):

"إن الكاتب (محمد حسنين هيكل) لا يرتاح لحظة واحدة.. ورغم تجاوزه الثمانين من العمر فإنه يحاول شد وجه مصر المغضن بالتجاعيد.. ويهاجم بشدة سياسات الرئيس مبارك.. وكذلك مسيرة السلام مع إسرائيل.. وشكل العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية.. ويظهر بشكل دائم في قناة الجزيرة القطرية ليقدم برنامجه حتى صار كبير الكهنة الذي يسعى الجميع للتعرف على آخر نبوءاته".

وتضيف هاآرتس: "لا يمكن اختزال مكانة (هيكل) ووزنه في مجرد كونه مؤرخاً سياسياً.. فهو الرجل الذي اقترب بشدة من الرئيس عبدالناصر.. وظل أقوى رئيس تحرير عرفته صحيفة "الأهرام" طوال ١٧ سنة.. ولك أن تقول أن (هيكل) هو فيلسوف العصر الذي لا يجرؤ حتى النظام المصرى على المساس به.. رغم النقد اللاذع الذي يوجهه (هيكل) لهذا النظام".

---

(٢) في تقريرها الذي أعده «تسفي بارئيل» محرر الشؤون العربية بالجريدة نقلاً عن صحيفة المصري اليوم في عددها رقم ١٩٦٤ الصادر بتاريخ ٢٩ /١٠ /٢٠٠٩.

وفي النهاية نختم رحلتنا بما قاله "أنتوني ناتنج" وزير الدولة للشئون الخارجية البريطانية في وزارة أنتوني إيدن ضمن برنامج عن (محمد حسنين هيكل) أخرجته هيئة الإذاعة البريطانية وبثته على موجاتها يوم ١٤ ديسمبر ١٩٧٨ في سلسلة "صور شخصية" إذ قال عنه:

"عندما كان قرب القمة كان الكل يهتمون بما يعرفه... وعندما ابتعد عن القمة تحول اهتمام الكل إلى ما يفكر فيه".

ونتوقف عند ما قلناه في البداية.. في مقدمة الكتاب:

أنه وبغض النظر عما قيل.. ويُقال عن (هيكل).. سيظل هو الأهم.. والأكثر جدلاً بين صحفيي.. وكتاب تاريخنا العربى المعاصر.

ومهما كان حبنا واحترامنا للأستاذ (هيكل).. لكن يبقى حبنا لله.. ثم الوطن والتاريخ.. والحقيقة أكبر.



**عصام عبد الفتاح**
elbtrawy@yahoo.com

الفهرس

هل هناك اثنان يختلفان حول قدر " هيكل "

هل هناك من ينازع الرجل مكانته المستحقة عربياً .. و عالمياً فى بلاط صاحبة الجلالة .. ؟

اختلفنا .. أو اتفقنا معه .. لابد أن نحترمه .. وننزله مكانته .. لكن لا قداسة لكاتب حتى وإن كان هيكل ..

وفى هذا الكتاب حاولنا أن نضع الرجل هو و تجربة حياته الاستثنائية تحت ميكروسكوب الحقيقة .. لندرك هل روى لنا الأستاذ الحقيقة كما عاشها .. أم كما تمناها .. هل زيف لنا التاريخ فى تجربة حياته .. أم قال لنا الصدق ؟ .. و من أي دواة عبأ قلمه .. هل من حبر التناقض .. أم من مداد الحقيقة ..

عزيزى القارئ : لاتتسرع فى الإجابة عن تلك الأسئلة قبل أن تقرأ هذا الكتاب .. الذى هو خلاصة حوالي أربعين حلقة من " تجربة حياة " هيكل مليئة بالمفاجآت .. بعضها كان مدوياً .. وقت تفجيره و سرعان ما تلاشى كما تتلاشى خيوط الدخان .. و بعضها سيظل مدوياً إلى حد يستوجب إعادة كتابة تاريخنا المعاصر من جديد .. لكن لا تتسرع فى الحكم ..

الناشر










١٦٥ ش محمد فريد - الدور الثالث - وسط البلد - القاهرة
تليفاكس : ٢٣٩٠٠٨٦٧ ( ٢٠٢ )
محمول : ٠١٠٧١١٢٧١٢ (٠٢) - ٠١٦١٢٠٨٤٤٧ (٠٢)